

٢٦

الألف كتاب (الثاني)

# رسائل وأحاديث من المنقذ

للشيخ الدكتور محمد صالح المنجد

مترجم من قبل: د. محمد صالح المنجد

مراجعة: د. محمد صالح المنجد



Bibliotheca Alexandrina  
0159641



رسائل وأهديت من المنفى





# رسائل وأهديت من المنفى

تأليف: فيكتور هوجو

ترجمة: أحمد رضا محمد رضا

مراجعة: محمود خليل الحاس



المطبعة العربية المتحدة للكتاب

١٩٨٦

تصميم الغلاف : محمد قطب

الخراج الفني : مراد نسيم

---

الإشراف الفني : عفاف توفيق

## ما هية المنفى

١

القانون المجسد ، هو المواطن ، أما القانون المتوج فهو المشرع . وكانت الجمهوريات القديمة تتمثل القانون متربعا على مقعد من قبيل مقاعد القضاة الرومان العاجية ، وفى يده صولجان ، هو القانون ، ومشملا بالنوب القرمزى ، رمز السلطة . وكانت هذه الصورة صادقة ، لا يختلف المثل الأعلى فى الوقت الحاضر عنها فى شىء . ولا بد لكل مجتمع منظم من قانون مقدس ومسلح ، مقدس بالعدالة ، ومسلح بالحرية .

لم تذكر لفظة القوة فيما قلناه آنفاً . ومع ذلك فالقوة موجودة ، وانما لا وجود لها خارج القانون ، بل وجودها فى داخله .

القانون قوة . .

فماذا هناك خارج القانون ؟

العنف . .

وليس هناك سوى ضرورة واحدة ، تلك هى الحقيقة . ومن ثم فليس هناك غير قوة واحدة ، هى القانون . والنجاح فى خارج الحقيقة والقانون انما هو نجاح ظاهرى ، يخدع فيه الطغاة بنظرهم القصير ، فيخالون الكمين التاجع نصرا ، ولكنه نصر ملؤه الرماد والأجداث . ويعتقد المجرم أن جريمته عون له ، ولكنه مخطيء ، فجريمته هى مؤذنته . فالتقاتل يقطع جسده دائما بسكينه ، والخيانة تفضح دائما كل خائن ، والجريمة شبح خفى يطبق على أعناق المجرمين دون أن يدركوا ذلك . والعمل السيسى لا يطلق سراح مقترفه . وتنتهى أحداث الثامن عشر من شهر « برومير » بالكبار فى واترلو ، كما تنتهى أحداث الثانى من ديسمبر بالصغار فى سيدان ، يتم كل ذلك بصورة حتمية ، فى طريق قاس لا يرحم يودى الى

مستنقعات الدم من أجل المجد ، والى مهاوى الأوحال التى يغوص فيها  
العار .

وعندما يقدم أصحاب العنف والخونة على تجريد القانون ونزع  
سلطانه . فانهم لا يعرفون عندئذ ما يصنعون .

## ٢

النفى هو تجريد القانون ، وليس ثمة شئ أفظح منه . ولكن  
بالنسبة لمن هو فظيح « بالنسبة للمحكوم عليه بالنفى ؟ كلا ، انه فظيح  
بالنسبة الى من قضى به . فالقصاص ينقلب على الجلاذ فينهشمه .

وليس ثمة ما هو أشد ارهايا لنفوس الاشرار المتوجين من رجل  
حالم ينجول وحيدا على ساحل رملي ، ومن صحراء تحيط بمفكر ، ورأس  
مرم هادىء تحوم حوله طيور العواصف دهشة حائرة . ومنابرة فيلسوف  
على مشاهدة بزوغ الفجر المهدىء للنفوس ، والاله الذى يستشهد الناس  
به من وقت لآخر أمام الصخور أو الأشجار ، ورجل هزيل لا يفكر فحسب ،  
بل أيضا يتأمل ، وشعرات تتحول فى العزلة من سوداء الى شهباء . ومن  
شهباء الى بيضاء ، ورجل يشعر بأنه يتحول الى شبح يمرور الأيام ، وكر  
السنوات الطوال على ذلك الغائب الذى لم يزل مع ذلك على قيد الحياة ،  
وهيبة ذلك الانسان المحروم . وحينئذ ذلك البرىء الى الأوطان .

ومهما فعل أصحاب السلطة المطلقة المؤقتون ، فان القاعدة الأبدية  
تناهضهم ، فليس لهم من شئ سوى الصفحة السطحية من الحفيفة  
الثابتة ، أما الباطن فانه من شأن المفكرين . أنتم تنفون رجلا . فليكن .  
ثم ماذا ؟ نستطيعون أنتم أن تنتزعوا الشجرة من جذورها ولكنكم لن  
تستطيعوا أبدا أن نطفثوا نور السماء . ان الفجر آت عن قريب .

ومع ذلك فلنكن عدلا مع الذين قضوا بالنفى ، فهم منطقيون ، كملة ،  
بغضون . بفعلون كل ما فى استطاعتهم لاهلاك المنفى .

فهل يتألون مأربهم ؟ هل ينجحون ؟ لا ريب فى ذلك .

هاكم رجلا نحطم حتى لم يعد يملك سوى شرفه ، وتجرد من كل  
شئ حتى لم يعد له سوى ضميره ، وانعزل عن الدنيا حتى لم يبق بالقرب  
منه سوى العدالة ، وأنكره الناس حتى لم يبق معه سوى الحقيقة ، والقى  
به فى الظلمات حتى لم يبق له سوى الشمس . ذلك هو رجل المنفى .

النقى لسس شيئا ماديا ، انه شئى معنوى ، كل أركان الأرض عنده سواء . ضاحكة ، تناسبه كل الأحلام . على أن يكون فى ركن مظلم ، وأفق مسيح .

وأرخبيل المانش رائع فتان بصفة خاصة ، فريب الشبه من الوطن . فرنسا . وجيرسى وجيرسى قطعان من بلاد الغال ، قطعها البحر عنها فى القرن الثامن . وكات جيرسى أكثر فنه ودلالا من جيرسى . وإنما أقل منها جمالا . فى جيرسى تحولت العباب الى حدائق ، أما فى جيرسى فقد ظلت الصخور ضخمة ماردة . هنا مزيد من الجمال ، وهناك مزيد من الجلال . الانسان فى جيرسى كأنه فى نورماندى . أما فى جيرسى فهو فى برينانى . جيرسى باقه شاسعة كمدينة لندن ، كل ما فيها عطر ونور وابسام . وهى مع ذلك فى مهبط العواصف . وصف كاتب هذه الصفحات جيرسى فى موضع ما بأنها « أنشودة فى قلب البحر » . كانت جيرسى فى العصور الونبة أكثر ما تكون رومانية . أما جيرسى فكانت فى الأغلب كتيبة . فى جيرسى يشعر الانسان بوجود جوينير . أما فى جيرسى فانه يشعر باجود « توتانيس » (١) . وفى جيرسى اختفت الشراسة . وإنما بقيت الوحشية . من كان فى جيرسى فى الزمان الماضى درويديا (٢) أصبح اليوم من الهيجونوت (٣) ولم يعد نمة مولوخ (٤) . بل كلفن . والكنيسة باردة . والمنظر الطبيعى قبه احتشام وحياء ، والدين فيه سماحة . وبالأجمال فان الجزيرتين فانتتان : احدهما لطيفة والثانية نفور . .

وذات يوم قدمت ملكة انجلترا ، أو بالأحرى دوقة نورماندى التى يقدها الناس ستة أيام كل أسبوع ، قدمت لزيارة جيرسى ، فاستقبلت بطلقات المدافع والدخان والصخب والاحتفال . وكان ذلك فى يوم أحد ، وهو اليوم الوحيد فى الأسبوع الذى لا تقديس فيه الملكة ، ومن تم أصبحت فى ذلك اليوم امرأة عادية ، ولكنها نقصت راحتها المقدسة ، ونزلت على رصيف الميناء وسط الجمهور الصامت . ولم يكشف لها أحد عن رأسه .

- 
- (١) كبير الآلهة فى بلاد الغال ، وكان الأمل فى ذلك الوقت من الكلت - الترجم  
 (٢) الدرويدون . كمة الشعوب الكلتية ورجال الطب فيها ، وبخاصة فى بلاد الغال وبريطانيا - المترجم .  
 (٣) بروكستانت فرنسا المشفون مذهب كلفن - المترجم .  
 (٤) إله الحرب عند فرطاجة ، وكان يطلب التضحية بالشر - المترجم .

ولكن رجلا واحدا فقط هو الذى حياها ، ذلك هو المنفى الذى يسعدنا  
عنا هنا .

ولكنه لم يحي ملكة ، وانما حيا امرأة .

وكانت الجزيرة الوفية قاسية جافة . ولهذه الصرامة فى الخلق  
ما لها من عظمة .

ولم تترك جيرنسى للمنفى سوى ذكريات طيبة . ولكن للمنفى وجود  
فى خارج المنفى . ويمكن القول اجمالا انه ليس نمة نفى جميل .

المنفى هو البلد القاسى ، الأشياء فيه كلها مقلوبة ، لا تصلح للسكنى ،  
مهدمه . جاهدة ، فيما عدا الواجب ، فهو وحده القائم الذى يبدو كقبة  
الكنيسة فى بلدة متهدمة ، أعلى من كل الأنقاض التى تحيط بها .

المنفى مكان العصاص . .

القصاص ممن ؟

من الطاغية ؟

ولكن الطاغية يدود عن نفسه .

## ٤

عليك أيها المنفى أن تتوقع كل شيء . انهم يلقبون بك فى  
مكان قصى ، ولكنهم لا يدعونك وشأنك . فالذى نفاك رجل فضولى ،  
يحكم رقابته عليك . انه يدبر لك زيارات بارعة ومتنوعة . فمنة قس  
برونستانتى ميجل يجلس فى دارك . هذا البروسنانتى يتناول مرتبا  
من خزانة « نرونسان - دوميرسان » . وثمة أمير أجنبى ، فى لسانه  
رطانة أجنبية . يتقدم اليك . انه « فيدوك » أتى ليراك . ترى هل هو  
أمير حقيقى ؟ نعم . انه من دم ملكى . ومن رجال الشرطة أيضا . ويطرق  
دارك أستاذ متعمق فى مبادئه ، وإذا بك تفجأه وهو يسترق النظر الى  
أوراقك . كل شيء ضدك مباح . فانت خارج على القانون ، أى خارج  
العدالة والمنطق والكرامة والحقيقة . نمة من يقول ان لديه تصريحاً منك  
بنشر أحاديثك ، وإذا هو يهنم بجعل هذه الأحاديث سخيفة . وينسب  
اليك البعض كلاما لم تقله قط ، ورسائل لم تكتبها المرة ، وأفعالا لم  
نقرفها . يقتربون منك ليحسنوا اختيار الموضوع الذى سوف يطعنونك  
عنده . ما أشبه المنفى بالمنور ، ينظر الانسان فيه وكأنه ينظر فى جحر  
حيوان ، فانت به معزول ومرقب . لا تكتب الى أصدقائك فى فرنسا ،  
فخطابك مباح فتحها ، بتصريح من محكمة النقض . احترز من علاقاتك  
بالناس فى المنفى فانها تؤدى الى أمور غامضة ؟ فالرجل الذى يتنهم لك  
فى جيرسى يثلبك فى باريس . وثمة من يكتب فى جيرسى نفسها ضد

أهل المنفى صفحات جديدة بأن هدى الى رجال الامبراطوريه . ولكنه يبررها فيكتب اهداءها الى أصحاب بنك « بيرير » . واعلم أن كل هذه الأمور بسيطة فانت في الحجر الصحي « الكورنتينه » . وإذا جاءك انسان سريفا ليراك فالويل له ، الحدود في انتظاره وعندها الامبراطور في بوب الشرطة . ولسوف يجردون النساء من ثيابهن بحنا عن كتاب لك يخفبه .  
**فاذا قاومن واحتججن قيل لهن : لا تقصد من هذا مشاهدة مفاتنكن » .**

أما السيد ، وهو أيضا الخائن ، فانه يحيطك بمس ساء من الناس . فالحاكم يستطيع أن يستغل شخصية المنفى ، يضغطها على عملائه ، فليس ثمة أمان . احترس اذا نحدث الى وجه انسان ، لأن وجه المسمع انما هو قناع . مفناك يسكنه سبج ، هو الجاسوس .

وثمة رجل مجهول شديد الغموض يأنيك فيهمس في أذنيك . ويصرح لك بأنه على استعداد لأن يقتل الامبراطور اذا شئت . انه بونابرت ، يعرض عليك أن يقتل بونابرت . وهي مادبك التي تقيمها للاخوان . يصيح بعضهم في ركن من الأركان : « يجبا مارا ! يجبا هيير ! نجسا الجيوتين ! » (١) فاذا انتبهت اليه قليلا عرفت فيه صوت « كارلبييه » . وتجد أحيانا الجاسوس يستجدي الناس . فالامبراطور يسألك الاحسان عن طريق « بيتري » . وتعطيه صدقة فيضحك كما يضحك الجراد . وتدفع الديون الخاصة بنفقات سكني ذلك المنفى . انه من عمال الحكومة . وتدفع نفقات رحلة ذلك اللاجئ : انه شرطي . وتمر في السارخ فتمسح من يقول : « هذا هو الطاغية الحقيقي ! » . انه يتكلم عنك ، وندير رأسك ناحيته وتتساءل من عساه يكون هذا الرجل ، فيجيبك بعضهم : انه من المنفيين . كلا ، انه موظف جلف ، قبض أجره ، وهو حمهورى يوقع باسم « موباس » ، « كوكو » يتنكر في ثوب « شيكفولا » .

أما الابتكارات ، والخدع ، والدناعات ، فليكن أن تتقبلها . انها قذائف الامبراطورية .

وعليك بنوع خاص ألا تطالب بشيء فسوف تقابل بالسخرية . بعد المطالبة تبدأ الاهانة ، وهي نفس الاهانة ، لا يهتم أحد بتنويرها اذا ما الفائدة من تغيير الأسلوب ، فأسلوب الامس حسن . ولسوف تستمر الاهانات كل يوم دون انقطاع ، بذلك الهدوء المستقر والضمير المرتاح الذي تسمع به العجلة التي تدور والذمة الخربة التي تكذب . وليس ثمة نار .

(١) اللصلة - آلة اعدام ، تقطع رأس الانسان يسكني - اخترعها دكتور جيوتين - وكانت سائمة الاستعمال في فرنسا امان الثورة الفرنسيه - المرحوم .

أما الإهانة فإنها تندعم بالدناءة . الحشرة حقيرة ، بتقدها حقارتها من الهلاك . إذ يسحق سحق الشيء الذي يساوى الصفر . أما النميمة التي تعرف قطعاً أنها في حصانة من العقاب ، فإنها نستتري وتستمتع . وهبطت إلى دناءات حقيرة لدرجة أن في انكارها حطة أسد من الغيابة الذي يصيب الإنسان الذي يعانيها .

والعادحون يوجهون سبابهم إلى جمهور المغفلين ، وهذا أمر جسد مضحك .

تخلص من ذلك إنه من العجيب أنك لا ترى الافتراء عليك أمراً طبيعياً . أنتست هناك من أجل ذلك ؟ إيه لك أيها الرجل الساذج ، أنت هدف لذلك . فمئة شخص أصبح عضواً بالأكاديمية لأنه أهانك ، وآخر ظهر بوسام الصليب لمثل هذا العمل الباسل . فقد منحه الإمبراطور هذا الوسام في ميدان الشرف . ميدان النميمة . ومئة شخص آخر بجلي أيضاً باهانات صارخه . فعين من أجلها حاكماً . أهانتك عمل مريب . ومن الضروري أن يعيش الناس . يا للعجب ، لماذا نفيت ؟ كن عاقلاً . فأنت مخطئ . من حملك إذن على الحكم بأن الانقلاب السياسي أمر سيئ ؟ ترى أية فكرة دفعتك إلى الكفاح في سبيل الحق ؟ وأية نزوة اعتلمت في نفسك فجعلتك تتور دفاعاً عن القانون ؟ هل يدافع الإنسان عن الحق وعن القانون حين لا يكون في صفهما أحد ؟ حاكم الزعماء المضللون ، من العيب مصابرتهم ومعاندهم ومناهضتهم . فثمة رجل واحد يطعن الحق ويغتال القانون . ومن المحتمل أن يكون له حججه وأعداره . فلتكن مع هذا الرجل . فالنجاح يكسبه الحق . ولتكن مع النجاح ، لأن النجاح يصيب هو الحق . ولسوف يحمذك الناس على ذلك . ولسوف تشن عليك . ولسوف تعدو عضواً في مجلس الشيوخ بدلاً من أن تكون منفياً ، ولكن تبدهم أبه في عيون الناس .

هل نجرؤ على التشكك في حق هذا الرجل ؟ ولكنك ترى جيداً أنه مد أفصح ! وتعلم تمام العلم أن القضاة الذين انهموه يقسمون له يمين الولاء ! ونشهد أن القساوسة والجنود والأساقفة وقادة الجيوش كلهم معه ! أتمسك أنك تملك من الفضائل أكثر من كل هذا ؟ أتريد أن تقاوم كل هذا ؟ على رسلك يا هذا ! إنك لتجد في صفه كل ما هو محترم وجدير بالاحترام . وكل ما هو موقر وجدير بالتوقير ، ثم تجد نفسك في الجانب الآخر . إنه لأمر سخيف . وأنا لنسخرك بك . وحسناً ففعل . الكذب ضد الأخرق شيء مباح . الأشراف كاهم ضدك . ونحن أهل الوشاية والنميمة مع الأشراف . هيا ، فكر ، واعرّف نفسك . لابد من انقاد



المجتمع . ممن ؟ منك . بأى سىء كنت تهدد هذا المجتمع ؟ بالغاء الحروب والفسق وعقوبة الاعدام ، وبالتعليم الإلزامى المجانى ، فيعرف الناس كلهم القراءة ! انه لئىء فظيخ . كم من أنظمه خيالية مثالبه كربيه ! المرأة القاصر تصبح رسة . وهذا النصف من الجنس البشرى يشترك فى الانتخابات العامة . والزواج ينحصر بالطلاق . والطفل الغفبر يتعلم كما يتعلم الطفل الغنى . فتتم المساواة بفضل التعليم . وتنخفض الضرائب أولا تم تلغى يهدم الوساطات الطفيلية . ونأجر المنشآت الأهليه ، ونحويل مياه المجارى الى أسمدة . ونوزع الأموال العامة . واستصلاح الأراضى البور . واستغلال الفائض الاجتماعى . ورخص المعيشة ، بنربية الأسماك . فى الأنهار . وروال الطبقات والحدود والقيود وقيام الجمهورية الأوربية . وتوحيد المقد فى القارة الأوربية . وداول الأموال والثروات ومضاعفتها: يا لكل ذلك من حماقات ! لابد من الاحراز ضد كل هذا ! عجبنا ! أيستقر السلام بين الناس كلهم . فلا يكون نمة جيوش ولا خدمة عسكرية ! كيف ! أنزرع أرض فرنسا بكيفية يمكن معها اطعام مائتين وخمسين مليوناً من الأنفس . ولا تكون نمة ضرائب . فتعيش فرنسا من إيراداتها الخاصة ! كيف ! أعطى المرأة صوتها فى الانتخاب . ويصير للولد حقوقاً قبل أبيه . ولا تكون الأم فى أسرتها خادمة ذليلة . ولا يملك الزوج حق قتل زوجته ! كيف ! ألن يكون القس هو السيد ! كيف ! ألن تكون هناك معارك أو جنود أو جلادون . ولا مشائق . أو جيونين ! ولكن هذا شىء رعيب ! لابد من انقاذنا . لقد فعل الرئيس ذلك ، فليجئ الامبراطور ! أنت تناضله ، فلنقطك اربا ، وسنكتب عنك أمورا شتى . انا نعلم تمام العلم أن ما نقوله هذا غير صحيح ، ولكننا نحمى المجتمع . والنميمة التى تحمى المجتمع شىء فى الصالح العام . وطالما كان القضاء مع الانقلاب السياسى ، فان العدالة هى أيضا معه . وطالما كان الكهنوت مع الانقلاب ، فالدين أيضا معه . والدين والعدالة وجهان طاهران ومقدسان . وكذلك شأن النميمة التى تخدم الدين والعدالة . فهى تقاسمهما الشرف والجدارة . انها - أى النميمة - امرأة عاهرة . فلتنكن كذلك ، ولكنها تخدم عذراوات طاهرات ، ومن ثم نحترمها .

وعلى هذا النحو يتعلل السبابون ..

وأفضل ما يفعله المنفى أن يفكر فى شىء آخر ..

## ٥

ما دام هو على شاطئ البحر ، فليستفد من ذلك . ولتمنحه تلك الحركة الدائبة تحت الغضاء اللانهائى الحكمة . العقل . وليتأمل فى تواب

الأمواج على الساحل دوما ، واعتدا. العرية على الحفيدة . سرور الفرح والتشهير لا طائل من ورائها . فليأمل الموجة وهي تبصق على الصحره . ويتساءل ماذا نجنى من وراء ذلك ، وماذا يخسر الجرائيت بسبب ذلك .

كلا ، لا سر ضد الإهانة ، ولا نبدد مشاعرك ، ولا نطلب النار ، واخذل الى هدوء صارم . الصخرة تقطر ماء ولكنها لا تتحرك . انها تلمع أحيانا بما يسيل عنيفا من ماء . والنميمة تتلألأ فى النهاية كالثريرا . واذ يلمح الانسان شريطا فضيا على الوردة ، يدرك أن دودة قد مرت عليها .

ما أروع البصفة على جبين المسيح !

وسمة فسيس يدعى سيجور ، قال عن جاريبالدى انه جبان ، وأردف بنشبيهه بارع : « كالقمر » - جاريبالدى جبان كالقمر ! يا لها من متعة للذهن ! ويتفرع من ذلك بعض النتائج . فأشيل جبان ، اذن ثيريسيت شجاع ، وفولتير غبى ، اذن سيجور ذكى .

فلوؤد المنفى واجبه ، ولترك القذف والتشهير يعمان عملهما ، وليصمت المنفى المطارد المفضوح المهزأ الذى يسبه الناس وينهشون عرضه .

يا لعظمة الصمت !

ومن ثم فان محاولة اخساد الإهانة انما تزيدها استعلاا . وكل ما يلقى الانسان على القرية يصير لها وقودا . الإهانة تسمغل كل ما تحويه من عار ، ومقاومتها انما تؤدى الى ارضائها . القرية فى الأصل تقدر المفتري . عليه كل التقدير ، ولكنها تعاني وتموت اذا احتقرها الانسان . انها تصبو الى شرف التكذيب ، فلا تكذبها حتى لا تمنحها هذا الشرف . واذ صمعت كان ذلك دليلا على أن الناس قد انتبهوا اليها ، فتكشف عن وجهها المتقد وتقول : « اذن فانا حية أرزق ! » .

## ٦

وفضلا عن ذلك وهم يشكرو المنعمين ؟ نأمل فى التاريخ كله نجد العطاء قد أهينوا أكثر من المنفيين .

الإهانة عادة قديمة فى الانسان ، فرمى الأحجار متعة الأيدي الحاملة ، والويل لكل من يتعدى الحدود السوية : فمن طبيعة الدرا أن رمى الصواعق من عامائها ، وتستتير الرجم بالأحجار من أسفل . نذك هي غلظة الدرا ، فلم كانت كذلك ؟ انها تشهد اليها الأنظار والإهانات .

والرجل الحسود لا ينقطع مسيره فى الطريق ، ووظيفته الحقد ، ونحن نلقاه دواما ، قميتا ، نائرا ، فى ظلال الصروح العالیه .

أمام الأخصائين دراسات يجرونها بحثا عن أسباب الآرق الذى بصيب العظمة . فهو فيروس ينام ملى جفنيه ، ولكن يؤرفه زويلي . أما ايسخولوس فيحس على جلده بلسعة يوبوليس وكرايتنوس . ومثل هذه المخلوقات الحقيرة كيره ، فميصوس يتهجم على فيرجيل ، وليسيلوس على هوراس ، وكوردروس على جوفينال ، وتشيكى على دانتى ، وجرين على نكسبير ، وسكوديرى على روترو ، والأكاديمية على كورنىي ، ودونو دو فيزيه على مولير ، وديفونتين على مونتسكيو ، ولابوميل على بوفون ، وباليسو على جان جاك روسو ، ونونوت على ديديرو ، وفريرون على فولتيز . المجد سرير مذهب ملى بالبق .

المنفى ليس هو المجد ، ولكنه يشترك مع المجد فى شىء واحد ، ذلك هو الحشرة . والناس لا يتركون المصائب وشانها . فرؤية المنفى وهو نائم نوما عميقا يغيظ جامعى فئات الخبز من تحت موائد نيرون وتيبير . يا للعجب ، كيف ينام ؟ انه اذن سعيد ، فلنقرصه !

الرجل المجنندل ، المطرود من الديار ، الذى يفتش الغبراء ( وهذا شىء ميسور اذا كان الصنم المعبود هو فيتيلوس ، والدنس هو جوفينال ) ، والمنفى ، والمحرور من الارث والمهزوم ، كل هؤلاء محسودون . الشىء العجيب أن للمنفين حسادا . وهذا شىء فهمه ميسور خاصة لدى أصحاب الفضائل السامية حين يفارون من المصائب الكبيرة . مثل كاتون حين يحسد ريجولوس . وثرأياس حين يحسد بروتوس ، وراب حين يحسد باربيس ، ولكن الأمر ليس كذلك . ان الأوغاد هم الذين يوغلون فى الغيرة من أصحاب العظمة والهيبة . ان من يتضرر من احتجاج المهزوم المترفع هو الشخص الثأفه الدنى . فجوستاف بلانن يفار من لوى بلان ، وباكولار يفار من ميلتون ، وجوكريس يعار من ايسخولوس .

السباب فى الزمان الماضى لا يسير الا خلف مركبة المنتصر ، أما السباب فى الوقت الحاضر فانه يسير فى أعقاب المهزوم . والمهزوم تنزف دماؤه ، ويضيف السبابون وحلهم على هذه الدماء . فليكن ، ولتكن لهم هذه المتعة . وتبدو هذه المتعة حقيقة واقعة حتى ان الرئيس لا يفتتها ، وهى تنال عادة اجرا لها .

وتتكشف مكنونات القلوب عن فضائح علنية . وللطغاة فى حربهم ضد المنفين تابعان : أولهما : الحسد . وثانيهما : الرشوة والافساد .

وعندما يتحدث الانسان عن ماهية النفى ، لابد أن يذكر قليلا  
بعض التفاصيل . ويدخل فى هذا الموضوع الاشارة الى بعض الحيوانات  
القارضة ، وكان يحذر بنا أن نطرق علم الحشرات .



نلك هي الجوانب الصغيرة فى موضوع المنفى ، واليكم الآن الجوانب  
الكبيرة . التأمل ، والتفكر ، والمعاناة .

أن يكون الانسان وحيدا ، ويشعر مع ذلك بأنه مع الجميع ، أن  
يلعن نجاح السر ، ولكن يرى لسعادة الشرير ، أن يؤكد ذاته كمواطن ،  
وتتطير نفسه كفيلسوف ، أن يكون فقيرا ، تم يرمى حطامه بعمله ، أن يفكر  
ويتدبر : يفكر فى الخير ، ويتدبر أفضل الأشياء ، لا يغضب الامع جمهور  
الناس ، ويتجاهل الأحقاد الشخصية ، ويستنشق الهواء المنعش الفسيح ،  
هواء الوحدة والعزلة . ويسبح فى الحلم المطلق الشاسع ، وينظر الى  
ما فى الاعالى دون أن تقوته رؤية ما فى الاسافل ، ولا يبالغ فى تأمل  
المثل العليا الى حد نسيان الطاغية ، ويدرك فى ذاته ذلك المزيج الرائع  
من السخط النامى والتهدة المتزايدة ، وأن تكون له نفسان : ذاته  
والوطن .

وثمة شئ عذب رقيق ، ذلك هو الشفقة الحاضرة : من ذلك أن  
يتزود المرء بالرحمة والحنان نحو المذنب حين يقع صريحا ويركع على  
ركبتيه ، ويعاهد نفسه ألا يرد أبدا يدين متوسلتين . ان الانسان ليشعر  
ببهجة عظيمة حين يقدم لأولئك الذين يتوقع هزيمتهم فى المستقبل وعدا  
بالكرم والضيافة . وقد اعتاد رفاق كاتب هذه السطور فى المنفى أن  
يسمعه وهو يقول : « اذا حدث ذات يوم ، فى غداة انقلاب سياسى ،  
أن هرب بونا برت وجاء يطرق بابى ويسألنى اللجوء والحماية ، فلن  
تسقط شعرة واحدة من رأسه » .

هذه التأملات التى نختلط بنوائب الدهر كلها ، ترضى ضمير المنفى ،  
ولكنها لا تمنعه من أداء واجبه ، بل انها على العكس من ذلك تشجعه على  
أداء هذا الواجب . فلتكن اليوم قاسيا ، بقدر ما تكون فى الغد رحيما ،  
ولتبعث الرهبة فى قلب الشديد الجبار حتى يأتى اليوم الذى تأخذ فيه  
ببد الذليل المتضرع . وفى المستقبل ، لن تفرق بعفوك الشامل غير شرط  
واحد : التوبة . أما اليوم ، فانك تواجه الجريمة الناجحة . فلتضرب .  
الجهد العظيم والحلم الكبير هو أن تحفر الهاوية للعدو المنتصر ،

ونعد المأوى للعدو المنهزم ، وتقابل بأمل أن تعفو . أضف الى ذلك بذل النفس للتحفيف من آلام الناس . والمنفى يمنع بلون جليل من القناعة . القناعة بأن يكون انسانا ناعما . واذا كان هو نفسه حريحا تنزف منه الدماء ، فهو يتكر ذاته ، ويبدل غاية جهده في تضييد جراح البشر . وقد ينبادر الى الذهن أنه يعيش فى الاحلام ، ولكنه انما يبحث عن الحقيقة . بل نقول انه يعسر عليها . انه ينجول فى الصحراء . ويفكر فى المدن ، والهرج والمرج ، والزحام . وفى الوان البؤس ، وفى كل الاعمال ، يفكر فى الفكر ، والمحراث ، والابرة وأنامل العاملة الحمراء وهى فى حجرها العلوية الباردة الخالية من النار والوفود ، يفكر فى الشر الذى ينمو حيث لا يبذر الخير ، فى بطالة الأب . وجهل الطفل . ونمو الأعشاب الضارة فى العقول التى حرمت من التثقيف . يفكر فى التسوارع فى المساء ، والمصاييح الشاحبة ، وما يصنعه الجوع فى المارة بالطرقات ، والحاجات الاجتماعية المتطرفة ، والفتاة العسة التى تصير عاهرة بخطيئتنا نحن الرجال . بحوث مؤلمة ولكنها معيدة . احتضن المشكلة بقوة ، ينبجس الحل ، المنفى - يحلم على الدوام . خطواته التى يخطوها على شاطئ البحر لا تضع سدس ، انه يتأخى مع تلك القدرة الهائلة ، مع الهوة . وينظر الى اللانهاية . وينصت الى صوت المجهول . الصوت الكبير الغامض يحدثه . الطبيعية كلها بعناصرها تهب نفسها لهذا الوحيد . والأشياء المسائلة تماثلا صارما نعلمه ونصحه . هذا المنحوس . المضطهد المشغول الفكر ، يجد امامه الغمام والنسمات والسنور ، ويتأكد له أن مصيره مرعد ومظلم كالغيوم ، وأن مضطهديه تافهون كالنسائم . وأن روحه حرة طليقة كالسنور .

المنفى انسان خير ، يحب الورود ، وأعشاش الطيور ، وتجوال الفراشات . فى الصيف ينشرح صدره ابتهاجا بالحياة الحلوة . فى قلبه ايمان لا يتزعزع بالطيبة الخفية اللانهاية ، الطيبة الساذجة التى تصل الى درجة الايمان بالله . يتخذ من الربيع دارا له . أما الأغصان المتشابكة المليئة بالفجوات الخضراء البديعة الجذابة ، فانها مأوى لروحه . يعيش حياته فى شهر أبريل ، فيسكن الطبيعة ويتأمل الحدائق والمرعى ، وتضيق فى نفسه الانفعالات العميقة . وينرصد بالأسرار التى نستبطنها حزمة من العشب . ويدرس تلك الجهوريات ، جمهوريات النمل والنحل ، ويقارن بين الألحان المنوعة التى تتدافع فى أذن « فبرجيل » (١) خفى فى

(١) اعظم شعراء الرومان ( ٧٠ - ١٩ م ) - اشهر بأشعاره الرعوية وديوانه من الزراعة - أما ملحنته « الأنايدة » فهى ازوج مؤلفاته الأدبية ، قلده فيها الاليادة والأوديسا - المترجم .

غصيدة الغابات . وكثيرا ما ترق أحاسيسه حتى نسيل منه الدموع لأن الطبيعة جميلة . ويجتذبه الأدغال بطابعها الوحشي ، ولكنه يخرج منها وجلا في رفق . وتشغله أشكال الصخور . ويلمح خلال أحلامه بنات صغيرات في الثالثة من العمر يجريين على الساحل الرمل ، وأقدامهن عازية نخوض في ماء البحر ، وقد رفعن أزهرن بأيديهن ، كاشفات عن بطونهن الظاهرة أمام الطبيعة الحسبة الفسحة . وفي الشتاء يلقي للطيور بفنات الخبز على النج . ويكتب لها بعضهم من وقت لآخر : أليت عقوبة كذا ، ولن تقطع رأس فلان . وبرقع يديه الى السماء .

## ٨

وتبادل الحكومات المعونة ضد هذا الرجل الخطر ، وتتفق فيما بينها على اضطهاد المنفيين ، وعلى السجن والطرده ، مل وتتفق أحيانا على تسليم المجرمين . تسليم المجرمين ! نعم نسليمهم . وكاد أن يحدث مثل هذا الأمر في جيسبي عام ١٨٥٥ ، إذ شهد المنفيون في يوم ١٨ أكتوبر السعينة « آريل » من سفن البحرية الامبراطورية راسية على رصيف ميناء سان هيليه ، وكادت قد قدمت لتأخذهم ، إذ سلمت فيكتوريا المنفيين لنايليون ، فالتيحان تتبادل مثل هذه الجاملات .

ولم يتم تسليم الهدية . كانت الصحافة الملكية الانجليزية قد هلت لها . ولكن شعب لندن نظر اليها بعين السخط ، وبدأ يمزج . تلك هي طبيعة هذا الشعب . قد تكون حكومته كالكلب الصغير ، ولكنه هو شبيه بالكلب « الدوج » الكبير ، و « الدوج » هذا سبع في جسم كلب . جلال مع الأمانة : ذلك هو الشعب الانجليزي .

لقد كثر هذا الشعب عن أنيابه ، واضطر بالمرستون وبونابرت أن يكفيا بإبعاد المنفيين . ونائر المنفيون بعض الشيء ، وتسلموا باسمين الاخطار الرسمي المحرر بلغة ركيكة وقالوا : فليكن « الأبعاد » ، وارتضوه .

وإذا كان هناك في تلك الآونة تواطؤ بين الحكومات وبين القاضي على النفي ، فقد كان من الملموس وجود مشاركة رائعة بين المنفيين وبين الشعوب . وكان هذا التضامن الذي سوف يتمخض عنه المستقبل يتبدى بجميع الأشكال ، وسوف نجد له دلالات في كل صفحة من صفحات هذا الكتاب . ويتجلى هذا التضامن ساطعا في كل مناسبة يمر فيها أى شخص . أو انسان منفرد ، أو مسافر تعرف شخصيته في الطريق ،

- وهذه وقائع غير محسوسة بالطبع ، وقليلة الأهمية ، ولكن لها دلالتها .  
واليكم واقعة منها ، لعلها تستحق الذكر .

## ٩

في صيف عام ١٨٦٧ ، كان لوى بونايرت قد بلغ أقصى درجات  
المجد الذى يمكن أن تبلغه الجريمة . كان فى الذروة ، اذ وصل الى  
أسمى درجات الخزى والعار ، ولم تعد ثمة عقبة نعترضه . كان رذيلا ،  
وكان عظيما ، ولم يكن هناك نصر أتم من نصره ، اذ يبدو أنه قد انتصر  
على الضمائر . كان أصحاب الجلالة وأصحاب الفخامة كلهم عند قدميه  
او بين ذراعيه . كاثت قصور وندسور والكريملين وشوسينيرن (١) .  
وبونسدام (٢) تتواعد للقاء فى التويلبرى . كان يملك كل شئ : المجد  
السياسى فى شخص السيد روهر ، والمجد العسكرى فى شخص السيد  
بازين ، والمجد الأدبى فى شخص السيد نيزار . واحتفت به شخصيات  
عظيمة مثل السادة فييار وميريميه . كانت حركة ٢ ديسمبر قد طال  
عليها الأمد ، كالخمس عشرة سنة من عهد « ناسيت » (٣) ، والامبراطورية  
فى أوج نصرها واشراقها واتساعها . كان الناس يسخرون من هوميروس  
على منصات المسارح ، ومن شكسبير فى الاكاديمية ، وأساقفة التاريخ  
يؤكدون أن ليونيداس وجووم تيل لم يكن لهما وجود بالمره . كانت  
الأمر كلها متوافقة ، وليس هناك ما يشذ عن سواء السبيل ، وهناك  
توافق بين ضحالة الأفكار واستسلام الناس ، وانحطاط المذاهب ، يعادل  
تفاخر الشخصيات ، والدناءة هى القانون . كان هناك نمط من فرنسا  
الانجليزية يجمع بين بونايرت وفيكتوريا ، يتشكل من الحرية كما يراها  
بالمستون (٤) والامبراطورية كما يراها ترولون ، ومعهما تحالف ، كانه  
قبلة . ويصدر القاضى الأكبر بانجلترا أحكاما من قبيل المجاملة ، وتعلن  
الحكومة البريطانية أنها من أنصار الحكومة الامبراطورية ، وتثبت لها  
نبيعتها كما رأينا منذ قليل ، بأحكام الأبعاد ، والقضايا ، والتهديد بقانون  
الأجانب ، واضطهادات خفيفة من الطراز الانجليزى وهذا اللون من فرنسا  
الانجليزية يقضى بالنفى على فرنسا وبالاهاة على انجلترا ، ولكنه يسود ،

(١) القصر الملكى فى فيينا - المترجم

(٢) القصر الملكى فى بروسيا - المترجم

(٣) امبراطور رومانى ( ٢٠٠ - ٢٧٤ ) - كان سالفا وصارما - مات ممتولا - المترجم

(٤) لورد بالمستون ( ١٧٨٤ - ١٨٦٥ ) - سياسى انجليزى - كان وزيرا للحربية ،

ثم وزيرا للخارجية - ثم عين رئيسا للوزارة مرتين - كانت دبلوماسيته تميل الى الانفعال  
بل التهور ، ولكنها رفعت من مقام انجلترا بين الدول - المترجم

فرنسا كالعبد ، وانجلترا كالخادم ، وهذا هو الموقف . أما المستقبل فهو محجوب عن الأنظار ، وأما الحاضر فهو العار بوجه مكشوف ، وأنه لشيء رائع باعتراف الجميع . وفي باريس يتلأأ المعرض العالمي ويهبر أوروبا ، وفيه عجائب ، من بينها مدفع كروب المرفوع على قاعدة . وقد هنا امبراطور الفرنسيين ملك بروسيا .

كانت هذه هي لحظة الازدهار العظيمة .

ولم يكن المنفيون ينظر اليهم من قبل بنظرة أسوأ من النظرة التي يتلقونها في هذه اللحظة . وأطلقت عليهم بعض الصحف الانجليزية اسم « المتمردين » .

وفي هذا الصيف ، في يوم من أيام شهر يولييه ، كان مسافر يعبر البحر ، من جيرنسي الى ساوثامبتون . كان واحدا من أولئك « المتمردين » الذين تحدثنا عنهم . كان أحد ممثلي الشعب في عام ١٨٥١ ، ونفى في ٢ ديسمبر . هذا المسافر - ولا داعي لذكر اسمه في هذا المجال لأنه ليس أكثر من مناسبة للواقعة التي سوف نحكيها - ركب سفينة البريد « نورماندى » في ميناء سان بيير . وتستغرق الرحلة من جيرنسي الى ساوثامبتون سبع أو ثمان ساعات . كان هذا في الوقت الذي قدم فيه الخديو ليحيى فيكتوريا معه أن حيا نابليون . وفي ذلك اليوم نفسه عرضت ملكة انجلترا على خديوي مصر مشهد الأسطول الانجليزي في خليج شيرتيس المجاور لساوثامبتون .

كان المسافر الذي نتحدث عنه رجلا اشيب ، هادئا ، مهتما بالبحر ، يقف بالقرب من قائد الدفة .

كانت النورماندى قد أقلمت من جيرنسي في الساعة العاشرة صباحا ، والساعة وتثنذ حوالى الثالثة بعد الظهر ، والسفينة تقترب من « نيدلز » في الطرف الجنوبي لجزيرة « وايت » . وبدت للأنظار تلك العمارة الوحشية في البحر ، وتلك القمم الطباشيرية السامقة البارزة من المحيط كأنها أبراج كاندراثة عجيبة غارقة . وشرعت السفينة تدخل في نهر ساوثامبتون ، وبدأ قائد الدفة يحركها يسارا .

وكان المسافر يرقب دنو « الايجويي » حين سمع فجأة من يناديه باسمه ، فاستدار ، وإذا بربان السفينة واقف أمامه .

كان القبطان في مثل سنه تقريبا ، اسمه هارفي ، قوى الكتفين ، بلحية بيضاء كثيفة ، ووجه فخور لفحته الشمس ، وعين مرحة . قال القبطان :



- أحقا يا سيدي أنكم ترغبون في رؤية الأسطول الانجليزي ؟  
لم يكن المسافر فد أبدى هذه الرغبة ، ولكنه سمع بعض النسوة  
من حوله يبدئنها بحماسة .

**واكتفى بالاجابة قائلا :**

- ولكن أيها القبطان ، ليس هذا طريقكم .

- سوف يكون طريقى اذا شئتم .

**وأبدى المسافر حركة تنم عن الدهشة :**

- تغير طريقك ؟

- نعم .

- ارضاء لخاطري ؟

- نعم .

- لا تفعل سفينة فرنسية ذلك من أجل !

**فقال القبطان :**

- ما لا تفعله سفينة فرنسية من أجلكم ، تفعله سفينة انجليزية .  
**وأردف :**

- فقط ، ومن أجل مسئوليتى أمام رؤسائى ، أرجو أن تدونوا  
رغبتكم فى دفترى .

وقدم دفتر يومية السفينة الى المسافر ، فكتب هذا حسب اهلاؤه :  
« أرغب فى رؤية الأسطول الانجليزي ، ووقع بامضائه .

وبعد لحظة ، انحرفت الباسخرة يمينا ، وتركت الى يسارها  
« الياجويى ، ونهر ساوثامبتون ، ودخلت فى خليج شيرنيس .

كان المنظر فى الحقيقة بديعا . وجعلت بطاريات المدفعية كلها  
تخلط دخانها بهديرها . واصطفت أطراف البوارج المدرعة الضخمة الواحدة  
خلف الأخرى ، يلفها ضباب ضارب الى الحمرة ، فهى خليط هائل من  
الصواري التى تظهر وتختفى . ومرت النورماندى وسط هذه الأشباح  
السامقة ، تحيها الهتافات . واستمرت هذه المسيرة خلال الاسطول  
الانجليزي أكثر من ساعتين .

وفى حوال الساعة ، وصلت النورماندى الى ساوثامبتون مزدانة  
بالاعلام .

وكان السيد راسكول ، مدير صحيفة « رسالة أوروبا » ومن أصدقائه الكابتن هارفي فى انتظاره على الميناء ، فدهش من منظر السفينة المزينة بالأعلام .

– لمن اذن رفعت الأعلام يا كابتن ؟ للخديوى ؟

### فأجاب الكابتن :

– للمنفى .

للمنفى . . بل قل لفرنسا .

ولم تكن لنرى هذه الواقعة اذا لم تكن خليقه بأن تسبخ مجسدا فريدا على الكابتن هارفي فى أواخر أيامه .

واليكم هذه النهاية .

مرت سنوات ثلاث على استعراض شيرتيس هذا ، وفى ليلة ١٧ مارس عام ١٨٧٠ ، بعد أن سلم الكابتن هارفي الى مسافر شهر يولية ١٨٦٧ رسالة من بحارة المانش بوقت قليل ، كان الكابتن هارفي يؤدى مسيرته العادية من ساوثامبتون الى جيرنسى ، والضباب يغطى البحر ، وكان واقفا على معبر الباخرة ، يقودها بحذر بسبب ظلام الليل والضباب ، أما الركاب فكانوا نائمين .

كانت النورماندى سفينة كبيرة للغاية ، ولعلها أجمل سفن البريد فى بحر المانش ، حمولتها ستمائة طن ، وطولها مائتان وعشرون قدما انجليزيا ، وعرضها خمسة وعشرون . كانت « فتية » كما يقول البحارة ، فلم يكن لها من العمر سبع سنوات ، اذ تم بناؤها فى عام ١٨٦٣ .

واشدت كثافة الضباب ، وكانت السفينة قد خرجت من نهر ساوثامبتون ، وأصبحت فى عرض البحر على مسافة حوالى خمسة عشر ميلا فيما بعد « الايجويى » . كانت تتقدم ببطء والساعة الرابعة صباحا .

الظلام شديد الحلوكه . وثمة شئ كالسقف الخفيض يلف السفينة . ولم تكن أطراف الصواري ترى الا بصعوبة .

وليس ثمة شئ أفظع من تلك السفن العشواء التى تسير فى جنح الليل .

وفجأة اثبقت سواد من داخل الضباب ، شبح أو جبل يجرى على اليم ويغرق الظلمات . كان ذلك هو الباخرة الكبيرة ذات الرفاص ، الباخرة « ماري » قادمة من أوديسا الى جريمسبى وعليها شحنة من القمح

وزنها خمسمائة طن ، والباخرة ثقيلة الوزن ، تسير بسرعة كبيرة فى اتجاه النورماندى مباشرة .

لم تكن هناك وسيلة لتجنب الصدام ، فأشباح السفن هذه تنتصب سريعا فى الضباب ، وهى لا تدنو ، انما تصدم . ويموت الانسان قبل أن يتم له رؤيتها .

كانت « ماري » منطلقة بأقصى سرعتها فصدمت النورماندى بعرضها وشقت بطنها . ووقفت « ماري » على أثر الصدمة ، وقد أصيبت بعطب .

كان على ظهر النورماندى ثمانية وعشرون رجلا من طاقم السفينة ، وخادمة ، وواحد وثلاثون مسافرا منهم اثنتا عشرة امرأة .

وحدثت رجة مخيفة . وفى لحظة واحدة كان الجميع على ظهر السفينة ، رجالا ونساء وأطفالا ، نصف عمرايا ، يجرون ويصيحون ويبيكون . ودخلت المياه هادرة . وجعل فرن الآلة يحشرج بعد أن أصابته الأمواج .

ولم يكن بالسفينة حواجز صماء ، ولم تكن بها أحزمة الانقاذ . وكان الكابتن هارفى واقفا معتله القائمة على منصة القيادة ، وصاح :

– اسكتوا جميعا وانتبهوا ! لتنزل القوارب الى البحر . النساء أولا ، ثم المسافرون وبعدهم أفراد الطاقم . هناك ستون شخصا يجب انقاذهم .

كان هناك واحد وستون ، ولكنه تناسى نفسه .

وفكت القوارب واندفع الجميع فيها . وكان من المحتمل أن تؤدي هذه العجلة الى قلب الزوارق . وسيطر الملازم أوكلفورد ورؤساء البحارة الثلاثة جودوين ، وبنيت ، وديست على هذا الحشد المذعور . فالنوم ، ثم الموت المفاجيء السريع ، شئ رهيب .

وفى هذه الأثناء كان صوت القبطان يسمع رزينا ، فوق الصيحات والجلبة والضوضاء ، وجرى هذا الحوار الموجز خلال الظلمات :

– الميكانيكى لو كس ؟

– نعم يا كابتن ؟

– كيف حال الفرن ؟

– غرقت .

– والنار ؟

- انطقات ؟
- الآلة ؟
- انتهت ؟

### وصاح القبطان :

- الملازم أو كلفورد ؟

### فاجاب الملازم :

- حاضر

### وأردف القبطان :

- كم دقيقة أمامنا ؟
- عشرون

• تكفى • فليركب كل منكم فى القوارب بدوره • الملازم أو كلفورد ، هل معك غدارتك ؟

- نعم يا كابتن

• أطلقها على رأس كل رجل يحاول أن يمر قبل امرأة •

وصمت الجميع ، ولم يبد أحد أية مقاومة ، فقد كان هذا الحشد يشعر فوقه بتلك الروح العظيمة •

وكانت « ماري » من جانباها قد أنزلت قواربها فى البحر ، وبادرت الى النجدة فى هذا الحادث الذى كانت السبب فيه •

وجرت عملية الانقاذ بنظام ، دون جدل أو خلاف • وكانت هناك ، كما يحدث دائما ، بعض التصرفات التى تتسم بالأنانية المؤسفة ، وكذا بعض التضحيات المؤثرة •

وكان هارفى فى مركز القبطان ، جامد الاحساس ، يأمر ، ويسيطر ، ويدير الأمور ، ويهتم بكل شئ وبالجميع ، ويتحكم بهدوء فى هذا الكرب ، ويبدو وكأنه يصدر الأوامر الى الرزية نفسها • ولعلنا نقول ان الغرق نفسه كان يطيع أوامره •

### وفى لحظة من اللحظات صاح :

- اتقنوا كليمان

• وكليمان هذا صبى بحار ، كان طفلا •

• وجعلت السفينة تتناقص رويدا فى الماء العميق •

• وازدادت سرعة القوارب في ذهابها وعودتها بين النورماندى ومارى .  
• وجعل القبطان يصيح : أسرعوا .

وفى الدقيقة العشرين ، غرقت السفينة ، فغطست المقدمة أولا . ثم المؤخرة .

وكان الكابتن هارفى واقفا على القنطرة ، ولم يتحرك ، ولم ينبس  
بينت شفة ، ودخل جامدا فى اللجة . وشوهد خلال الضباب كتمثال أسود  
يفوص فى البحر .

وهكذا انتهى الكابتن هارفى .

وليتلق من ها هنا وداع المنفى .

لم يكن نمة بحار فى المانش يماثله . فرض على نفسه طول حياته  
واجبه كرجل ، ثم استعمل وهو يموت حقه فى أن يكون بطلا .

## ١٠

ترى هل يكره المنفى نافية ؟ كلا ، انه يحاربه . هذا كل ما هنالك .  
يحاربه بمنتهى الشدة ؟ نعم ، وباعتباره عدوا عاما ، لا ، عدوا شخصيا .  
فالرجل الشريف اذا غضب لا يتعدى فى غضبه الحد الضرورى . والمنفى  
يمتد الطاغية ويتجاهل شخصية النافى ، واذا عرفه فانه لا يهاجمه الا فى  
حدود الواجب .

والمنفى يراعى العدل عند اللزوم مع النافى . فاذا كان النافى مثلا  
كاتبا بنوع ما ، له بعض الأعمال الأدبية ، سلم له المنفى بذلك عن طيب  
خاطر . وليس من شك ، بهذه المناسبة ، فى أن نابليون الثالث كان  
أكاديميا مناسبيا ، فقد هبطت الاكاديمية فى العهد الامبراطورى بمستواها ،  
من باب اللباقة ولا شك ، حتى تضم الامبراطور الى عضويتها . ولا بد أن  
الامبراطور قد اعتقد بأنه جدير بمكانه فيها بين أقرانه من الأدباء ، ولم  
يمس جلالته مكانة الأعضاء الأربعة الآخرين .

وفى الوقت الذى أعلن فيه ترشيح الامبراطور لمقعد شاعر فى  
الأكاديمية ، أراد أحد الأعضاء من معارفنا أن يعترف بمكانة مؤرخ قيصر ،  
ورجل حركة ديسمبر ، فكتب سلفا فى بطاقة انتخابه : « أعطى صوتى  
مؤيدا قبول السيد لوى بونايرت فى الأكاديمية وفى الليمان » .

وهكذا ترون أن المنفى يسلم بكل التنازلات الممكنة . وهو لا يبدو  
ثابتا الا فى المبادئ ، فهنا تبدأ صلابته ، فلا يكون « رجلا عمليا » كما

يقال في لغة السياسة • ومن ثم نلمس استسلامه لكل شيء ، للعنف ، والاهانة ، والدمار ، والنفي • فماذا تريدونه أن يفعل ؟ على لسانه الحقيقة التي تتحدث عند الضرورة رغما عنه •

• سعاداته وفخاره أن يتحدث بالحقيقة ، ومن أجل الحقيقة •

**الحقيقة لها اسمان :** فالفلاسفة يسمونها المثلى الأعلى ، ورجال السياسة يسمونها الوهم •

فهل رجال السياسة على صواب ؟ لا نظن ذلك • فكل النصائح التي يستطيع المنفى أن يقدمها « أوهام » على حد قولهم •

ويقولون – أى رجال السياسة – انه حتى مع التسليم بأن الحقيقة الى جانب هذه النصائح ، فالواقع ضدها •

• ولنبحث ذلك •

المنفى رجل خيالى • فليكن • انه مبصر وأعمى ، مبصر على الاطلاق ، وأعمى نسبيا ، يمارس فلسفة جيدة ، وسياسة رديئة • من يستمع اليه يسقط فى الهاوية • نصائحه تجرى فى الأمانة وفى الضياع • المبادئ ، تقول انه على صواب ، ولكن الوقائع تخطئه •

• فلننظر فى الوقائع •

**انهزم جون براون فى « هاربرز فيرى » • وقال رجال السياسة :**  
اشنقوه اها المنفى فيقول : احتراموه • وشنق جون براون • وانفصم الاتحاد ، وانفجرت حرب الجنوب • فلو أخل سبيل جون براون ، لخلصت أمريكا من الولايات •

من اذن المصيب من حيث الواقع ، رجال السياسة أم رجل الأوهام؟

**الواقعة الثانية :** قبض على ماكسيميليان فى كويريتارو • يقول الرجال المعلميون : اضربوه بالرصاص ، ويقول رجل الأوهام : اعفوا عنه • وضرب ماكسيميليان بالرصاص • وكان فى هذا ما يكفى لتحقير أمر عظيم • وفقد كفاح المكسيك البطولى رونقه الباهر ، وفقد الرحمة السامية • فلو صدر العفو عن ماكسيميليان لأصبحت المكسيك منذ اليوم فى حصن حصين ، وأصبحت أمة حققت بالحرب استقلالها ، ومن ثم تحقق بالمدنية سيادتها ، وأصبح التاج على جبين هذا الشعب بعد الخوذة •

• وفى هذه المرة أيضا كانت نظرة رجل الأوهام صائبة •

**الواقعة الثالثة :** خلعت ايزابيلا من العرش . فماذا يكون مصير اسبانيا ؟ جمهورية أم ملكية ؟ يقول رجال السياسة : لتكن ملكية . ويقول المنفى : لتكن جمهورية . ولم يستمع أحد لرجال الأوهام ، فقد تغلب عليه الرجال العمليون . وتصبح اسبانيا ملكية ، وتنحدر من ايزابيلا الى اميدى ، ومن اميدى الى الفونس ، فى انتظار كارلوس . هذا شأن اسبانيا ، يخصها وحدها . ولكن اليكم ما يهم العالم . فهذه الملكية التى تبحث عن ملك ، تقوم ذريعة آل هوهنز ولرن ، ومن ثم التريص بروسيا ، وتذبيح فرنسا ، ومعركة سيدان ، والعار والظلام .

فلو افترضنا أن اسبانيا جمهورية ، فلن تكون هناك حجة للفدر . ولا فرصة لواحد من آل هوهنز ولرن ، ولا كوارث .  
ومن ثم كانت نصيحة المنفى حكيمة .

ولعل بعضهم يكتشف صدفة أن هذا الشيء الغريب المسمى «الحقيقة» ليس سخيفاً ، وأن فى روح الرحمة والخلاص جانباً طيباً ، وأن الرجل القوى هو الرجل المسنقيم ، وأن العقل هو الصواب !

واليوم ، وسط الكوارث ، وبعد الحرب الأجنبية والحرب الأهلية ، ومع المسئوليات الملقاة على الطرفين ، يفكر المنفى القديم فى منفى الوقت الحاضر ، وينعطف ناحية المنفى . لقد أراد أن ينقذ جون براون ، وينقذ ماكسيميليان ، وينقذ فرنسا ، وهذا الماضى يضىء له المستقبل . وهو يريد أن يفلق جرح الوطن ، فهو يطلب العفو الشامل .

هل هو أعمى ؟ أم هو مبصر ؟

## ١١

فى ديسمبر ١٨٥١ ، عندما وصل كاتب هذه السطور الى خارج فرنسا ، كانت الحياة فى البداية على شئ من القسوة . ففى المنفى خاصة يتبدى الشعور بأهمية الأشياء الصغيرة المنزلية .

ولن تكون هذه النبتة الموجزة عن « ماهية المنفى » كاملة ، اذا لم يذكر فى سياقتها ، بالفدر المعتدل المناسب ، ذلك الجانب المادى من حياة المنفى .

لم يبق من كل ما كان يمتلكه هذا المنفى سوى دخل سنوى يبلغ سبعة آلاف وخمسمائة فرنك . أما مسرحه الذى كان يأتیه بدخل سنوى يبلغ ستين ألف فرنك فقد العى . وتنتج من بيع أثائه بطريق الدلالة بيعاً عاجلاً مبلغ أقل بقليل من ثلاثة عشر ألف فرنك . وكان ملتزماً بالانفاق

على تسعة أشخاص ، وعليه أن يتكفل بالانتقالات والأسفار واعداد المساكن الجديدة ونحركات جماعة هو في مركزها ، وكل المفاجآت غير المتوقعة في حياة أصبحت من ذلك الحين منفصلة عن الأرض النابتة ، وهائمة تحت رحمة الأقدار . المنفى هو انسان اجتثت جذوره ، وولاد له أن يحافظ على كرامته في الحياة ، ويدبر أموره بحيث لا يتألم أحد ممن حوله .

ومن ثم كانت الضرورة العاجلة للعمل .

تقول ان أول دار له في المنفى ، وهي « مارين نيراس » كانت مؤجرة له بمبلغ معتدل للغاية ، قدره ألف وخمسمائة فرنك في السنة .

كانت السوق الفرنسية مغلفة بالنسبة الى نشر أعماله . وطبع أوائل ناشره البلجيكيين كل كنبه دون أن يقدموا له أي حساب . ومن هذه الكتب ، « مجموعة خطب » بجزأيه ، باستثناء كتاب « نابليون الصغير » فقط . أما كتاب « العقوبات » ، فانه كلف المؤلف مبلغ ألفين وخمسمائة فرنك دفعه للناسر « صمويل » ولم يسترده أبدا . ومصادر الناشر الأجنب المبلغ الاجمالي الناتج من طبعات كتاب « العقوبات » كلها لمدة ثمانية عشر عاما .

ونفخت الجرائد الملكية الانجليزية ابواقها بتمجيد كرم الضيافة الانجليزية المقترون على ما نذكر بحملات ليلية واجراءات طرد وابعاد ، وهي ضيافة قريبة الشبه على اية حال بالضيافة البلجيكية . وأفضل سىء في الضيافة الانجليزية هو عطفها على كتب المنفيين ، فأعادت طبع هذه الكتب ونشرت باعتمها بأكثر ما يمكن من الهمة والمودة لصالح الناشرين الانجليز . وبلغت شدة الاحتفاء بالكتاب حد نسيان المؤلف نفسه . ويسمح القانون الانجليزي الذي يشارك كرم الضيافة البريطانية بهذا اللون من النسيان . فمن واجب الكتاب أن يترك مؤلفه يموت جوعا ، كما جرى لشاترتون ، في حين يرى الناشر . وقد بيع كتاب « العقوبات » في انجلترا ولم يزل يباع هناك الى الآن لصالح الكتبي « جيفس » وحده . ولم يكن احتفاء المسرح الانجليزي بالمسرحيات الفرنسية بأقل من احتفاء المكتبة الانجليزية بالكتب الفرنسية . ولم يدفع أي مبلغ مستحق عن حقوق المؤلف مسرحية « روى بلاس » التي عرضت أكثر من مائتي مرة في انجلترا .

وهكذا نرى أن الصحافة الملكية البونابرتية بلندن لم تعتب بلا سبب على المنفيين سوء استغلالهم لكرم الضيافة الانجليزية .

وكثيرا ما أطلقت هذه الصحافة على كاتب هذه السطور اسم « البخيل » ، وأسمنت أيضا « السكير » .  
هذه التفاصيل هي بعض من المنفى .



هذا الرجل المنفى لا يشكو شيئا . لقد عمل ، وأعاد بناء حياته  
تفسيه ولأهله . وكل شيء على ما يرام .

فهل هناك فضل في أن يكون الانسان منفيا ؟ كلا . وهذا يدعوننا  
الى التساؤل عما اذا كان هناك فضل في أن يكون الانسان شريفا . المنفى  
رجل شريف يستمر شريفا . وهذا كل ما هنالك .

وهناك فترات يندر فيها هذا الاستمرار . فليكن . وهذه الندرة  
تسلب هذه الفترات بعض الاشياء ، ولكنها لا تضيف شيئا الى الرجل  
الشريف .

الشرف ، كالبكارة ، له وجود في خارج البناء والمديح . فانت تقى  
الذيل لأنك تقي الذيل . ولا فضل للصور في بياض لونه .

لقد أدى النائب المنفى من أجل الشعب عملا آمينا . وعده وحافظ  
على وعده . وهو يحافظ على وعده الى مدى أبعد من نطاق الوعد نفسه ،  
كما هو واجب كل رجل ذى ضمير حي . ومن ثم فلا فائدة من الوكالة  
الأمرة ، لأنها بخطيء اذ تضع كلمة مهينة لشيء نبيل هو قبول الواجب ،  
وهي فوق ذلك تهمل الشيء الجوهرى وهو التضحية ، التضحية التى لا بد  
من بذلها ، ويستحيل فرضها . والحقيقة هي الالتزام المتبادل بين  
الطرفين ، فتكون يد المنتخب فى يد الناخب ، ويتبادل الموكل العهد مع  
الوكيل ، فيتعهد الوكيل بالدفاع عن الموكل ، ويتعهد الموكل بتأييد الوكيل  
— حقان وقوتان ممتزجتان . فاذا كان الأمر كذلك ، فعلى النائب أن يؤدي  
واجبه ، وعلى الشعب أن يؤدي واجبه . ذلك هو ما يدين به الضمير ،  
ويوفى به الجانبان . ولكن هل يبلغ الاخلاص حدا يؤدي بصاحبه الى  
النفى ؟ لا ريب فى ذلك . الى هذا الحد والأمر بديع وبسيط . وكل  
ما يمكن قوله عن النائب المنفى انه لم يخطيء فى صفة الشيء الموعود به .  
فأوكالة عقد . وليس ثمة أى فخار فى أن يمتنع الانسان عن البيع بأثقال  
زائفة .

النائب الشريف ينفذ العقد ، ولا بد له أن يمضى الى آخر حدود  
الشرف والضمير . وانه ليفعل ذلك . وهناك يجد الهاوية . فليكن .  
ويسقط فى الهاوية دون شك . فهل يموت فيها ؟ لا ، بل يعيش .

فلنجمل ما قلناه .

الواضح لنا أن هذا اللون من المعيشة متعدد المظاهر .

هذه الحياة ، المضطربة اذا نظر اليها من ناحية المصير ، الهادئة اذا نظر اليها من الناحية الروحية ، عاشها من عام ١٨٥١ الى عام ١٨٧٠ ، من ٢ ديسمبر الى ٤ سبتمبر ، ذلك الغائب الذي يقدم اليوم لبلده حسابا عن غيبته . بنشره هذا الكتاب . لقد طال هذا الغياب تسع عشرة سنة وتسعة شهور . فماذا صنع خلال هذه السنوات الطوال ؟ اجتهد ألا يكون عقيما . والشئ الوحيد الجميل في هذه الغيبة هو أن ضروب التعاسة قد أتته تبحث عنه ، وهو الانسان التعس ، والغرقى يطلبون النجدة من هذا الفريق . قصده الجميع ، لا الأفراد وحدهم ، وانما أيضا الشعوب ، ولا الشعوب وحدها ، وانما أيضا الضمائر ، ولا الضمائر وحدها وانما أيضا الحقائق . وقدر له أن يمد يده من أعلى صخرته الى المثل الأعلى الذي سقط في الهاوية . وخيل اليه في بعض اللحظات أن المستقبل المحفوف بالشدائد يحاول أن يدنو من أعلى صخرته . ومع ذلك فمن عساه يكون ؟ شيء تافه . جهد يعيش . ما هي الإرادة بين قوى الشر المتالبة المنتصرة ؟ انها لا شيء اذا كانت تمثل الأنانية ، وهي كل شيء اذا كانت تمثل الحق .

ان أشد المواقف مناعة ذلك الذي يتكون من أعماق الانهيارات . ويكفي أن يكون الرجل المهتم رجلا عدلا . ونؤكد أنه اذا كان هذا الرجل على صواب ، فمن الأفضل أن يكون مثقلا بالأعباء ، مهدما ، مسلوبا ، مبعدا عن وطنه ، مهزئا ، مهيناً ، مهجلاً ، مفترى عليه ، وأن يجمع في شخصه كل أشكال الهزيمة والضعف . عند هذا فهو قادر على كل شيء . وهو لا يروض ، لأن في طبعه استقامة ، وهو منيع لأن الحقيقة معه . فما هي قوته هذه ؟ قوته ألا يكون شيئا ، وألا يملك أي شيء ، أو يكون معه شيء ، فتلك هي أنسب الظروف للكفاح . التجرد من الدروع هو الذي بثبت مناعة الانسان . وليس ثمة موقف أسمى من موقف الانسان الذي يسقط من أجل العدالة . المنفى يتصدى للإمبراطور . الإمبراطور يلعن والمنفى يحكم بالادانة . أحدهما يملك القوانين والآخر يملك الحقائق . نعم من الخير أن يكون الانسان قد انهار . ان انهيار ما كان رخاء في الماضي ، يجعل للانسان سلطانا . وكثيرا ما تكون قدرتك وثروتك عقبة في طريقك . وحالما تزول عنك هذه الأشياء ، تزول متاعبك ، وتحس بحريرتك وسيادتك ، فلا يضايقك شيء بعد ذلك . فعندما يسحبون منك

زيادة فى الشرف • الموقف الحاضر حسن • ومن الافضل أن يقطع من فرنسا جزء من أجزائها بالقوة الغاشمة بدلا من تتصاغر بالخزى والعار • هذا هو الفرق بين الجرح وبين الميكروب ، فالإنسان يبرأ من جرحه ، ولكنه يموت من الطاعون • وقد تحتضر فرنسا بسبب الامبراطورية ، ولكنها تموت اذا شربت كأس العار • أما اليوم فانها لفظت العار ، ومن ثم سوف تعيش • ولم يعد لدى الشعب ذاته الا كل ما هو قوى وسليم ، بعد أن بصق أنظمة ١٨ برومير ، و ٢ ديسمبر •

كانت مشاغل المنفى فى عزله التى كان يملؤها بالتأمل فى المستقبل قاسية ولكنها رصينة • وكان يأسه ممزوجا بالأمال • كان يستشعر كما رأينا منذ قليل الحزن من أجل مصائب الناس ، ويستشعر فى الوقت نفسه الفرح مع الشموخ لأنه منفى • فالمنفى بالنسبة لهذا الرجل بهجة ، لأنه قوة • وثمة منشور بابوى حكم على لوثر بالحرمان ولكنه عجز عن ترويضه • والمقابلة صحيحة ، يدركها المنفى الذى يتحدث ها هنا • وفوق السكون الذى يعم فرنسا ، والمنير المهوم ، والصحافة المكتمة ، استطاع المنفى ، وهو حر مثل شيطان الحقيقة أمام يهوذا الباطل ، أن يخطب ، وخطب بالفعل ، ودافع عن الانتخاب العام ضد الاستفتاء الشعبى ، وعن الشعب ضد الحشود ، وعن المجد ضد ذلك الانسان الفظ ، وعن العدالة ضد القاضى ، وعن الشعلة ضد النار التى تحرق فيها الأجساد ، وعن الله ضد القسيس • ومن ثم كانت تلك الصيحة الطويلة التى تملأ هذا الكتاب • وقد ذكرنا أنفا ، وسوف نرى فيما بعد أن المحن أقبلت تخاطبه من جميع الجهات ، وهى تعلم أنه لن يتراجع أمام أى واجب • ورأى فيه المظلومون مدعيا عاما للجريمة الشاملة • ويكفى لقبول هذه الرسالة أن يكون الانسان روحا حية ، ويكفى للنهوض بهذه الوظيفة أن يكون له صوت ، روح صالحة ، وصوت حر • وكان له ذلك • كان يسمع عند الأفق نداءات ، يرد عليها من أعماق وحدته • ذلك ما سوف تطالعونه • وهاجمته كل اضطهادات السادة • وكان هناك ولم يزل على اسمه تركيز من الحقد لا يمكن التعبير عنه • ولكن ما جدوى كل هذا وما أهميته ؟ كان مع هذا فخورا وسعيدا بأن يكون منغيا لعشرين سنة ، وأن يناضل الجموع كلها وهو وحيد ، والكتائب كلها ، وهو أعزل من السلاح ، والقتلة كلهم وهو الحالم ، والطفاة كلهم ، وهو المطارد ، والعمالقة كلهم ، وهو الذرة ، ليس له سوى تلك القوة الوحيدة وهى شعاع من نور •

ذلك النور هو الحق كما قلنا ، الحق الأبدى •

وهو يشكر الله ، فقد عاش حياة أبية زمنا كافيا لكى يهرم جبين رجل فى الأربعين فيصير فى الستين • كان ذلك المنفى المطرود المطارد ،

زيادة فى الشرف • الموقف الحاضر حسن • ومن الافضل أن يقطع من فرنسا جزء من أجزائها بالقوة الغاشمة بدلا من تتصاغر بالخزى والعار • هذا هو الفرق بين الجرح وبين الميكروب ، فالإنسان يبرأ من جرحه ، ولكنه يموت من الطاعون • وقد تحتضر فرنسا بسبب الامبراطورية ، ولكنها تموت اذا شربت كأس العار • أما اليوم فانها لفظت العار ، ومن ثم سوف تعيش • ولم يعد لدى الشعب ذاته الا كل ما هو قوى وسليم ، بعد أن بصق أنظمة ١٨ برومير ، و ٢ ديسمبر •

كانت مشاغل المنفى فى عزله التى كان يملؤها بالتأمل فى المستقبل قاسية ولكنها رصينة • وكان يأسه ممزوجا بالأمال • كان يستشعر كما رأينا منذ قليل الحزن من أجل مصائب الناس ، ويستشعر فى الوقت نفسه الفرح مع الشموخ لأنه منفى • فالمنفى بالنسبة لهذا الرجل بهجة ، لأنه قوة • وثمة منشور بابوى حكم على لوثر بالحرمان ولكنه عجز عن ترويضه • والمقابلة صحيحة ، يدركها المنفى الذى يتحدث ها هنا • وفوق السكون الذى يعم فرنسا ، والمنير المهدم ، والصحافة المكتمة ، استطاع المنفى ، وهو حر مثل شيطان الحقيقة أمام يهوذا الباطل ، أن يخطب ، وخطب بالفعل ، ودافع عن الانتخاب العام ضد الاستفتاء الشعبى ، وعن الشعب ضد الحشود ، وعن المجد ضد ذلك الانسان الفظ ، وعن العدالة ضد القاضى ، وعن الشعلة ضد النار التى تحرق فيها الأجساد ، وعن الله ضد القسيس • ومن ثم كانت تلك الصيحة الطويلة التى تملأ هذا الكتاب • وقد ذكرنا أنفا ، وسوف نرى فيما بعد أن المحن أقبلت تخاطبه من جميع الجهات ، وهى تعلم أنه لن يتراجع أمام أى واجب • ورأى فيه المظلومون مدعيا عاما للجريمة الشاملة • ويكفى لقبول هذه الرسالة أن يكون الانسان روحا حية ، ويكفى للنهوض بهذه الوظيفة أن يكون له صوت ، روح صالحة ، وصوت حر • وكان له ذلك • كان يسمع عند الأفق نداءات ، يرد عليها من أعماق وحدته • ذلك ما سوف تطالعونه • وهاجمته كل اضطهادات السادة • وكان هناك ولم يزل على اسمه تركيز من الحقد لا يمكن التعبير عنه • ولكن ما جدوى كل هذا وما أهميته ؟ كان مع هذا فخورا وسعيدا بأن يكون منغيا لعشرين سنة ، وأن يناضل الجموع كلها وهو وحيد ، والكتائب كلها ، وهو أعزل من السلاح ، والقتلة كلهم وهو الحالم ، والطفاة كلهم ، وهو المطارد ، والعمالقة كلهم ، وهو الذرة ، ليس له سوى تلك القوة الوحيدة وهى شعاع من نور •

ذلك النور هو الحق كما قلنا ، الحق الأبدى •

وهو يشكر الله ، فقد عاش حياة أبية زمنا كافيا لكى يهرم جبين رجل فى الأربعين فيصير فى الستين • كان ذلك المنفى المطرود المطارد ،

قد أهمله الجميع ، ولم يهمل أحدا . وعرف فضل الصحراء ، ففي الصحراء ينرد الصدى . هناك يسمع الانسان صخب الشعوب . وفي حين كان الطغاة يعملون في الشر تحت أنظاره النابتة ، كان هو يسعى الى عمل الخير . وترك جميع الطغاة يحركون الصواعق فوق رأسه ، فلم يكن عنده ما يشغل به سوى الكوارث العامة . وعاش على صخرة ، وحلم ، وتأمل ، وتفكر ، هادئا تحت غمامة من الغضب والتهديد . وأبان عن رضاه ، فم يشكو ما دام معه وبالقرب منه طوال عشرين سنة ، العدالة والفعل والضمير والحقيقة والحق ، والبحر بوضائه الهائلة ؟

وكان في هذا الظل كله محبوبا . ولم تكن الكراهية وحدها تنقل عليه ، فقد كان ثمة شعاع من حب صامت يصل اليه في وحدته وشعر بالحرارة العميقة ، حرارة شعب رقيق حزين . وتفتحت القلوب من ناحيته ، ومن ثم كان يشكر النفس البشرية العظيمة . كان محبوبا من بعد ومن قرب . وكان حوله نفر من زملاء المحنة الشجعان ، الأشداء في أداء الواجب ، المتمسكين بالحق والعدل ، المناضلين الغاضبين الباسمين ، منهم فاكبرى الشهير ، وبول موريس الذي يستحق الاعجاب ، وسكولشير القوي العزيمة ، وريبير ذله ، ودولاك ، وكيسلر ، هؤلاء الشجعان ، وأنت يا ولدي شارل ، وأنت يا ولدي فيكتور - وهما أتوقف ، فدعوتني ريشا أنذكر .

## ١٥

رؤية هذه المدينة وهي تعيش ، ومشاهدة هذا الجلال ، شعور حاد يضطرب في النفس ، فليس ثمة بيئة أكثر منها اتساعات ، وليس ثمة مشهد أشد اقلاقا للنفس وأكثر سموا . ان أولئك الذين دفعتهم مصادفات الحياة ايا كانت الى الانتقال من منظر باريس الى منظر المحيط ، لم يشعروا مع هذا التغيير بأى ارتفاع في اللانهاية ، وفضلا عن ذلك فان الانتقال من أفق الناس الى أفق الأشياء لا يمحو شيئا . وذلك الحكم المرتد الى الوراء ، الذي تلج عليه الذاكرة ، يخلق كالغمام ، ولكنه أشد منه تماسكا ، فالفضاء لا يصنع به ما يشاء . والرياح التي تهب ليل نهار ، والأعاصير الأربعة التي تتوالى على الدوام ، والرياح الشمالية الباردة ، والزوايع والعواصف ، لا تحمل معها جسمي البرجين التوأمين ، ولا تشبتت قوس النصر ، أو قبة أجراس الكنيسة الفوطية ، أو مجموعة العمدة العالية التي تحف بالقبة الجليلية ( قبة الأنفاليد ) . وخلف أطراف الهاوية السحيقة ، وفوق تقلبات اللبج والبواخر ، ووسط الأشعة والغمام والنسمات يتبدى داخل الضباب شبح هائل ، شبح المدينة الجامدة . وانها لرؤيا جلييلة

فى نظر المنفى • ولما كانت باريس فكرة كما هى مدينة ، فان لها قدرة التواجد فى أكثر من مكان • باريس للباريسيين ، وباريس أيضا للدنيا كلها • ومهما أردت الخروج منها ، فلن تستطيع • ان الانسان ليستنشقها مع الهواء • انها حية فى نفس كل من يعيش ، حتى ولو لم يشعر بها ، فهى حية بالأولى فى نفس كل من عرفوها • وتخلط متاهة المحيط الوحشية بتلك الذكرى التى تماثل العواصف • ومهما كان البحر عاصفا ، فان لباريس أحداث عام ١٧٩٣ (١) •

ونور الذكرى من نفسها ، فتبدو السقوف وكأنها ببرز من بين الأمواج ، وتتشكل المدينة ثانية فى تلك اللجة كلها ، بالإضافة الى تلك الدرجة الأبدية • ويخيل الى الانسان أنه يسمع فى ضجيج الأمواج هدير الشوارع المتشابكة • انه لسحر وحشى • ينظر الانسان الى البحر فيبصر باريس • ولا تتعارض مع هذه الرؤيا ألوان السلام الكبيرة التى تضمها هذه الرحاب • ولا أثر فى ذلك للمجاهل الشاسعة التى تحيط بك ، فالفكر يصل الى نطاق السكينة ، ولكنها سكينة تبيح هذا الاضطراب • ويسمح غلاف الظلمات السميك بمرور الضوء الآتى من وراء الأفق ، من باريس • ويفكر الانسان فى باريس ، ومن ثم فهو يمتلكها • وتختلط السماء المرصعة بالنجوم من هدوء وسكينة سامية لاذابة هذه الصورة الكبيرة للمدينة العظيمة فى أغوار النفس • وكل هذه الآثار ، والتاريخ ، والشعب العامل ، والنسوة اللواتى هن أمهات ، والأطفال الذين هم أبطال ، والثورات التى تبدأ بالغضب وتنتهى بالعمل الرائع ، وتلك القوة الهائلة المقدسة الكامنة فى اعصار من العقول الذكية ، وتلك الأمثلة الصاخبة ، وتلك الحياة ، وهذا الشباب ، كل ذلك حاضر فى ذهن الغائب • وتبقى باريس ، لا تنسى أبدا ، ولا تمحى ، ولا تفوص فى الأعماق ، حتى بالنسبة الى الرجل الغارق فى الظلال الذى يقضى لياليه فى التأمل أمام الصفاء الأبدى ، ويشيع فى روحه الذهول العميق أمام روعة الكواكب •

---

(١) السنة التى اضطرت فيها مراحل الثورة الفرنسية ، وساد فيها الارهاب وكثر الاعدام ، واعدم فيها لويس السادس عشر - المترجم •

عند مغادرة بلجيكا

انفوس فى أول أغسطس سنة ١٨٥٢

١

فى ديسمبر ١٨٥١ كان فيكتور هوجو واحدا من خمسة من ممثلى الشعب الذى انتخبهم اليسار لقيادة المقاومة وكفاح الانقلاب السياسى . وواصلت هذه اللجنة الخماسية الصراع من ٢ ديسمبر حتى ٦ منه ، واضطرت الى تغيير ماواها سبعا وعشرين مرة . وأكدت مذبحة « البولفار » فى يوم الخميس ٤ منه انتصار الجريمة ، وانتزعت من حماة القانون كل فرصة للنجاح . وكان فيكتور هوجو مختبئا فى مدينة باريس ، وعلى اتصال بالأعضاء الرئيسيين فى الضواحي ، يبغي بذلك أن يبقى أطول مدة ممكنة تحت تصرف الشعب ويستغل آخر فرصة ممكنة للمقاومة . وفى اليوم الحادى عشر ، تبدد آخر أمل : ولم يبرح فيكتور هوجو باريس الا فى هذا اليوم ، ومضى الى بروكسل حيث كتب « قصة جريمة » ، و « نابليون الصغير » الذى حمل حكومة بلجيكا على سن قانون «فيديه» . هذا القانون الذى وضع خصيصا من أجل فيكتور هوجو ، نص على عقوبات ضد الفكر الحر ، وقرر أن أشخاص الأمرء كلهم ، وما يرتكبونه من جرائم ، مقدسة ، تتمتع بحصانة . وحمل القانون اسم منشئه ، فيديه . وكان فيديه هذا على ما يبدو قاضيا . وكان لزاما على فيكتور هوجو أن يبحث عن ملجأ آخر . وفى أول أغسطس ركب السفينة فى أنفوس قاصدا انجلترا . وقدم المنفيون الفرنسيون اللاجئون الى بلجيكا لمصاحبتهم حتى يركب البحر . وانضم الصفوة من البلجيكين الأحرار الى المنفيين الفرنسيين . وكان الفراق مهيبا بين هؤلاء الرجال الذين قدر للكثير منهم أن يموتوا فى المنفى . ووجه بعضهم الى فيكتور هوجو بعض عبارات الوداع ، أجاب عليها بالكلمة الآتية :

اخوانى المنفيون ، اصدقائى البلجيكيون ..

ردا على مثل هذا القدر من الكلمات الودية الموجهة الى شخصي ،  
ارجو معافاتي من الحديد عن نفسي ، وأن سمحوا لي بأن أتأسى ذاتي .  
وما أهمية ما يحدث لي ! لقد نفيت من فرنسا لأنني كافحت مؤامرة  
ديسمبر وصارعت الخيانة . ونفيت من بلجيكا لأنني كتبت « نابليون  
الصغير » . وهكذا نفيت مرنين ! طاردني السيد بونايرت في باريس ،  
ثم يطاردني الى بروكسل . الأمر بسيط ، والجريمة تدافع عن نفسها .  
لقد أدبت واجبي ، وسوف أوصل أذاه . فلندع الحديد عن ذلك . اني  
إنالم حقا من فراقكم ، ولكن ألم نخلق لتتألم ! قلبي يدمى ، فلندعه يدمى .  
السنا نسى بالضحايا ؟

اسمحوا لي اذن أن أترك جانبا ما يمس شخصي ، وأقدم شكري  
لماديهه مونجو لتصريحاته القلبية الكريمة ، وشارا لكلماته الجميلة العظيمة ،  
وديشانيل لفصاحه النبيلة الساحرة ، وديسوب ، وأجريكول بيرديجيه  
لوداعها المؤثر ، وأشكركم أيها الأصدقاء البلجيكيون لمشاعركم الودية  
الأخوية التي عبرتم عنها بقوة وثبات . ولست أعرف ، في لحظة الرحيل  
عن هذه الأرض الكريمة المضيفة ، ولعله رحيل الى غير رجعة ، الا أن  
المن لآخر مرة لوى بونايرت ، **وأهتف للجمهورية لآخر مرة** : فلتحيا  
الجمهورية أيها الأصدقاء !

( **يصيح الجميع من كل الأنحاء** : لتحيا الجمهورية ! ويسترسل  
الخطيب ) .

**هناك اناس يقولون** : ماتت الجمهورية . حسن ، اذا كانت قد  
ماتت ، فانا نهيب بالعالم المستغرق في هذه الساعة في الاستمتاع العنيف  
باشباع المصالح المادية ، أن يدير رأسه لحظة واحدة ، ويشهد المنفى وهو  
يحيى القبرة .

أيها المنفيون ، اذا كانت الجمهورية قد ماتت ، فلنسهر على جثتها !  
ولنشغل أرواحنا وندعها تحترق كما تحترق الشموع حول النعش ، ولنبق  
منحنين أمام الفكرة الميتة ، ولكن كهنيتها لندفنها ، بعد أن كنا جنودها  
المدافعين عنها .

ولكن لا ، الجمهورية لم تمت !

أيها المواطنين ، أعلن لكم أنها لم تكن من قبل أقوى حياة مما هي  
عليه اليوم . انها في السرايب السفلى وهذا شيء طيب . ان الذين يعتقدون  
انها ماتت هم وحدهم الذين يظنون السرايب قبورا . السرداب ليس  
قبرا ، وانما هو المهدي . لقد خرجت المسيحية من السرايب والتاج على  
رأسها ، ولسوف تخرج الجمهورية منها وأكاليل الفغار على جبينها .



الجمهوريه ميتة ! عجبا يا الهى ، بل انها خالدة ! وفى آية لحظة يقال هذا ؟ فى اللحظة السى لها فى فرنسا وحدها ألغان من القتل ، ومائتان وألف أعدموا ، وعشرة آلاف أبعدوا ، وأربعون ألفا نفوا ! الجمهورية ميتة ! ولكن أرسلوا الطرف حولكم . أرض المنفى . والجسور العائمة ، والسسجون ، و « بيل ايل » (١) و « مازاس » (٢) ، وأهريقيسا ، و « كايين » (٣) ، وخنادق « سان دو مارس » ، وجبانة هونمانر ، كل هؤلاء ملأى بحياة الجمهورية . أيها المواطنين ، ديننا الديموقراطية والحرية والجمهورية . حسن ، اسمحوا لى بهذه العبارة : الشهداء هم وقود الأديان . وكلما زاد عددهم فى الآتون . ارفعتم الشعلة ، وعظمت الفكرة ، وأضاءت الحقيقة . وأكرر لكم أيها المنعمون أن الجمهورية فى هذه الساعة أفوى حياة وأشد نالفا من أى وقت مضى ، فانها قد صنعت بهاءها من الوان تعاستكم كلها .

ولن ألتبس لذلك برهانا ، اذا اقتضى الأمر ، سوى هذا النور الذى يضىء وجوهكم أيها المنفيون الذين نلتفون حولى ، النور الذى لا يعلم الا الله من أين ينبع . ماذا يوجد بحق الله فى عيونكم وعلى جباهكم ؟ الفرحة . فرحة الضحايا المقدسة . وفى قلب كل منكم ، خلاف بئدته الأصلية التى نلأشت صورتها من ذهنه ، والثروة المفقودة ، والعمل المحطم ، والخبز الناقص ، والعادات التى انقطعت ، والدار التى انهدمت ، فى قلبه أب وام واخوة وأطفال ، كان لايد من فراقهم ، وزوجة محبوبة مهجورة ، أو حب منسحق ودام . انكم تقاسون ، وتتلون فوق هذه الجمرات المنهية ، ولكنكم ترفعون الرؤوس ، وعيونكم نقول : اننا راضون . ذلك لأنكم تعلمون أن الجمهورية موضع ايمانكم ، وفكرنكم عن الوطن انما تستمد حياة جديدة من عذابكم . آية ذلك آلامكم . الحطب يشتعل ، والشهيد يتألى ، فلتحيا الجمهورية أيها المواطنين !

( ترتفع صبيحة ، لتحيا الجمهورية ! وثمة صوت يقول : كلمة للأصدقاء البلجيكين ! ويواصل فيكتور هوجو الحديث ) :

سمعت الآن صوتا ينادينى قائلا : . كلمة للأصدقاء البلجيكين !

- 
- (١) مضيق بيل ايل Bell-Isle ذراع البحر يعصل لرادور الشمالى من جزيرة نيوفونلاند وللأحة فيها عسيرة من الغالب - المترجم  
(٢) مازاس سجن ، بنرف الفرادية ، بنى فى باريس عام ١٨٤٥ - ١٨٥٠ فى حى مازا ( اليوم ديديرد ) - عدم عام ١٨٩٨ -  
(٣) كايين - جزيرة فى المحيط الأطلسى - قاعدة جيانا الفرنسية ( أمريكا الجنوبية ) كانت منفى ترسل اليه السلطات الفرنسية المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة - المترجم .

هل خطر لكم حقا أنني سأنساهم ؟ ( لا ! لا ! ) • أ أنساهم في هذا الوداع ! وهم الذين جاءوا في أعقابنا الى هذا المكان ، ويلتفون حولنا في هذه الساعة بجموعهم الذكية الودودة • أولئك الذين يعتبرون بشدة على صعف حكومتهم • كيف أنساهم ؟ أبدا ! انهم أمة صغيرة تسلك سلوك شعب عظيم • تذكرون أيها المنفيون أنهم قد بادروا لاستقبالنا حين وصلنا الى حدودهم بعد يوم ٢ ديسمبر ، منفيين ، مطرودين ، ومطاردين ، والعرق على جباهنا ، ولم تزل آذاننا تدوى بعجيج الحركة ، ووحل المتاريس الجعيد عالق بنيابنا • ولم يخافوا من عدواننا • المجد لهم • لقد أنزلوا في ديارهم ، ببساطة ورحابة ذلك النوع من المبوئين بالطاعون الذين يطلق عليهم اسم المقهورين •

أصل عندكم اذن مباشرة ، أيها الأصدقاء البلجيكيون ، دون أن تكون بلادكم مجرد معبر في طريقي • فأنتم مضيفونا ، أى اخواننا • وليس الانسان في حاجة الى المرور من أرض الى أخرى لكي يمد يده الى اخوانه •

ومنذ هنيهة ، برهن أحدكم ، ذلك الشجاع لوى لايار ، على وطنيتكم بعبارة بليفية ، حين أقسم أن يموت دفاعا عن الوطن • هذا شيء طيب أؤيده ، ونؤيده نحن الفرنسيين الموجودين هنا •

نعم • اذا جاء السيد بونابرت ، اذا غزاكم السيد بونابرت ، اذا قدم ذات ليلة - فالليل وقته المفضل - يضرب حدودكم ، وهو يجر في أعقابيه ، أو بعبارة أصح ، يسوق أمامه - فليس من طبعه أن يسير في المقدمة - يسوق أمامه ما يسميه اليوم فرنسا ، ذلك الجيش الذي أصبح اليوم فاقد الجنسية ، بفرقه التي جعلها عصابات ، ورجال الحرس الامبراطوري الذين انتهكوا حرمة الجمعية الوطنية ، وأولئك الجنود « الأنكشارية » الذين طعنوا الدستور بسيوفهم ، وجنود شارع مونمارتر الذين كانوا خليقين بأن يصبحوا أبطالا ، ولكنه جعل منهم لصوصا ، اذا وصل هذا الرجل الى حدودكم ، معلنا أن بلجيكا ولاية تابعة له ، جالبا لكم العار ، أنتم الأشراف ، والعبودية ، أنتم أهل الحرية ، جالبا لكم النهب والسلب ، أنتم الأمناء ••• أوه ، عندئذ انهضوا أيها البلجيكيون ! انهضوا جميعا ! استقبلوا لوى بونابرت كما استقبل أجدادكم الثريفيون ( بلجيكيو بلاد الغال ) كاليجولا ! أسرعوا الى المدرات والمجارة والمناجل وأسلمة المحارث ، وخذوا سكاكينكم وبنادقكم وغداراتكم ، واقفروا على سيف ارفيفيلد القديم ، وعلى هراوة كوينول القديمة • ضعوا اذا لزم الأمر كرات من الرخام في مدفع جانده القديم الضخم ، وسوف تجدون كراته الرخامية في نوتردام دو هال ! نادوا بالسلاح ! فليس الذي عند

الأبواب هو هانيبال ، انما هو شنيدر هانز (١) اقرعوا أجراس الخطر ،  
ودقوا الطبول لحشد الجيوش ، واضرموا نار الحرب ، حرب السيول  
والاسوار والأدغال ، وقتلوا العدو شبرا شبرا ، ودافعوا عن أنفسهم ،  
واضربوا وموتوا ، وتذكروا آباءكم الذين أرادوا أن يورثوكم المجد ، نذكروا  
اطفالكم الذين يجب أن يورثوهم الحرية ! اسنعبوا من واترلو صيخها  
المفجعة : تموت بلجيكا ولا تسلم !

إذا جاءكم بونايرت فافعلوا هذا !

ولكن أيها البلجيكيون ، إذا جاءكم فرنسا ذات يوم ، فرنسا  
الحقيقية ، وجبينها يتألق بالنور ، وهي تحرك في ربيع الثورات البهيجه  
علما ذا لون واحد ، تظالمون عليه عبارة : اخاه الشعوب ، الولايات المتحدة  
الأوربية - جاءكم حرة فخورة رقيقة رائقة ، فى يديها سنابل  
القمح وأكاليل الغار ، آه ، انهضوا هذه المرة أيضا أيها البلجيكيون ،  
وانما استبدلوا بالهراوة المكسوة بالحديد غصنا مزهرا • انهضوا ،  
وانما لتستقبلوا فرنسا وتقولوا لها : مرحبا !

انهضوا لتمدوا أيديكم إليها ، وهى آمنة ، كما نمد نحن أولادها  
أيدينا اليكم ، ولتفتحوا لها أذرعكم ، كما فتحتها لكم • ذلك لأن فرنسا  
تلك لن تكون هذه المرة فرنسا الغازية ، وانما المرشدة ، لن تكون فرنسا  
القاهرة المذلة ، وانما فرنسا المخلصة ، لن تكون فرنسا البونايرتية .  
وانما فرنسا الأهم !

استقبلوها صديقة عظيمة • رحبوا بها منتصرة ، كما رحبنا بها  
منفية ، فهى التى تهنفون لها فى هذه اللحظة ، لأنها فرنسا الحاضرة  
ها هنا • هى التى يضطهدها حكامكم أحيانا ، وتقومون أنتم دواما  
بانهاضها ومواساتها • انها تبكى على أبواب مدائنكم ، تحت قميص العامل  
او بذلة الفلاح المنفى •

أصدقاى ، اليوم يوم الاضطهاد والالم ، أما الغد فللولايات المتحدة  
الأوربية والشعوب الشقيقة ، غدا لا محيد عنه لأعدائنا ، محتوم بالنسبة  
الينا • أيها الأصدقاء ، مهبا كانت مخاوف اللحظة الحاضرة وقسوتها ،  
فعلينا أن نركز فكرنا فى هذا الغد الباهر الذى يتبدى له منذ الآن ، وهذا  
المستقبل الشاسع الذى تنتهى اليه الحرية والأخوة • وانكم لتستمدون  
سكينتكم من هذه التأملات ، يا منفيى فرنسا • لقد ذكرت لكم منذ هنيهة

(١) يقصد لوى نابليون بونايرت - المترجم

أن الانسان ليدهش حين يرى في عيونكم ، في الظلام المفجع الذي يحف  
بكم ، نورا ساطعا • هذا النور هو ضياء المستقبل الذي يغمركم •

أيها المواطنين الفرنسيون والبلجيكيون ، لنرفع القوميات عالية في  
وجهه الطغساء ، ونحنينا أمام الديمقراطية • الديمقراطية هي الوطن  
الأكبر • الجمهورية العالمية هي الوطن العالمي • وعندما يحين الأوان ،  
يجب على القوميات والأوطان أن تطلق صيحة الحرب ضد الطغاة • فاذا  
تم هذا العمل . فإن الوحدة ، الوحدة الانسانية المقدسة ، سوف تضع  
على جبين الأمم كلها قبلة السلام • لنصعد من درجة الى درجة ، ومن علم  
الى علم ، ومن ألم الى ألم . ومن شقوة الى شقوة ، الى القوالب الكبرى •  
ولنتوسع كل درجة نجتازها دائرة الأفق • هناك من هو أعلى من الألماني  
والبلجيكي والايطالي والانجليزي والفرنسي ، انه المواطن • • وهناك من هو  
أسمى من المواطن ، انه الانسان • الوحدة هي نهاية الأمم ، كما ان الجذور  
هي نهاية الشجر ، والسماء نهاية الرياح ، والبحر نهاية الأنهار • أما  
الشعوب ، فليس هناك غير شعب واحد • لتحبوا الجمهورية العالمية !

## الوصول الى جيرسي

في ٥ اغسطس ١٨٥٢

٢

اكتفى فيكتور هوجو باحتياز انجلترا . وفي ٥ اغسطس نزل من البحر الى جيرسي ، واستقبله عند وصوله جماعة المنفيين الفرنسيين الذين كانوا في انتظاره على رصيف سانت هيليه .  
أيها المواطنون . .

أشكركم على حفاوتكم الاخوية ، واني لالمس فيها شيئا بالوداع الرقيق الذي آذاه أصدقاؤنا في بلجيكا . لقد غادرت فرنسا على رصيف انفريس ، وهانذا ألقاها ثانية على رصيف سانت هيليه .

أصدقائي ، رأيت في بلجيكا مشهدا مؤثرا ، رأيت الاختلافات كلها وقد نسيت ، والفوارق الجمهورية كلها وقد أصلح ما بينها ، وجدت توافقا عميقا ، وقد ضمت الانظمة كلها الى راية الفكر ، وتقارب المنفيون بعضهم من بعض في أحضان الأسي . رأيت كل انسان يبحت عن خصه ليجعل منه صديقا له ، ويبحت عن عدوه ليجعل منه أخا له ، رأيت الأحقاد كلها وقد تلاشت في بسمة الشقاء العذبة الأبية . رأيت هذا ، وتحذت عنه ، وامتأ قلبى به ، وانه لشيء جميل . نعم ، الأيدي كلها تنالقي . ولم يعد الديموقراطيون والاشتراكيون كلهم يشكلون سوى شخصية جمهورية واحدة . وليس ثمة نظرة شرسة واحدة ، ولا جبهة منعزلة واحدة ، ولا مجافاة . الأشياء الشريفة الماضية تتراخي ، والمحن كلها تتأخي ، والطبائع الشديدة التشعب تتوافق ، الكل من المجاهدين الى الفلاسفة ، من « سارا » المحارب الى « اجريكول بيرديجييه » رجل السلام ، من أولئك الذين كانوا أطفالا لجماعة « الفكر » فأسعدهم الحظ بأن يولدوا ويكبروا في أحضان العقيدة الجمهورية ، حتى أولئك الذين ولدوا مثل في مراتب أخرى ، فارتقوا من تقدم الى تقدم ، ومن أفق الى أفق ، ومن تضحية الى تضحية ، الى الديموقراطية الصافية !

أكرر لكم أنى رأيت هذا ، وعلينا نحن القادمين الجدد أن نهنيء  
به الجمهورية .

أقول « القادمين الجدد » لأننا نحن الجمهوريين ، حسب ( انقلاب )  
فبراير ( ١٨٤٨ ) ، نحن - كما أعلم - وأؤكد - عمال الساعة الأخيرة ،  
ولنا أن نفخر بذلك ، فقد كانت تلك الساعة الأخيرة هى ساعة الاضطهاد ،  
والدموع ، والدم ، والقتال ، والنفى .

رأيت فى بلجيكا مشهدا رائعا ، مشهد المعاناة التى يعانىها الناس  
فى هدوء وتبات ، مشهدهم وهم يشتركون فى مرارة المحنة وكانهم  
يشتركون فى وليمة عامة ، متحابين مؤمنين . أنتم يا من تكونون اخوة  
لهم ، دعونى أمدما هنا فى تصور أخير ، تحية الوداع التى أديتها لهم !  
دعونى أمدد هؤلاء الرجال الذين يقاسون كما يجب أن تكون المساة ،  
هؤلاء العمال الذين انتزعوا من المدينة التى كانت تغذى أبدانهم وتضىء  
قريحتهم ، وهؤلاء الفلاحين الذين اجتثوا من الحقول التى ولدوا فى رحابها ،  
وغيرهم الذين لا يقلون عنهم جدارة ، من متعلمين ، وأساتذة ، وفنانين ،  
ومحامين ، وموتقى عقود ، وأطباء ، فالمهن كلها قد أبدت كل ضروب  
الشجاعة . دعونى أمدد هؤلاء المنفيين المطرودين المضطهدين ، ومن بين  
الجميع ممثلو الشعب الذين كافحوا ثلاث سنوات على المنبر ضد تحزب  
الرجعيات والخيانات والأحقاد ، ثم قاتلوا بعد ذلك فى الشوارع أربعة  
أيام ضد جيش بأكمله ! لقد عرفت هؤلاء النواب ، انهم أصدقائى ، فدعونى  
أحدثكم عنهم ، واسمحوا لى بأن أكاشفكم بما فى صدرى : لقد رأيتهم فى  
المعارك ، وشهدتهم على مشارف الكوارث ، ولمست هدوءهم خلف المتاريس .  
رأيت ما هو أندر من الشجاعة العسكرية ، رأيت جبينهم الباسل فى  
المعارك البرلمانية ، حين كان المستقبل الغامض يتهددهم ، وكانت ثورات  
الغضب المنبثقة من الأغلبية تتساقط على رؤوسهم ، وكانت الصحافة  
الملكية ، أى الفوضوية تهينهم ، والصحف البونابرتية التى اشتركت فى  
ترتيبات الاليزيه المشؤمة تتعمد أن تصب عليهم الأوحال ، والسباب  
والافتراء يجعلهم جديرين بالنفى .

رأيتهم بعد ذلك ، بعد الانهيار ، فى العناء والمحنة الكبرى . على  
رأس طابور الضحايا المشؤم المتجه الى صحارى النفى . لقد أعجبت بهم ،  
أنا الذى أحبهم .

هذا ما شهدته فى بلجيكا ، وهذا ما أعرف أننى سوف أشهده ثانية  
ها هنا . ذلك لأن هذا المثل العظيم للتوافق بين المنفيين ، التوافق الذى  
تحتاج اليه فرنسا ، هذا المشهد البديع للاخاء الذى تنهار أمامه الافتراءات ،

لا تنفرد بلجيكا باعطائه ، بل انا نجده على سائر أرماب « الميدوز » (١) ،  
على سائر البقاع التي اجتمع فيها الفرقي المنفيون ، ونجده بصفة خاصة  
في جيرسبي . وأشكركم أيها الأصدقاء باسم شقائنا .

آه ! فلنلق هذا التوافق وندعمه ! ولننبذ كل انشقاق وخلاف في  
الرأى ! وطالما أنه لم يبق لرايتنا سوى لون واحد ، وهو الأرجواني ،  
فعلينا ألا نبقى في نفوسنا سوى شعور واحد ، وهو الاخاء ! وأكرر لكم  
أن فرنسا في حاجة الى أن ترانا متحدين . فلنكن متحدين حتى نكون  
أقوياء ولنكن متحمسين حتى نكون سعداء .

سعداء ! يا لها من كلمة ! وهل من الوسع التلطف بها مع الأسف ،  
والوطن بعيد ، والحرية مية ؟ نعم . يمكن ذلك ، اذا أحببنا ، فالحب  
المتبادل في المحنة ، هو هناء التعساء .

وكيف لا نتحاب ؟ هل هناك ألم لم نقتسمه جميعا فيما بيننا ؟ اننا  
نشترك في شقاء واحد وأمل واحد . سماء واحدة تعلق رؤوسنا ، ومنفى  
واحد يضمنا ، ما تيكونه أيكيه ، وما تأسفون عليه أسف عليه ، وما تأملونه  
أنظره . نحن متمائلون في المصير ، فلم لا نكون اخوة بالروح . الدمع  
الذي في عيوننا اسمه فرنسا ، والشعاع الذي في فكرنا اسمه الجمهورية .  
فلحجب بعضنا بعضا ! ومعاناتنا المشتركة هي بالفعل حب بيننا والمحنة  
التي قطعت قلوبنا بسيف واحد جمعت بين قلوبنا في الوقت ذاته بحب  
واحد .

لنتحاب من أجل الوطن الغائب ، ومن أجل الجمهورية المذبوحة !  
لنتحاب ضد العدو المشترك !

هدفنا شعب واحد ، ومنطلقنا لا بد أن يكون روحا واحدة . لنرسم  
الوحدة بالاتحاد .

أيها المواطنين ، لتحيا الجمهورية ! أيها المنفيون ، لتحيا فرنسا ؟

---

(١) غرق الميدوز - حادث مفتح مشهور ، جرى في يولية ١٨١٦ - على ساحل أرجوين  
( موريتانيا - غرب أفريقيا ) على بعد ٤٠ فرسغا من الشاطئ - المترجم .

## تصريح في موضوع الامبراطورية

جيسسي في ٣١ أكتوبر ١٨٥٢

٣

### الى الشعب

أيها المواطنون ..

سوف نتشكل الامبراطورية . هل علينا أن نعطي أصواتنا ، أم علينا أن نسمر ممتنعين عن ذلك ؟ هذا هو السؤال الموجه الينا .

في مفاطعة السين عدد من الجمهوريين من بين أولئك الذين امتنعوا الى اليوم - كما يجب عليهم أن يفعلوا - عن الاشتراك بأية صورة كانت في أعمال حكومة السيد بوناپرت ، يبدو أنهم يظنون اليوم أنه من المفيد ، بمناسبة قيام الامبراطورية ، تنظيم مظاهرة مضادة في مدينة باريس عن طريق الاقتراع ، وأن الوقت ربما قد حان للتدخل في التصويت . ويضيفون الى ذلك أن الانتخاب قد يكون في جميع الأحوال وسيلة لاحياء الحزب الجمهوري ، فبفضل التصويت يمكن معرفة تعداده .

وهم يطلبون رأينا .

جوابنا بسيط . وما عسانا أن نقوله عن باريس ، يصح قوله عن سائر المقاطعات .

ولن نثريث حتى نبين لكم أن السيد بوناپرت لم يقرر المناداة بنفسه امبراطورا دون أن يحدد أولا مع أعوانه عدد الأصوات التي ينبغي أن يتجاوز بها الى ٧٥٠٠٠٠٠٠ صوت التي حصل عليها في ٢٠ ديسمبر . وقد حدد رقمه في الوقت الحاضر ، سواء أكان ثمانية ملايين أم تسعة ملايين أم عشرة ملايين ، ولن يغير الانتخاب من ذلك شيئا . ولست في حاجة الى أن أذكركم بماهية « الانتخاب العام » الذي يجريه السيد



بونابرت ، وماهية انتخابات السيد بونابرت . مظاهرة مدينة باريس ، أو مدينة ليون ، احصاء الحزب الجمهورى ، هل هذا شىء ممكن ؟ أين ضمانات الانتخاب ؟ أين الرقابة ؟ أين الرقباء ؟ أين الحرية ؟ فكروا فى كل هذه المهازل . ماذا يخرج من صندوق الانتخاب ؟ ارادة السيد بونابرت لا غير . فى يد السيد بونابرت مفاتيح الصناديق ، فى يده بطاقات نعم و لا ، فى يده التصويت . فبعد أن ينجز المديرين والعمد أعمالهم ، يتفرد هذا الحاكم المستبد بصناديق الانتخاب ويجردها من محتوياتها . وما أسهل عنده من اضافة بعض الأصوات أو حذف البعض الآخر ، أو تزوير محضر أو ابتكار مجموع ، أو اصطناع رقم . الكذب عنده أمر ضئيل ، والتزوير عنده لا شىء على الاطلاق .

لنتمسك أيها المواطنين بالمبادئ . واليكم قولنا فى ذلك .

يرى السيد بونابرت أنه قد آن الأوان لأن يسمى نفسه صاحب الجلالة . وهو لم يرجع للبابا سلطانه ليتركه بعد ذلك دون عمل ، فقد اعتزم تكليفه بأن يكرسه ويتوجه . كان له منذ ٢ ديسمبر السلطة الفعلية والظنيان ، أما الآن فهو يريد الاسم ، يريد الامبراطورية . فليكن .

أما نحن الجمهوريين ، فما هى وظيفتنا ؟ ماذا يجب أن يكون عليه موقفنا ؟

أيها المواطنون ، لوى بونابرت خارج على القانون ، لوى بونابرت خارج على الانسانية . هذا الشرير يحكم البلاد منذ عشرة شهور ، ولم يزل الحق فى الثورة قائما ومسيطرًا على الموقف كله . وفى اللحظة التى نمر بها ، تتوطد فى أعماق الضمائر دعوة دائمة الى حمل السلاح . ولكن علينا أن نلزم الهدوء ، فان ما ينور فى جميع الضمائر سوف يؤدى سريعا الى تسليح السواعد كلها .

أيها الأصدقاء والاخوان ! فى وجود هذه الحكومة الرذيلة المنافية لكل المبادئ الأخلاقية ، المرعقة لكل تقدم اجتماعى ، فى وجود هذه الحكومة ، قاتلة الشعب ، سفاكة الجمهورية ، المعتدية على القوانين ، هذه الحكومة التى ولدت من القوة ، والتى لا بد أن تموت بالقوة ، الحكومة التى أقامتها الجريمة والتى يجب أن يصرعها القانون ، فى وجود هذه الحكومة لا يعرف الفرنسي الجدير بلقب المواطن ولا يريد أن يعرف ما اذا كان هناك شىء شبيهه بالانتخاب ومهازل الانتخاب ، ومسأخر دعوة الأمة ، ولا يستفسر عما اذا كان هناك رجال يعطون أصواتهم ، ورجال يحملون غيرهم على التصويت ، وعما اذا كان هناك قطيع يسمى مجلس الشيوخ ،

يتداول ، وقطيع آخر يسمى الشعب . عليه أن يطيح ، ولا يستفسر  
عما اذا كان البابا سيتوج في الهيكل الرئيسي لكنيسة نوتردام الرجل  
الذى سوف يدقه الجلاد على خشبة الاعدام - وهو أمر لا ريب فيه ،  
المستقبل الذى لا مفر منه . فى حضور السيد بونايرت وحكومته ،  
لا يفعل المواطن الجدير بهذا النعت الا شيئا واحدا : أن يحشو بندقيته ،  
ويترقب الساعة .

## وليمة بولندية

### ٤

#### الذكرى السنوية لثورة بولندا

٢٩ نوفمبر ١٨٥٢

أيها المنفيون البولنديون ..

نظمتكم باسمي وسط هذه الحفلة المقامة لتمجيد كفاحكم العظيم ،  
ودعوتموني ، فهانذا أقف .

هذا الاحتفال عزيز علي ، وذلك لسببين ، فهل تعرفون لماذا أيها  
المواطنون ؟ ليس فقط لأنه يثير في نفوسنا ذكرى صحتكم البطولية  
في عام ١٨٢٠ ، وإنما أيضا وعلى الأخص لأنه يمجد الثورة ، في اليوم ،  
بل وفي الساعة التي ينتخب فيها الأذلاء الامبراطورية .

نعم ، هذا يسرني ويرضيني . هذه الوحدة التي أشهدها ، الوحدة  
بين فرنسا المنفية وبولندا المنفية في ذكرى مجيدة ، ويوم تاريخي مشهود ،  
لها سمة عظيمة ، سمة الايمان . نعم أيها المواطنون ، يجب دعم الحياة  
في نفس اللحظة التي يبدو فيها أن النعوش تغلق .

هنا اليوم ، في هذه الجزيرة ، في اللحظة التي ينادى فيها الناس  
في فرنسا بمجرم ٢ ديسمبر امبراطورا ، أهيب بأصواتكم الكريمة ،  
وأحاديثكم الملهمة ، وأناشيدكم الوطنية أن تجيب كصدى للضمير الانساني  
على تلك الهتافات المشينة !

والآن ، اسمعوا لي أن أقف خاشعا أمام هذا اليوم التاريخي الذي  
يجمعنا ، والذي أراه مدونا على هذا الحائط .

بولندا ! ٢٩ نوفمبر ١٨٣٠ ! يا لها من أمة ! ويا لها من ذكرى سنوية ! أيها المواطنين ، اليوم ، خلال تلك الاكوام الهائلة من العقود الكريهة التي تشكل ما تسميه مكاتب المبعوثين السياسيين بالقانون العام الفعلي لأوروبا ، وفي وسط هذه النجارة التي نتناول بالبيع والشراء الأراضي والأقاليم ، وعمليات شراء الشعوب ، وبيع الأمم ، وهذه الاكوام الكريهة من الوثائق الموهورة بكل الأختام الامبراطورية والملكية التي تتشكل صفحتها الأولى من معاهدة التقسيم العام ١٧٧٢ وصفحها الأخيرة من معاهدة التقسيم لعام ١٨١٥ ، يرى الانسان ثغرة عميقة رهيبة خطيرة ، جرحا فاغرا يخترق الحزمة من جانب الى جانب . هذه الثغرة من يا ترى قد صنعها ؟ سيف بولندا . وبكم ضربة صنعها ؟ بضربة واحدة . وفي أي يوم ؟ في ٢٩ نوفمبر ١٨٣٠ .

في ٢٩ نوفمبر ١٨٣٠ ، شعرت بولندا بأن اللحظة قد حانت لمنح سقوط قوميتها بالتقادم ، وفي ذلك اليسوم ضربت بالسيف ضربتها الرهيبة .

ومن ذاك الحين ، تهشم السيف ، وقيلت تلك العبارة البشعة : لقد استتب النظام في وارسو ! هذا الشعب الذي كان بطلا من الأبطال ، عاد فأصبح مستعبدا ، وارتدى ثاينة أسمال المساجين . لقد قيد بعض الأمراء الذين يستحقون الليمان هذا المسجون الجدير بأكاليل الفخار وشدوه بالسلاسل .

أوه ، أيها البولنديون ، انكم على حق في اتجاهكم الينا ، نحن أبناء أوروبا ، وفي نفوسكم مرارة . وان قلبي لينقبض حين أفكر فيكم . معاهدة ١٧٧٢ التي أعدت ونفذت في مواجهة فرنسا ، في أنوار الفلسفة والحضارة ، في ذلك الضوء الساطع الذي أرسله على العالم فولتير وروسو ، هذه المعاهدة ، معاهدة ١٧٧٢ هي وصمة القرن الثامن عشر الكبرى ، كما أن ٢ ديسمبر هي عار القرن التاسع عشر الأكبر . وخلال فترة تاريخية طويلة - ولم أترث حتى يومنا هذا لأقول هذا الكلام ، فقد سبق لي أن ذكرت به في يوم ١٧ مارس عام ١٨٤٦ المجلس السياسي الذي كنت عضوا به - أقول انه منذ السنوات الأولى لعهد هنري الثامن حتى السنوات الأخيرة لعهد لويس الرابع عشر ، غطت بولندا القارة ( الأوروبية ) التي كان الرعب يغشاها من حين الى حين بسبب طفغيان الأتراك الهائلين وعاشمت أوروبا ونمت ، وفكرت ، وتطورت ، وكانت سعيدة ، وأصبحت أوروبا بحق خلف هذا الطريق الكبير ( يقصد بولندا ) . وهاجت البربرية وماجت ، كالمدمر المصاعد على بولندا ، كما يهدر المحيط على الساحل

الصخرى ، وقالت بولندا للبربرية ، ملما تقول الصخور للمحيط : لن  
تمضى أبعد من هذا . واستمر الأمر كذلك ثلاثمائة سنة .

فماذا كان الجزاء ؟ ذات يوم أقدمت أوروبا التي أنقذتها بولندا  
من تركيا على تسليم بولندا الى روسيا . ولم تدرك أوروبا وهي ترتكب  
هذه الجريمة أنها ترتكب في الوقت نفسه حماقة ، وأن في ذلك عمى هو  
لون من العقاب . ونظر الموقف في القارة . ولم يعد الخطر آتيا من الجانب  
نفسه . واتسم القرن الثامن عشر الذي كان اعدادا في كل الأمور للقرن  
التاسع عشر ، اتسم بتضاؤل السلطان ( التركي ) ونمو نفوذ قيصر  
( روسيا ) . ولم تدرك أوروبا هذه الظاهرة . وكان بطرس الاول ومربيه  
الصارم شارل الثاني عشر قد غيرا اسم موسكو فيا الى روسيا . وفي  
النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، كانت تركيا ننسحب والروسيا  
ننقدم . ولم تعد الفوهة العاغرة هي تركيا ، وانما أصبحت روسيا .  
ولم يعد التهدير الأصم الذي يقرع أسماع الناس آتيا من اسطنبول ،  
وانما راح يأتي من بطرسبرج . وتغير موضع الخطر ، ولكن بقيت بولندا  
في مكانها . والشئ المدهش أن العناية الالهية قد أهلتها لمقاومة الروس .  
وصد الأتراك . فمادا صنعت أوروبا في عام ١٧٧٢ ازاء هذا الموقف ؟  
كانت بولندا هي الحارسة ، فسلمتها أوروبا ، لمن ؟ للعدو .

ومن الذي فعل هذا الشيء الذي لا اسم له ؟ الدبلوماسيون ،  
الروس السياسيين المفكرة في ذلك الحين ، القادة السياسيون المحترفون .  
ولم يكن هذا عفوقا فحسب ، وانما كان أيضا غباء ، ولم يكن عارا فحسب ،  
وانما كان فوق ذلك حماقة .

واليوم تقاسى أوروبا من عقوبة الجرم . وجاء دور بولندا الميتة لتسلم  
أوروبا الى روسيا .

الروسيا ، أيها المواطنين ، تشكل خطرا أعظم من تركيا . والاثنتان  
آسيويتان ، ولكن تركيا كانت آسيا الساخنة ، الملوثة ، المتقدة ، اللهب  
الذي يضرم النار ، وانما يستطيع الاخصاب . أما روسيا فهي آسيا  
الباردة ، آسيا الشاحبة المتلجة ، آسيا الميتة ، حجر الضريح الذي يقع  
فلا يرفعه أحد . لم تكن تركيا سوى الاسلام ، ضارية من غير تنظيم .  
أما روسيا فهي شيء أشد هولاً ، انه الماضي القاتم الذي يصر على البقاء  
والحياة ويقرن بالحاضر ، عضة الفهد أهون من عناق الشبح . ولم تهجم  
تركيا الا شكلا من أشكال الحضارة ، هو المسيحية ، وهو شكل قد زال  
وجهه الكاثوليكي من قبل . أما روسيا فانها تريد خنق الحضارة كلها  
مع الديموقراطية بضربة واحسدة . تريد أن تقتل الثورة والحضارة

والمستقبل . ويبدو أن الاستبداد الروسي قال لنفسه : عدوى هو الروح  
الإنسانية . ألتخص هذا في عبارة واحدة : عاشت اليونان بعد الأتراك ،  
أما أوروبا فأنها لن تعيش بعد الروس .

أوه ، أيها البولنديون ، أقول لكم من أعماق نفسى ، انى معجب  
بكم . أنتم أقدم من اضطهد منا . وأنا لنجد فى كأس المرارة التى نشرها  
اليوم آثار شفاهكم . أنتم تحملون دعائم المنفى ، واخوانكم منفيون فى  
سبيرييا ، كما أن لنا اخوانا منفيين فى أفريقيا . أيها المنفيون من بولندا ،  
ان منفىي فرنسا يحيونكم .

نحى تاريخك أيها الشعب البولندى الطيب! ارفع الرأس فى محنتك .  
انت عظيم ، ترقد على أقدار الروس . آه لك يا أيوب الأمم ، ان جروحك  
أمجاد .

نحى تاريخك ، وتاريخ كل الشعوب التى قاست وكافتحت . هذا  
الاجتماع . وذاك التاريخ الجليل ، ٢٩ نوفمبر ١٨٣٠ بيعت أمام أنظارنا  
الذكريات الثورية العظيمة ، وكل الرجال العظام محررى الشعوب . ونحن ،  
فى اعترافنا الدينى العميق بأفضال الرجال ، ندعو كوتشيسكو ،  
رواشنجنون . وبوليفار ، وبوتزاريس ، وكل المناضلين الشجعان فى  
سبيل التقدم ، وكل الشهداء الأمجاد فى سبيل الفكر ، ندعوهم الى هذه  
الولائم المقدسة فى المنفى . ألا يخيل اليكم ، كما يخيل الى ، أننا نراهم  
فى هذه القاعة فوق رؤوسنا ؟ ألا يوجد حول هذا اليوم التاريخى الجليل  
شئ أشبه بالغمام الساطع يتجلى لنا عنده هؤلاء المنتصرون ، أجدادنا  
الحقيقيون ، وهم لنا يبتسمون ؟ انظروا اليهم ، وقد تغيرت ملامحهم ،  
تأملوهم كما أفعل ، لقد قاسوا هم أيضا . فى الضوء الغامض الذى يخرج  
من القبر ، يتحول أولئك الذين لم يكونوا سوى آدميين ، فيصيرون أنصاف  
آلهة ، وتتغير أكاليل الأشواك التى سفحت الدماء على جبين الأحياء الى  
أكاليل من الغار تنير جبين الأشباح .

أيها المواطنين ، هنا ممثلو خمس أمم : بولندا والمجر وألمانيا وإيطاليا  
وفرنسا ، خمس أمم مجيدة أمام الجنس البشرى ، ترقد اليوم فى الهوة .

ويرتجف رجال الحكم الاستبدادى المطلق فرحا لذلك . ولكنهم  
مخطئون فى فرحهم هذا . ولئن أكف أبدا عن القول ان هذه الأمم رغم  
اغتيالها لم تمت أبدا . ولا يعرف الطغاة الذين لا روح لهم أن الشعوب  
لها روح .

ترى ماذا فعل الطغاة حين أحكموا غلق حجر المقبرة فوق شعب من

الشعوب ؟ يعنفدون أنهم قد سجنوا أمة فى القبر ، انما هم قد سجنوا  
مبه فكرة • ولكن القبر لا يفعل شيئا بمن لا يموت ، والفكرة خالده  
لا تموت • أيها المواطنين ، ليس الشعب لهما ، انما الشعب فكرة •  
ما هى بولندا ؟ انها الاستقلال • ما هى ألمانيا ؟ انها الفضله • ما هى  
المجر ؟ انها البطولة • ما هى ايطاليا ؟ انها المجد • ما هى فرنسا ؟ انها  
الحرية • أيها المواطنون ، فى اليوم الذى يموت فيه الاستقلال والفضيلة  
والبطولة والمجد والحرية ، فى هذا اليوم فقط تموت بولندا وألمانيا والمجر  
وايطاليا وفرنسا •

فى هذا اليوم أيها المواطنون ، نخفى روح العالم • ولكن روح العالم  
هى الله •

أيها المواطنون ، لنشرب نخب الفكرة التى لا تموت • لنشرب نخب  
الشعوب التى تبعث •

على قبر جان بوسكيه  
في جبانة سان جان بجيرسي  
٢٠ أبريل ١٨٥٣

أقام فيكتور هوجو معنكفا في دار نسمى «مارين يرأس» على شاطئ البحر .

وفي هذه الأثناء بدأ المنفيون يموتون . ولم يكن من الجائز دفن انسان في القبر دون أن تقال عنه كلمة تنتقل منه الى الله . وأقبل المنفيون على فيكتور هوجو ، وطلبوا اليه أن يتكلم باسمهم ، فألقى هذه الكلمة :

أيها المواطنين . .

هذا الرجل الذي جننا لنودعه الوداع الأخير ، جان بوسكيه ، من مقاطعة تارن - ايه - جارون ، كان جنديا نشيطا من جنود الديمقراطية . رأيناه منفيًا لا تليق له قناة ، يندى بينته بصورة مؤلمة . لقد أضناذ المرض ، وكان يشعر في آناة بالتسمم من ذكرى كل ما خلفه وراءه . كان باستطاعته أن يرى الغائبين ، والأماكن المحبوبة ، بلدته وداره ، يرى فرسًا ثانية . كان يستطيع ذلك بكلمة ينطق بها ، فقد عرض عليه ذلك الهوان المقوت الذي يسميه السيد بونايرت العفو الشامل ، ولكنه رفضه . ومات وهو في الرابعة والثلاثين من عمره . وما هو ذا الآن ( ويشير الخطيب الى الحفرة ) . ولن أضيف مديحا الى هذه الحياة البسيطة ، وهذه الميتة العظيمة . فليسترح في سلام ، في هذه الحفرة المظلمة التي سوف يغطيها فيها التراب والتي مضت روحه فيها لتلتقي بأمانى القبر الأبدية !

فليتم هنا ، هذا الجمهوري ، وليعلم الشعب أنه لم تزل هناك قلوب ظاهرة أبية مخصصة لقضيته ! ولتعلم الجمهورية أن الناس يموتون . ولا يتخلون عنها ! ولنعلم فرنسا أن هناك من يموت لأنه لم يعد يراها !



لبس هذا الوطنى فى بلد أجنبى ! ونحن ، رملاه فى الكفاح رضى  
المحنة ، نحن الذين أغلقتنا عينيه ، سوف نرد على أفراد أسرته وعلى أصدقائه  
إذا سألونا : أين هو ؟ فنقول : مات فى المنفى ! كما أجاب الجنود عند  
ذكر اسم « لانور دى فيرنى » : مات فى ساحة الشرف !

أيها المواطنين ! المرتدون عن مبادئهم فرحون . وتشهد الارصى  
القديمة ، ارض ١٤ يولية ، و ١٠ أغسطس ازدهار الخسة بصورة بسعة .  
ومسيرة النصر التى يسيرها الخوة . وليس تمة دناءة لم نغز للمجال  
بمكافئها . فذلك العمدة قد خالف القانون . ومن ثم يعين محافظا . وذلك  
الجندى قد دنس العلم ، ومن ثم يرفى جنرالا . وذلك القس فد باع  
الدين ، ومن ثم ينصب أسقفا ، وذلك القاضى دنس العدالة ، ومن ثم  
يجعل عضوا بمجلس الشيوخ ، وذلك الأمير المغامر قد اقترب كل الجرائم ،  
من الدناعات التى لا يرنكبها النصاب ، الى الأعمال الشنيعة التى سحجم  
عن اقتنائها القاتل ، ومن ثم يصير امبراطورا . وكل ما حول هؤلاء  
الرجال ، موسيقات وولائم ورقصات وخطب ووصفيق وركوع . صروب  
العبودية تأتى لتتهىء ألوان المخازى .

أيها المواطنين ، لهؤلاء الرجال أعيادهم ! ولنا أيضا أعيادنا . ونحن  
ينهار أحد زملائنا فى المنفى ويموت وقد أضناه الحنين الى الوطن ، وأنهكته  
الحصى البطيئة ، حمى العادات التى انقطعت ، والعواضف التى نحطم ،  
بعد أن شرب حتى النماءة كل أشجان المنفى ، تسير خلف نعشه المغطى  
بملاءة سوداء ، ونصل الى حافة الحفرة ، ونركع نحن أيضا على ركننا ،  
لا امام النجاج ، وانما امام القبر ، ونحنى امام آخيتنا المدفون ونقول له :  
أيها الصديق ، نهنتك لأنك كنت شجاعا ، وكنت كريما وجريئا ، نهنتك  
لأنك كنت مخلصا ، ولأنك ضحيت فى سبيل مبدئك حتى آخر أنفاسك ،  
وآخر خفقة فى قلبك ، ولأنك قاسيت ، نهنتك لأنك مت ! ثم نرفع  
رءوسنا ونصرف وقلوبنا ملؤها بهجة قاتمة . تلك هى أعياد المنفى .

تلك هى الفكرة الرصينة الصارمة القائمة فى أعماق نفوسنا كلها .  
ونحن ، امام هذا القبر ، وهذه الهاوية التى يبدو أنها قد ابتلعت الرجل ،  
امام هذه الظاهرة ، ظاهرة العدم المبجع ، نشعر باننا معززون فى مبادئنا  
ومعتقداتنا . ولا ترسخ قدم المؤمن بأشد ما ترسخ الا على تربة القبر  
المتحركة . ونحن المؤمنىن الراسخين فى الايمان ، نثبت أبصارنا على هذا  
الميت ، هذا الكائن الفانى ، هذا الشبح الذى مر وانقضى ، ونمجد الحرية  
التي لا تموت ، ونمجد الاله السرمدى .

نعم ، الله ! لا يجوز أبدا أن ينغلق قبر قبل أن تلفظ هذه الكلمة

الجيلية ، الحية ، فالموى يلتسونها ، ولسنا نحن الذين نرحمهم منها . فليقهم الشعب الحر المتدين الذى نعيش بين ظهرانيه فهما جيدا أن الرحال المتقدمين . رجال الديموقراطية . رجال النورة يعرفون أن للروح مصرين . ويدل نكران الذات الذى يظهرونه فى هذه الحياة على أنهم يعتمدون على المصبر الأخرى . وان ايمانهم بهذا المستقبل الغامض العظيم لعاوم ذلك المنهد الكريه الذى يصوره لنا منذ ٢ ديسمبر الكهيموت الكابوليكي المسعيد . والبابوية الرومانية تفزع الضمير الانسانى فى هذه اللحظة . آه ! أقول ذلك والقلب مغمم بالمرارة حين أفكر فى كل هذه الخسة وهذا العار ، فى هؤلاء القساوسة الذين يباركون ويمجدون الزور والمهان والقتل والخيانة من أجل القصور والتيجان والصولجانان ، وجبا فى مراع الدنيا ، وتلك الكنائس التى ينشدون فيها التسابيح من أجل الجريمة المتوحة . نعم ، فى تلك الكنائس . وفى هؤلاء القساوسة ما يكفى لرغزة أرسخ العقائد فى أعقق النفوس ، اذا لم يبصر الانسان السماء . فوى الكنيسة . ولم ير الله فوق القس !

وهنا ، أيها المواطنين ، على عتبة هذا القبر المفتوح ، وفى وسط هذا الجمع الخاشع الذى يحف حول هذه الحفرة ، قد حانت اللحظة التى ينسفى فيها أن نبدر حديثا جديا مهيبا حتى ينبت فى كل الضمائر .

أيها المواطنين ، فى اللحظة التى نمر بها ، وهى لحظة مشؤومة سوف تتذكرها الأجيال القادمة ، يسود أوروبا كلها مبدأ الحكم المطلق ، ذلك المبدأ القديم ، وينتصر كما يحلو له أن ينتصر . بالسيف والبلطة والحبل والنطع والمذابح والاعدام بالرصاص ، وضروب التعذيب . ويحتفل الاستبداد ، فى صورة الاله « مولوخ » (١) المحاط بعظام الموتى ، يحتفل بأسراره المخيفة ، فى وجه الشمس تحت سلطان الكهنوت الدموى ، من أمال هينو وبونابرت ، وراديتسكى . مشائق فى البحر ، مشائق فى لومبارديا ، مشائق فى سيسيليا وفى فرنسا ، الجيوتين والنفى . وفى أملاك البابا وحدها ، البابا المنقب « بملك الرقة » . أعدم منذ ثلاث سنوات ألفا وستمائة وأربعة وأربعين وطنيا ، وهذا رقم رسمى صحيح ، أعدموا شنقا أو رميا بالرصاص ، بالإضافة الى الكثيرين من الموتى الذين دفنوا أحياء فى السجون الضيقة المظلمة . وفى اللحظة التى أتحدث فيها ، تعج القارة ، كما كانت تعج فى أوشع عهود التاريخ بالمشائق والجثث . وفى اليوم الذى نعتزم فيه الثورة أن تتخذ علما من أكفان الضحايا كلها ،

(١) اله العمونيين ، كانوا يقدمون له الأطفال فى البار فرانا . ويعتل فى سورة

رحل له وجه نور - المترجم .

سوف يغطى ظل هذا العلم أوروبا كلها . هذا الدم ، كل هذا الدم الذى بسبيل غزيرا فى حداد من كل مكان ، دم ديموقراطى ، دمكم .

أيها المواطنين . فى وجود هذا الفيض من النذبيح والتفتيل . ومع هذه المحاكم المرذولة التى يجلس فيها قتلة فى توب القضاة ، وهذا العنصر المفجع الشرس الذى فازت به الرجعييات ، وكل هذه الجحش العريزه المقدسه ، أعلنها صريحة ، باسم المنفيين فى جرسى الذين فوصونى فى النحدث عنهم - وأضيف اليهم المنفيين الجمهوريين كلهم ، لمن يكذبى صوت واحد جمهورى حصبى موثوق بكلمته - أعلن أمام هذا التعش الذى يضم واحدا من المنفيين ، وهو نانى منفى نزل الى القبر منذ عشرة أيام أننا ، نحن المنفيين ، الضحايا ، نجسد ، فى اليوم القريب الذى لا مفر منه ، يوم الخاتمة النورية . بجحد كل ارادة ، وكل شعور ، وكل فكرة عن الأعمال السارية الدموية .

ولسوف يعاقب المذنبون كلهم بالتاكيد عقابا قاسيا . ولا بد من ذلك . ولكن لن يستقط منهم رأس واحد ، ولن تدنس قطرة دم واحده . او بقعه فى مشنقة ثوب جمهورية فبراير الطاهر . بل ان التقدم السورى سوف يحى رأس مجرم ديسمبر نفسه ، رغم بشاعته . وسوف يجعل النورة من هذا الرجل امتولة كبرى ، فتستبدل بوبه الامبراطورى الأروجوانى سترة المسجون **فريز الليمان** . كلا ، لن نرد على المشنقة بمشنقة أخرى . وسوف نرفض القانون القديم الأخرى قانون العن بالعين والسن بالسن ، فهذا القانون ، لنظام الحكم الملكى ، بعض من الزمان الماضى ، ونحن نترك الماضى . وعقوبة الاعدام التى ألغتها الجمهورية فى عام ١٨٤٨ بصورة باهرة ، وأعادها لوى بونايرت بصورة سنسعة . لم نزل ملغاة بالنسبة اليها ، **ملغاة الى الأبد** . ولقد حملنا معا فى المنفى أمانة التقدم المقدسة ، ولسوف نحملها معنا ثانية باخلاص الى فرنسا . وما نطلبه الى المستقبل . وما نريده من هذا المستقبل ، هو العدالة ، لا الانتقام . وكما أنه كان يكفى لأهل اسبرطة أن يشهدوا العبيد وهم سكارى من شرب النبيذ حتى يشمئزوا دواما من حفلات اللهو والعريضة ، فانه يكفيننا نحن الجمهوريين أن نشهد الملوك سكارى من سرب الدماء حتى تشمئز نفوسنا الى الأبد من آلات الاعدام .

نعم ، نعلنها ، ونشهد على ذلك هذا البحر الذى يربط جرسى بفرنسا ، وهذه الحقول ، وهذه الطبيعة الهادئة التى تحيط بنا ، وانجلترا الحرة التى تنصت ليها ، نعلن أن رجال الثورة سوف يعودون الى فرنسا رغم ما تقوله الافتراءات البونايرتية ، يعودون لا سفاحين وانما اخوانا !

وانا لتشهد على أقوالنا هذه السماء المقدسة التي تتألق فوق رؤوسنا .  
والتي لا تصب في أرواحنا الا أفكار الائتلاف والسلام ! ونستشهد بهذا  
الميث الرائد في هذه الحفرة ، والذي يتمم في كفته بصوت خفيض ،  
بينما أنا أتكلم . فبقول : نعم أيها الاخوان ، اطرّدوا الموت ! لقد قبلته  
لنفسى . ولكنى لا أريده لغيرى .

الجمهورية هي الاتحاد ، والوحدة . والتوافق ، والور . والعمل  
الذى يخلق الرفاهية ، ومحو المنازعات بين الناس وبين الأمم . ونهاية  
الاستغلال المناقى للإنسانية ، والغاء قانون الاعدام ، واقامة قانون الحياة .

أيها المواطنون ، هذه الفكرة موجودة في نفوسكم ، ولست الامعبر  
عنها . لقد انقضى عهد الضرورات الثورية الدموية الرهيبة . أما فيما يبقى  
لنا عمله . فان في قانون التقدم الوطيد ما يكفى . ثم لتهدأ نفوسنا ،  
فامامنا كفاح سوف يلازما في المعارك الكبيرة التي سنخوضها . معارك  
لا يمر ضرورتها الجلية من صفاء عقول المفكرين ، معارك سوف تكون  
فيها الطاقة الثورية ندا لنعصب المنكية . معارك سوف تصرع فيها القوة  
المتحدة مع الحق العنق المقرن بالاعتصاب ، معارك رائعة مجيدة حماسية  
حاسمة . لا ريب في نهايتها ، معارك ستكون ديموقراطية مثل معارك  
دولساك وهيبستنجز وأوسترلينز .

أيها المواطنون : لقد حان وقت القضاء على العالم القديم . لقد أذان  
القانون الالهى ضروب الاستبداد القديمة . فالزمن — هذا اللحاء المنحنى  
في الظلال — يتكفل بدفنها ، وكل يوم ينقض ، يفوس بها أكثر فأكثر  
في الفراغ والعدم . والله يلقي بالسنب على التيجان منلما نلقى التراب  
بالجاروف على النعوش .

والآن أيها الاخوان ، في لحظة الفراق ، عئينا أن نطلق صيحة  
النصر . صيحة اليقظة ، كما قلت لكم منذ شهر في مناسبة حفل بولندا ،  
انه يجب الحديث عن البعث فوق القبور . وأكرر لكم القول ان المستقبل.  
وهو مستقبل قريب بلا شك ، يعدنا بانتصار الرأى الاجتماعي . ولكنه  
يعدنا أيضا بأكثر من ذلك ، يعدنا في كل الأجواء ، وتحت كل الشمسوس ،  
وفي كل القارات . في أمريكا وهي أوروبا ، يعدنا بنهاية كل ضروب القهر  
والعبودية . وليس ما يلزمننا بعد المحن الشديدة التي عانيناها تحرير طبقة  
أو أخرى من الطبقات التي قاست طويلا ، أو الغاء امتياز ، أو تدعيم حق  
فحسب . فكل ذلك سوف نحظى به ، ولكنه لن يكفيننا . ان ما نريده  
وما سوف نحصل عليه بلا ريب ، وما أمل فيه من الآن أيها المواطنون  
ببريق الفرخ في أعماق هذه الليلة القاتمة في المنفى ، وما أطمح اليه ،

انما هو خلاص الشعوب كلها ونحرير الناس كلهم ! أيها الأصدقاء . ان  
آلامنا تازم الله ، فهو مدين لنا بنمناها . وهو صادق أمين يوفى بالدين .  
فليكن لنا ايمان قوى ، ولتنتجز تضحيتنا بحماس . أيها المقهورون من كل  
الأمم . مدموا حروكم . أيها البولنديون قدموا نعاستكم . أيها المجريون  
قدموا مسانقتكم . أيها الايطاليون قدموا صليبكم . أيها الاخوان الأبطال  
المنفيون فى « كايين » . وفى أفريقيا ، قدموا أغلالكم ، أيها المنفيون ،  
قدموا نفيكم وأنت أيها الشهيد ، قدم موتك هبة لحرية الجنس البشرى .

على قبر لويز جوليان  
جبانة سان جان  
٢٦ يولية ١٨٥٣

٢

أيها المواطنين ..

لأبنة نعوش في أربعة شهور . الموت معجل . والله يسلمنا الواحد  
بعد الآخر . ونحن يا الهى لا نهنك وانما نشكرك . نشكرك أيها الاله  
القدير الذى فتح لنا من جديد . بحس المنقبين أبواب الأبدية .

أما المخلوق العربر الميت الذى نأتى به الى القبر فى هذه المرة فانه  
سيمة .

ففى يوم ٢١ يناير الماضى قبض على امرأة فى دارها . قبض عليها  
السيد بودرو من مأمورى الشرطة فى باريس . وأرسلت المرأة - وكانت  
وفتند فى ريعان شبابها . فى الخامسة والثلاثين . ولكنها كسيحة -  
أرسلت الى مركز الشرطة وسجنت فى الزنزانة رقم ( ١ ) فى السجن  
المسمى سجن « الاختبار » هذه الزنزانة . وهى أشبه شئ بقفص مساحته  
من سبع الى ثمانى أقدام مربعة تقريبا ، لا هواء فيها ولا نور ، وصفتها  
السجينة التعسة بكلمة واحدة ، اذ سميتها «حجرة القبر» ، وقالت الكلمات  
الآتية . انبها بحدافيرها : « فى حجرة القبر هذه أمضيت أنا الكسيحة  
المقعدة واحدا وعشرين يوما ألصق شفتى من ساعة لأخرى على شبكة الناظفة  
لأستنشق الهواء الضرورى حتى لا أموت » . وفى نهاية اليوم الواحد  
والعشرين ، أى فى ١٤ فبراير ، أخرجت حكومة ديسمبر هذه المرأة من  
سجنها وطردها من البلاد . ألفت بها خارج السجن وخارج الوطن فى  
وقت واحد . وخرجت المنقبة من سجن الاختبار وفى جسهما جرائم  
السل . وغادرت فرنسا ودخلت بلجيكا . واضطرتها الفاقة الى السفر  
وهى سعمل وتبصق دما ، ورتناها عليلتان فى صميم الشتاء ، فى الشمال  
نحت المطر والثلج . فى تلك العربرات المكشوفة المخيفة التى تعتبر عارا  
على مشروعات السكك الحديدية الفنية . ووصلت الى أوستند . كانت

مطرودة من فرنسا ، فطردتها بلجيكا ، ومرت بانجلترا . وما كادت نترق  
فى لندن حتى لازمت الفراش . وأصبح المرض الذى أصيبت به فى السجن  
والذى استفحل خلال رحلة النفى الجبرية ينهددها بالخطر .

وبقيت المنعفة أو بالأحرى المحكوم عليها بالاعدام ، طريحة الفراش  
شهرين ونصف شهر . ثم قدمت الى جرسى وهى تطمح فى القليل من  
جو الربيع وأشعة الشمس . وما زلنا نذكر أننا رأيناها تصل ذات صباح  
بارد ممطر فى ضباب البحر . وهى بشهيق وترجف داخل توبها النيلي  
الرحيص المبتل . وانقضت بضعة أيام على يوم وصولها ، رفدت بعدها ،  
ولم ننهض أبدا .

لغد ماتت منذ ثلاثة أيام .

وتسألونى عن هذه المرأة وعما فعلته حتى تعامل هذه المعاملة .  
وهأنذا أحلهمكم عن ذلك .

استتهرت هذه المرأة فى صواحي باريس باسم لويز جوليان . وهو  
الاسم الذى عرفها به الشعب وحباها ، اشتهرت بالأغاني الوطنية والاحاديث  
المنطقية الودية . والأعمال الطبية الوطنية . استعلنت عاملة فتعهدت بالغذاء  
أما العليقة ، وتولت رعايتها والمحافظة عليها سنوات عنسرا . وفى أيام  
الصراع الأهلى ، كانت تضع الضمادات . وتركب عربات نفل المصابين .  
وهى عرجاء تجر قدميها ، وتسعف الجرحى من كل الأحزاب . كانت  
امراة الشعب هذه شاعره ، وعقلا مفكرا ، نترنم بمديح الجمهورية .  
وتحب الحزبية ، وتنادى فى حرارة بالمستقبل الأخرى لكل الأمم وكل  
الناس . ونؤمن بالله وبالشعب والتقدم ، وبفرنسا ، ونسكب حولها ،  
كالاناء . فى نفوس عامة الشعب ( البروليتاريا ) قلبها الكبير المغمم بالحب  
والايمان . هذا ما كانت تفعله هذه المرأة . لقد قتلها السيد بونايرت .

آه ، مثل هذا القبر ليس أحرص . انه مليء بالرفرات والتاوهمات  
والصبيحات .

أيها المواطنون ، ان الشعوب . فى اعتزازها الشرعى بحقها  
وسلطانها ، تشيد بالجرائيت والرخام عمائر مدوية ، وأسوارا فخمة ،  
ومناير جلييلة يتجدت من فوقها عباقرتهم . ونفيض من أعلاها بغزارة على  
النفوس ، كلمات بليغة مقدسة فى حب الوطن والندم والحرية . ونسجيل  
الشعوب أنه يكفيها أن تكون صاحبة سيادة لكى تكون منبعة لا تفهر ،  
وتعتقد أن قلاع الكلمة . والحصون المقدسة . هى حصون الذكاء البشرى  
والحضارة ، بقول : المنبر سى لا يمكن هدمه . ولكنها منخطئة . فهذه

المنابر يمكن قلبها . فمة خاش يانى . وجنود يقدمون ، وسرذمة من  
الصوص يتأمرؤن ، ويكشفون النقاب عن وجوههم ، ويضرمون النار ،  
فاذا الهيكمل المقدس فد سقط . وبعنر الحجر والرخام ، وانهار القصر  
والمبد الذى كانت الامة تتحدث فيه الى الدنيا . ويهلل الطاغية الدنس  
المنصر . ويصفى وبقول : انتهى الأمر . ولن يكلم أحد . ولن يرتفع  
صوب بعد الآن . ها قد ساد الهدوء .

أيها المواطنين ! لقد احطأ الطاعبه بدوره . فالله لا يريد الهدوء أن  
يسود . الله لا يريد أن يصمت الحربه . فالحرية صوت الله . أيها  
المواطنون . فى اللحظة السى بطر فيها الطغاه المنتصرون أنهم فد انزعوا  
الكلمه من الأفكار الى الأبد . يعبد الله الكلمة الى الأفكار . ويعبد بنا المنبر  
الذى نهدم . لا فى وسط الميدان العام . ولا بالرخام والجرانيت . فلا حاجة  
به الى ذلك . اما بينيه فى الوحدة . فى عشب الجبانة . بظل شجر  
السرو . بالرأبه المشنومة السى سكون من النعوش المخفية تحت سطح  
الارض . أتعلمون أيها المواطنون ما الذى يخرج من هذه الوحدة . وهذا  
العشيب . وهذا السرو . وهذه النعوش المدفونة ؟ نخرج منها صبحه  
الانسانية المؤلمة ، يخرج منها فضح الجريمة والاشهاد عليها . يخرج  
الاتهام القاسى الذى يمتقع له وجه المتهم الموج . يخرج احجاج الموتى  
القوى . يخرج صوب الانتقام . الصوت الذى لا يخمد ولا يسكت ! آه !  
لقد اسكت السيد بونابرت المنبر . حسن . والآن فليحاول أن يسكب  
صوب القمر !

لن يستطيع هو وأمتاله أن يفعلوا شيئاً طالما صدر نهد من القبر ،  
أو سوهدت دمعة بجرى فى العيون الجلبلة ، عيون الرحمة .

الرحمة ! ... خرج هذه الكلمة التى نطقت بها لغورى من أعماق  
جوارحى أمام هذا النعش . نعش امرأة . نعش أخت . نعش شهيدة .  
بولين رولان فى أفريقيا . لوير جوليان فى جيرسى ، فرانسيسكا مادير  
سباخ فى نيمسوار . بلانكا نيلكى فى ببشت ، وكثيرات غيرهن . روزالى  
جسوير . أوجينى حيمو . أوجسنتين بيان . بلانكا كلوار . جوزيفين  
برابى . اليزابيت بارلبه . مارى راينيل . كلودين هيردى ، آن سانجلا ،  
الأملة كومبيسك . أرمانين هودى . وكثيرات غيرهن أيضا . أخوات  
وأهبات وبنات وزوجات . متعبات ومعدات ومعذبات ومصلوبات ، إيه  
لكن أينها النساء ! نا نه من موضوع ملؤه الدهوع الغزيرة . والشفقة  
السى لا يمكن التعمر عنها ! منهن ضعيفات ومتألمات ومرضيات . منهن من  
انرعن من أسرهن وأزواجهن وآبائهن . منهن عجائز حطمهن كبن السن ،  
كل هؤلاء . بطلات ، بل وأبطالاً . آه ! ان فكرى ليفوص فى هذه اللحظة



فى هذا القبر ، ويلتم قدى هذه المينة الباردين فى نعشها ! ليست امرأة معينة بالذات هى التى أوقرها فى شخص لويز جوليان ، وانما المرأة عامه ! المرأة فى عصرنا ، المرأة الجديرة بأن نصبح مواطنه ، المرأة كما نراها حولنا ، هى كامل اخلاصها ورقتها وتضحيتها وجلالها ! ايسا الاصدقاء . سوف يكون دور المرأة كبيرا فى مستقبل الأيام ، فى تلك الجمهورية الاشتراكية الجميله الهادئة الرقيقة الاخوية ، جمهورية المستقبل . ولكن يا له من نهيده بديع لهذا الدور . ينتمل فى هؤلاء الشهيدات اللواتى فاسين المحى بمسل هذه الشجاعة ! ابيها الرجال المواطنين ، قلنا اكثر من مرة بفخار : أعلن العرس الثامس عشر حى الانسان . وسوف يعلن القرن الثامس عشر حى المرأة . ولكن يجب علينا ابيها المواطنين أن نعترف بأننا لم نسرع ابدا فى هذا الموضوع . لقد اسوقنا الكثر من الاعتبارات التى أسلم بأنها شديدة الأهمية . وأنها تطلبت الكثر من التمهيد . وفى هذه اللحظة التى أتحدث فيها . فى الوقت الذى أدركنا فيه التقدم ، نجد الكثر من أصحاب العقول الممتازة ، من بين أحسن الجمهوريين ، وأكر الديمقراطيين صدقا وصفاء . ما زالوا يترددون فى التسليم بمساواة النفس البشرية عند كل من الرجل والمرأة ، ومن ثم التسليم بالتشابه بينهما ، ان لم يكن التماثل التام ، فى الحقوق المدنية . ولنقل جهارا ابيها المواطنين ، انه طالما استمر الرخاء ، وطالما كانت الجمهورية قائمة . فان النساء اللواتى نسيناهن ، سوف ينسين أنفسهن . ويقتصرن على الاشعاع كالنور . وتدفئة الأرواح ، وترقيق القلوب ، وإيقاظ الحماسة ، واطهار الناس على الطيبة والعدل والعظمة والحق . ولم يكن يطمعن فى أكثر من ذلك ، وهن فى بعض اللحظات صورة الوطن الحى ، وكاننا استطاعتهن ان يصرن روح المدينة . ولكنهن ظندن روح الأسرة فحسب . ولكن فى ساعة المحنة ، نغير سلوكهن . ولم يعدن متواضعات . قلن فى ساعة المحنة : لا نعلم اذا كان لنا الحق فيما لكم من سلطة وحرية ومجد ، ولكننا نعلم أن لنا الحق فى تماسككم ، حق المرأة الذى نطالب به هو أن تقاسمكم المعاناة والكه والفاقة والكرب والتنازلات والسفى . والحمران من الماوى ، والجوع اذا افتقدتم الخبز . أوه يا اخوانى ، ها هن اللواتى يتبعننا فى الكفاح ، ويرافقننا فى المنفى ، ويسبقننا الى القبر !

أبيها المواطنين ، طالما أنكم أردتمونى أن أنكلم هذه المرة أيضا باسمكم ، وطالما أن تفويضكم قد أكسب صوتى القوة التى نفتقدتها الكلمة المنعزلة ، فان الصيحة الاخيرة التى أود أن أطلقها على قبر لويز جوليان ، مثلما فعلت منذ ثلاثة شهور على قبر جان بوسكيه ، هى صيحة الشجاعة والثورة والأمل !

نعم ، ان نعوشا حمل نعش هذه المرأة النبيلة الموجود ها هنا ، ننبىء  
بسقوط الجلادين عما قريب ، وانهييار الطفيان والظغاه انهيارا لا مفر منه .  
يموت المنفيون الواحد بعد الآخر ، ويحمر الحاكم المسبب قبرهم ، ولكن  
سوف يأتى اليوم الذى تجذب فيه الحفرة اليها اللحد وتبتلعه .

ايه لكم أيها الموتى الذين يحيطون بى ونسنعون الى ، اللعنة على  
لوى بونايرت ! يا أيها الموتى ، فمخسأ هذا الرجل ! ولن نكون هناك  
مشانق حين يأتى النصر ، وانما كفارة طويلة ومخزية لهذا التعس ! اللعنة  
بحت كل السماوات ، وفى كل الأجواء ، فى فرنسا والنمسا ولومبارديا  
وصقلية وروما وبولنند والمجر ، اللعنة على المعتدين على حقوق الانسان  
والقانون الالهى ! اللعنة على ممولى سفن تعذيب المساجين ، ومسيدي  
المشانق ، وهادمى الأسر ، ومعذبى الشعوب ! اللعنة على الذين ينفون  
الآباء والامهات والاطفال ! اللعنة على من يجلدون النساء بالسياط ! أيها  
المنفيون ، فليكن صارمين فى هذه المطالب المهيبة المقدسة فى سبيل الحق  
والانسانية . والجنس البترى فى حاجة الى هذه النصيحات الرهيبة .  
والضمير العالمى فى حاجة الى هذه الفورات من السخط من أجل الرحمة .  
مقت الجلادين عزاء للضحايا ، ولعن الظغاة مباركة للامم .

## الذكرى السنوية الثالثة والعشرون

### للتورة البولندية

٢٩ نوفمبر ١٨٥٣ فى جيرسى

## ٣

### اخوانى المنفيون . .

كل شئ يسر ويقدم ويقترّب ، وأقول لكم بمرحه عميقة ان بشائر  
الحدث العظيم قد بدأت بالفعل نجلى ونظهر للعيان . نعم ، افرحوا أيها  
المنفيون من جميع الأمم . أو بالأحرى من الأمة العظيمة الوحيدة . تلك  
الأمة التى ستكون أمة الجنس البشرى . وسمى الجمهورية العالمية .  
افرحوا ! فى العام الماضى لم تكن تستطيع أن تفعل شيئا أكثر من الدعاء  
بالأمل ، أما فى هذا العام ، ففى مقدورنا أن نلمس الحقيقة الواقعة .  
فى مثل هذا الوقت وهذا اليوم من العام الماضى . اكتفينا بالقول بأن  
الفكرة سوف تبعث ! أما هذا العام ففى مقدورنا أن نفعل : الفكرة تبث !  
كيف تبث ؟ وبأية صورة ؟ ومن يعيها ؟ هذا هو الشئ الذى لابد  
أن نجعل له .

أيها المواطنين ، فى أوروبا رجل ينقل عليها ، رجل هو فى شخص  
واحد أمير روحانى ، وسيد دنيوى ، وطاع ، وحاكم مطلق ، أمره مطاع  
فى المعسكر . ومقدس فى الدير ، صاحب الاوامر والعقائد ، يحرك فى  
سبيل سحق الحريات فى القارة امبراطورية تعدادها ستون مليوناً من  
الرجال . انه يفيض بيده على هؤلاء الملايين الستين ، لا باعتبارهم رجالا .  
وانما مخلوقات فظة ، ولا باعتبارهم أرواحا ، وانما آلات . وهو بصفته  
المزدوجة ، الكنسية والعسكرية ، يلبس أرواحهم وأبدانهم ثوبا موحد  
الزى . يقول : سبروا ! فيجب عليهم السير . ويقول : آمنوا ! فلا بد من  
الايان . هذا الرجل يسمونه فى السياسة « الحاكم المطلق » ، وفى الدين  
« الأرثوذكسى » . هو التعبير الاسمى للقدره البشرية المطلقة . يعذب  
كما يحلو له ، يعذب شعوبا بأسرها ، وما عليه الا أن يومئ ، فيفرغ  
بولندا فى سيبيريا . وهو يشبك ويخلط ويعقد كل خيوط المؤامرة الكبرى

التي يسجها الأمراء ضد الرجال . كان في روما ، فأعطى بصفته البابا اليوناني قبيلة التحالف للبابا اللاتيني . يفرض سلطانه في برلين وميونخ ودرسدن وستونجارت وفيينا كما يفرضه في سان بطرسبرج . هو روح امبراطور النمسا وارادة ملك بروسيا . ولم تعد ألمانيا القديمه سوى تابع له . انه شيء سببه بملك الملوك في قديم الزمان . انه «أجاهمون» في حرب طروادة التي يضرها رجال الزمان الماضي ضد رجال المستقبل . انه الخطر الوحش الذي يتهدد به الظل النور ، من الشمال الى الجنوب . حدثكم عن هذا الجبار صاحب السلطة المطلقة ، وسألخص لكم الحديد . في كلمة واحدة : هو امبراطور مل شارل كنت ، وبابا منل جريجورى السابع . يمسك بيديه صليبا يسهى بسيف وصولجانا ينتهى بسوط .

هذا الأمير ، هذا العاهل ، ما دامت الشعوب تسمح لبعض الرجال أن يتخذوا لأنفسهم هذا الاسم ، هذا الذي يسمونه نيقولا روسيا ، هو في الوقت الحاضر رجل الطغيان الحقيقي ، انه رأس الطغيان ، وليس لوى بونابرت الاقتاعه .

وفي هذه القضية المعقدة التي لها كل ما للأقدار من قوة واقتدار ، قضية « أوروبا الجمهورية » أو أوروبا « القوزاقية » ، يتجسد نيقولا روسيا أو أوروبا القوزاقية . نيقولا روسيا هو الوجه المضاد للثورة .

أيها المواطنون ، هنا يجب اعمال الفكر ، فالأشياء الضرورية نحدث دائما ، وانما بأية طريقة ؟ هذا هو الشيء العجيب . وانى أوجه أنظاركم اليه .

بدا أن نيقولا روسيا قد انتصر ، وسيطر الاستبداد - وهو نظام قديم أعيد بناؤه - سيطر على أوروبا من جديد بصورة أقوى في الظاهر من أى وقت مضى ، على أساس قتل عشر أهم ، وتوج بجرية بونابرت . وكانت فرنسا السى يسمها شكسبير شاعر الانكليز « جندى الله » مجندة ، مزوعة السلاح ، مقعدة بالأغلال ، مهزومة . كان يبدو أنه لم يبق سوى الاستمتاع بالنصر . غير أنه لم يكن للقياصرة منذ بطرس ، سوى فكرتين : الحكم المطلق ، والغزو . وحينما تحققت الفكرة الأولى ، فكر نيقولا فى الثانية . وكان الى جانبه طله . بل كدت أقول كان عند قدمه امبر مصغر ، امبراطورية تشيخ ، شعب ضعف بسبب التصاقه بالحضارة الأوروبية . وقال لنفسه : لقد حانت اللحظة . وبسط ذراعه نحو القسطنطينية . ومد مخله الى فرينسته . ونسى كل كرامة ، وكل حياة ، وكل احترام لنفسه ولغيره ، وأظهر فجأة لأوروبا أشد ألوان الطموح فجورا وعريا ، وألقى ذلك الجبار بحمله وثقله على حطام ، وانقض على

ما كان يسقط ، وقال لنفسه مسرورا . فلناخذ القسطنطينية ، انه لأم .  
ميسور . غير عادل ولكنه مفيد .

ماذا حدث أيها المواطنين ؟

بهض السلطان . .

لقد انخد يفولا بدهائه وعونه من اليأس ، تلك القوة العظيمة .  
خصما له . وكانت هناك الثورة ، تلك الصاعقة الخالدة . ولكن اسمعوا  
هذا . فانه شيء عظيم : لقد حدث أن هذا التركي - هذا الأمير الهريل  
العليل المتشف على الموت . هذا الشبح الذي كان يكفى القيصر أن يفتح  
فيه ، هذا السلطان الصغير الذى صفعه مينشيكوف وجلده جوريساكوف ،  
حدث أنه ، وقد مست مشاعره . وأهين . وفجع ، ونفذ صبره . ألقى  
بنفسه على الصاعقة فقبض عليها ، وهو الآن يمسك بها ويهزها فوق  
رأسه . وتغيرت الأوضاع . وما هو ذا نيقولا يرتجى ! وما هي العروش  
تتزعزع ، وما هم سفراء النمسا وبروسيا يرحسون القسطنطينية .  
وما هي الفرق البولندية والمجرية والايطالية سشكل ، وما هي رومانيا  
وترنيسيلفانيا والمجر ترتعد ، وبلاد الشركس نهض ، وبولندا ترتجف .  
ذلك لأن الشعوب كلها والملوك كلهم قد عرفوا ذلك التئ الساطع الذى  
يبرق ويضئ فى الشرق ، ويعلمون كل العلم أن ما يتلألا فى هذه اللحظة  
فى يد تركيا اليائسة ، ليس هو السيف القديم المنلوم . سيف عثمان .  
وانما هو يريق التورات الفاخر !

نعم ، أيها المواطنين . انها الثورة التى اجتازت الدايوب منذ هنيهة !  
وارتجفت منها أنهار الراين والتبير والشتول والسين .

أيها المنفيون ، المقاتلون فى كل الأزمان ، والشهداء فى كل  
الصراعات ، صفقوا بأيديكم لهذا الحدث الخطير الذى بدأ منذ قليل ولى  
يوقفه شيء الآن . وكل الأمم التى اعتقد الناس انها مانت ترفع فى هذه  
اللحظة رأسها . يقظة الشعوب . هي يقظة السبوع .

لقد اندلعت هذه الحرب بسبب جدت كانت الدنيا تريد مفانجه .  
أى جدت وأية مفاتيح ؟ هذا هو الأمر الذى يجهله الملوك كلهم . هذا  
القبر أيها المواطنين هو القبر الكبير الذى سجت فيه الجمهورية ،  
الجمهورية التى تقف فى الظلمات على أهبة الخروج . فى أية أيدي سوف  
تقع تلك المفاتيح التى ستفتح هذا القبر ؟ أيها الأصدقاء ، الملوك هم الذين  
يتخاطفونها ، ولكن الشعب هو الذى سيحصل عليها .

انتهى الأمر ، وأؤكد ذلك . ومنذ اليوم لن تسبتطح المفاوضات أو

المذكرات ، أو البرونوكولات ، أو الاذارات النهائية ، أو الهدنات ، أو دعاءات السلم نفسها أن تصنع شيئا في هذا الصدد ، فما جرى قد جرى . وما بدى فيه سوف يم . ولجأ السلطان في يأسه الى التورة ، والورة أمسكته . ولم يعد في معدوره اليوم أن ينخلص من العون الرهيب الذى بنفاه . لقد اراد ما ليس في طاقته . وحين يستنجد الانسان بأحد الملائكة ويتخذة معيناً له ، يحمله الملاك على أجنحته .

انه لامر مدعس ! وربما قدر للسلطان أن يعمل على انهيار العروس ( صوت يادى : بما فيها عرشه ) .

هذا العمل الذى يجبر السلطان على القيام به ، عمل اسناره الفيصر ! وسوف يكون فيصير هو المتسبب فى انهيار العروش الذى سيرتب عليه تألف « الشعوب المتحدة » ، ولا أقول انه هو الذى أراده . وسوف تكون أوروبا القورامية مصدرا ليزوغ أوروبا الجمهورية . الرجل السورى الأكبر فى أوروبا حاليا ، ايها المواطنون ، هو نيقولا روسيا .

الست محقا حين أقول لكم : تعجبوا من الكيفية التى تصرف بها العناية الربانية ؟

نعم ، ان العناية الالهية نسر بنا الى المستقبل فى طبات الظلام . انظروا واسمعوا ، ألا ترون أن الحركة الشاملة قد بدأت نصير هائلة ؟ عجيج الحكم المطلق المتشوم يمر كشبح فى دجى الليل . وصفوف المسائق نترنج فى الافق ، والجبانات التى نلمحها تظهر وتخفى ، ونهض الجفر السى نضم الشهداء . وكل سى يسرع فى دوامة الظلمات هذه . ويبدو أننا نسمع هذه الصيحة الفاعضة « مرحا مرحا ! الملوك يمضون سريعا ! » .

أيها المنفيون ، فلننتظر الساعة فسوف تدق عما قريب ، ولنتأهب . سوف تدق الساعة من أجل الأمم ، ومن أجلنا . عندئذ لن يتخاذل قلب . عندئذ نخرج نحن أيضا من هذا القبر الذى نسميه المنفى ، ونحرك كل الذكريات الدموية المقدسة . وفى أعماق الأعماق تنهض الحشود ضد الطغاة . وينتصر الحق والعدالة والتقدم . ان أكثر الأعلام جلالا ورهبة هو الكفن الذى حاول الملوك أن يدفنوا فيه الحرية .

أيها المواطنون ، انا نهتم من أعماق هذه المحنة التى ما زلنا فيها . ولنحى - وراء كل هذه الاضطرابات وكل هذه الحروب - لنحى الفجر المبارك ، فجر الولايات المتحدة الأوروبية ! أه ، سوف يكون هذا انجازا عظيما ! لن تكون هناك بعد ذلك حدود ، أو جمارك ، أو حروب ، أو جيسوش ، أو بروليتاريا ، أو جهل ، أو تعاسة . وسوف تلغى كل

الاستنالات الأثيمة . وممحي كل ضروب الاغتصاب ، وتتضاعف الثروة ، ويهتل العلم مشكلة الرخاء ، ويكون العمل والحق والواجب ، والوثام بين النعموب ، والحب بين الناس ، والعقاب وقد زال بفضل التربية والواجب ، والسيف وقد انكسر هو وكل سلاح ، والحقوق كلها وقد أعلنت وصيحت : حق الانسان فى السيادة ، وحق المرأة فى المساواة ، وحق الطفل فى النور ، ويصير الفكر هو المحرك الوحيد ، وتصير المادة هى الآلة المسخرة الوحيدة ، وتصير الحكومة نتاج تراكب قوانين المجتمع وقوانين الطبيعة ، أى لا تكون نمة حكومة خلاف حق الانسان - وهكذا أيتها المواطنين ستكون على ما يحتمل اوروبا الغد ، وهذه الصورة التى تجعلكم تهتزون طربا هى رسم مقتضب سريع . أيتها المنفيون ، لنبارك آباءنا فى قبورهم ، ولنبارك هذه النواريح المجيدة التى تسطع على هذه الجدران ، ولنبارك المسيرة المباركة التى تتخذها الأفكار . الماضى ينتمى الى الأمراء ، ويسمى « الهمة » ، أما المستقبل فينتمى الى الشعوب ، ويسمى « الانسان » !

## الى سكان جيرنسيي

يناير ١٨٥٤

١

صدر الحكم بالاعدام فى جزر بحر المانش . وتصلدى له .  
فيكتور هوجو .

ايا شعب جيرنسيي . .

هذا الذى يأتى اليكم هو واحد من المنفيين . .

منفى هو ، ذلك الذى يتحدث اليكم فى شأن انسان محكوم عليه .  
الرجل المنفى يمد يده للرجل الذى فى القبرة ، فلا تستهجنوه واستمعوا  
اليه .

فى يوم الثلاثاء ١٨ أكتوبر ١٨٥٣ ، فى جيرنسيي ، دخل رجل  
يدعى جون شارل تاينر ليلا فى منزل امرأة تدعى مدام سوجون وقتلها .  
ثم سرقتها وأشعل النار فى جنتها وفى المنزل بأمل أن تضيع معالم الجريمة  
الأولى فى دخان الثانية . ولكنه كان مخطئا ، فالجريمة لا تحابى أحدا .  
وأبى الحريق أن يخفى جريمة القتل . والعناية الالهية لا تخفى الجرائم ،  
ومن ثم سلمت القاتل .

وألقت الدعوى التى أقيمت ضد تاينر ضوءا بشعا على الكنبر من  
الجرائم الأخرى . فمئذ بعض الوقت ، أشعلت بعض الأيدي النار فى منازل  
مختلفة بالجزيرة ، ثم اختفت على الأثر . وتجمعت القرائن ضد تاينر ،  
وبدا على الراجح أن كل العرائق السابقة لابد أن تكون ذات صلة بالحريق  
الدموى الذى وقع فى ١٨ أكتوبر .

وحوكم الرجل ، حوكم بنزاهة وتمحيص بشرف قضائكم الحر  
العادل . وانقضت ثلاث عشرة جلسة استخدمت بروية فى فحص الوقائع  
وتكوين عقيدة القضاة . وفى ٣ يناير صدر الحكم بالإجماع . وفى الساعة  
التاسعة مساء ، انعقدت جلسة علنية مهيبه ، أعلن فيها رئيس قضائكم



الموقر ، عمدة جيرنسي ، بصوت مرتج مستغلق ، يرتجف بانفعال أحسده عليه ، أعلن للمتهم أنه بمقتضى « القانون الذى يقضى على القاتل بالاعدام » فعليه ، جون شارل نابنر أن يستعد للموت ، وأنه سوف يشقن فى يوم ٢٧ يناير القادم ، فى نفس مكان جريمته ، ويعدم فى الموضع الذى ارتكب فيه جريمة القتل .

وهكذا فهناك فى اللحظة التى تمر بنا ، بينكم وبيننا يا سكان هذه الجزر ، رجل يبصر بوضوح ساعته الأخيرة ، فى هذا المستقبل الملىء بالساعات المظلمة بالنسبة الى غيره من الناس . هناك فى هذه اللحظة التى نتنفس فيها بحرية ، ونذهب فيها ونجىء ، ونتكلم ونبتسم ، هناك على بعد خطوات منا - والقلب ينبض لدى هذه الفكرة - فى سجن ، على حصر حقير ، رجل تعس يرتجف ، يعيش وعينه مثبتة على يوم من أيام هذا الشهر ، يوم ٢٧ يناير ، يوم كالنسيج ، يتضخم ويتقرب . يوم ٢٧ يناير المحجوب عنا جميعا كغيره من الأيام التى تنتظرنا ، لا يظهر وجهه الا لهذا الرجل ، ذلك الوجه المشثوم ، وجه الموت .

يا أهالى جيرنسي . لقد حكم على نابنر بالاعدام ، بمقتضى النصوص القانونية ، وأدى قضاؤكم واجبه ، ووفى بالتزامه « حسب تعبير كبار القضاة ، ولكن كونوا على حذر ، فهذا هو قانون « العين بالعين » . قتلت ، فسوف تقتل . هذا عدل أمام القانون البشرى ، ولكنه شئء يخيف أمام القانون الالهى .

أيا شعب جيرنسي . ليس ثمة شئء صغير فى موضوع الحصانة البشرية . ان العالم المتحضر ليطالبكم بالحفاظ على حياة هذا الرجل .

من أكون ؟ لا شئء . ولكن هل من حاجة لأن يكون الانسان شيئا ما لكى يحق له أن يتوسل ؟ هل من الضرورى أن يكون الانسان عظيما لكى يلتمس العفو ؟ أيا رجال جزائر بحر المانش ، نحن المنفيين من فرنسا ، نعيش بينكم ونحبكم . اننا نشهد مراكبكم الشراعية وهى تمر عند الأفق فى أوقات الفسق ، خلال العواصف ؟ ونرسل اليكم بركاتنا وأدعيتنا . نحن اخوانكم ، نقدركم ونبجلكم ونقدس عندكم العمل ، والشجاعة ، والليالى التى تقضونها فى البحر لتوفير الغذاء للزوجة والأطفال ، وأيدى الملاح الخشنة ، وجبين الفلاح الذى لفحته الشمس ، نقدس فرنسا التى نحن أبناؤها ، وأنتم أحفادها ، وانجلترا التى أنتم مواطنوها ، ونحن ضيوفها .

اسمحوا لنا اذن أن توجه اليكم الخطاب ، ما دما جالسين فى عقر

داركم ، وأن نرد لكم ضيافكم بقلوبنا ، وأن نأسي من أجل كل ما يمكن أن يكدر بلكم اللطيف .

الغطاس ينزل الى أعماق البحر ليأتي بحفنة من الحصى . أما نحن الذين نقاسى ، والذين عانينا ، نحن المفكرين ، أو اذا شئتم الحالمين ، فاننا نعوص في أعماق الأنبياء ، ونحاول أن نلمس الله ، ونعود بحفنة من الحقائق .

واليكم أولى هذه الحقائق ، انك لن تقتل .  
هذا كلام مطلق ، قيل للقانون كما قيل للفرد .

**أيا أهالي جيرنسي ، اسمعوا هذا :**

هناك آلهة مخيفة ، مفعجة ، مقوطة ، وثنية . كانت هذه الآلهة تسمى عند العبريين « مولوخ » ، وعند الكلتيين « توفانيس » ، وتسمى الآن عقوبة الاعدام . أما قسيسه اليوم فهو الجلاد . وحل القتل و « الدرويد » في الغرب . وقد ملأت هذه الآلهة قضاة جزيرتكم الشرعي محل القتل المقدس . وقد ملأت هذه الآلهة قضاة جزيرتكم بالضحايا البشرية ، وتركت منها آثارا في كل مكان ، تلك الأحجار المفعجة وعليها صدا القرون وقد محا صدى الدماء ، نجدها نصف مطبورة في العشب على قمم تلالكم ، وعليها يصفر العوسج في ربح المساء . واليوم ، وفي هذه السنة ، يعود المعبود البشع ، فيظهر بينكم ، ويرعب فجر أيامكم ، وينذركم بطاعته ، ويدعوكم للحضور في يوم معلوم للاحتفال بطقوسه كما كان في الماضي ، ويطلبكم ، أنتم الذين قرأتم الانجيل ، وتنظرون الى الصليب المرفوع ، يطلبكم بضحية بشرية ! فهل تطيعونه ؟ هل تعودون من جديد وثنيين ، لساعتين ، في يوم ٢٧ يناير ١٨٥٤ ؟ وثنيين لنقتلوا رجلا ! وثنيين لننقذوا روحا ! وثنيين لتبتروا مصير مجرم بأن تقطعوا عنه فترة التوبة ! استفعلون ذلك ؟ أهذا هو التقدم ؟ أي حالة صرار اليها الناس اذا كانت التضحية البشرية ما زالت ممكنة ؟ أما زلت في جيرنسي تعبدون الصنم ، صنم الماضي القديم الذي يزهد النفوس في حضرة الاله الخلاق ؟ ما جدوى ازالة الصنم اذا استبدلت به المستنقة ؟

عجبا ! أمن العسير اذن تخفيف العقوبة ، ومنح المذنب فرصة للندم والصلاح ، واستبدال الفران الجميل بالتضحية البشرية ، وعدم قتل الانسان ؟ هل السفينة في خطر شديد حتى يصبح رجل واحد عبثا زائدا عليها ؟ هل اذن يثقل على المجتمع الانساني الى هذا الحد مجرم تائب ،

درجة أنه يتعين التعجيل بالقاء هذا المخلوق من على ظهر السفينة الى ظلام الهاوية ؟

ايا أهالى جيرنسى ! اليوم تتراجع عقوبة الاعدام فى كل مكان ، وتخسر أرضا لها كل يوم . انها ترحل أمام الشعور الانسانى . فى عام ١٨٣٠ ، طالب مجلس النواب الفرنسى ، بالهتاف الاجماعى ، بإلغاء هذه العقوبة . وقد ألفتها الجمعية التأسيسية فى فرانكفورت من القوانين فى عام ١٨٤٨ ، وألفتها الجمعية التأسيسية فى روما عام ١٨٤٩ ، ولم تبق عليها جمعيتنا التأسيسية فى باريس الا بأغلبية غير محسوسة . أقول أكثر من ذلك ان توسكانيا وهى كاثوليكية قد ألفتها ، وروسيا وهى همجية قد ألفتها ، وأوناهايتى المتوحشة قد ألفتها . ويبدو أن الظلمات نفسها لم نعد لها رغبة فيها . فهل ترغبون فيها ، أنتم يا أهالى هذا البلد الطيب ؟

فى أيديكم الغاء عقوبة الاعدام الغاء فعليا فى جيرنسى . فى أيديكم ألا « يشنق رجل حتى يموت » فى ٢٧ من يناير . فى أيديكم ألا يكون عندكم هذا الشهيد المخيف الذى سوف يترك لطفة سوداء على سمانكم الجميلة .

دستوركم الحر يضع فى متناولكم كل الوسائل الخليفة بانجاز هذا العبل الدينى المقدس . اجمعوا شملكم طبقا للقانون . حركوا الآراء والضمان حركة سلمية . فى مقدور الجزيرة كلها ، بل ومن واجبها أن تتدخل . على الزوجات أن يضغطن على الأزواج ، على الأبناء أن يرققوا قلوب الآباء ، وعلى الرجال أن يوقعوا على الطلبات والالتماسات . خاطبوا حكامكم وقضاتكم فى حدود القانون . طالبوا بوقف تنفيذ الحكم . طالبوا بتخفيف العقوبة وسوف تحصلون على ذلك . انهضوا ، أسرعوا ، لا تضيعوا ساعة ، لا تضيعوا لحظة . اجعلوا نصب أعينكم دائما هذا اليوم المشعوم ، يوم ٢٧ يناير . ولتنص الجزيرة كلها الدقائق كما يحضيتها هذا الرجل .

فكروا فى هذا جيدا ، ان الصوت الذى تسمعونونه الآن فى كل ساعاتكم الحائطية ، منذ أن صدر حكم الاعدام هذا ، هو خفقات قلب هذا التعس .

أمن الضرورى أن تكون هناك سابقة ؟ اليكم واحدة منها . فى عام ١٨٥١ ، قتل رجل فى جيرسى رجلا آخر . فثمة رجل يدعى جاك فوكيه أطلق رصاصة من بندقية على رجل يدعى ديربيشاير ، وصدر قرار هيئتى

التحكيم على التوالي بأن جاك فوكيه مذنب . وفى ٢٧ أغسطس حكمت عليه المحكمة بالاعدام . واضطربت مشاعر الجزيرة مع دنو موعد تنفيذ الحكم . وانعقد اجتماع كبير حضره ألف وستمائة شخص ، تحدث خلاله بعض الفرنسيين ، وصفق لهم شعب جيرسيى الكريم . ووقعت عريضة . وفى ٢٣ سبتمبر وصل قرار العفو عن فوكيه .

والآن ، ماذا حدث لفوكيه ؟ سأقول لكم ماذا حدث له .

فوكيه يعيش ، فوكيه يتندم (١) .

ما رد المشنقة على هذا ؟

يا أهالى جيرنسيى ، ما فعله جيرسيى ، تستطيع أن تفعله جيرنسيى .  
وما حصلت عليه جيرسيى سوف تحصل عليه جيرنسيى .

أيقال ان الاعدام يبدو عدلا فى هذه الجريمة التى ارتكبت فى ١٨ أكتوبر ، أما جريمة تابنر فانها شىء فظيع ؟ كلما ازدادت خطورة الجريمة كان من الواجب اطالة الوقت اللازم للندم .

عجبا ! امرأة قتلت ، قتلت بنداثة ، نعم بنداثة ! ومنزل نهب ، واغتصب ، وأحرق ، جريمة قتل ارتكبت . ويعتقد الناس أن حول هذا القتل قد جرت مجموعة أخرى من الأعمال الشريرة ، فجرى اعتداء ، لا بل الكثير من الاعتداءات التى تتطلب اصلاحا جديا طويلا ، ثم القصاص المصحوب بالتفكير ، وافتداء الشر بالتوبة والندم ، وركوع المجرم تحت وطأة الجريمة ، والمحكوم عليه تحت وطأة العقوبة ، وحياة بأسرها مفعمة بالألم والتظهير . ومع كل ذلك يصير كل شىء على ما يرام لمجرد أنه ذات صباح فى يوم محدد ، يوم الجمعة ٢٧ يناير ، ستدق مشنقة فى الأرض فى لحظات قلائل ، ثم يضغظ حبل على رقبة رجل ، وتفلت روح من جسده تعس ، مصحوبة بولولة المسكين الهالك !

يا لها من عدالة انسانية هزيلة مقتضبة !

(١) جاك فوكيه - تاكد لنا أن جاك فوكيه المحكوم عليه بالاعدام من قبل محكمة الملكية باعتباره مذنيا فى جريمة قتل فريدريك ديربيشاير ، والذي خفت صاحبة الجلالة عقوبته فاستبدل بها النفى المؤبد ، قد نقل منذ سعة اشهر من سجن ميلبانك الذى كان مقبما فيه الى دارتمور . وقد شفى تماما من العلة التى كان يشكو منها فى رقبته . وكان سلوكه فى ميلبانك باعثا لمحاكمة هذا السجن أن يعتقد أنه من الأرجح أن نخف عقوبته من جديد ، وينفى الى المتلكات الانجليزية .

( كرونك دوجيرسى ، فى ٧ يناير ١٨٥٤ ) .

آه ! نحن القرن التاسع عشر ، نحن الشعب الجديد ، الشعب المفكر . الرصين ، الحر ، الذكي ، المجد ، صاحب السيادة ، نحن أفضل أجيال البشرية ، عصر التقدم ، ، والفن ، والعلم ، والحب ، والأهل ، والأخوة ، والمشائخ ! ماذا تريدون منا يا آلات الموت البشعة . يا هياكل الفناء القبيحة ، يا أطياف الماضي : أنت يا من تمسك بيديك السكين المثلثة ، وأنت يا من تهز هيكلنا عظيما فى طرف جبل ، بأى حق تعودون للظهور فى ونسج النهار ، ونور الشمس . وفى قلب القرن التاسع عشر ، وصميم الحياة ؟ أنتم أشباح . أنتم متاع الليل فعودوا الى الليل . هل تخدم الظلمات النور ؟ انصرفوا . عندنا ما هو أفضل منكم ، لتهديب الانسان ، واصلاح المذنب ، وإفارة الضمير ، وانبات الندم فى هجة الجريمة ، عندنا الفكر ، والتعليم ، والتربية المتأنية ، والنسل الدينى ، والضياء العلوى . والتجربة السفلية ، والتقصف ، والعمل ، والرحمة . عجبا ! أفى مدينة السيادة . مركز الجنس البشرى ، مدينة ١٤ يولية ، و ١٠ اغسطس . المدينة التى يرقد فيها روسو وفولتير ، عاصمة النورات ، مهد الفكر ، نجد ميدان « جريف » (١) ، وبوابة سان جان ، و ( سجن ) لاروكيت ! ومع ذلك لا يكفى هذا التناقض الفظيح ، وقليل هو هذا المنطق المعكوس ، فلا بد اذن أن تنصب المشنقة ، وترتفع ، وتؤكد حقها ، وتسود ، هنا فى هذه الجزر ، بين الصخور والأشجار والأزهار ، فى ظل النمامم الكبيرة التى تأتى من القطب ! هنا فى عجيج الرياح ، فى هدير الأمواج الدائم ، فى وحدة الهاوية ، وجلال الطبيعة ! هيا ، انصرفوا ، اختفوا ! ماذا جئت تفعل ، أنت أيها الجيوتين ، فى قلب باريس ، وأنت أيها المشنقة ، فى وجه المحيط ؟

يا شعب الصيادين ، يا رجال البحر الشجعان الطيبين ، لا تتركوا هذا الرجل يموت . لا تلقوا ظل المشنقة على جزيرتكم الجميلة المباركة . لا تدخلوا فى مغامراتكم البحرية البطولية الخطرة عنصر الفجعية الغامض هذا . لا تقبلوا التضامن الرهيب الذى يتجلى فى تعدى القوة البشرية على القدرة الالهية . من ذا الذى عنده العلم والمعرفة ؟ من ذا الذى كشف اللغز ؟ هناك أسرار خفية فى أفعال الانسان ، مثل الدوامات فى اللجج . فكروا فى الأيام العاصفة ، وليالى الشتاء ، وفى القوى الخائفة الغامضة التى تسيطر عليكم فى بعض اللحظات . فكروا فى وعارة شساطء « سيرك » ، وفى أعماق « مانكييه » ، ورداءة صخور « بانير نوستير » . لا تنفخوا ريح القبر فى شراع مراكبكم . لا تنسوا أيها الملاحون ، لا تنسوا أيها الصيادون ، لا تنسوا أيها البحارة ، أنه ليس هناك سوى

(١) ميدان فى باريس ، كانت تنفذ فيه أحكام الاعدام فى الزمان الماضى - المترجم .

لوحه واحده بينكم وبين الأبدية ، وأنكم نحت رحمة الأمواج التى لا يبرف لها قرار ، والأقدار المجهولة ، وأنه قد توجد هناك ارادة فيما تحسبونه نزوة ، وأنكم تصارعون البحر والزمن بلا هوادة ، وأنكم أيها الناس الدين لا تعرفون إلا القليل جدا ، ولا حول لكم ولا قوة ، تواجهون دائما اللانهاية والمجهول .

المجهول واللانهاية ، هما القبر .

لا تفتحوا بأيديكم قبرا بين ظهرانيكم .

لعمرى ، ألا تقول لنا أصوات هذا المجهول شيئا ؟ ألا تحدثنا كل هذه الأسرار الغامضة بعضها عن البعض الآخر ؟ ألا يتطلب جلال المحيط قداسة القبر ؟

فى العاصفة ، وفى الزوبعة . وفى أوقات الاعتدال الشمسى ، حينما تهز نسائم الليل ذلك الرجل الميت المعلق على دعائم المشنقة ، ألا نجد هذا الهيكل البشرى شيئا مخيفا . وهو يلعن هذه الجزيرة وسط الفضاء الشاسع ؟

الم تفكروا وأنتم ترتجفون - والح عليكم أن تفعلوا ذلك - فى أن هذه الريح التى سوف تأتى وتلفح أدوات مراكبكم ، قد قابلت فى طريقها هذا الحبل ، وتلك الجنة ، وأن هذا الحبل وتلك الجنة قد تحدثا إليه ؟

لا ! لا اعدام بعد اليوم . لم نعد ، نحن رجال هذا الجيل العظيم نريد شيئا من ذلك . لا نريد تعذيبا للمذنب أو لغير المذنب . وأكرر القول بأن الجريمة يكفر عنها بالتندم لا بضربة من بلطة أو بحبل المشنقة ، وأن الدم يغسل بالدموع لا بالدم . لا ، لا تكلفوا الجلاد عملا بعد اليوم . وليكن هذا مائلا فى أذهانكم . وليتأمل ضمير القاضى الأمين المتدين فيما يتفق مع ضميرنا . وفضلا عن الاعتداء على حصانة الحياة البشرية ، ذلك الاعتداء الواقع على المجرم الذى يعلم ، والبطل الذى يعاقب بالقتل ، فإن أدوات الإعدام كلها قد ارتكبت جرائم . قانون الإعدام رجل شرير يلبس قناعك أيها العدالة ، يقتل ويذبح دون أن يناله عقاب . وتحمل أدوات الإعدام كلها أسماء الأبرياء والشهداء . لا ، لا نريد اعداما بعد الآن . والجويتين تسمى عندنا « ليزورك » (١) وعجلة التعذيب تسمى « كالاس » (٢) ، ونار الاحراق تسمى جان دارك ، وآلة التعذيب تسمى

(١) متهم ، اعدم فى فرنسا بالمجوتين ، ثم ثبتت براءته - المترجم .

(٢) أحد شعايا عجلة التعذيب الأبرياء - المترجم .

« كامبانيللا » ، والنطع يسمى « توماس مورس » ، والقتل باسم يسمى سقراط ، والصليب يسمى يسوع المسيح !

أوه ! إذا كان هناك شيء من الجلال في تعاليم الأخوة هذه ، ومبادئ الرحمة والحب هذه ، التي نصيح بها كل الأفواه التي تنادي بالدين ، وكل الأنسة التي تتشدد بالديموقراطية ، وكل أصوات انجيل العهد القديم وانجيل العهد الجديد وتشرها في جميع أركان العالم ، البعض باسم « الانسان الاله » ، والبعض الآخر باسم « الانسان الشعب » ، إذا كانت كل هذه المبادئ عادلة ، وهذه الآراء صادقة ، إذا كان الحي أخا للحي ، وحياة الانسان موقرة ، ولوحة خالدة ، وإذا كان الله هو وحده صاحب الحق في أن يسترد ما سبق أن كان له القدرة في اعطائه ، وإذا كانت الأم التي تحس بالطفل وهو ينحرك في أحشائها مخلوقا مباركا ، وكان المهدي شيئا مكرسا ، والقبر شيئا مقدسا ، إذا كان كل ذلك كذلك .  
فيا أهالي جزيرة جيرنسي ، لا تقتلوا هذا الرجل !

أقول : لا تقتلوه ، فاعلموا أنه إذا كان في الامكان الحيولة دون الموت ، فان ترك الانسان يموت يعني قتله .

لا تدهشوا من هذا الالاح في كلامي . أقول لكم ، دعوا المنفى يتشفع من أجل المحكوم عليه . لا تقولوا : ماذا يريد منا هذا الأجنبي ؟ لا تقولوا للمنفى : فيم تتدخل ؟ ليس هذا شأنك . اننى أتدخل في أمور التعس والشقاء ، وهذا حقى ، ما دمت أنا أقاسى . سوء الحظ يشفق على التعاسة ، والألم يحنو على اليأس .

ثم ألسنا نعاني ، أنا وهذا الرجل ، آلاما متشابهة ؟ ألا يمد كل منا ذراعيه نحو هذا الشيء الذي يفلت منا ؟ ألسنا نستدير ، نحن الاثنين صوب نورنا ، أنا المنفى صوب الوطن ، وهو المحكوم عليه صوب الحياة ؟ تم يتعين علينا أن نفكر في هذا الأمر - وهو أن ذلك المخلوق الذى بنفى ويصدر الاحكام أعمى ، شديد العمى ، وأن الظلمة على وجه الأرض كثيفة لدرجة أننا نضرب ، نحن منفيى فرنسا ، لأننا أديننا واجبنا ، مثلما يضرب هذا الرجل لأنه ارتكب الجريمة . فالعدالة والظلم يتعاونان فى داخل الظلمات .

ولكن لا أهمية لذلك ! فهذا القاتل لم يعد فى نظرى قاتلا ، ولم يعد مشعل الحرائق هذا مشعلا للحرائق ، ولم يعد هذا اللص لصا ، انه مخلوق يرتجف ، وسوف يموت بعد قليل . التعاسة تجعل منه أخا لى وأنا أدافع عنه .

وللمحنة التي نبلوها في بعض الأحيان ، الى جانب المعاناة ، منافع غير متوقعة . وقد تتخذ أحكام النفي ، اذا ما فسرت بالأشياء التي تفيد فيها ، معاني غير متوقعة ، ومواسية .

فاذا سمع صوني ، ولم يذهب هباء في هدير الأمواج والزواجع ، ولم يضع في الرياح العاصفة التي تفصل بين الجزيرتين ، واذا أنبتت بذور الرحمة التي ألقيتها الى ربح البحر في القلوب وأثمرت ، واذا كان لحدثي الغامض الذي يقوله المغلوب على أمره ذلك الشرف الرفيع ، شرف استناره الحركة الطيبة التي سوف تؤدي الى تخفيف العقوبة ، وتوبة المجرم ، واذا أتيت لي أنا المنفى الملقى به ها هنا ، الذي لا فائدة منه ، أن أضع نفسي في عرض مقبرة تفتح ، وأسد الطريق دون الموت ، وأنقذ رأس انسان ، لو كنت حبة الرمل الساقطة من يد الصدفة ، والتي تميل كفة الميزان ، وترجع كفة الحياة على الموت ، اذا كان نفيس مفيدا على هذا النحو ، اذا كان هو الهدف الغامض لم آقاس شيئا ، وأشكر الله وأحمده وأرفع يدي الى السماء . وفي هذه المناسبة التي تتفجر فيها الإرادة الربانية ، يكون النصر لك يا الهى اذ جعلت فرنسا تبارك جيرنسيي ، وجعلت الحضارة كلها تبارك هذا الشعب الذي يكاد يكون بدائيا ، والرجل الذي قتل يحمد الرجال الذين لا يقتلون أبدا ، والقاتل يحمد قانون الرحمة والحياة ، والرجل المنفى يبارك المنفى !

أيا أهالي جيرنسيي ، ليس من يخاطبكم في هذه اللحظة مجرد شخصي ، لست سوى البندرة التي حملتها ربح الشدائد في ليلة من الليالي . أقول لكم ان من يخاطبكم اليوم ، هو الحضارة بأسرها ، الحضارة التي نمد اليكم أيديها الموقرة . لو كان بيكاريا منفيا بينكم لقال لكم : عقوبة الاعدام كفر ، ولو عاش فرانكلين مقصيا في داركم لقال لكم : القانون الذي يعدم قانون مشثوم ، ولو عاش فيلانجيري لاجنا تحت سقفكم ، وفيكو منفيا ، وتيرجو مطرودا ، ومونتسكيو مطاردا لقالوا لكم : المشتقة ملعونة ، ولو طرق يسوع المسيح جزيرتكم هاربا من قيافا ( أو قايفي ) ( ١ ) لقال لكم : لا تضربوا بالسلاح ، ترى هل تردون بكلمة لا على مونتسكيو ، وتيرجو ، وفيكو ، وفيلانجيري ، وبيكاريا ، وفرانكلين وهم ينادونكم قائلين : الرحمة ! وعلى يسوع المسيح وهو يناديكم : الرحمة !

لا ، هذه الكلمة جواب الشر ، لا ! انها جواب العدم . الرجل الحر المؤمن انما يؤكد الحياة ، ويؤكد الشفقة والحنان والعفو ، ويؤيد الروح

( ١ ) رئيس كهنة اليهود ، أسد حكم الاعدام على يسوع المسيح - المترجم .



الاجتماعيه بسماحة القانون ، ولا يجيب بلا الا على الخزي والاستبداد  
والمسوت .

كامة أخيرة انتهى بها .

في هذه الساعة الحتمية من ساعات التاريخ التي تمر بنا - فهما  
عظم سان جيل من الأجيال ، ومهما كان جمال نجم من النجوم ، فلنكل  
من هؤلاء خسوف - في هذه اللحظة المشنومة التي نجتارها ، ليكن هناك  
على الأقل مكان على وجه الأرض يلوذ به ، وينجو من الفرق ، السعد الملتح  
بالقروح ، الملقى في وجه الروابع ، المقهور ، المكدود ، المحتضر . أيا جزر  
بحر المانش ، فلتكونوا الطوق الذي يلوذ به هذا العريق الجليل ! وفي  
الوقت الذي يتصادم فيه الشرق مع الغرب ارضاء لمزاج الأمراء ، ولا تعرض  
القارات على الأناظر في كل مكان شيئا غير الخديعة والعنف والمكر والطموح ،  
وفي حين تبسط الامبراطوريات الكبيرة الميول المنحطة ، عليكم أيتها البلاد  
الصغيرة أن تعطوا المثل العظيمة . أريحوا أنظار الجنس البشرى .

نعم . في هذه اللحظة التي تجرى فيها دماء الرجال كالجداول بسبب  
رجل واحد . في هذه اللحظة التي تشهد فيها أوروبا احتضار الأتراك  
البطولي تحت نعال قيصر ، ذلك المظفر الذي ينتظره الفصاص ، في هذه  
اللحظة التي تتصاعد فيها في كل مكان نيران الحرب التي أضرمتها نزوة  
امبراطور . ببشاعتها وجرائمها ، لنشهد هنا ، على الأقل ، في هذا الركن  
من العالم ، في هذه الجمهورية ، جمهورية البحارة والفلاحين ، هذا المنظر  
الجميل . منظر شعب يحطم المشنقة ! فلتكن الحرب في كل مكان ، وهنا  
السلم ! ولتكن الهمجية في كل مكان ، وهنا المدنية ! وليكن الموت في  
كل مكان ، ما دام الأمراء يريدون ذلك ، ولتكن هنا الحياة ! وبينما الملوك  
الذين أصابتهم لؤة يجعلون من أوروبا ملعبا يحل فيه الناس محل  
النمور . فيلتهم بعضهم بعضا ، فانا نهيب بشعب جيرنسي ، وهو مطوق  
بمصائب العالم وزوابع السماء ، أن يجعل صخرته ركيزة ومدبحا ، ركيزة  
للانسانية ، ومدبحا للاله !

جيرنسي . مارين تيراس ، ١٠ يناير ١٨٥٤ .

## الى لورد بالمرستون ووزير داخلية إنجلترا

٢

أنارت الرسالة السالفة مشاعر الناس في جزيرة جيرنسي ، وجرت ،  
مقابلات وقع الحاضرون فيها على التماس موجه للملكة ، ونشرت الصحف  
الانجليزية طلب فيكتور هوجو الخاص بالعمو عن تاينر وأيدت هذا الطلب .  
وكانت الحكومة الانجليزية قد وافقت ثلاث مرات متتالية على تأجيل تنفيذ  
الحكم . واعتقد الناس أن الحكم لن ينفذ . وفجأة سرت اشاعة بأن  
سفير فرنسا ، السيد فالفيسكي قد ذهب لمقابلة لورد بالمرستون . وبعد  
يومين أعدم تاينر . نفذ الاعدام في يوم ١٠ فبراير ، وفي يوم ١١ كتب  
فيكتور هوجو الى لورد بالمرستون الرسالة التي نطالعها فيما يلي :

سيدي ..

أضع تحت أنظاركم مجموعة من الوقائع التي جرت في جيرنسي .  
في السنوات الأخيرة .

فمنذ خمس عشرة سنة صدر الحكم باعدام القاتل « كاليو » ، ثم  
صدر العفو عنه . ومنذ ثماني سنوات ، صدر الحكم باعدام القاتل « نوداس  
نيكول » ثم صدر العفو عنه . ومنذ ثلاث سنوات ، عام ١٨٥١ صدر  
الحكم باعدام القاتل « جاك فوكيه » ثم صدر العفو عنه . وقد خففت  
عقوبة الاعدام بالنسبة الى كل هؤلاء المجرمين فاستبدل بها النفي . وكانت  
عريضة سكان الجزيرة كافية للحصول على قرارات العفو هذه .

أضيف الى ذلك انه اكتفى أيضا ، في عام ١٨٥١ . بنفي ادوارد  
كارلتون ، الذي قتل زوجته في ظروف شنيعة .

هذا ما حدث منذ خمس عشرة سنة في الجزيرة التي أكتب لكم .

منها .

وفى اعقاب كل هذه الاحداث ذات الدلالة الكبيرة ، محيت أختام  
المشنقة من فوق « مون باتيوليير فى ميناء سان هيليبه » القديم ، ولم يعد  
ثمة جلاذ فى جيرسىي .

ولنترك الآن جيرسىي و ننتقل الى جيرنسىي .

حكم بالإعدام على تابنر القاتل ومشمعل الحريق واللص . لقد اغيت  
عقوبة الاعدام يا سيدى فى الوقت الحاضر فى كل الضمائر الصحيحة  
السوية ، وفى الحقائق التى ذكرتها أنافا ما يكفى لاثبات ذلك اذا لزم  
الأمر . وعندهما حكم على تابنر بالإعدام ، ارنفعت صيحة ، وكثرت  
العرائض ، فنبها ما يستند بشدة الى مبدأ حصانة الحياة البشرية ، ووقع  
على هذه العرائض ستمائة من انبه سكان الجزيرة . وننوه هنا بأنه  
من بين المذاهب المسيحية العديدة التى تتقاسم سكان جيرسىي البالغ  
عددهم أربعون ألف نسمة ، لم يوقع على العرائض غير ثلاثة من  
القساوسة (١) . أما الآخرون فقد رفضوا جميعا التوقيع عليها . وأغلب  
الظن أن هؤلاء الرجال يجهلون أن الصليب هو مشنقة . صاح الشعب :  
العفو ! بينما صاح القس : الموت ! رثاؤنا للقس . ولنتقل الى غيره .  
سلمت العرائض اليك يا سيدى . ووافقت على تأجيل تنفيذ الحكم .  
والتأجيل فى مثل هذه القضية يعنى التخفيف . وتتنفس الجزيرة الصعداء ،  
فلن تقام المشنقة . لا ، المشنقة قائمة ، وتابنر أعدم !

ونفكر . ثم نتساءل : لماذا ؟

لماذا يرفض فى جيرنسىي الشئ الذى منح مرارا فى جيرسىي ؟ لماذا  
السماح فى جزيرة والقصاص العلنى فى جزيرة أخرى ؟ لماذا العفو هنا ،  
والجلاذ هناك ؟ لم هذه التفرقة حيث كانت المائلة ؟ ما معنى هذا التأجيل  
الذى انتهى الى تشديد ؟ أهناك سر غامض ؟ ماذا كانت فائدة التفكير ؟

هناك يا سيدى أشياء تقال ، أشيع عنها وجهى . لا ، ان ما يقال  
غير صحيح . عجباً ! ألا يستطيع صوت ، من أكثر الأصوات غموضاً ،  
صوت روجل منفى ، أن يلتمس العفو ، فى ركن مغفور فى أوروبا دون أن  
يسمعه السيد بونابرت ، ودون أن يتدخل السيد بونابرت ، ويقر النظام ؟  
عجباً ! السيد بونابرت الذى عنده جيوتين «بيل» ، وجيوتين «دارجينيان» ،  
وجيوتين «ونبيليه» لا يقنع بكل ذلك ، وبشتمه مشنقة فى جيرنسىي !  
عجباً ! أنتخى يا سيدى فى هذه القضية أن تعكر مزاج الرجل الذى ينقى

(١) السادة بيرس ، وكاربي ، وكوكبيرن .

الناس ، اذا أيدت رأى المنفى ، ومن ثم تجعل من المشنوق مرضاة له ،  
ومن المشنقة مجاملة له وتفعل ذلك من أجل « دعم الصداقه » ! لا ، لا ،  
لا ، لا أصدق ذلك ، ولا أستطيع أن أصدقك . لا أستطيع أن اسلم بهذه  
الفكرة ، مع أنها تبعت فى نفسى القشعريرة .

أمام الأمة البريطانية العظيمة الكريمة ، تتمتع ملكتكم بحق العفو ،  
كما يتمتع السيد بونايرت بحق الاعتراض ( الفينو ) ! وبينما هناك اله  
قدير فى السماء ، نجد سلطانا قديرا على الأرض ! لا !

على أنه لم يكن فى استطاعة صحف فرنسا أن تتحدث عن تابنر .  
وأنا أقرر الواقع ، ولكسى لا أستخلص منه شيئا . وعلى أية حال ، فقد  
أصدرت الأمر بأن « تأخذ العدالة مجراها » حسب ما ورد فى برقيتك .  
وانتهى كل شيء . وشنتك تابنر أمس العاشر من شهر فبراير ، بعد ثلاثة  
ناجيات ، وثلاث مراجعات . واليك يا سيدى النشرة الخاصة بذلك اليوم -  
مع ما لعله قد ورد بها من أحداث صحيحة لا أستطيع مع ذلك أن أصدقها .  
ولك فى هذه الحالة أن ترسل هذه النشرة الى قصر التويليرى . وليس  
فى هذه التفاصيل ما من شأنه أن يكدر امبراطورية ٢ ديسمبر التى سوف  
تبهج لهذا النصر . انها نسر بمشائق !

فهذه بضعة أيام ، كان المحكوم عليه مرتجف الأوصال . وفى يوم  
الاثنين ٦ فبراير سمع هذا الحديث بينه وبين زائر :

- كيف حالك ؟

- خائف من الموت أكثر من أى وقت مضى .

- أخائف أنت من عذاب الموت ؟

- لا ، ليس من ذلك . . . . ولكن من فراق أطفالى .

وجعل يبكى . ثم أردف قائلا :

- لم لا يتيحون لى الوقت للتوبة ؟

وفى الليلة الأخيرة طالع المزهور ٥١ عدة مرات . وبعد أن استلقى  
دقيقة على فراشه ، ركع على ركبتيه . واقترب منه أحد المساعدين وقال  
له : أنتسعر بحاجة الى الغفران ؟ فأجاب : نعم . واسترسل الشخص نفسه  
نائلا : لمن تصلى ؟ فقال المحكوم عليه : لأطفالى . ثم رفع رأسه ، ونسوهد  
وجبه غارفا فى الدهوع ، وبقي جاثيا على ركبنيه . وعندما سمع الساعة  
تدق الرابعة صباحا ، استندار وقال للحارس : أمامى أربع ساعات ، ولكن  
الى أين سنتذهب روحى ؟

وبدأت التجهيزات ، وأصلح من سنان الرجل كما يجب . ولم يكن جلاذ جيرنيسى يزاول حرفته الا فى القليل النادر . وقال المحكوم عليه بصوت خفيض لنائب العمدة : أيستطيع هذا الرجل أن يؤدى عمله جيدا ؟ فاجابه نائب العمدة : اطمئن . . . ودخل وكيل النيابة ومعه اليه المحكوم عايه يده ، وكان الصبح قد انبجج . ونظر الرجل من نافذة السجن التى صارت بيضاء وتمتم قائلا : اطفالي! وجعل يطالع كتابا بعنوان : « آمنوا وعيشوا » .

ومند ارتفاع النهار ، تجمع فى مجاورات السجن حشد كبير من الناس .

وكان بجانب السجن حديقة أقيمت فيها المشنقة . وفى الجدار ثغرة جعلت ليبر منها المحكوم عليه . وفى الساعة الثامنة صباحا ظهر الرجل عند الثغرة ، وكان الجمهور قد ملأ الشوارع المجاورة ، واحتل الحديقة مائتان من المتفرجين السعيدى الحظ . كان مرفوع الجبين ، ثابت الخطو ، ممتقع الوجه ، وحول عينيه دائرتان حمراوان من الأرق . لقد أضاف الشهر الذى مر به أخيرا عشرين سنة الى عمره ، وبدا ذلك الرجل الذى كان فى الثلاثين وكأنه فى الخمسين . ويقول شاهد عيان (١) : « كانت طاقة من القطن الأبيض غائرة فى رأسه ، ومرفوعة على جبينه ، ويرتدى الردنجوت البنى الذى كان يرتديه أثناء المحاكمة ، وفى قدميه خفان قديمان » . وجال بقسم من الحديقة على ممشى مغطى خصيصا بالرمل ، يحف حوله بعض المزارعين والعمدة ونائب العمدة ووكيل النيابة وكاتب المحكمة والجاويس . وكانت يده موثقتين بشكل ردىء كما سوف ترى . ومع ذلك فى حين كانت يده متقاطعتين تشدهما أربطة فوق الصدر ، كان ثمة حبل يشد المرفقين خلف الظهر ، حسب العادات الانجليزية . كان يسير وبصره عالق بالمشنقة، ويقول بصوت خفيض : آه، يا اطفالي المساكين ! والى جواره كان القس بوفيرى الذى رفض أن يوقع على طلب العفو ، يبكى . وكان المشى المنطى بالرهل يؤدى الى السلم ، وعقدة الحبل مدلاة . وصعد تابنر ، وكان الجلاذ يرتعد ، فالجلاذون يتأثرون أحيانا . ووقف تابنر بنفسه تحت الأئسوطه وأدخل فيها رقبته . ولما كانت يده غير مشدودتين كما ينبغي ، ورأى الجلاذ مرتبكا ، فانه جعل يساعده على أداء عمله . ويقول نفس الشاهد : واذ حدثه قلبه بما سوف يجرى بعد ذلك ، فانه قال للجلاذ : « اربط يدي جيدا » . فرد عليه هذا قائلا : « لا فائدة من ذلك » . وهكذا كان تابنر واقفا تحت الأئسوطه ، وقدماه فوق « الطبلية » ، فاسدل الجلاذ الطاقة على وجهه ، ولم يعد يظهر من هذا الوجه الشاحب سوى فم يصلى . وكانت

(١) اعدام ج . ك . تابنر ( طبع فى مكتب « ستار » بجيرنيسى ) .

مساحة الطبلية الهياة للانفتاح تحته حوالى قدمين مربعين . وبعد بضعة ثوان ، الزمن اللازم للاسندارة ، ضغط الرجل « منفذ أحكام الاعدام » لولب الطبلية . وانفتحت حفرة تحت المحكوم عليه ، سقط فيها فجأة ، وشد الحبل ، واستدار الجسم ، واعتقد الناس أن الرجل قد مات . ويقول الشاهد : « لظنا أن تابنر قد قضى للحال بانفصال النخاع الشوكى » . وسقط الرجل بكل ثقله من ارتفاع اربع أقدام ، وكان طويل القامة . ويضيف الشاهد قائلا : « ولم نستمر الراحة التى نزلت بالنفوس المكروية سوى دقيقتين » . وفجأة تحرك الرجل الذى لم يصبح جنه هامة بعد ، وانما كان شيئا شبيها بالأشباح ، وارتفعت ساقاه وانخفضتا ، الواحدة بعد الأخرى ، كأنهما تحاولان ارتفاع الدرجات فى الفضاء . وكان المنظر الذى يلمحه الانسان من الأمام شيئا رهيبا ، فاليدان شبه المفكوكتين تقربان احدهما من الأخرى « كما لو كانت نطبلان المعونة » كما يقول الشاهد . وانتطح رباط المرفقين عندما سقط الجسم . وراح الحبل يهتز مع هذه الحركات الشنجية . واصطدم مرفقا التعس بحافة الطبلية ، ونسبت يده بهذه الحافة ، واتكأت عليها الركبة اليمنى ، ونهض الجسم ، ودال المشنوق ناحية الجمهور المحتشد ، ثم سقط ثانية ، ثم جمل يميل مرتين ، كما يقول الشاهد . وفى المرة الثانية نهض لارتفاع قدم واحدة ، وراشى الحبل دقيقة واحدة . ثم رفع طافينه وأبصر الناس وجهه . واستفرقت هذه الحال على ما يبدو مدة طويلة ، وكان لابد من انائها . وصعد الجلاد ثانية بعد أن كان قد نزل ، ويقول فى ذلك شاهد العيان « وأخبر الحبل عن المحكوم عليه » . وكان الحبل قد انحرف عن موضعه ، وأصبح تحت الذقن ، فأعاده الجلاد تحت الأذن ، ثم ضغط على الكتفين (١) ، واصطرع الجلاد والسبح لحظة ، وتقلب الجلاد . ثم نزل الجلاد التعس ، فقد كان هو الآخر يقاسى كالمحكوم عليه ، نزل فى الحفرة التى كان تابنر معلقا فيها ، وضغط على ركبتيه ، ثم تعلق من قدميه . وتراجع الحبل لحظة حادلا المحكوم عليه والجلاد ، الجريمة والقانون . وأخيرا تخلى الجلاد عن قبضته وانتهى الأمر ، ومات الرجل .

وهكذا ترى يا سيدي أن الأمور سارت على ما يرام ، وكان العمل كاهلا . وإذا كان الماد انطلاق صحيحة فزع فقد تم المراد . ولما كانت المدينة مشيدة على شكل مدرج دائرى فقد روى هذا المشهد من كل النوافذ ، واتجهت الأنظار كلها الى الحديقة .

وصاح الجرح الحاشد : يا للعار ! يا للعار ! وسقط بعض النسوة فائتدات الوعى .

(١) صحيفة جازيب دو جبرنسى ، ١١ فبراير .

وفى هذه الأثناء ، كان فوكيه الذى أعفى عنه فى عام ١٨٥١ بنوب .  
لقد جعل الجلاد من تابنر جثة هامدة ، أما الرحمه فقد أصلحت من شأن  
فوكيه وجعلت منه انسانا .

•• امر أخير ••

بين اللحظة اللى سقط فيها تابنر فى حفرة المشنقة واللحظة اللى  
نخلى فيها الجلاد عن قدميه حينما لم يعد يحس بأية رجفة ، انقضت اثنتا  
عشرة دقيقة • ولنحسب مقدار هذا الزمن ، اذا عرفنا الساعه التى يمكن  
أن تحسب بها دقائق الاحتضار !

هالك با سيدى الكيفه التى مات بها تابنر •

• وقد تكلف هذا الاعدام خمسين ألف فرنك وانه لبذخ شديد (١) •

ويقول بعض اصغار عقوبة الاعدام انه كان فى الامكان تنفيذ عملية  
الخنق هذه بخمسة وعشرين جنيها استرلينيا • ولكن لم التقتير ؟ خمسون  
ألف فرنك ؟ ليس هذا بالشئ الغالى • وهناك الكثير من التفاصيل فى  
هذا الموضوع •

ان الانسان ليشهد فى لندن فى فصل الشتاء جماعات من المخلوقات  
قابعة فى زوايا الشوارع وأركان الأبواب ، تقضى على هذا النحو الليالى  
والأيام ، مبتلة ، جائعة ، مثلجة ، بلا مأوى أو ملابس أو أحذية ، تحت  
المطر والصقيع • ومعظم هذه المخلوقات ، سيوخا وأطفالا ونساء ، من  
الايرلنديين ، ملك يا سيدى • وهم يواجهون الشتاء بالشارع ، ويواجهون  
التلج بالعرى ، ويواجهون الجوع بأكوام الزبالة الموجودة بالقرب منهم ،  
ومن ألوان الفاقة والبؤس هذه تستخلص الخزنة الخمسين ألف فرنك  
لتدفعها للجلاد روكس • بهذا المبلغ يمكن اعالة مائة أسرة من هذه الأسر  
سنة واحدة • ولكن الأفضل قتل انسان •

ويبدو أن أولئك الذين يعتقدون أن الجلاد روكس لم يحسن أداء  
عمله قد أخطأوا التقدير ، فلم يكن اعدام تابنر الا شيئا بسيطا ، ويجب  
أن يجرى سنقه على هذا المنوال • فقد شنق أخيرا رجل يدعى « تاول »  
بيدى جلاذ لندن الذى تصفه رسالة تحت ناظرى بأنه « سيد الجلادين » ،

---

(١) كلف الجلاد « روكس » الخزنة حوالى ألفى جنيه استرلينى ( جازيت دوجيونسى  
فى ١١ فبراير ) ، ولم يكن روكس قد شنق أحدا من قبل ، وكان تابنر أول تجربة له ،  
ورجع آخر مسقه شهدها جبرسى الى أربع وعشرين سنة مضت ، وكانت فد أميب من  
أجل قاتل يدعى « بياس » أعدم فى ٣ نوفمبر ١٨٣٠ •

الذى اكتسب شهرة لا نظير لها فى حرفته التى لا يحسد عليها « حسن ،  
ان ما حدث لنا من حدث بالمثل لتناول (١) » .

ولعله من الخطأ القول انه لم تتخذ أية احتياطات بالنسبة لتأبير .  
ففى يوم الخميس ٩ منه ، قام بعض المتحمسين لعقوبة الاعدام بزيارة  
المشنقة التى كانت مجهزة فى الحديقة . ولما كانوا على المام بهذا الموضوع ،  
فقد لاحظوا أن « الجبل سميك كإبهام اليد ، والأثسوطه فى تخانة قبضة  
اليد » . وأخطر وكل النائب العام بذلك ، ومن ثم استبدل بالجبل  
السميك جبلا رفيعا . فم الشكوى ؟

لقد ظل تأبير ساعة فى المشنقة . ولما انقضت الساعة انتزع منها .  
وفى الساعة الثامنة مساء دفن فى الجبانة المعروفة . بجبانة الأجانب ،  
الى جوار بياس الذى أعدم فى عام ١٨٣٠ .

وهناك أيضا مخلوق آخر مقضى عليه بالهلاك ، تلك هى زوجة  
نابنر ، فقد أغشى عليها مرتين وهى تودعه . واستمرت الاغماء الثانية  
نصف الساعة ، وطن الناس أنها ماتت .

هاك يا سيدى ، مرة ثانية ، الكيفية التى مات بها تأبير . وثمة  
حقيقة لا أستطيع أن أصمت عنها دونك . ذلك أن الصحف المحلبة قد  
أجمعت على النقطة الآتية : انه لن يكون هناك اعدام بعد الآن فى هذا  
البلد ، ولن يحتمل انسان المشنقة بعد اليوم .

وتضيف صحيفة « كرونك دى جرسى » فى ١١ فبراير أن  
« اعدام كان أشد فظاعة من الجريمة » .

وانى لأرتاب فى أنك ربما قد ألغبت عقوبه الاعدام فى جرنيسى  
دون أن تقصد ذلك .

ثم انى أعرض ذلك على قريحتك هذه الفقرة من رسالة كتبها الى  
واحد من كبار أهالى الجزيرة اذ قال : « كان السخط على أشده ، ولو  
شعد الجمع ما جرى تحت المشنقة لحدث أمر خطير ، ولحاول بعضهم  
انقاذ ذلك الانسان الجارى تعذيبه » .

---

(١) « سعط العلبية ، واعتور الرجل النفس نشتجات عنيفة ، وارتمش جسمه  
كله وتلصص الذراعان والسامان ، ثم سقطنا ثم نعلصنا ثابته . ثم سقطنا ، ثم نفلصنا ،  
ولم يهدج الشوى الا بعد هذه المرة الثالثة » ( اعدام ناول . دار نور للطباعة -  
شارع شارلز ) .



وانى لأنقل لك هذه الصيحات المترددة المحتجة وأعهد اليك  
بأمرها .

ولتعد الى تابنر .

لغد نم ارضاء نظرية العدو . ولكن الفيلسوف هو وحده الحزين ،  
ويتساءل عما اذا كان هذا الشيء هو ما يسمونه العدالة « التي تتخذ  
مجراها » .

لايد من الاعتقاد بأن الفيلسوف مخطئ . كان الاعدام رهيبا ، ولكن  
الجريمة شنعاء . ولايد أن يدافع المجتمع عن نفسه ، أليس كذلك ؟ فماذا  
يحدث لنا اذا . . . الخ ، الخ ؟ فلن يكون هناك حدود لجرأة الأشرار .  
ولن يشهد الانسان سوى الآثام الشنيعة . وكماثن الشر . القصاص  
ضرورى . وأخيرا فهذا هو رأيك يا سدى ، أن أمتال نابنر يجب أن  
يشنقوا ، اللهم الا اذا كانوا أباطرة .

فلتكن مشيئة رجال الدولة !

المكرون والحالمون والعقول الغريبة الضاربة فى الأوهام التى تدرك  
الخير والشر لا تستطيع أن تسبر أغوار بعض جوانب مشكلة القدر دون  
أن ترتبك .

لماذا لم يقتل تابنر ثلاثمائة نفس بدلا من امرأة واحدة فقط ، فيضيم  
اليها بضع مئات من المجائز والأطفال ؟ لماذا لم يحنت بقسم بدلا من أن  
يحطم بابا ؟ لماذا لم يسرق خمسة وعشرين مليون شلن بدلا من بضعة  
تيلينات ؟ لماذا لم يضرب مدينة باريس برصاص المدافع الرشاشة بدلا من  
أن يحرق منزل سوجون ؟ اذا فعل هذا كان له سفير فى لندن .

غير أنه ربما كان من الأفضل التوصل الى تحديد النقطة التى لا يكون  
نابنر بعدها مجرما ، والتى يبدأ عندها شنيدر هانز فى أن يكون من  
رجال السياسة .

عجيباً يا سيدى ، انه لشيء رهيب . اننا نلقن أنا وأنت هذا العالم  
المتناهى الصغر . أما أنا فلست سوى رجل منفى ، وأما أنت فلست سوى  
وزير ، أنا رماد وأنت تراب ، الذرة تستطيع أن تتحدث الى الذرة .  
ويستطيع الناس أن يتبادلوا ذكر الحقائق من عدم الى عدم . حسن ،  
فلتعلم أنه مهما كان جلال سياستك الحالية ، ومهما كان المجد والفخر  
فى حلفك مع السيد بونايرت ، ومهما كان الشرف الذى تحظى به من وضع  
راسك بجانب رأسه فى القلنسوة التى يرتديها ، ومهما كانت يا سدى

اصصاراتكم المشركه فى المسأله التركيه رائعه ومدويه ، فان هذا الجبل الذى يتعقد حول رفيه اساس ، وتلك الطبلية التى نفسح نحت قدميه ، وهذا الأهل فى أن ينكسر عموده الفقرى وهو يسقط ، وهذا الوجه الذى يستجبل أزرق خلف نقاب المشنقة المجع ، وعيناه الداميتان اللتان تبرزان فحأة من محجرهما ، وهذا اللسان الذى يخرج من الحلق ، وتلك الحشرجة . حشرجة المكروب التى تخنقها عقدة الجبل ، وتلك الروح الذاهله التى برنطم فى الجمجمة فلا تستطيع الخروج ، ونلكم الركبتان المرتجفتان اللتان تبجتان عن نقطة ارتكاز ، واليدان الموثقتان الساكنتان اللتان تنضممان احدهما الى الأخرى ونطلبان النجدة ، وذلك الرجل الآخر ، رجل الأشباح الذى يشسب بساقى المشنوق التعس ويتعلق بجسده ، انه لشيء مرعب يا سيدى . ولو كانت الظنون التى استبعدها صادقة ، لو كان الرجل الذى تشبب بقدمى نابنر هو السيد بونايرت ، لكان ذلك أمرا فظيحا . غير انى أكرر العول انى لا أظن ذلك . انك لم تخضع لأى تأثير . قلت : فلنأخذ العدالة مجراها ، وأصدرت هذا الأمر مثل سواء من الأوامر ، والترنرة فى مسألة الإعدام شئ لا يمسهك الا قليلا . شنتق انسان ، كشرب كوب ماء ، انك لم تشهد خطورة العمل . استهتار من رجل السياسة ، لا أكر من ذلك . سيدى ، احتفظ برعونتك للأرض ، لا توجهها للأيدية . صدقتى . لا تلعب بتلك الأعماق ، لا تلق فيها شيئا من ذاتك . ان فى ذلك قلة بنصر . انى أقرب منك الى تلك الأعماق ، فانا أراها . فالرجل المنفى أسمه بالملت . وأنا أحدثك من داخل القبر .

آه ! لا أهمية لذلك ! رجل سمنق ، ثم ماذا ؟ خيط نلغه ، وهيكل نلغه . وجنة ندفنها ، أمر بسيط ، سنطلق المدافع ، قلبل من الدخان فى الشرق ، وتنتهى رواية القصة كلها . جيرنسى ، نابنر ، لابد من مجهر لرؤية هذين الشئيين . أيها السادة ، هذا الخيط ، وهذه الكتلة الخشبية ، وهذه الجنة ، وهذه المشنقة الشريرة الضئيلة التى لا يدركها الحس ، وهذا الشتاء ، هذا هو الفضاء الشاسع ، انها المسألة الاجتماعية . وهى أعلى قدرا من المسألة السياسية .

الأمر أكثر من ذلك ، انه الشئ الذى لم يعد من شئون الأرض . الشئ القليل الأهمية هو مدفعكم وسياستكم ودخانكم . أما الشئ الرهيب فهو أن يصبح القائل بين عشية وضحاها مقتولا . روح تطير وتحمل معها طرف جبل المشنقة ، شئ فظيع بين وجبتى عشاء . أيا رجال الدولة ، انكم ، بين حفلتين رسميتين ( بروتوكولين ) ، وبين بسمتين ، تضغطون بأصابعكم المغطاة بقفاز أبيض ، دون اكترات ، على لولب المشنقة ، فتسقط الطبلية تحت قدمى المشنوق . أتعلمون ما هي الطبلية ؟ انها الأيدية التى

نكشف . انها المجبول الذي لا سير أغواره ، انها الظلام الشاسع الذي  
ينفتح بعنه بصورة مفرعه تحت حجارة شانكم .

استمروا ، انه لتي ، طيب ، ولنشهد رجال العالم القديم وهم  
يعملون . وما دام الماضي يتشبت ببقائه ، فلننظر اليه . ولننظر على التوالي  
الى كل تلك الاسكال . الى الخازون في تونس ، والسوط عند قيصر ،  
وآلة الضغط على الجسم عند البابا . والجيوتين في فرنسا . والمشنقة في  
انجلترا ، وسوق العبيد في آسيا وامريكا . آه ، سوف يتلحن كل ذلك .  
نحن الفوضويين . والنظريين ، وضاربي الدماء (١) ، نعلنها لكم انتم  
المحافظين . ان حرية الانسان شي ، جليل ، ودكا ، الانسان مفدس . والحياة  
البشرية مقدسة ، والروح البشرية ربانية . هيا اشفقوا اذن !

ولكن حذار ! فالمستقبل يعترّب . نطنون الميت حيا . وتظنون الحي  
مينا . اقول لكم ان المجتمع القديم قائم ولكنه ميت . انتم منخطون . لقد  
وضعتم ايديكم في الظلمات على النسخ واتخذتموه خطية لكم . وتديرون  
ظهوركم للحياة . ولكن الحياة سوف ترتع من خلفكم عما قريب .

و نحن عندما نطلق بهذه الكلمات : التقدم ، الثورة ، الحرية .  
الانسانية ، تبسسون ايها التعساء ، وشيرون الى الليل الذي نحن فيه .  
وانتم فيه . اتعرفون حقا ما هو هذا الليل ؟ فلتعرفوه . فسوف تخرج  
منه عما فريب الافكار هائله مشرقة . الديمقراطية ، كانت بالامس  
فرنسا . وسوف تكون في الغد أوروبا . والنخسوف الحالي انما يجب  
نضخم النجم بصورة غامضة .

وأنا يا سيدي خادمكم ..

فيكتور هوغو

مارين نيراس ، في ١١ فبراير ١٨٥٤

---

(١) يعصد المؤلف بهذه الصفات ما يمنعه بها أعداؤه وأعداء الثورة - المترجم .

## الذكرى السنوية السادسة

ليوم ٢٤ فبراير ١٨٤٨

٣

أيها المواطنين ..

اليوم التاريخي ، فكرة نتخذ صورة رسم ، نصر يتكف وينهاور في رقم مضي ، ويشتمل أهد الآباد في ذاكرة الناس .

احفلنم منذ هنيهه بذكرى يوم ٢٤ فبراير ١٨٤٨ . ومجدم التاريخ ، فاسمحوا لي أن أدير وجهي صوب المستقبل . اسمحوا لي أن أستدير ناحية ذلك اليوم الذي لم يزل مجهولا ، وهو آخ ليوم ٢٤ فبراير ، والذي سوف يمنح اسمه للتورة القادمة ويكون نظبرا لها .

اسمحوا لي أن أرسل الى التاريخ المقبل كل ما في روجي من آمال . وليكن لهذا التاريخ ما كان لنظيره في الماضي من عظمة ، وليكن له قدر أكبر من السعادة !

وليكن الرجال الذين سوف يشرو لهم ( التاريخ المقبل ) حازمين ، أصفباء ، وليكونوا طيبين وعظماء . عادلين ، ناعين ، منصورين ، ولينالوا جزاء آخر خلاف النفي !

وليكن مصيرهم أفضل من مصيرنا !

أيها المواطنون ! ليكن التاريخ المقبل تاريخا حاسما ! ليكن استمرارا لعمل التاريخ الماضي . على أن ينجزه !

ليكن ، كيوم ٢٤ فبراير الماضي ، ساطعا ، وانما أخويا ، ليكن يوما حربنا ، يمضي قدما نحو الهدف ! لينظر الى أوروبا بالكيفية التي كان دانتون ينظر بها اليها !

وليقيم ، منلما فعل يوم ٢٤ فبراير بالغاء الملكية فى فرنسا . وانما عليه ان يلغيا أيضا فى العارة ( الأوروبية ) ! وعليه ألا يخيب فيه الآمال . ليستبدل القانون الانسانى فى كل مكان بالقانون الالهى ! وليناد فى القوميات : انهضى ، انهضى يا ايطاليا ، انهضى يا بولندا ، انهضى يا مجر ، انهضى يا المانيا ، انهضى أيتها الشعوب . من أجل الحرية ! وليضع فى فمه نغير المصباح . وليعلن عن انبلاج نور الفجر ! ولتدق أجراس الشعوب فى تلك الفترة الليلية التى ترقد فيها الأمم المخدرة بنوع من النعاس المستنوم .

آه ! اللحظة نتقدم ! قلت لكم من قبل ، أيها المواطنون . وأصر على أن أقولها لكم ، انه بمجرد أن تقع الاصطدامات الحاسمة ، بمجرد أن تتصل فرنسا مباشرة بروسيا والنمسا وتصارعهما جسدا لجسد ، وتبدأ الحرب العالمية الكبرى ، فانكم سوف تشهدون الثورة وهى نبوءة وسوف يكون من اختصاص الثورة أن تضرب ملوك القارة الأوروبية . الامبراطورية هى الغمد . والجمهورية هى السيف .

فلننتهف اذن للتاريخ المقبل ! لننتهف للثورة القادمة ! لترحب بذلك الصديق الغامض المسمى « بالغد » ! ليكن التاريخ المقبل باهرا ، ولتكن الثورة القادمة منيعة لا تقهر ! ولتنشأ الولايات المتحدة الأوروبية !

ولتكن مثل شهر فبراير . فتفتح المسنفل على مصراعيه ، وتغلق الى الأبد باب الماضى الكريه ! ولتصنع من كل السلاسل التى تقيد الشعوب قفلا لهذا الباب ! وليكن هذا القفل شديد الضخامة كما كان الارهاب ! لتكن مثل شهر فبراير فترفع الدعامة الثلاثية السامية : الحرية والاخاء والمساواة ، وتضعها على المذبح . على أن توقد فوق هذه الأثافية شعلة الانسانية الكبيرة بكيفية تنير بها الأرض كلها ! ولتبهز بها المفكرين ، وتغشى أبصار المسنبدين !

لتفعل منلما فعل شهر فبراير . فتقلب المقصلة السياسية التى أقامتها حركة بوناپرت فى شهر ديسمبر ، ولتقلب أيضا المقصلة الاجتماعية ! وعلينا أيها المواطنون ألا ننسى أن المقصلة الاجتماعية انما تعلق سكينها فوق رأس البروليتاريا . لا خبز فى الأسرة ، ولا نور فى العقل ، ومن ثم يكون الخطأ والسقوط والجريمة .

اقتربت ذات مساء ، على مشارف الليل ، من الجويتين الذى كان منذ قليل فى ميدان « جريف » . وكان هناك دعامتان تسندان السكين التى ما زالت دخناء . سألت الدعامة الأولى : ما اسمك ؟ أجابنى : الفاقة . وسألت الثانية : ما اسمك ؟ فأجابتنى : الجهل .

فلنقلع النورة القادمة والتاريخ المقبل هاتين الدعامين ، وتهدم هذه  
المفصلة !

ولنفعل كما فعل شهر فبراير ، فتؤكد حق الانسان ، ولنعلم أيضا  
حق المرأة ، وتقرر حق الطفل ، أى المساواة للأولى ، والتربية والتعليم  
للسانى !

لعمل كما فعل شهر فبراير ، فنلغى المصادرة والعنف ، فلا يجرد  
الانسان من ماله ، ويعطى المال كل انسان ، عليها ألا تكون ضد الأغنياء ،  
وانما مع الفقراء ! نعم ، فلنصنع الرخاء المادى والعقل والخلقى ومنحه  
للدنيا بأسرها، وذلك بالاصلاح الاقتصادى الشاسع، واستيعاب حق العمل  
بصورة أفضل ، وأنظمة كبيرة للخصم والايمان ، بالبطالة وقد أصبحت  
مستحيله ، وبالغاء الجمارك وازالة الحدود ، بالمواصلات وقد ضوعفت  
عشر مرات ، بالغاء الجيوش الدائمة التى تكلف أوروبا أربعة مليارات فى  
السنة بالإضافة الى ما تتكلفه الحروب ، باستغلال التربة استغلالا كاملا ،  
وموازنة الاناج والاستهلاك على أفضل الوجوه ، والانتاج والاستهلاك هما  
نبض الشريان الاجتماعى ، بالمفايضة ، وهى نبض الحياة المتدفق . بالتورة  
التقديية ، وهى الرافعة القادرة على رفع كل ضروب الفاقة . وأخيرا بخلق  
نورات جديدة كل الجودة ، على نطاق هائل ، ثروات يلحظها العلم منذ  
الآن ويؤكدها .

ولتسحق كل الأنظمة القديية المخزية ، وتهشمها وتمحها . تلك  
هى رسالتها السياسية . ولكن عليها أيضا أن تدفع الى الأمام رسالتها  
الاجتماعية . لتقدم خبزا للعمال ! ولتحفظ النفوس الصغيرة من التعليم  
- كلاله أخطات - وانما أقصد أن تحفظها من التسمم الجزويى والكهتوتى ،  
فعليها أن تبني التعليم المجانى والالزامى على أساس ضخم ! أنعلمون  
أيها المواطنون ما يلزم الحضارة حتى نصبح توافقا وانسجاما ؟ يلزمها  
مصانع ومصانع ، ومدارس ومدارس ! المصنع والمدرسة هما المعمل المزدوج  
الذى تخرج منه الحياة المزدوجة ، حياة الجسد وحياة الفكر . ولا تكون  
عناك بعد ذلك أفواه جائعة ، ولا عقول مظلمة ! ولتخفف هاتان العبارتان  
المخزيتان ، المتداولتان ، والجاريتان تقريبا مجرى الأمثال ، واللذان نطقنا  
كلنا بهما فى حياتنا أكثر من مرة ، وهما : « هذا الرجل لا يملك  
ما يأكله » ، و « هذا الرجل لا يعرف القراءة » . لتخفف هاتان العبارتان  
اللذان هما مظهران من مظاهر التعس القديم الأزل .

وأخيرا فليخطط التاريخ المعبل العظيم ، أى الثورة المقبلة . على غرار  
يوم ٢٤ فبراير . فى كل الاتجاهات خطوات الى الأمام ، ولا يخط خطوة

واحدة الى الوراء ! عليه ألا يتقاعد قبل أن ينهى من سعيه ! ولكن كلمته الأخيرة : الانتخاب العام . والرحاء العام . والسلم العام . والمعرفة العامة !

وعندما يسألنا بعضهم عما نقصده بكلمه « جمهورية علمية » نجيب بأننا نقصد ما ذكرناه . فمن ينمى ذلك ؟ ( صحيفة اجتماعيه : الجميع ) .

والآن أيها الأصدفاء . هذا التاريخ الذى أناديه . التاريخ الذى اذا انضم الى يوم ٢٤ فبراير ١٨٤٨ العظيم . و ٢٢ سبتمبر ١٧٩٢ الهائل . يشكل شيئاً شبيهاً بسنت السورة النارى . هذا التاريخ السالب . التاريخ الأعظم . منى يانى " مى يظور . فى آية سنه وأى شهر وأى يوم ؟ بأى رقم يتكون ، فى سلسلة الأعداد المظلمة ؟ هل هى بعيدة ما أم قريبة . تلك الأرقام التى لم نزل غامضه والنسى ننسى الى نور رائع ؟ أيها المواطنون . هذه الأرقام مكتوبه فى صفحه من صفحات السارىخ . مكتوبة بالفعل فى الآونة الحاضرة ، فى هذه الساعة التى أنحدث فيها . ولكن تلك الصفحة لم تطوها اصبح الاله بعد . نحن لا نعلم عنها شيئاً ، ولكننا نأمل ونتنتظر . وكل ما نستطيع أن نقوله ونردده انه يبدو لنا أن ساعة التحرير تقترب .

نحن لا نميز الرقم . ولكننا نرى الاسعاع .

أيها المنفيون ! ارفعوا جباهكم حتى بضئها هذه الأشعة !

ارفعوا جباهكم حتى اذا ما ساءل الشعب قائلاً : ما الذى يبص بهذه الصورة جبين هؤلاء الرجال ؟ أمكن اجابتهم : هذا ضياء النورة القادمة !

لندفع جباهنا ، نحن المنفيين ، ونحن المستقبل كما فعلنا كثيراً من قبل بإيماننا الورع .

للمستقبل أسماء كثيرة .

اسمه المستحيل عند الضعفاء ، والمجهول عند المخبولين ، والمثل الأعلى عند المفكرين والشجعان .

المستحيل ! المجهول !

لعمرى ، لن يصيب الانسان سقاء بعد الآن ؟ ألن يكون بغاء بين النساء ، وجهل بين الأطفال ؟ هذا هو المستحيل !

عجبا ! الولايات المتحدة الأوروبية . كل ولاية فيها حرة ذات سيادة ، تحركها وتربط بينها جمعية مركزية ، تتصل عبر البحار بالولايات المتحدة الأمريكية ؟ هذا هو الشئ المجهول .

ماذا ! أ يكون ما أرادته عيسى المسيح هو المستقبل !

ماذا ! أ يكون ما صنعه واشنجنون هو المجهول !

ولكن يقال لنا : وفرة الانتقال ، وآلام الولادة ، وزوبعة الانتقال من العالم القديم الى العالم الجديد ! قارة تتحول ! قارة تتناسخ ! أنتصرون هذا الشيء الرهيب ؟ ومقاومة العروش البائسة ، وغضب الطوائف ، وسخط الجيوش . الملك يدافع عن روانبه ، والقس يدافع عن ايراده الكنسى ، والقاضى يدافع عن مرتبه ، والمرايى يدافع عن قائمة حساباته ، والمسفل يدافع عن امتيازه ، يا لها من عصب ! يا لها من صراعات ، وأعاصير ، ومعارك ، وعقبات ! هيثوا عيونكم لسكب الدموع ، وشرايينكم لاراقة الدماء ! قفوا ، ارجعوا الى الوراء ! فليصمت الضعفاء والحجولون . أما المستقبل ، ذلك القضيبي الحديدي الأحمر ، فسوف نعضه بالنواجذ . وأما المجهول ، تلك الظلمات ، فسوف نفوض فيها ، وسوف نظفر بك ، أيها المثل الأعلى !

فلتحي ثورة المستقبل !



## نداء الى المواطنين العالميين

١٤ يونية ١٨٥٤

### ٤

أصبحت الضرورة الماحقة تفضي برفع الصوت وتنبيه النفوس الكريمة  
الوفية . وليتذكر من هم في داخل البلاد غيرهم من الموجودين خارجيا .  
ونحن المكافحين في المنفى ، محاطون بمحن بطولية لم يسمع بمنلها أحد .  
فالفلاح يعانى بعيدا عن حقله ، والعامل يعانى بعيدا عن مصنعه . لا عمل .  
ولا ثياب ، ولا أحذية . ولا خبز . ووسط كل هذا نساء وأطفال . نلك  
هى حالة جماعة من المنفيين . زملاؤنا لا يشكون . ولكننا نشكو من أجلهم .  
وقد أدى الطفاهة . وعلى رأسهم السيد بونايرت . ما يجب عليه أداءه .  
من زور وبهتان ، بمعونه الشرطة . وبالاذلال ، لمع وصول النجدة الى  
هؤلاء الصامدين المؤمنين بالديموقراطية والحرية . كانوا يأملون نرويضهم  
باجاعتهم . أوهم ! سوف يسقطون فى مكانهم . والى أن يأتى ذلك  
الأوان ، فالوفت يمر ، والأحوال تزداد سوءا . وما كان شفاء محسب .  
أصبح احتضارا . الفاقة ، والحنين الى الوطن ، والجوع . كل ذلك قضى  
على المنفى . لقد مات الكبرون الى الآن . ألا مناص من أن يموت الآخرون ؟  
أيا مواطني الجمهورية العالمية . نجدة الانسان الذى يقاسى هو أمر  
واجب ، ونجدة الانسان الذى يقاسى فى سبيل الانسان هو أكثر من  
واجب .

وأنتم جميعا ، يا من بعيتم فى أوطانكم ، ويا من تكون على الأقل  
هذين الشبثين اللذين يحفظان حياة الانسان : الخبز ، وهواء الوطن ،  
حولوا أبصاركم نحو هذه الأسرة . أسرة المنفى التى تناضل من أجل  
الجميع . والتى ترسم وسط الآلام والمحن صورة الأسرة الكبيرة ، أسرة  
الشعوب .

وليعط كل منكم ما يستطيع اعطاه . انا ندعو الاخوان الى نجدة  
اخواننا .

على قبر فيليكس بوني

٢٧ سبتمبر ١٨٥٤

٥

أيها المواطنين ..

هذا مواطن آخر حكم عليه بالموت نفيا ، ونفذت فيه العقوبة منذ قليل . انسان آخر يموت في ميعة الصبا ، مثل هيلان ، ويوسكيه ، ولويز جوليان ، وجافني ، وايزديبسكي ، وكوفيه ! انه فيليكس بوني الموجود في هذا النعش والذي يبلغ من العمر التاسعة والعشرين .

الشيء المؤلم أن الاطفال أيضا يسقطون ! وقبل أن نصل الى هذا العبر ، بوقت قليل ، نوقفنا أمام حفرة أخرى ، فتحت أخيرا مثل هذه الحفرة ، وأودعنا فيها ابن زميلنا في المنفى أوجين بوقيه ، وهو طفل مسكين مات بعد أن ولدته أمه ، مات للأسف ولم تكلم عيناه تكتحلان بنور الحياة .

وهكذا ففي المرحلة الاليمية التي نمر بنا ، ينطوى الفتى والطفل مختلطين في الظلام تحت أقدامنا .

كان فيليكس بوني جنديا ، وكابد ذلك القانون البشع ، فانون الدم الذي يسمونه « الخدمة العسكرية » والذي ينتزع الرجل من محرائه ويسلمه للسلاح .

كان عاملا ، اجتاز مع البطالة ، والمرض ، والعمل بالأجر الزهيد ، والاستغلال ، والمساومة ، والتطفل ، والتعاسة ، اجتياز دوائر جحيم البروليتاريا السبع . وهكذا نرون أن هذا الرجل الذي لم يزل في فجر العمر ، قد ألت به المحن من جميع الجهات ، ووجدته صروف الدهر قوى الشكيمة .

ومنذ ٢ ديسمبر أصبح منفيا . لماذا ؟ ولاية جريمة ؟

كانت جريمته جريمتي . أنا الذي أهدتكم ، وجريمتكم أنتم الذين تستمعون الى . كان جمهوريا في جمهورية ، يؤمن بأن من يؤدي قسسا لابد أن يفي بقسمه ، وأنه اذا كان الانسان أميرا ، أو يعتقد في نفسه أنه أمير ، فإن اعتقاده هذا لا يعفيه من أن يكون رجلا شريفا ، وأن على الجنود أن يطيعوا الدسائير ، وعلى القضاة أن يحترموا القوانين . كان عنده تلك الآراء الغربية ، ونهض ليؤيدها . وحمل السلاح كما حملناه للدفاع عن القوانين . وجعل من صدره درعا للدستور . قصارى القول انه أدى واجبه . ومن أجل ذلك نزلت به النازلة ، من أجل ذلك نفى ؟ من أجل ذلك « حكم بادانته » كما يقول القضاة الفاجرون الذين يصدرون الأحكام باسم المتهم لوى بونابرت .

مات . مات حنيننا الى الوطن ، مثل غيره الذين سبقوه الى هذا المكان ، مات من انحطاط القوى . مات بعيدا عن أمه العجوز ، بعيدا عن طفله الصغير . احضر ، فلاحضار يبدأ مع النفي ، وظل يحضر ثلاث سنوات ، ولم تلتن قناته ساعة واحدة . لقد عرفتموه كلكم ، ونذكرونه . آه ، انه كان نابت القواد شجاعا !

فليخلد الى الراحة في ذلك الهدوء القاسي ! وليجد على الأقل في هذا القبر تحقيقا رصينا لما كان يتخذنه ملا أعلى له في حياته . الموت هو الاخاء الأكبر .

أيها المنفيون ، طالما أن هذا الصديق قد مات حقا ، وأن هنا أيضا واحدا منا قد غاب عن الدنيا في نعشه ، فلنناد الحاضرين في صفوفنا ، ولنتكاتف أمام الموت كما يفعل الجنود أمام المدفع الرشاش . عذى لحظة البكاء كما هي لحظة الابتسام . هنا عيد الفصح الأكبر . فلنقو ضميرنا الجهمورى ، ولنفو ايماننا بالله وبالتقدم فى هذه الظلمات التى ربما تنزل فيها جميعا الواحد بعد الآخر قبل أن نرى ثأبية أرض الوطن العزيز . لنجلس جنبنا الى جنب مع موتانا فى هذا اللون من العشاء الربانى المقدس ، من أجل الشرف والاخلاص والتضحية . لنقم العشاء الربانى للقبر . وهكذا فان هواء المنفى يقتل الناس . الناس هنا يموتون ، ويموتون بكثرة واستمرار . والمنفى يكافح ، ويقاوم ، ويصمد ، ويجلس على شاطئ البحر ، وينظر ناحية فرنسا ، ويموت ويواصل غيره النضال بعده . غير أن فجوة المنفى قد بدأت تزدهم بجثث الموتى .

كل شىء حسن . وهذا ( يشير الى الحفرة ) يفتدى ذاك ( يمد الخطيب ذراعه ناحية فرنسا ) . وبينما هناك الكثير من الرجال الذين فى استطاعتهم اذا شاءوا أن يكونوا أقوياء ، ولكنهم مع ذلك يقبلون العبودية ، ويحتملون انتصار الغدر والخيانة ، والاتقال تطبق على أمتناهم .

انصبار دنى، وخضوع دنى، وبسما توغل الحشود فى العار، يمضى المنفيون داخل القبر، وكل هذا حسن.

آه يا أصدقائى، ما أسد الألم!

أه، أنا لتهيب على الأقل بالشعوب، فى انتظار اليوم الذى تنهض فيه، وسسحى، وتشمئز، نهيب بالشعوب الملقاة الآن على الأرض، بعضها مشدود الوباق، والبعض مخبول، فى حالة أسوء من غيرها، وشعوب أخرى راکمة ذللة، فحالها هى أيضاً أسوأ من غيرها، نهيب بهذه الشعوب أن ينظر الى ذلك الطابور الفخور من المنفيين وهم يعرون وجباههم شامخة فى الظلمات، يتوغلون ساكنين فى صحراء المنفى، ويمضون صوب المستقبل، وفى مقدمة طابورهم نعوش!

المستقبل، لقد واتتنى هذه الكلمة، فهل تعلمون لماذا؟ لأنها تصدر بصورة طبيعية عن الفكر فى هذا المكان الغامض الذى نحن فيه. ذلك لأن حافة القبر مكان مناسب ينظر الانسان منه الى المستقبل، ومن هذا المرفع يبصر الانسان بعيداً فى الأعماق الالهية، بعيداً فى الآفاق البشرية. اليوم، حبت الحرية والحقيقة والعدالة مشدودة الأيدي خلف الظهور، ضرب بالعصا، وبجلد فى الساحة العامة، الحرية يضربها الجنود، والحقيقة يضربها المساوسة، والعدالة يضربها القضاة، اليوم، والفكرة الآتية من عند الله، عذب، والله على أفق الانسانية، الله يجلد فى الساحة العامة، ولنا أن نقول، نعم نستطيع أن نقول انه يتعذب معنا وينزف الدماء، من حق الانسان اذن أن يسبر الجرح البشرى فى هذا المكان الذى ينتمى الى الشئون الأبدية. ثم ان الناس لا يزعمون القبر، وخاصة قبور الشهداء بالحديث عن الأمل، حسن! أقول لكم اننا نبصر الأمل بوضوح، وخاصة من أعلى هذا المحدر الجنائزى. وهناك فى كل مكان ضوء فى دجى الليل، ضوء فى اسبانيا، وضوء فى ايطاليا، ونور فى الشرق، يقول قصار النظر فى السباسة ان هذه الأضواء حريق، أما أنا فأقول انها الفجر!

هذا النور، نور الشرق الذى لم يزل بعد ضعيفاً، هو المجهول، السر الغامض، لا ترفعوا عنه ابصاركم ايها المنفيون لحظة واحدة، فعنده سوف يشرق المستقبل.

اتركونى، مع الوقار اللائق فى حفرة هذا المستمع الجنائزى (يشير الخطيب الى التعشى)، دعونى أتحدث اليكم عن الأحداث الجارية، والأحداث التى تتهبأ، أتحدث بحرية وصراحة، وبالكيفية الملائمة لأولئك الواقفين بالمستقبل لأنهم واقفون بالحقى. يقال لنا أحياناً، احترسوا فأحداثكم

حريثة أكر مما ينبغي . وينقصكم الحرس - وهل الحرس هو الشيء المطلوب في هذه الأونة ؟ إنما المطلوب هو الشجاعة . المجد . في ساعات النضال الشديده . لأصحاب الكلام الصادر دون احتراز ، والسيوف المسلولة من الأعماد .

وفضلا عن ذلك فالملوك مدربون . فاهدأوا بالا .

هناك حدثان في الموقف الحاضر . حلف ، وحرب .

الحلف ؟ أقر بأننا ننظر في هذه اللحظة دون حماسة الى تلك الألفة الظاهرية بين فونتينا وواترلو ، التي يبدو أنه قد خرج منها نوع من فرنسا الانجليزية . ونحن المتفرجين على هذا المشهد في صمت وبرود ، نترك الجوقة المتبدلة التي تنمع كل المواكب وتجمع على أبواب النجاح ، نتركها تغنى على جانبي المائش ، وتتراشق القصائد بين لندن وباريس ، هذا الحلف البديع الذي يفضله ينزله في ضوء الشمس جندي فانسين ( من فرنسا ) في صحبة جندي الحرس الانجليزي ، والبحار الفرنسي في صحبة البحار الانجليزي ، والمعطف الأزرق ( الذي كان يلبسه الفرنسيون ) في صحبة الرداء الأحمر ، وأيضا ، وبلا شك ، نابليون في صحبة « هلسون لو » (١) ، في الحلف .

إننا هادئون أمام هذا الأمر ، على ألا يخطئ أحد في فهم ما تفكر فيه . فنحن أهل فرنسا نحب أهل إنجلترا ، والخطوط الصفراء أو الخضراء التي تلتطخ بها الخرائط لا وجود لها عندنا . ونحن الجمهوريين الديموقراطيين الاشتراكيين نرفض إقامة الحواجز بين طائفة وأخرى ، كما نرفض الأحكام المسبقة من شعب عن شعب آخر والتي انبثقت من أحلك ظلمات البشرية القديمة العشواء . وأنا لنبجل بصفة خاصة تلك الأمة الانجليزية النبيلة الحرة التي تؤدي عملا رائعا في الجهد الحضاري المشترك ، ونعلم قيمة هذا الشعب الذي أنجب شكسبير وكرموويل ونيوتون ، وقد أقمنا في موطنه راضين ، دون أن نلتزم قبله بشيء ، فإنا نمضي فيه الى أبعد مما تحلم به كل الدبلوماسية ، فنحن لا نريد فقط الاتحاد بين فرنسا وإنجلترا ، وإنما نريد أيضا اتحاد أوروبا مع نفسها ، واتحاد أوروبا مع أمريكا ، واتحاد العالم مع العالم ! نحن أعداء الحرب . نحن المسخرين في سبيل الاخاء . نحن الذين نحرك النور والحياة . نحن تكافح الموت الذي يشيد أجهزة الاعداد ، والظلام الذي يرسم الحدود . وليس في مفهومنا منذ الآن سوى شعب واحد ، كما أنه لن يكون هناك

(١) جنرال انجليزي ، كان سجان نابليون في سانت هيلين - الترجمة

فى المستقبل سوى انسان واحد . اننا نريد النوافق التامل فى الاسعاع الشامل . ونحن كلنا الموحودين هما ، على اسعداد لبلد دماننا بسرور لكى نعمل بمقدار ساعه فدموم اليوم الذى سوف تعطى فيه قبلة السلام السامية بين الأمم .

لذلك ، فعلى اصصدقاء الحلف الانجليزى الفرنسى الا يخطنوا فى مدلول كلامى . وأؤكد ، أكثر من أى انسان آخر ، أننا نحن الجمهوريين نريد هذه الأحلاف . وأكرر القول ان السبب فى ذلك هو أن شعارنا الاتحاد بين التسعوب ، وبدرجة أكبر ، الوده بين البشر . ولكننا نريد هذه الاتحادات صابية ألفة عميقة خصه . نريدها أخلاقه حتى تكون حقيقه . وشريعه حتى تكون مسنديه ، نريدها فائمة على المصالح ذون سك . ولكننا نريدها قائمة أكثر من ذلك على كل أشكال الاخاء فى مجال التقدوم والحربه . نريدها أن تكون بنوع ما نتجه المسيرة الوديه فى النور ، خالبه من الاذلال من جهة . ومن التنازلات من جهة أخرى ، ومن المقاصد المسته من ناحية المنفبل ، ومن أسباح الماضى . ونجد أن الاحتقار بين الحكوماب . حتى ولو كان مستترا ، عنصر سبى من ناحية تعزيز الاحترام بين الأمم . قصارى القول اننا نريد أن تقوم على الواجبات المشرقة لهذه الأحلاف بين الشعوب تماثل من الرخام ، لا مخلوقات من طين .

نريد اتحادات جدیره بتوقيع ( الجنرال ) واشنجتون ، ولا نريد وتائق من جسد نحمل امضاء بونايرت .

أما الأحلاف التى نشهدها فى هذه الآونة ، فانا نعتقد أنها سيئة بالنسبة الى الطرفين . وبالنسبة الى الشعبين اللذين نعبج بهما ونحبهما ، والحكومتين اللتين لا نهتم بهما كثيرا . فهل يعلم أحد تمام العلم ما يراد عمله هنا ، وما سوف يعمل هناك ؟ نقول ان كلا من الطرفين فى الواقع يرئاب قلبلا فى الطرف الآخر . ولبسا مخطئين فى ذلك . نقول لهؤلاء ان لتتاجر دائما شئون النجارية . ونقول للآخرين ان الخيانة تكون دائما الى جانب الخائن .

أتفهمون الآن ؟

وكما أننا لا نكترت بالحلف الواهى . فان الحرب المعلقة تنبر اهتمامنا . نعم ، اننا ننظر بمزيج عجيب من الأمل والضيق الى المغامرة الأخيرة التى قامت بها الملكبات ، هذا العمل الطائش من أجل مفتاح تكلف حتى الآن الملايين من الذهب وآلاف الرجال . انها حرب مؤامرات أكثر منها حرب معارك ، نزيداد فيها بطولة الأتراك باطراد ، وتزداد فيها دولة

٢ ديسمبر حينما باطراد ، وتصير فيها النمسا روسية أكثر فأكثر ، حرب طاحنة ، لا ينطلق فيها المدفع ، يموت فيها جنودنا البواسل ، بناء المصنع والكوخ ، مائة تمسدة مع الأسف ، بل ولا تخرج من جنتهم البائسة هالة المعارك المفجعة ، حرب لا منتصر فيها غير الوباء ، حرب كان النفوس فيها هو الوحيد الذى استطاع أن ينتشر بياناته ، ولم يكن فيها معركة شبيهة بأوستر ليتز سوى معركة الكوليرا ، حرب حالكة ، سوداء ، مقلقة ، مقهقرة ، مهلكة ، غامضة ، لا يفهمها أولئك الذين صنعوها ، لأنها عامرة بالمشيئة الالهية ، لغز رهيب صنعه الملوك بصورة عشوائية ، لا يعرف سره الا النورة وحدهما .

وفى هذه الساعة التى تمر بنا ، واللحظة التى أتحدث فيها ، فى هذه اللحظة بالذات ، أيها المواطنون ، تم أحداث هذا الصراع الكئيب . ويبدو أن الفشل فى البلطيق قد وجد نظيرا له من العار فى البحر الأسود . ولما كانت شعوب مثل شعبي فرنسا وانجلترا لا يمكن بعد كل شيء أن تستمر دواما دون عواقب سيئة ذليلة فى جيوشها ، فانها نجازف بأبواب المشكلة ، وتقدم على هذه المحاولة . أيها المواطنون ، هذه الحرب التى أخفت سرها أمام كروتستات ، هل تكشف يا ترى عن نفسها أمام سيباستبول ؟ من الذى سيسقط ؟ لمن الحمد والشكر ؟ لا أحد يعرف ذلك حتى الآن . غير أنه مهما جرى أيها المنفيون ، مهما كانت الأحداث ، فان الطغيان هو الذى ينهار ، على رأس نيقولا ، أو على رأس بوناپرت . وأعيد ما قلته منذ عام ، انه عذاب أوروبا الذى ينتهى . أما الضربة الواقعة فى هذه الدقيقة بالذات فانها سوف تسقط حتما ، وفى زمن معين ، اما امبراطور سيبريا واما امبراطور « كايين » (١) ، بل سوف تسقط الاثنان معا ، ذلك لأن أيما من دعامتى مشنقة الشعوب هذه لا يمكن أن يسقط دون أن يجر معه الدعامة الأخرى .

ترى ماذا يفعل الطاغيتان فى أثناء ذلك ؟ انهما يبتسمان ، بذلك الهدوء المخيف الذى يتسم به الطغيان الانسانى الحثير ، يبتسمان للمستقبل الرهيب ! انهما يتأمان فى أتم سلطانهما المطلق المشوه البشع ، ولكنهما لا يمتعان بنزوة الامجاد الشخصية الكثبية ، أمجاد الحروب التى يفوز بها الأجراء بسهولة ، ولا يابهان لآلام الجموع المعدبة التى يقولان عنها انها جيوشهما . وفى حين يحتضر الألوف من الرجال ، من أجلهما ، ومن جرائدهما ، على النقلات ، وحصر الكوليرا ، وتحترق فارنا ، وترتفع

(١) أى امبراطور فرنسا - وكايين جزيرة فى المحيط الأملسى ، قاعدة جيانا الفرنسية ( أمريكا الجنوبية ) وكانت منفى ترسل اليه السلطات الفرنسية المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة - المترجم .

الأدخنة من أوديسا تحت طلقات المدافع ، وتحترق « كولا » في الشمال ، و « سولينا » في الجنوب ، وسحق « سبليسبرى » تحت كرات المدافع والقنابل ، وترد الأعمال الوحشية في « بورماسوند » على الأعمال الضارية في « سينوب » ، وتتفجر الأبراج ، وتشتعل السفن الحربية وتفترق ، وتفص « مستودعات الجنت » في المستنقعات الروسية بالجنت ، وفي المسيرات الاضطرابية في دوبروجا ، ونكات كوستينجى ، وفي حين تذوب فرو بأسرها وتتلشى في معسكر كارفاليك المفجع ، ماذا يفعل القيصران في هذه الأثناء ! يستمتع أحدهما بالنسيم العليل في قصره الصيفى ، ويستمتع الآخر بحمامات البحر في بياريتز .

• فلنمكر صفو هذه المسرات

أيتها الشعوب ، فوق التدبيرات والمؤامرات والاتفاقيات ، فوى الدبلوماسية والحروب ، فوق كل المسائل ، التركية واليونانية والروسية ، فوق كل ما تفعله الملكيات أو تحلم به ، تحلق الجرائم •

علينا ألا ندع الاحجاج التارى يسقط بمضى المدة ، وعلينا ألا نعيد عن الهدف العظيم • فى الامكان أن نقول فى كل زمان : « نبرون موجود » • يدعى البعض أن الأجيال تنسى • حسن ! من أجل قدسية الحق ، ومن أجل شرف الضمير الانسانى ، يطلب اليها الضحايا ، ويصبح بنا الشهداء من أعماق قبورهم أن ننعش الذكريات ، وأن نجعل من كل الذاكرات جروحا وقروحا دائمة •

أيتها الشعوب ، علينا ألا نمل من ترديد صحيفة الاتهام المنهدة ! فى هذه اللحظة ينتصر الحكام المستبدون والظغاة بالقارة الأوروبية • لقد أطلقوا المدافع الرشاشة فى باليرمو وبريشيا وبرلين وفيينا وباريس ، وأطلقوا على الناس الرصاص فى أفكونا وبولونيا وروما وأزاد وفانسين وشان دومارس ، وأقاموا المشنقة فى بيشت ، وآلة ضغط الجسم فى ميلانو ، والمتصلة فى بيللى ، وشحنوا الجسور العائمة ، وملأوا السجون الضيقة ، وحشدوا الناس فى الاستحكامات المسقوفة ، وفتحوا الجباب • لقد جعلوا الصحراء ليमानا ، واستعانوا بتبولسك وتلوجها ، ولامبيسا وحياتها ، وجزيرة « الأم » الصغيرة وتيفوسها ، وصادروا وهدموا وحبسوا وحجزوا وسلبوا وطردوا وأقصوا ونفوا • وعندما وضعوا أقدامهم على رقبة الانسانية ، وسمعوا حشرجتها الأخيرة ، قالوا فرحين : انتهى ! وهما هم الآن فى قاعة الوليمة ، ها هم هناك منتصرين ، ثملين ، قادرين على كل شيء ، التاج على رؤوسهم ، وأكاليل الغار على هاماتهم • تلك هى وليمة الزفاف الأكبر • ذلك هو اقتران النظام الملكى بالغدر ، والملكية بالاعتقال ،



والقانون الالهي باليمين الكاذبة ، وكل ما يسمونه جنيلًا بكل ما نسميه نحن مشينًا ، زواج فاجر وبشع ، ونحت أقدامهم تصدح الموسيقىات ، وكل ضروب الخيانة والندالة تتغنى بمدبح العروسين • نعم ، الطغاة ينتصرون ، نعم ، الطغاة يتألقون ، نعم ، هم وشرطتهم وشركاؤهم وحاشيتهم فخورون وسعداء وراضون ومفعمون وشبّاع وماجدون • ولكن ما شأن كل ذلك بالعدالة الأبدية ! أيها الأمم المقهورة ، الساعة تقترب - انظروا جيدا الى هذا الحفل ، القناديل والنريا مضاءة ، والموسيقى لا تكف عن العزف ، والرياض والذهب والماسات تتلألأ ، وجماعات الخدم فى أزيائهم الرسمية، أو تيابهم الكهنوتية ، أو أرديتهم الفضفاضة يركعون ، والأمراء فى ثيابهم الأرجوانية يضحكون ويتبادلون التهاني • ولكنى أقول لكم ان الساعة سوف تدق ، والظل يغشى القاعة • انظروا فى هذا الظل الهائل ، تروا التورة مغطاة بالجروح والقروح ، ولكنها حية ، مكمة ولكنها رهيبه ، تنتصب خلفهم ، وعيونها مثبتة عليكم أيها الشعوب ، تلوح بيديها الداميتين فوق رؤوسهم حفتين من الخرق البالية المنزوعة من أكفان الموتى !

## حرب الشرق

٢٩ نوفمبر ١٨٥٤

٦

أبها المنفيون ••

ان الذكرى السنوية المجيدة التي نحمل بها في هذه اللحظة (١) ،  
نعيد الى الأذهان ذكرى بولندا ، ويعيدها الموقف الأوروبي الى مجرى  
الأحداث • كيف ! سأحاول أن أقول لكم ذلك •

ولكن لنفحص الموقف أولا •

من المهم تحديده الوقائع بالنسبة الى النقطة التي استقر عندها الموقف ،  
الى جانب أمور حاسمة يجرى الإعداد لها •

ولنبداً بتصحيح خطأ يكاد يكون عاما •

فيغضل بعض الغمائم التي ألقتها الحكومة الفرنسية بدعاء على مصدر  
هذه القضية ، وكثفتها الحكومة الانجليزية من باب المجاملة ، ينسب الناس  
اليوم عادة ، في انجلترا وفرنسا ، حرب الشرق ، هذه الكارثة القارية ،  
الى الامبراطور نيقولا • ولكنهم مخطئون ، فحرب الشرق جريمة ، ولكنها  
ليست بالمرءة جريمة نيقولا ، فليس لنا أن ننسبها الى هذا الرجل المراء •  
ولنثبت الحقيقة • ثم نستخلص بالتالى النتيجة •

أيها المواطنين ، فى ٢ ديسمبر ١٨٥١ - ذلك لأنه يجب دائما الرجوع  
الى هذا التاريخ ، وطالما كان السيد بونايرت قائما فى مكانه ، فان الأحداث  
كلها سوف تخرج من هذا الينبوع الرهيب ، وكل الأحداث ، مهما كان  
شأنها ، والتي يجرى هذا السم فى عروقها ، سوف تكون سامة وتقرح  
سريريا - فى ٢ ديسمبر اذن ، فعل السيد بونايرت ما تعرفونه ، ارتكب  
جريمة ، وأقام من هذه الجريمة عرشا جلس عليه • وأعلن شنيدر هانز

(١) الثورة البولندية فى عام ١٨٣٠ •

نفسه قيصرًا • ولكن لابد لقيصر من « بطرس » ( البابا ) • وعندما يكون الانسان امبراطورا ، فان كلمة « نعم » التي يقولها الشعب ليست ذات أهمية ، وانما المهم هو كلمة « نعم » التي يقولها البابا • ولا يكفي أبدا أن يكون ( الامبراطور ) حائنا لليمين وخائنا وقائلا ، انما يجب أيضا أن يكرس • لقد كرس بونابرت الأكبر امبراطورا • وأراد بونابرت « الأصغر » أن يكون كذلك •

• تلك هي المسألة •

هل يوافق البابا على ذلك !

وبعث ياور للامبراطور ، يدعى « دوكوت » وهو من رجال الدين في ذلك الوقت ، الى « أنطونيلي » المعروفة حاليا باسم « كونسالفي » ، فلم يوفق في مهمته • لقد كرس البابا بيوس السابع « مارينجو » ( ١ ) • أما بيوس التاسع فإنه تردد في تكريس « شدم مونتارتر » • كان مزج هذا الدم وهذا اللوحل الزيت الروماني القديم أمرا خطيرا • وأظهر البابا تقززة • وتحير السيد بونابرت • فما العمل ! وما هي الوسيلة التي يمكن بها اقناع بيوس التاسع ! كيف يمكن اقناع فتاة ! كيف يمكن اقناع بابا ! بهدية • تلك هي القصة •

— أحد المنفيين ( المواطن بيانكي ) : تلك عادات كهنوتية •

— فيكتور هوجو ( قاطعا حديثه ) : الحق معك • منذ زمان بعيد ، صاح ارميا ( ٢ ) في اورشليم • كما صاح لوثر في روما ، قائلا : عاهرة ! ( يواصل حديثه ) • قرر السيد بونابرت اذن أن يقدم هدية للسيد ماستاي •

• أية هدية ؟ هذى هي المغامرة الحاضرة كلها •

أبها المواطنين : هناك في الوقت الحاضر بابوان : البابا اللاتيني ، والبابا اليوناني • أما البابا اليوناني الذي يدعى أيضا « قيصر » فانه جاثم على كاهل السلطان بكل أفعال البلاد الروسية • ولما كان السلطان يمتلك أرض يهوذا ، فهو بالتالي يملك قبر المسيح • انتبهوا الى ما يأتي • فمنذ عدة قرون ، كان المطمح الأكبر للمذهب الكاثوليكي ، اليوناني واللاتيني ، أن يتمكن الاثنان من النفاذ بحرية في هذه المقبرة واقامة الشعائر بها ، لا جنبا الى جنب ، ولكن بأن يقضى أحدهما الآخر ، أى أن تقضى الكاثوليكية

(١) قرية بايطاليا ، مشهورة بانتصار الفرنسيين عندما ، يقباده بونابرت على

النمساويين ( ١٤ يونية ١٨٠٠ ) — المترجم •

(٢) احد انبياء اسرائيل الاربعة الكبار ( حوال ٦٥٠ - ٥٩٠ قبل الميلاد ) — المترجم •

اللاتينية اليونانية ، أو تفضى اليونانية اللاتينية • فماذا فعل الاسلام بين هذين المطلبين المتضادين ! لقد احتفظ بالميزان سويا ، أى احتفظ بالباب مغلقا ، ولم يسمح بدخول المقبرة ، لا للصليب اليونانى ، ولا للصليب اللاتينى ، لا لموسكو ولا لروما • وأضرم ذلك على الاخض قلب البابا اللاتينى الذى يدعى السيادة • اذن فعلى وجه العموم ، وبصرف النظر عن السيد بونابرت ، ما هى الهدية الواجب تقديمها للبابا لحمله على تكريس أى وفد أقيم وتتويجه ! اذا ألقى هذا السؤال على ماكيافيل لاجاب « ما أسهل ذلك : أن ترجع كفة روما فى اورشليم ، ونحطم تلك المساواة المهينة بين الصليبيين أمام قبر المسيح ، وتوضع الكنيسة الشرقية تحت أقدام الكنيسة الغربية ، ويفتح الباب المقدس أمام احدهما ويغلق فى وجه الأخرى ، ويحقر البابا اليونانى ، وباختصار يعطى البابا اللاتينى مفتاح القبر » • هذا ما سوف يجيب به ماكيافيل : وهذا ما فهمه السيد بونابرت وما فعله • وتذكرون أن هذه المسألة سميت مسألة « الاماكن المقدسة » •

وانعدت المؤامرة ، فى سرية أول الامر • وطلب وكيل السيد بونابرت فى القسطنطينية الى السيد لافاليت باسم سيده مفتاح قبر المسيح من السلطان لبابا روما • ولما كان السلطان واحنا مرتبكا ، فى رأسه دوار العهد الأخير من دولة الاسلام ، مشدودا فى اتجاهين متضادين ، فهو يختبئ ويقول ، ويخشى بونابرت ، لا يعرف لى من الامبراطورين يستمع ، فانه أرخى العنان وسلم المفتاح • وشكره بونابرت ، وغضب نيقولا • وأرسل البابا اليونانى الى السراى قاصده الرسولئ منتشيكوف ، وفى يده سوط ، وطالب ، فى مقابل المفتاح المعطى الى السيد بونابرت ، من أجل بابا روما أشياء أكثر صلابة وثباتا ، هى بوجه التقريب كل ما قلّه يكون قد بهى للسلطان من سيادة • ورفض السلطان • وأيدت فرنسا وانجلترا السلطان • وتعرفون الباقي • واندلعت حرب الشرق •

هذى هى الوقائع ••

لنعط ما لقيصر لقيصر ، ولا نعطى لنيقولا ما تملكه حكومة ٢ ديسمبر • لقد صنع مطعم بونابرت فى التكريس كل شئ • مسألة الأراضى المقدسة والمفاح هى الأصل فى كل شئ •

والآن اليكم ما خرج من هذا المفتاح •

ففى الساعة التى نمر بها ، تشهد آسيا الصغرى ، وجزر آلاندى ، والدايوب ، وتشيرنانيا ، والبحر الأبيض ، والبحر الأسود ، والجنوب هدنا كانت منذ بضعة شهور مزدهرة ، أصبحت رمادا ودخانا • فى الساعة الحاضرة تحترق سمينوب ، وبومارسوند ، وسلسترا ، وفارنا ، وكولا ، وسباسمتبول • فى الساعة الحاضرة يذبح الانجليز والفرنسيون والأتراك

والروس بعضهم بعضا في الشرق أمام تل من الخرائب . ويأتى العربي من النيل ليقتله التتارى الآتى من الفولجا ، ويأتى القوزاقى من البرارى ليقتله الاسكتلندى الآتى من الهضاب . المدفيعيات تصعق المدفيعيات ، ومستودعات البارود تنفجر ، والاستحكامات البارزة تنهدم ، والمتاريس تتهار ، وكرات المدافع تخرق السفن الحربية ، والخنادق تنهال عليها القنابل ، والمعسكرات المتنقلة تنهدم عليها الأمطار ، والتيفوس والطاقون والكوليرا تنقض مع المدافع الرشاشة على المحاصرين والمحصورين . وعلى المعسكرات والسفن الحربية ، والحامية ، والمدينة التى يحضر فيها السكان من نسوة وأطفال وشيوخ . القنابل تدك المستشفيات . وهناك بيان يقول ان أحد المستشفيات قد اشتعل به النار فتكلس (١) به ألقان من المرضى . ويختلط العاصفة بكل ذلك ، فهذا هو فصل العواصف . وتغرق الفرقاطة التركية « بهيرة » وهى مبحرة ، وتغرق السفينة المصرية ذات الطابقين « عباد الجهاد » بالقرب من اينبادا وبها سبعمائة رجل . وتخلع الرياح العاصفة صوارى السفن الحربية ، وتغرق البارجة ذات الرفاص « لويرانس » ، والفرقاطة « حورية البحار » . وأربع سفن بخارية حربية أخرى ، وتتجطم السفن « لوصان باربى » و « سانسون » و « أجامنون » فى مياه قليلة العمق بفعل الأعصار ، ولا تنجو « لاريتريسيون » من الهلاك إلا بعد أن ألقت مدافعها فى البحر ، وتهلك الباخرة « هنرى الرابع » ذات مائة المدفع بالقرب من « أوباتوريا » ، وتتلغ سفينة المراسلة ذات العجلات الرقاصية « لوبليتوت » ، وتجنح ثلاثة وعشرون مركب نقل محملا بالرجال وتهلك . وعلى البر ، تزداد المعارك ضراوة يوما بعد يوم . ويجهز الروس على الجرحى بكعوب ينادقهم . وفى آخر كل يوم ، تعوق أكاداس الموتى والمحتضرين الجنود المشاة من اجراء مناوراتهم . وفى المساء ، تنير ميادين القتال القشعريرة فى أوصال قادة الجيوش . وهناك تختلط جثث الانجليز والفرنسيين والروس وكأنها تعض بعضها بعضا . لقد صاح اللورد « راجلان » العجوز الذى حضر معركة واترلو قائلا « لم أشهد قط شيئا مثل هذا » . ومع ذلك فسوف يمضى القوم الى أبعد من هذا ، اذ يعلن البعض أنه سوف يستخلم ضد المدينة التسعة الوسائل « الجديدة » التى احتفظ بها بصفة « احتياطية » والتى تقشع لها الأبدان . الإبادة ، هى الصيحة التى نطلقها هذه الحرب . والخندق وحده يكلف ضحايا تقدر بمائة رجل كل يوم . أنهار من الدماء البشرية تسيل ، نهر من الدم فى ألما ، ونهر من الدم فى بالاكلافا ، ونهر من الدم فى اينكرمان . خمسة آلاف رجل قتلوا يوم ٢٠ سبتمبر ، وستة آلاف يوم ٢٥ أكتوبر ، وخمسة

(١) أى تحول الى حبر من سحنة الاحراق - المترجم .

عشر ألفا يوم ٥ نوفمبر . وكل هذا انما هو بداية . جيوش ترسل ونذوب . هذا جميل . هيا ، أرسلوا غيرها . ويردد لوى بونايرت للجنرال السابق كاتروبير نلك الكلمة السخيفة التي قالها فيليب الرابع لسببتيولا : أيها المركيز ، استول على بريدا » . كانت سببستيول بالأمس جرحا ، فاصبحت اليوم قرحة . وستكون فى الغد سرطانا ، وهذا السرطان سيلتهم فرنسا وانجلترا وتركيا وروسيا . هذى هى أوروبا الملوك .  
يايها المستقبل ، متى تعطينا أوروبا الشعوب ؟

#### • أوصل الحديث •

على البواخر ، بعد كل عملية ، سحنات من الجرحى تثير الرعب .  
أذكر لكم الأرقام التي أعرفها فقط ، وأنا لا أعرف أكثر من عشر الحقيقة .  
أربعمائة جريح على السفينة « باناما » ، وأربعمائة وتسعة وأربعون على « كولومبو » التي كانت تقطر ناقلتين محملتين أيضا بالجرحى ، ولا أعرف عدد من كان بهما ، وأربعمائة وسبعون على « فولكان » ، وألف وخمسمائة على « كانجور » . يجرح الجندى فى القرم ، وتضمد جراحه فى القسطنطينية . مائتا فرسخ فى البحر ، ثمانية أيام بين الجرح والتضميد .  
وفى الطريق ، أثناء العبور ، تصبح الجروح المهملة مخيفة . أما الذين بترت أطرافهم ونقلوا دون اسعاف ودون مساعدة ، فانهم يكسدون بصورة بشعة بعضهم فوق بعض ، ويرون ديدان الأرض . تنك الحشرات التي تعيش فى الفيور ، وهى نخرج من سيقانهم المهشمة وضلوعهم الغائرة ، وجاجهم المشروخة ، ويطونهم المبقورة ، ويتعفنون تحت هذه التكدسات البشعة قبل أن يموتوا بين معاير بواخر نقل المصابين الموبوءة التى هى مقابر عامة ساسعة ملأى بالأحياء الذين تأكلهم الديدان ( وهنا يتوقف فيكتور هوجو )  
— أنا لا أبالغ بالمرة — هاكم الصحف الانجليزية ، الصحف الوزارية ، اقراوها بأنفسكم ( يلوح الخطيب بربطة من الجرائد ) . نعم ، أؤكد أنه لا توجد أية اسعافات . أربعة من الجراحين على ظهر السفينة « فولكان » ، وأربعة جراحين على « كولومبو » فى مقابل تسعمائة وتسعة عشر شخصا يحتضر ! أما الأتراك ، فان جروحهم لا تضمد على الاطلاق ، فهم تحت رحمة الأقدار . أعلم أنى رجل نظرى فحسب ، ومن ساربى الدماء ، ولكنى أفضل أن يكون عندى عدد أقل من صناديق الأوسمة المقدسة فى معسكر بولونى ، وعدد أكبر من الأطباء فى معسكر القرم .

#### • ولنواصل الحديث •

رد الفعل فى أوروبا وانجلترا وفرنسا رهيب . الإفلاسات تتوالى ، والمبادلات كلها نتوقف ، والتجارة تحتضر ، والصناعة تموت . حماقات

الحرب تستعرض نفسها ، والغنائم يقدم كشوفها • فإذا حسبنا ما أنفق في حملة البلطيق وحدها ، وجدنا أن كل واحد من الألفي أسير روسي الذين جيء بهم من بومارسوند قد كلف فرنسا وانجلترا ثلاثمائة وستة وثلاثين ألف فرنك • البؤس في فرنسا ، فالفلاح يبيع بقرته ليسدد الضريبة ، ويعطى ابنه ليغذى الحرب - ابنه ، لحمه ! وأنتم تعرفون اسم هذا اللحم ، لقد عمده العم • وكل نظام من أنظمة الحكم ينظر الى الانسان من وجهته الخاصة • فالجمهورية تقول « لحم الشعب » • والامبراطورية تقول « لحم للمدفع » - والمجاعة تكمل البؤس • ولما كان القتال يجرى ضد روسيا ، فانه لم يعد ثمة قمح يأتى من أوديسا ، ويشح الخبز • وما حدث ، فانه بوزانسيى ينتشر فى الطبقات الشعبية ، ويلقى بشراة هنا وهناك •

وفى بولونيا يتير الجوع شغبا يقمعه رجال الشرطة • وفى سان بريك تشد النسوة شعورهن ويشققن أكياس الحبوب بالمقصات • ضرائب تجبى فوق ضرائب ، قروض فوق قروض •

ويجنده مائة وأربعون ألف شخص هذا العام فقط ، كبداية ، وتفوص الملايين وراء الفرق العسكرية وتفرق الميزانية مع الأساطيل • هذا هو الموقف •

كل هذا ثمرة ٢ ديسمبر •

أما نحن المنفيين الذين تدمى قلوبنا بكل جراح الوطن ، وبكل الآلام البشرية ، فانا نفكر فى تلك الحالة التى يرثى لها بمزيد من الضيق والعذاب •

كل هذا ثمرة ٢ ديسمبر ، أؤكد لكم ذلك ، وآكره ، وأنادى به ، ليعلمه الجميع ، ولا ينسأه أحد بعد الآن ، ولقد أوضحتها والوقائع فى يدى ، وانه أمر لا نزاع فيه ، سوف يحكيه التاريخ ، وأتحدى أى انسان أن ينكره •

لو انتزعتكم المؤامرة المسماة بمسألة الأماكن المقدسة ، وانتزعتكم المفتاح ، والرغبة فى التكريس ، والهدية المطلوب تقديمها للبابا ، لو انتزعتكم حكومة ٢ ديسمبر ، وانتزعتكم السيد بونابرت نفسه ، فلن تكون هناك حرب الشرق •

نعم ، لقد أهينت تلك الأساطيل وحقرت ، وهى أبدع الأساطيل الموجودة فى العالم • نعم ، لقد أبيدت الخيالة الانجليزية الشجاعة • نعم ، أولئك الاسكتلنديون الشهب ، أسود الجبل ، نعم ، جنودنا الزواويون ،

وفرساننا المقاربة ( السباهيون ) ، وجنودنا فى فانسين ، وكناثينا الامريكية البديعة التى ليس لها نظير ، كل هؤلاء قد ضربوا بالسيوف والبلطعات وأبديوا عن آخرهم . نعم ، كل تلك الشعوب البريئة ، ونحن اخوة لها ، اذ ليس ثمة غرباء بالنسبة لينا ، قد سحقت . نعم ، هذا الجنرال العجوز كانتارت ، وهذا الكابتن تولان الشاب ، فخر الرده الانجليزى الرسمى ، قد ضحى بهم ، بين الكثيرين غيرهم . نعم ، الاحتشاء التى انزعجتها المدافع الرناسة وبعتها ، تتلى من العليق فى بالاكلافا أو ترتطم بحوائط سباستبول . نعم ، فى الليل ، بولول ميادين القتال الملى بالمحتضرين كما تولول الوحوش الضارية . نعم ، القمر يضى مستودع الجثث الرهيب فى اينكرمان حيث يتجول بعض النسوة وفى أيديهن المصابيح ، هنا وهناك بين الموتى ، يبحثن عن اخوتهن أو أزواجهن ، تماما كما فعل أولئك النسوة الأخريات اللواتى كن منذ سنوات ثلاث ، فى ليلة ٤ ديسمبر ينظرن الواحدة بعد الأخرى فى جثث سارع مونارتر . نعم هذه الكوارث تجتاح أوروبا ، وهذا الدم ، كل هذا الدم يسبل فى القرم . نعم ، هؤلاء الأرامل يبكين ، وهؤلاء الأمهات يلوين الأذرع - كل ذلك لأن السيد بونابرت ، سفاح باريس ، قد نزعت به أهواؤه الى أن يطلب البركة والتكريس على يدى السيد فاستاى ، خائق روما !

والآن ، فلنتفكر لحظة . فالأمر يستحق التفكير .

حقا ، اذا كان هناك بين الفرق العسكرية الفرنسية الباسلة التى تقاتل جنباً الى جنب مع الجيش الانجليزى الشجاع أمام سباستبول ضد القوة الروسية بأسرها ، وبين المحاربين الأبطال عدد من هؤلاء الجنود الأردال الذين ساقهم قواد مفضوحون فى ديسمبر ١٨٥١ فاطعوا أوامر الغدر المفجعة ، اذا كان الأمر كذلك فان الدموع تنسكب فى مآقينا ، وترتج أونا قلوبنا الفرنسية الهرمة ، فهؤلاء أولاد الفلاحين ، وأولاد العمال . ونصيح طالبين الرحمة ، ونقول : كانوا ثمالى ، وعميانا ، وجهلة ، لا يعرفون ما يعملون ، ونرفع الأيدى الى السماء وتنتزع الى الله من أجل هؤلاء النعماء . الجندى هو الطفل ، تجعل الحماسة منه بطلا ، وقد تجعل الطاعة السلبيه منه لصا أتيما . فان كان بطلا ، سلبه الغر مجده ، وان كان لصا فليأخذ غيره أيضا خطيئته . نعم ، أمام القصاص الغامض الذى بدأ ينفذ ، ورحمك يا الهى بالجنود ، أما القادة ، فلينفذ فيهم قصاصك ، ولننفذ ارادتك .

نعم ، أيها المنفيون ، فلنترك الأمر للقاضى بيت فيه . وانظروا ! ذكرنكم منذ هنيهة بأن حرب الشرق من صنع حكومة ٢ ديسمبر ،



أنجزتها خطوة خطوة ، ونحوها بعد تحول حتى وصلت بها الى نتيجتها المنطقية ، وهى احراق أوروبا . فياً لهول الكفارة ! ان ٢ ديسمبر تدور حول نفسها ، وماهى ذى يعود بعد أن قتلت رجالنا ، لتجهز على رجالها . كانت تسمى منذ سنوات ثلاث انقلاباً سياسياً ، واغتالت بومان ، وهى اليوم تسمى حرب الشرق ، وتعدم سانت أنزو . الرصاصات التى قتلت « ديسوب » فى ليلة ٤ ديسمبر أمام حاجز « مونتورجى » بناء على أمر لورميل ، نرد فى الظلمات ، حسب قانون جبار مجهول ، فتصيب لورميل فى القرم . وليس لنا أن نهتم لهذا الأمر ، فتلك هى ومضات البرق المشثومة ، انها الشبح الذى يضرب ، انها الله .

العدالة ، نظرية . والعقاب صارم مثل أوقليدس (١) ، وللمجريمة زوايا سقوط وزوايا انعكاس . ونحن الرجال نرتجف حين نلمح فى دجاجة الاقدار الانسانية خطوط وأشكال هذه الهندسة الضخمة التى يسميها جمهور الناس « المصادفة » ويسميها المفكر « العناية الالهية » .

نقول بهذه المناسبة ، انه من العجيب ان هذا المفتاح عديم الفائدة . فالبابا يرى تردد النمسا ، بالاضافة الى أن نفسه تحدته بلاشك بالسقوط الوسيك ، ومن ثم فانه يصر على التراجع أمام السيد بونابرت . أما السيد بونابرت فانه لا يريد أن يقع من السيد ماسناى الى السيد سيبور ، ويترتب على ذلك أنه لا يكرس ، ولن يكرس ، ذلك لان العناية الالهية تضحك أثناء كل ذلك ضحكته الرهيبة .

هأنذا قد استعرضت الموقف أيتها المواطنين . وفى الوقت الحاضر - وبهذا أريد أن أبهى الحديث ، وهو ما يعيدنى الى الموضوع الخاص بهذا الاجتماع الموقر - هذا الموقف الخطير بالنسبة الى الشعبين الكبيرين - لان انجلترا ناظر فيه بتجارته وبالشرق ، وفرنسا تخاطر فيه بشرفها وحياتها - هذا الموقف الرهيب ، كيف يتأتى الخروج منه ؟ لفرنسا وسيلة لذلك : أن تخلص نفسها ، وتطرد الكابوس ، وتزعزع الامبراطورية الجائمة على صدرها ، وتعود لترتقى مدارج النصر ، والقوة ، والرفعة ، عن طريق الحرية . ولانجلترا وسيلة أخرى : أن تنتهى بما كان يجب عليها أن تبدأ به ، وألا تضرب القيصر فى كعب حذائه كما تفعل فى هذه اللحظة ، بل تضربه فى القلب ، أن تستنهض بولندا . وتذكرون أننى قدمت لانجلترا هذه النصيحة ، هنا ، فى هذا المكان نفسه ، فى هذا اليوم نفسه منذ سنة كاملة . وفى هذه المناسبة وصفتنى الصحف البريطانية

(١) عالم اعرىفى فى الهندسة ( ٣٠٦ - ٢٨٢ قبل الميلاد ) - مؤلف « العناصر »  
التي تشكل أساس الهندسة السطحية - المترجم .

التي تساند الوزارة الانجليزية باننى « خطيب خيالى » وهامك الأحداث  
بؤيد كلاهى . الحرب فى القرم تحمل القيصر على الابتسام ، أما الحرب  
فى بولندا فانها سوف تجعله يرتعد . ولكن هل الحرب فى بولندا ثورة ؟  
لا شك فى ذلك . فماذا يهم انجلترا ؟ ماذا يهم انجلترا العظيمة التليدة ؟  
انها لا تخشى الثورات لأن عندها الحرية . نعم ، ولكن السيد بونايرت  
يخشاهما لأنه الطفيان بعينه ، فهو لن يقبلها . ومن ثم تضخى انجلترا  
بجيوشها وأساطيلها وأموالها ومستقبلها ، وبالهند ، والشرق ومصالحها  
كلها من أجل السيد بونايرت ومن أجل خوفه الشخصى من الثورات .  
أكنت مخطئا عندما قلت هذا من شهرين ؟ الحلف مع السيد بونايرت  
ليس خسارة أدبية فحسب ، بالنسبة الى انجلترا ، انما هو كارثة .

ان الحلف مع السيد بونايرت هو الذى يسىء الى المصالح الانجليزية  
كلها فى حرب الشرق منذ سنة مضت . ولولا حلف السيد بونايرت  
لحصلت انجلترا اليوم على نجاح فى بولندا بدلا من الهزيمة وربما التكبة  
فى القرم .

مهما يكن من شىء فان الأمور لا بد أن تنتهى الى اخواتها . والمواقف  
لها منطقها الذى ينتهى دائما بفرض كلمته الأخيرة . ان الحرب فى بولندا ،  
وهي أسلوب من الاعتداء ، قارى محض على حسد التعبير الشفاف الذى  
استخدمه مجلس الوزراء الانجليزى ، أصبحت من الآن شيئا حتميا لا مفر  
له . انها المستقبل العاجل . وفى هذه اللحظة التى أتحدث فيها ، يتحدث  
لـرد بالمرستون فى قصر التويلرى مع السيد بونايرت فى هذا الصدد .  
واليكم كلمتى الأخيرة أيها المواطنين : ان الحرب فى بولندا هي الثورة  
فى أوروبا . آه فلينفذ القدر !

آه لتقع مصائب الدهر على رؤوس هؤلاء الرجال . هؤلاء الجلادين ،  
الطغاة ، الذين انتزعوا الكثير من الشعوب ، الشعوب النبيلة ،  
سعاراتها القومية . الشعارات ، لا بل الحياة . علة ذلك أيها المنفيون ،  
علة التي لا بد من ترديدها دوما لارهاب النذالات ، وبث روح الشجاعة ،  
أن الموت الظاهرى للشعوب ، مهما كان كثيبا ، ومهما بدا شديد البرودة  
كالثلج ، انما هو مرحلة تحول ، يستبطن سر تجسد جديد . بولندا فى  
الجدت ، ولكن فى يدها البرق . والمجر تحت الكفن ، ولكن فى قبضتها  
السيف ، وإيطاليا فى القبر ، ولكن فى قلبها الشعلة ، وفرنسا فى الحفرة ،  
ولكن على جبينها النجم . وتدل الدلائل كلها يا أصدقائى ، على أنه فى  
الربيع القادم ، فى ساعة البعث – كما ان الصباح ساعة الصحو – سوف  
ترتجف الأرض كلها انبهارا وغبطة ، حين تنهض هذه الجثث العظيمة فجأة  
وتفتتح للفرور أجنحتها العريضة .

## ٧

أثارت كلمات فيكتور هوجو المشاعر في البرلمان • ودعا أحد أعضاء الأغلبية ، وهو من المترددين على فصر التويلري ، دعا الحكومة الانجليزية الى فض « النزاع الشخصى » بين السيد لوى بونايرت والسيد فيكتور هوجو • وشعر فيكتور هوجو بأنه من الضرورى أن يضع الامبراطور فى مكانه المناسب ، وأن يعيد الى السيد بونايرت الشعور بوضعه الحقيقى ، ومن ثم نشر فى الصحف الانجليزية الآتية :

### ( تنبيه )

أنبه السيد بونايرت الى أننى أدرك تمام الادراك ماهية الأجهزة التى حرکها والتى هى على شاكلته ، وأننى قرأت باهتمام الأشياء التى قيلت عنى فى الأيام الماضية فى البرلمان الانجلىزى • لقد طردنى السيد بونايرت من فرنسا لأننى حملت السلاح ضد جريمته ، وهذا حقى كمواطن وواجبى كممثل للشعب ، وطاردنى من بلجيكا من أجل كتاب « نابليون الصغير » ، ولعله يطاردنى من انجلترا من أجل الاحتجاجات التى أبديتها فيها ، والتى أبديتها وسوف أوصل ابداءها ، وهذا شأن انجلترا أكثر مما هو شأنى • فالنقى لثالث مرة أمر هين • أما من ناحيتى ، فأمرىكا طيبة ، وإذا كانت تلاثم السيد بونايرت ، فانها بالمثل تلاثمنى • ولكنى أنبه السيد بونايرت الى أنه لن ينال منى شيئا ، أنا الذرة ، كما لن ينال شيئا من الحقيقة والعدالة وهما الاله ذاته • وأصرح لحكومة ٢ ديسمبر فى شخصه أن التكفير عن الذنب سوف يأتى ، وأننى سوف أعجل ساعة التكفير ، سواء فى فرنسا أو بلجيكا أو انجلترا أو أمريكا ، أو من أغوار القبر اذا كانت الأرواح تعيش فيها كما أعتقد وكما أؤكد • السيد بونايرت على حق ، فبينى وبينه فى الحقيقة « نزاع شخصى » ، ذلك النزاع الشخصى القديم بين القاضى على كرسيه ، والمتهم على مقعده •

( فيكتور هوجو )

> جبرسى ، فى ٢٢ ديسمبر ١٨٥٤ <

---

 الذكرى السنوية السابعة

ليوم ٢٤ فبراير ١٨٤٨

٢٤ فبراير سنة ١٨٥٥

١

أيها المنفيون ..

لو كانت النورة التي بدأت في مثل هذا اليوم منذ سبع سنوات في دار بلدية باريس قد اتخذت طريقها الطبيعي ، ولم تتحول عن هدفها ، بعد أن اندلعت مبانرة ، ولو لم نعم الرجعية أولا ثم لوى بونايرت بعدها بهدم الجمهورية ، الرجعية بالدهاء والتسمم البطيء ، ولوى بونايرت بالتسلق في جنح الظلام ، والاعتحام والترصد والقتل ، ولو كانت الجمهورية منذ أيام فبراير اللامعة قد عرضت رايتها على الألب والراين ، وألقت على أوروبا باسم فرنسا صيحة الحرية ! وكانت هذه الصيحة كما تذكرون كافية في تلك الآونة لاستنهاض الشعوب كلها في القارة القديمة ، والاجهاز على العروش كلها ، ولو كانت فرنسا ، وهي منكبثة على سيف ١٧٩٢ قد بذلت عونها ، كما كان من واجبهما أن تفعل لايطاليا والمجر وبولندا وبروسيا وألمانيا ، وباختصار لو كانت أوروبا الشعوب قد خلفت في عام ١٨٤٨ أوروبا الملوك ، لكان الموقف اليوم في القارة ، بعد سبع سنوات من النور والحرية كما يلي :

كنا حزين أن نشهد الآتي :

القارة كلها شعب واحد ، والقوميات تحيا حياتها الخاصة ضمن الحياة العامة المشتركة ، فتنتمي ايطاليا الى ايطاليا ، وبولندا الى بولندا ، والمجر الى المجر ، وتنتمي فرنسا الى أوروبا ، وأوروبا الى الجنس البشرى .

لن يكون الراين نهرا ألمانيا ، ولا بحر البلطيق أو البحر الأسود بحيرات روسية ، ولا البحر المتوسط بحيرة فرنسية ، ولا البحر الأطلسي بحرا انجليزيا ، ولن تكون هناك مدافع في السوند أو جبل طارق أو الدردنيل . وسوف تكون الأنهار حرة ، والمضايق حرة ، والمحيطات حرة .

واذ تغدو المجموعة الأوروبية أمة واحدة ، فإن ألمانيا ستكون بالنسبة الى فرنسا . وفرنسا بالنسبة الى إيطاليا ، ما تكونه اليوم نورمانديا بالنسبة الى بيكارديا . وبيكارديا بالنسبة الى اللورين . ولن تكون هناك حرب ، وبالمال لن تكون تمة جيوش . ومن الناحية المالية وحدها ، ستحصل أوروبا على ربح صاف قدره ٤ مليارات (١) . لن تكون تمة حدود أو جمارك أو مكوس . وستكون هناك مبادلات حرة ، ومد وجزر هائل فى النقود والسلع ، وتتضاعف الصناعة والتجارة عشرين ضعفا ، وزيادة سنوية فى ثروة القارة تقدر بما لا يقل عن عشرة مليارات ، يضافه اليها أربعة مليارات تتوفر نتيجة لالغاء الجيوش وأكثر من مليارين من الأرباح الناجمة عن الغاء الوظائف الطفيلية فى القارة كلها ، بما فيها وظيفة الملك . يتكون من كل هذا فائض سنوى قدره ستة عشر مليارا للنهوض بالمسائل الاقتصادية ، وتمة ميزانية للعمل ، وصندوق للقضاء على التعماسة التى تستشري فى مواطن البطالة وبين طبقات العمال الأجراء ، بميزانية تبلغ ستة عشر مليارا فى السنة . هيا ، احسبوا هذا الانتاج الضخم الذى يترتب على الرخاء . ولن أزيد على ذلك .

وثمة نقد قارى على قاعدتين ، قاعدة معدنية ، وقاعدة ورقية ، تستند الى رأس مال أوروبا كلها ، قوته المحركة هى النشاط الحر الذى يمارسه مائتا مليون من الرجال . هذا النقد ، نقد واحد ، سوف يحل محل كل أنواع النقد السخيفة فى الوقت الحاضر ، ويمتص كل أنواع النقود التى تحمل صور الأمراء ، وهى أشكال للتعماسة ، وأسباب مختلفة للفاقة . ذلك لأن الاكثار من أنواع النقد ، فى حركة تداوله ، يؤدى الى مضاعفة الاحتكاك ، وتؤدى مضاعفة الاحتكاك الى اضعاف حركة التداول ، والتداول وحدة ، فى النقد . وفى سواء من الأشياء .

وسوف يولد الاخاء التضامن . وسوف يكون المال العام ملكا لكل انسان ، وعمل كل انسان ضمانا للكافة .

حرية التنقل ، والمشاركة ، والتملك ، والتعليم ، والكلام ، والكتابة ، والنكير ، والحب ، والعقيدة ، كل الحريات ، سوف تشكل حزمة حول المواطن ترعاها وتجعله فى حصن حصين .

ولن يقع اعتداء على أى انسان ، حتى ولو للصالح العام ، اذا ما الفائدة من ذلك ؟ فبقوة الأشياء وحدها ، وزيادة الضوء ، وتأثير نور النهار

---

(١) بالنسبة الى فرنسا ، لن تكون تمة مفردات ملكية ، ولا هيئة كهوت تحصل على رواب ، ولا هيئة هضاه غير قابلة للزول ، ولا ادارة مركزية ، ولا جيش دائم ، وسنجنى البلاد ربما سنويا صافيا قدره ٨٠٠ مليون ، أى مليونين فى اليوم الواحد .

الوضاح الذى ينبثق فى أعقاب الظلال الملكية والكهنوتية ، سوف يصبح الهواه عير صالح لتنفس الرجل الذى يستخدم القوة ، رجل الغش والكذب ، والوحش الكاسر ، والمستغل ، والطفيل ، والعسكري الغشوم ، والمرايى ، والأرذال من رجال الدين ، وكل ما يطير فى أضواء الغسق بأجنحة الخفافيش . وسوف تمحى العقوبات القديمة مثل سائر الأمور القديمة . واذ تخدم الحرب . فان آلة الإعدام التى تشترك مع الحرب فى جذورها سوف نجمد وتختفى من نفسها . وسوف تتلاشى كل أشكال السلاح . وسوف يبلغ الأمر بالانسان الى الشك بأن المخلوق البشرى له القدرة ، أو الجرأة فى ازهاق النفس البشرية ، حتى فى الزمان الماضى . وسوف يكون فى معرض الصور الاتنوجرافية فى اللوفر مدافع هاون من طراز « بيكسانز » خلف الزجاج ، ومدفع لانكاستر خلف الزجاج ، وجيويتن خلف الزجاج ، ومشنقة تحت الزجاج ، وسوف يذهب الانسان الى المتحف ليرى من باب الفضول هذه الكائنات المتوحشة التى يمتلكها الانسان ، كما يذهب الى حظائر الحيوان ليتفرج على الوحوش التى خلقها الله .

**سوف يقول البعض :** هذى اذن مشنقة ، كما يقول البعض الآخر : هذا اذن نمر !

سوف تشهد فى كل مكان العقل الذى يفكر ، والنراع التى تعمل ، والمادة التى تطيع ، والآلة التى تخدم الانسان ، والتجارب الاجتماعية على نطاق واسع ، وكل الثمرات الرائعة التى ينتجها التقدم عن طريق التقدم ، والعلم فى نضاله مع الخلق ، ومصانع مفتوحة دواما ، ما على البؤس الا أن يدفع أبوابها ويدخلها فيصبح البؤس من ثمة عملا ، ومدارس مفتوحة دواما ، ما على الجهل الا أن يدفع أبوابها ويدخلها فيغدو نورا ومعرفة ، ودورا للتربية مجانية والزامية ، قدرات التلاميذ هى وحدها التى تعين فيها حدود التعليم ، وفيها يتلقى الطفل الفقير نفس الثقافة التى يتلقاها الطفل الغنى ، وانتخابات تعطى المرأة فيها صوتها أسوة بالرجل . ذلك لأن العالم القديم الذى انقضى كان يرى المرأة خليفة بالمستوليات المدنية والتجارية والجنسية ، ويراها جديرة بالسجن ، وكليشى (١) ، والليمان ، والحبس الانفرادى ، والمشنقة . أما نحن فانا نرى المرأة جديرة بالكرامة والحرية . العالم القديم يرى المرأة جديرة بالعبودية والموت ، ونحن نراها جديرة بالحياة . هو يعتبر المرأة شخصا عموميا أهلا للعناية والكد ، ونحن نعتبرها جديرة بالحق . انا لا نقول : الرجل روح فى المرتبة الأولى من الجودة ، والمرأة روح فى المرتبة الثانية

(١) سجن النساء فى سى كليشى بباريس - المترجم .

من النجوده . نحن نعلن أن المرأة ند لنا ، ولها فوق ذلك احراما . ايه لك اينها المرأة . الأم ، الرميلة ، الأخت ، الفاصرة أبدا ، المستعبدة أبدا ، الضحية أبدا . الشهيدة أبدا . سوف نرفك . أعلم أن العالم القديم يسخر منا من أجل كل ذلك ، وحق المرأة الذى نطالب به هو الموضوع الرئيسى لضحك وسروره . اعتنقوا بعضهم حديثى ذات يوم فى التهمية الوطنية وصباح : انك تضحكنا على الأخص بموضوع النساء هذا . فأجبت قائلا : وأنتم نبكوننا على الأخص بموضوع النساء .

وأوصل حديثى ، وأنهى هذه الصورة .

فى ذروه هذا الجلال العالمى الشامل ، تشرق انجلترا وفرنسا ، فهما الدولتان الكبريان فى الحضارة الراهنة ، والأمتان الاصليان فى القرن التاسع عشر ، تيران للجنس البشرى فى مسيرته طريقى الحقيقة والامكان ، وبحملان شعلتين : الواقع ، والفكرة وسوف تتناسان دون أن تضر احدهما بالأخرى أو تعزلهما . وإذا نظرنا فى الحقيقة الى الامور من العلياء الفلسفية - وأذنوا لى بهذه العبارة الاعتراضية - لم نجد بينهما أى تنافر سوى الرغبة فى السير الى ما بعد الحدود ، وقلة الصبر على التقدم البعيد المدى ، ومنطق الذى يتقدم المسيرة ، والظما الى الآفاق ، والطموح الى التقدم غير المحدود الذى يشغل فرنسا كلها ، والذى ضايق أحيانا جارتها انجلترا التى قنعت راضية بالنتائج التى حصلت عليها ، وراحت تركز فى هدوء الى الأمر الواقع . فرنسا هى خصم انجلترا بالصورة التى تقول بها ان « الأحسن هو عدو الحسن » . واستمر .

فى المدينة القديمة ، مدينة ١٠ أغسطس ، و ٢٢ سبتمبر التى ينادى بها مدينة أوروبا « أوريس » (١) ، تنعقد جمعية ضخمة ، جمعية الولايات المتحدة الأوروبية ، المرجع الذى يقضى فى شئون الحضارة ، والتى انبثقت من الانتخاب العام الذى اشتركت فيه شعوب القارة كلها ، تتولى فى حضور هذا الموكل المهيب ، القاضى الفصل ، ويعون الصحافة العالمية الحرة ، معالجة وتنظيم كل مسائل الانسانية ، وتجعل من باريس فى مركز العالم ، يركانا من النور .

أيها المواطنين . أقول لكم فى هذه المناسبة انى لا أومن بأبدية ما يسمونها اليوم « البرلمانات » . غير أن البرلمانات التى تتولد منها الحربة والوحدة معا ، تظل ضرورية حتى ذلك اليوم ، اليوم الذى لم يزل بعيدا ،

---

(١) اسم روما القديم ومعناه « المدينة » ومنه كلمة urbanism علم تخطيط المدن - المترجم .

ولكنه قريب من المنسل الأعلى ، الذى تفنك عنده التعقيدات السياسية بنمسيط العمل الشامل العالمى ، ويزداد تطبيق شعار « أقل ما يمكن من الحكم » تطبيقاً تاماً ، وتختفى كل القوانين المصطنعة ، ولا نبهى سوى القوانين الطبيعية . عندئذ لن تكون نمة جمعية خلاف جمعية المبتكرين والمخترعين التى نكتشف القانون وتنتشره ، ولكنها لا تصنعه ، جمعية الذكاء والفن والعلم ، تلك هى « معهد فرنسا » ، المعهد الذى تتغير معالمه وتشرق أنواره ، ويصير نتاج أسلوب آخر فى التسمية ، وتجرى فيه المداوات فى علانية وليس نمة شك فى أن يصير المعهد ، على المدى الزمنى البعيد ، الجمعية ( النيابية ) الوحيدة فى المستقبل . وأضيف فى هذا السياق ، أن الشيء العجيب أن « المؤتمر الوطنى » هو الذى أنشأ معهد فرنسا .

وهكذا فانى أخلص فى كلمات قليلة بضعة الخطوط التى اشترت إليها منذ هنيئة ، فى حين تعوزنى الكثير من التفاصيل ، ومن ثم ألقى اليكم بهذه الأفكار بسرعة وكيفما افق ، ولا أصور شيئاً الا تصويراً تقريبياً . فلو كانت نورة ١٨٤٨ قد عاشت وحملت ثمارها ، ولو كانت الجمهورية قد ظلت قائمة ، وتطورت كما يقضى منطق الأمور ، من جمهورية فرنسية الى جمهورية أوروبية ، وهو ما كان خليقاً بأن يتم آنئذ بالتأكيد فى أقل من سنة ، دون أى اهتزاز أو تمزق ، مع هبوب ريح فبراير القوية . لو سارت الأمور على هذا النحو ، أيها المواطنون ، فماذا يا ترى تكون أوروبا اليوم ؟ أسرة واحدة ، الأمم أخوات ، والانسان أخا للانسان ، ولن يكون نمة فرنسى أو بروسى أو اسباني ، وانما يكون هناك أوروبى . وفى كل مكان نشاط ، وصفاء ، ورخاء ، وحياة . ولن يكون نمة كفاح فى كل أنحاء القارة سوى كفاح الخير والجميل ، والعظيم ، والعادل ، والحقيقى ، والنافع ، فى سبيل تذليل العقبات والبحث عن المنل الأعلى . وذلك النصر الهائل الذى نسميه العمل ، فى كل مكان ، فى ذلك الضياء الشاسع الذى نسميه السلام .

وهكذا أيها المواطنون ، لو كانت النورة قد انتصرت ، لكان هذا هو بالاجمال والايجاز المنظر الذى تبدو فيه أوروبا الشعوب فى هذه الساعة .

ولكن هذه الأمور لم تتحقق بالمرّة . ولحسن الحظ أعيد اقرار النظام . فماذا تشهد بدلا من كل هذا ؟

الشيء القائم فى اللحظة الراهنة ليس هو أوروبا الشعوب ، وانما هو أوروبا الملوك .

وماذا تفعل أوروبا الملوك ؟



انها تملك القوة ، وتستطيع أن تعمل ما نشاء ، والملوك أحرار لأنهم  
 حنقوا الحرية • وأوروبا الملوك غنية ، تملك الملايين ، والمليارات ، وما عليها  
 الا أن تفتح شرايين النعوب ، فتنفجر منها الدماء والذهب • ماذا تصنع ؟  
 هل تظهر مصاب الأنهار ؟ هل تختصر طريق الهند ؟ هل توصل المحيط  
 الهادى بالمحيط الأطلسى ؟ هل نشق مضيق السويس ؟ هل تقطع مضيق  
 بناما ؟ هل تلقى فى أعماق المحيط ذلك السلك الكهربى العجيب الذى  
 يربط القارات بالفارات بالفكرة التى أصبحت كومىض البرق ، ذلك النسيج  
 الهائل من الحياة العالمية الذى سوف يجعل من الكرة الأرضية قلبا ضخما  
 ينبض بالفكر الانسانى ؟ فيم تنشغل أوروبا الملوك ؟ هل تنجز ، وهى  
 سيده العالم ، شيئا من العمل العظيم المقدس من أجل التقدم والحضارة  
 والانسانية ؟ فيم تنفق قوى القارة الجبارة التى تملكها ؟ ماذا تصنع ؟

أيها المواطنين ، انها تصنع حربا •

حربا من أجل من ؟

من أجلكم أيها الشعوب ؟

لا ، من أجلهم هم ، الملوك •

أية حرب ؟

حرب حقيرة فى أصلها : وأصلها مفتاح ، ورهيبه فى بدايتها :

بالاكلاف ، ومروعة بخاتمها : الهاوية •

حرب تبدأ بشيء مضحك ، وتنتهى بشيء فظيع •

أيها المنفيون ، لقد تحدثنا من قبل أكثر من مرة عن هذه الحرب ،

وقدر علينا أن نواصل الحديث عنها زمنا طويلا ، وا أسفاه ، لا أفكر فى

ذلك الا وفى القلب لوعة •

يا أيها الفرنسيون الذين تلتفون حولى ، كان لفرنسا جيش هو أول

جيوش العالم ، جيش عجيب ، لا نظير له ، أتم تأهيله فى الحروب الكبرى

خلال عشرين سنة فى أفريقيا ، جيش فى طليعة الجنس البشرى ، صورة

حية من نشيد المارسييز ، أبيانته مرفوعة على حراب البنادق ، ويختلط

بهبه ربح الثورة ، فلم يكن عليه عندئذ الا أن يطلق أبواقه فتسقط فى

اللحظة نفسها ، فى القارة كلها ، كل الصولجانات ، وكل القيود القديمة ،

ترايا وهشيميا • أين هو هذا الجيش ؟ ماذا أصبح ؟ لقد استولى عليه

السيد بونابرت ، أيها المواطنون • فماذا صنع به ؟ لفه أول كل شيء فى

اكفان جريمته ، وبعد ذلك بحث له عن قبر حتى وجد القمر ، ذلك لأن

صدا الرجل بدفعه ويععبه ما فى نفسه من طبيعة مشنومة ، وغريزة السدمير  
الخليقة بالعالم العديم . والكائنة فى روحه على غير علم منه .

أينا المقيوم ، حولوا أبصاركم لحظه واحدة من « كايين » حيب توجد  
أبصا مقبرة ، وانظروا بعيدا الى الشرق ، فلكم فيه أخوة . هناك الجيش  
الفرنسى والجيش الانجليزى .

ما هذا الخندق المفتوح أمام تلك المدينة التارية ؟ هذا الخندق الذى  
فيه رجال يقضون الليل وقوفا ، فهم لا يستطيعون الرقاد ، لأنهم غارقون  
فى المياه حتى الركب ، ويرقد غيرهم ، ولكن فى نصف متر من الوحل  
الذى يغطيهم تماما ، فيضع كل منهم حجرا نحت رأسه ليرفعه خارج  
الوحل ، وغيرهم راقدون ، ولكن فى الملح ، ويستيقظون فى الغد وأقدامهم  
متجمدة ، وغيرهم راقدون ، ولكن على الجليد ، ولن يستيقظوا أبدا ،  
وغيرهم يسرون حفاة الأقدام فى جو بارد يبلغ عشر درجات ، لأنهم خلعوا  
أحذيتهم ، ولم يبق عندهم قوة كافية ليلبسوها نانية ، وغيرهم يغطيهم  
جروح لا يضمدها أحد ، والجميع بلا مأوى ، ولا نار ، ولا غذاء تقريبا ،  
فليسست هناك أية وسيلة للسقل ، وليس عليهم من الكساء سوى أسمال  
مبجلة أصبحت طعاما من جليد ، تفنك بهم الدوسنتاريا والتبفوس . ويقتلهم  
السرير الذى يناعون فيه ، ويسمهم الماء الذى يشربونه ، ويزعجهم ويهد  
قواهم هجمات المحاصرين الذين يخرجون لضربهم ، وتتفجر القنابل ،  
وتوقظهم طلقات المدافع الرشاشة من غفوتهم وهم يحنضرون . ولا يكفون  
عن القتال الا وهم ينازعون سكرات الموت . هذا الخندق الذى كدست فيه  
بريطانيا ثلاثين ألف جندى فى الوقت الحاضر ، وأرقدت فيه فرنسا فى  
يوم 17 ديسمبر ستة وأربعين ألفا وسبعمائة رجل - ولا أعلم الرقم التالى -  
هذا الخندق الذى هلك فيه ثمانون ألف رجل فى أقل من ثلاثة شهور ،  
خندق سياستيبول هذا هو مقبرة الجيشين . وقد كلف حفر هذا الخندق  
الذى لم ينته العمل فيه بعد ثلاثة مليارات .

الحرب ، لهاء كبير يقبض أجره نمنا باهظا .

نعم ، لكى يتم حفر مقبرة الجيشين الانجليزى والفرنسى ، أنفقت  
فرنسا وانجلترا فى المجموع حتى الآن ثلاثة مليارات ، بما فى ذلك رأس  
مال السفن الحربية التى غرقت ، وكساد الصناعة والتجارة والايمان .  
ثلاثة مليارات ا بهذه المليارات الثلاثة كان يمكن انجاز شبكة السكك

(١) مدينة فى القمر عند حوض نهر تشرنايا - حرم عندها الجيش الروسى أمام  
الجيويس الفرنسية والانجليزية بعد معركة ضارمة - المترجم .

الحديدية الإنجليزية والفرنسية ، وبناء النفق الأنبروبي في بحر المانتس . وهو أحسن وسيلة للاتصال بين التسعين ، وأفضل من قبضة يدي لورد بالمرسون والسيد بونايرت اللذين يبدوان لنا فوق الرؤوس ومعهما نك الأسطورة التي نقول « مع حسن النية ! » . بهذه المليارات الבלابة كان يمكن صرف مياه مروج فرنسا و إنجلترا كلها ، وتزويد المدن والقرى والحقول كلها بالماء النقي ، وتطهير الأرض والانسان ، وغرس الأشجار والغابات في جميع المنحدرات بالبلدين ، ومن تم يمكن درء الفيضانات ، وتربية الأسماك في الأنهار كلها بحيث يمكن إعطاء الفقير سمكه السالمون بسعر الرطل جزءاً من عشرين من الفرنك ، ومضاعفة عدد المصانع والمدارس ، واكتشاف طبقات الفحم والمعادن في باطن الأرض واستغلالها ، ونزويد المقاطعات كلها بالمحاجر البخارية ، وبذر التقاوى في ملايين الهكتارات من الأراضي البور ، ونحويل المجارى الى آبار من السباخ ، ومنع القحط والمجاعات ، ووضع الخبز في كل الأفواه ، وزيادة الأنتاج والاستهلاك والتداول عشرة أضعاف ، وزيادة الثروة مائة ضعف ! - من الأفضل الاستيلاء - أخطأ ، بل عدم الاستيلاء على سياسنيول !

بل من الأفضل استخدام هذه المليارات في افناء هذه الجيوش  
والانفاس أفضل من الانتحار !

وعلى ذلك فالجيتتان يحضران أمام القارة التي ترتجف . وفي هذه الأثناء ماذا يفعل « الامبراطور نابليون الثالث » ؟ هأنذا أفتح إحدى جرائد «الامبراطورية ( ويفتح الخطيب جريدة ) وأقرأ فيها : « يواصل الكرنفال احتفالانه ، وكلها أعياد وحفلات رقص . أما الحداد الذي اتخذته البلاط بمناسبة وفيات ملكات سردينية ، فانها سوف نتوقف لأربع وعشرين ساعة حتى لا تتعطل حفلة الرقص التي سوف تقام في قصر النيولري » . نعم ، هذا هو صوت الفرقة الموسيقية الذي نسمعه في جناح « الساعة » . نعم ، لقد سجلت صحيفة « المونيتور » الوصف التفصيلي لرقصة « الكادريسي » التي « استترك فيها صاحباً الجلالة » . نعم ، الامبراطور يرقص . في حين تحلق عيوننا في الظلمات ، وننظر ، وينظر معنا العالم المتحضر المرتجف ، الى سياسنيول ، بئر الهاوية ، ذلك البرميل المظلم الذي نامى اليه فرنسا وانجلترا ، هانان الفتاتان « ابننا داناؤوس » (١) ذواتنا الأعين المموية ، تاتيان الواحدة بعد الأخرى ، ممتعنى الوجه

(١) الدانايد ، بنات داناؤوس : قول الاسطورة ، ابن حسون ناه . لنن في ليلة رفاهنن الزواجين ، فحكم عليهن بملء رميل لا قاع له - وأصبح تعبير « برميل الدانايد » يطلق على القلب الذي لا تمرغ رغانه ، والمرف الذي ينق كل ما يصل الى يديه ، إلج .. المترجم .

منعوشتي الشعر ، تصبان في الهاوية كنوزهما وأطفالهما ، وتكرران العمل  
دواما مرة بعدة مرة .

ومع ذلك فقد أعلن أن « الأمبراطور » سوف يسافر . يسافر الى  
القرم ! أهذا ممكن ؟ ها هو الحياء يأتيه ، ويستشعر انفعال الجماهير .  
ويرضونه علينا وهو يلوح بسيف لودي (١) ناحيه سيباستيول ، وينقل  
حذاء فاجرام (٢) ذا سبيعة الفراسخ ، مع نرولون ، وباروس ناكين  
ومنعلتين بأطراف حلته الرندجوت الرمادية . ماذا يريد هذا الشاخص  
الى الحرب أن يقول ! - أيها المواطنين ، اليكم بعض الذكريات \* في  
صباح الانقلاب ، عندما علم السيد بونابرت أن المعركة قد بدأت ، صاح  
قائلا : سأذهب لأقسام جنودي الشجعان المخاطر ! كان هناك على الأرجح  
باروش أو نرولون يتباكيان ، ولم يكن في الامكان متعه \* وانطلق .  
واجتاز الشانزليزيه والتويلري بين صفتين ثلاثين من رماح البنادق .  
وعندها خرج من التويلري ، دخل في شارع « ليشيل » ، وشارع ليشيل  
هو شارع « بيولوري » ، ولا ريب أنه كان هناك في الزمان الماضي سلم  
أو نمود يتسد اليه المجرمون . وفي هذا الشارع أبصر الحشد . ورأى  
حركة التهديد التي يقوم بها الشعب \* وصاح به أحد العمال : ليسقط  
الحائن ! وشجب وجهه ، واستدار الى الحلف ، وعاد الى الايليزيه . عاينا  
اذن الانفعال بسبب رحيله \* فهو اذا رحل فان باب التويلري وكذا باب  
الايليزيه سوف يبقيان مفتوحين خلفه \* اذا رحل فانه لن يولى وجهه سطر  
الحندي الذي يحتضر فيه الناس ، ولا سطر التنفرة التي يموتون فيها .  
ذلك لأن أول طلقة مدفع تصبح فيه قاتلة : ليسقط الحائن ، سوف تجعله  
يعود القهقري . فلنلزم الهدوء \* ان لوى بونابرت لن يتجاوز أبدا شارع  
ليشيل ، سواء في باريس ، أو في القرم ، أو في التاريخ .

ثم انه اذا رحل ، فسوف تبقى عين التاريخ ثابتة على باريس .  
فلسنتظر .

أيها المواطنين \* عرضت عليكم اللوحة التي تمثل أوروبا اليوم .  
ووضعت الحدود على الصورة وحدتكم عما ستكون عليه أوروبا الجمهوريه .  
أما الأمبراطورية فانكم ترونها .

- واليكم موقف فرنسا ، في داخل هذا الموقف العام \* أموال

---

(١) لودي - مدينة ايطالية على نهر آرا ، انتصر عندما بونابرت على المساويين في  
عام ١٧٩٦ - المترجم .  
(٢) فاجرام - قرية بالنسا ، بالقرب من فيينا . انتصر عندما نابليون الاول على  
الارشيدين شارل ( ١٨٠٩ ) - المترجم .

الدولة مبددة . المسئبل منعل بالقروض ، الكميالات مرفع عليها بامضاء « ٢ ديسمبر » و « لوى بونابرت » ، ومن ثم فهي عرضة للاحتجاج ( البروتستو ) ، النمسا وبروسيا اعداء خلف قناع التحالف . اتحاد الملوك كامن ، ولكنه ظاهر للعيان ، احلام التجزئة تعود ، مليون رجل على أهبة الانطلاق الى الراين عند اول اشارة يديها تقصر روسبا ، جيش افريقيا قد ابيد ، فماذا عساه تكون نقطة الارتكاز ؟ انجلترا : غرق اكيد .

ذلك هو الأفق المرعب الذى يقوم على طرفيه سبحانه ، شبح جيش القرم ، وشبح الجمهورية فى المنفى .

يا حسرتاه ! فى جانب أحد هذين الشبحين طعنة خنجر السنج الآخر ، ولكنه مع ذلك قد غفر له طعنته هذه .

نعم ، أؤكد أن الموقف مفرج للغاية ، حتى لقد استبد الهياج بالبرلمان فأمر بإجراء تحقيق . ويدو لأولئك الذين لا يؤمنون بمسئبل الشعوب المشمولة بالرعاية الربانية أن فرنسا سوف يهلك وأن انجلترا سوف تغرق .

ولندلخص .

الليل فى كل مكان . لم يعد فى فرنسا منبر ، ولا صحافه ، ولا كلمة . الروسية فوق بولندا ، والنمسا فوق المجر ، والنمسا فوق ميلانو ، والنمسا فوق فينيسيا ، وفرديناند على نابولى ، والبابا على روما . ويونابرت على باريس . وفى هذه الجلسة المخلقة فى الظلام ، تجرى مخائف الاعمال التى تجرى عادة فى الظلمات ، من اغتصاب ، وسلب ، ونهب . ونفى ، وضرب بالرصاص ، ومشاقق . وفى القرم حرب مخيفه ، جنس جيوش فوق جثث أمم : أوروبا كهف الذبائح . لا أعرف أى وهج مفرج سوف يضىء المستقبل . حصار ، ملق تحترق ، ضرب بالقنابل ، مجاعات . أربطة ، افلاسات . ونمة بداية دعوة للهرب من أجل المصالح والانانيات . وثمة حركات تمرد خفية بين الجنود فى انتظار صحوة المواطنين . أقول لكم انها حالة رهيبه ، فابحنوا عن مخرج لها . الاستيلاء عليها مهانة لا علاج لقد أنزلنا بأنفسنا الحزى والعار . ترى ماذا يحل بالشعوب التى تبقى على قيد الحياة ، تحت وطأة القباصرة الهائجين ؟ انها سوف تبكى حتى تسفح آخر قطرة من دمعها ، وسوف تدفع آخر فلس لديها ، وسوف تسفك دماءها الى آخر طفل لديها . نحن فى انجلترا ، فماذا نشهد حولنا ؟ نساء متسحات بالسواد فى كل مكان ، وأمهات وأخوات وبنات ينجمات وأرامل . أعد اذن الى هؤلاء النسوة ما يكين من أجله ! انجلترا كلها تحت ثوب الكفن . وفى فرنسا حدادان كبيران : أحدهما الموت ،

والسأى أسوأ منه . وهو العار : مذبحه بالاكلافا ، وحمل الرقص فى التويلرى .

أيها المنفيون ، لهذا الموقف اسم ، انه يسمى « المجتمع الذى بنا » . فلا ننسى هذا الموقف الذى يذكرنا به هذا الاسم ، ولنرجع أيضا الى الأصل . نعم ، هذا الموقف ، كل هذا الموقف ، يصدر عن « العمل الكبير » عمل ديسمبر . انه نتاج نقض اليمين فى ٢ ديسمبر ، ومجزرة ٤ منه . ولا نستطيع أن نقول عنه على الأقل انه ابن مجهول النسب ، فله أم . هى الخيانة . وله أب ، هو المذبحة . نأملوا هذين الشيشين اللذين يتلامسان فى الوقت الحاضر كما تتلامس اصبعها يد العدالة الالهيه . كمين عام ١٨٥١ ، وكارثة عام ١٨٥٥ ، نكبة باريس ، ونكبة أوروبا . بدأ السيد بونا يرت من الأولى فوصل الى الثانية .

اننى أدرك تماما ما يقولونه لى ، أعلم أن السيد بونا يرت يقول لى بنفسه وعن طريق صحفه : ليس فى فمك الا كلمة ٢ ديسمبر ! انك تردد دائما هذه الأشياء ! فأرد على ذلك قائلا : لأنك مازلت فى مكانك ! اننى ظلك .

هل هذا خطئى اذا كان ظل الجريمة سبيحا ؟

كلا ، وكلا . وعلينا ألا نسكت ولا نمل ولا نتوقف . ولكن نحن أيضا حاضرين ، نحن الحق والعدالة والحقيقة . فوق رأس بونا يرت الآن كفنان ، كفن الشعب ، وكفن الجيش ، فلنحركهما دون هوادة . ولنسمع الناس دواما ، ولنسمعوا خلال كل شئ . أصواننا فى أطراف الأفق ! وليكن عندنا تلك الرقابة المخيفة ، رقابة المحيط . والاعصار ، والشمس ، والعاصفة الهوجاء ، وكل فورات الطبيعة الهائلة .

وهكذا أيها المواطنين ، هناك معركة متناهية الشدة ، واستنزاف لجميع قوى الحياة لا يتوقف ، وتدهور لا حدود له . تلك هى حال مجتمع الماضى التعس الذى ظن أنه قد نجح بالفعل حين رأى ذات يوم ذلك المظالم الذى استولى على مقاليد ، يعهد بالنظام الى شرطة المدينة ، وبالحمول والبلادة الى الجيزويت !

قال مجتمع الماضى ان الأمور فى أيد أمينة .  
فما رأيه الآن ؟

يأتيها الشعوب ، هناك رجال عليهم اللعنة ، اذا وعدوا بالسلام . أوفوا بالحرب ، واذا وعدوا بالأمن ، أوفوا بالمصائب ، واذا وعدوا بالخاء . أوفوا بالخراب ، واذا وعدوا بالمجد ، أوفوا بالعار ، واذا اتخذوا تاج شارلمان . جعلوا تحته جمجمة ايزيلان ، واذا أعادوا سبك وسام قبصر ، جمارا

عليه صورة ماندران (١) ، وإذا أعادوا الامبراطورية ، فانما يعيدونها من عهد ١٨١٢ ، وإذا رفعوا النسر جعلوه أنوقا ، وإذا أطلقوا على شعب اسما ، كان هذا الاسم مزورا ، وإذا ادوا له قسما ، كان القسم زورا وبهتاناً ، وإذا أعلنوا له عن موقعة اوسترلینز ، لم يكن اوسترلینز هذا حقيقيا ، وإذا منحوه قبيلة ، كانت قبيلة يهوذا ( الاسخروطى ) واذا وهبوا له قنطرة للعبور من ضفة نهر الى ضفته الأخرى ، كانت تلك قنطرة بريزينا (٢) .

آه ، ليس منا أيها المنفيون من لم يحزن ، فالأسى فى كل مكان . والدناءة والبشاعة فى كل مكان ، ونضخم الفيصر انما هو تناقص النور . ولأن تدهور ذلك البلد العظيم ، الأبقى الكريم ، انجلترا ، يحط من قدرى كانسان . أنا الذى أحدثكم الآن ، ولأننا ننالم أسند الألم ونحس نسمع فى هذه اللحظة فرنسا وهى تسقط ، فيكون لسقوطها صوت - شبيه بالصوت الذى يحدثه سقوط النعش !

أنتم متكدرين ، ولكن عندكم شجاعة وإيمان . وحسنا نفعلون يا أصدقائي . تشجعوا أكثر من ذى قبل ! لقد قتلها لكم قبلا ، وادبا لنزداد وضوحاً يوم بعد يوم ، لم يعد لفرنسا وانجلترا فى هذه اللحظة سوى طريق واحد للخلاص ، ذلك هو تحرير الشعوب ، ونهضة القوميات نهضة شاملة ، والثورة . أهداف سامية . والبديع أن الخلاص فى الوقت ذاته هو العدالة ، وفى هذا نتجلى العناية الالهية .

نعم ، فلنتذرع بالشجاعة أكثر من ذى قبل ! لقد صاح دانتون فى لحظة الحظر : الجرأة ، الجرأة ، ومزيد من الجرأة ! ولا بد فى المحنة من الصباح : الأمل ، الأمل ، وهزيد من الأمل !

أيها الأصدقاء ، سوف تشرق الجمهورية الكبرى عمسا قريب ، الجهورية الديمقراطية الاجتماعية الحرة ، فمن وظيفة الامبراطورية أن تعمل على احيائها ، كما أن من وظيفة اللابسل أن يعيد النهار وسوف يخفقى رجال الثمر والطفقان ، ولم يبق من زمانهم الا دقائق معدودات . انهم يقفون وظهورهم ناحية الجرف ونحن الذين فى داخل الهاوية ، نرى أعقابهم بارزة من حافتها العليا . أيها المنفيون ، انى أرى عندهم السمع

(١) ماندران ( الوى ) - رئيس عصاة لصوص مشهور - ولد عام ١٧٢٤ - أعدم على عجلة التعذيب - المترجم .  
(٢) بريزينا - نهر فى روسيا ، يصب فى نهر الدنيبر . الشهير بدكرى مؤلة ، دكرى مرور الحسى الفرنسى من ٢٥ الى ٢٩ نوفمبر ١٨١٢ مهزوما بعد حملة روسيا - المترجم

الذى شربه سمراط ، ونل الجلجنة الذى صلب عليه يسوع المسيح ، وأريحا التى هدها اليهود ، وأشهد حمامات الدم التى أراقها أمثال راسيباس (١) . والحجرات المتهبة التى مضغتها بورثسيا (٢) ووجهة بروتوس ، وأكوام حطب الحريق التى صاح عندها جان هس : سوف تولد البجعه (٣) . وأشهد هذه البحار التى تحبب بنا والتى عبرها أمثال كرسطوف كوليس ، وأشهد هذه الكواكب التى تعلو رهوسنا والتى استفسر عنها أمثال جاليليو . أيها المنفيون ، الحرية خالدة ! أيها المنفيون ، الحقيقة أبدية ! التقدّم ، هو خطوة الاله نفسها .

وعلى ذلك فلتقر أعين الذين يسكون ، وليطمئن أولئك الذين يرتجفون ، وليس بيننا أحد منهم .

الانسانية لا تعرف الانتحار ، والله لا يعرف النزول عن الحق . كلا ، لن تبقى الشعوب فى الظلمات أبد الآباد ، تجهل الحالة الحاضرة فى العلم والفلسفة والفن والروح الانسانية ، وعيونها منبته فى بلاء على الطغيان الشبيه بميناء ساعة الأشباح التى يشير عقرباها السابتان . السيف والصولجان ، الى منتصف الليل ، أبد الأبدين .

---

(١) عضو مجلس الشيوخ الرومانى ، تاجر شد نيرون ، وحكم عليه بالاعدام فى عام ٦٦ - المترجم .

(٢) يورثسيا - ابنة كانون الأنيكى ، انفجرت عندما علمت بيوم زواجها بروتوس ، أحد فئلة يوليوس قيصر ( ٤٢ ق.م ) - المترجم .

(٣) ينسب الى أسطوره ، يابى فيها الفارس للتعذ فى عارب نحره نعمة - المترجم .



## خطاب الى لوى بوناپرت

٩ أبريل ١٨٥٥

### ٢

انتهت تلك الحرب المفجعة ، حرب القرم بقبلة منحتها للملكة فيكتوريا لامبراطور الفرنسيين وشخص لوى بوناپرت الى لندن للحصول على تالك القبلة . واثار هذا الحدث نوعا من النشوة فى الحكومتين . فكانت الأعياد بعد المذابح ، ومثل هذه الأمور تتعاقب .

وكان الحفل فاخرا ، بل وكان كادلا من جميع الوجوه . وتدخل فيه الرجل المنفى . فعندما نزل « الامبراطور » فى دوفر طالع العبارات الآتية فى ملاحظات على كل الحوائط :

### من فيكتور هوجو الى لوى بوناپرت

ما الذى أتى بك هاهنا ؟ على من تحقد ؟ من الذى جئت لتبينه ؟ انجلترا فى شعبها أم فرنسا فى منفيها ؟ لقد دفنا منهم حتى الآن تسعة فى جيرسى وحدها . أهذا هو ما تريد أن تعرفه ؟ كان آخرهم يدعى فيلكس بونى ، فى التاسعة والعشرين من عمره . أيكفيك هذا ؟ أتريد أن ترى قبره ؟ أقول لك ، ماذا أتى بك هاهنا ؟ انجلترا التى لا يغفل عنقها قيد ، وفرنسا المنفية ، وهذا الشعب الذى يتمتع بسيادته الذاتية ، وهذا النفى المقرون بازهاق الأرواح مع الهدوء ؛ كل هؤلاء لا شأن لهم بك . دع الحرية فى سلام ، دع المنفى فى هدوء .  
لاتأت .

ترى أية خدعة سوف تقدمها لهذه الأمة العظيمة الكريمة ؟ أية طعنة تفكر فى توجيهها للحرية الانجليزية ؟ هل تصل محملا بالوعود كما فعلت فى فرنسا عام ١٨٤٨ ؟ أم ستغير التمثيلية ؟ هل تضع يدك على قلبك فى مناسبة التحالف الانجليزى ، كما وضعتها فى مناسبة الجمهورية ؟ هل يحدث ذلك أيضا والرداء محكم الأزرار ، والشارة فوق الرداء ، ونبرة الصوت تلبى بالتأثر ، والعين دامعة ؟ أى يمين مقدسة

سوف تقسمها ؟ أى تأكيد بالاخلاص الأبدى ، وأى وعد صادق لايتنكح ،  
وأى اشهداد ، وأى قسم مطبوع مع صورتك على النقود ، سوف تعمل على  
نرويجهما هنا ، بامزيف عملات الشرف ؟ ماذا آيت به الى هذه الأرض ؟  
هذى أرض توماس مورس ، وهامبرين ، وبرادشسو ، وشكسبير ،  
وميلتون ، ونيوتن ، ووات ، وبايرون ، وهى ليست بحاجة الى عينة من  
وحل شارع مونارتر . أنأتى طلبا لوسام ربطة الساق الانجليزية ؟  
حقا ما أشجعك !

أقول لك لا نات . فلن نكون هنا فى مكانك اللانى بك . انك ترى  
أن هذا الشعب حر ، وترى جيدا أن هؤلاء الناس يقدون ويروحون ،  
يقرأون ويكتبون ، يستفهمون ويفكرون ، يصمبون ويسكتون ،  
ويتنفسون كيفما يشاءون ، وهذا شئ لا يشبه أى شئ مما تعرفون .  
ومهما نظرت الى ياقات الثياب ، فانك لن تجد بها النية التى تصنع بها  
قبضات ايدى رجال الشرطة . حقا ، انك لن تكون فى دارك ، بل ستكون  
فى جو لا تستطيع أن تتنفس فيه . انت ترى انه لا توجد هنا كتاب من  
الانكشارية ، لا من انكشارية القساوسة ولا من انكشارية الجنود ؛  
وترى انه لا يوجد جواسيس ، وترى انه لا يوجد جيزويت ، وترى أن  
القضاة يحكمون بالعدل !

المنبر يتكلم ، والصحف تتكلم . والضمير العام يتكلم . فى هذا  
البلد شمسيس ؛ وهانت يانسر ترى أن الدنيا نهيار ! فما الذى  
ستفعله هنا ؟

اذا أردت أن تعلم رأى هذا الشعب فيك ، فى غير موضوع الحلف ،  
فاقرأ صحفه الحقيقية ، صحفه التى صدرت منذ سنتين . اتزور لندن  
وأنت فى حلة الامبراطور والجنرال ؟ لقد زارها غيرك ، وكانوا أباطرة  
مثلك ، بل وجنرالات ، زاروها قبلك واستقبلوا فيها بوتائف النصر  
المختلفة ، ولسوف تلقى فيها نفس الحفاوة . أتذهب الى ميدان ترافاجار؟  
وتذهب الى ميدان واترلو ، وكورى واترلو ، وعمود واترلو ؟ لقد استقبل  
العهد والمشايخ فيها نيقولا . أتذهب الى حانة بركنز ؟ لقد استقبل  
فيها العمال هايناو (١) .

هل تأتى لتتحدث الى انجلترا عن القرم ؟ انك لئمس فى هذا  
الخصوص فاجمة كرى . لقد فتحت كارثة سباستيول جناح انجلترا

(١) يربليوس جاكوب دوهايناو - فيلد مارشال نمساوى ، اخضع البوره المحربة بقسوة  
( ١٧٨٦ - ١٨٥٣ ) - المترجم .

بدرجة أعمق من فتحها جناح فرنسا • الجيش الفرنسى يحضر ،  
والجيش الانجليزى ميت ؛ الأمر الذى لعله قد حمل أحد المؤرخين -  
إذا سلمنا بما يقوله بعض الذين يعجبون بأعمالك العشوائية - حمله  
على أن يبدى هذه الملاحظة : « اننا نأمر لواترلودون قصد منا • لقد أوقع  
نابليون الثالث بانجلترا فى سنة واحدة من التحالف معها ، أضرارا  
أشد مما أوقعه نابليون الأول بها فى حروب دامت خمس عشرة سنة  
( وبهذه المناسبة ، لم يعد أصداؤك يقولون عن نابليون الأول :  
« نابليون الكبير » • لماذا إذن ؟ ) •

نعم ، عندك نفر من هؤلاء المتملقين ، يا أمبراطور الصدفة • ان هذه  
المغامرة التى يسمونها من مقدراتك شئ غريب حقا • وان الكلمات  
لتعوزنا ، وتقع فى هاوية من الذهول حين تفكر أنه ربما قد وصل بك  
الأمر الى الاعتقاد بأنك شخصية هامة ، وأنتك ربما تأخذ هذه الفاجعة  
الرهيبية مأخذ الجد ، وأنتك على الراجح تتصور أنك تبهر أوروبا بذلك ،  
المنظر الذى سوف تتجلى فيه يوما أمام الشعب الانجليزى ، بالمشهد الذى  
تمتله فى الوقت الحاضر ، صامتا ، هائتا ، كثيبا ، واقفا فى غمامتك ،  
غمامة الآتام ، متوجها بنوع من الخزي الأمبراطورى الغامض ، وعلى  
جبينك كل هذه الدعاوى الكالحة التى تختص بها الصواعق ، وتختص  
بها ياسيدى أيضا محكمة الجنایات •

آه ! سوف تسمح هذه الأسياء الحقيقية الرهيبية • فاماذا أتيت  
الى هنا ؟

أسمع ! اختر من بين أعضاء هذه الحكومة الذين يرحبون بك  
لأسباب شتى ، أكثرهم حماسة ونشوة ، وأشدهم رهبة منك ؛ اختر  
الانجليزى الذى يصيح بأقوى ما يمكن : ليحى الأمبراطور ! عملة كان  
أم وزرا أم لورد ، ووجه اليه هذا السؤال البسيط : اذا حدث فى  
هذا البلد أن رجلا فى يده السلطة ، بصفة من الصفات ، وليكن وزيرا  
على سبيل المثال ( وهذا ماكنته ياسيدى ) قام ، بحجة أنه قد أقسم  
يمين الولاء للدمستور أمام الناس وأمام الله ، فأطبق على عنق إنجلترا ،  
وتسف البرلمان ، وقلب المنبر ، وألقى بأعضاء المجلس المتمتعين بالحصانة  
فى سسجون ميلبانك ، وتيرجيت ، وهدم وستمنستر ، وبدد أموال  
الشعب وأنفقها على حرسه ، وطردهم القضاة شر طردة ، وربط يدي العدالة  
خلف ظهرها ، وكتم الصحافة ، ودمر المطابع ، وخنق الجرائد ، وغطى  
لندن بالمدافع وحراب البنادق ، وأفرغ خزائن البنوك فى جيوب جنوده ،  
واقترح المنازل ، وذبح الرجال والنساء والشيوخ والأطفال ، وجعل من

هابديارك حفرة تطلق منها البنادق ليلا ، وأطلق البنادق الرشاشة على  
حتى « سبتيه » و « ستراند » وشوارع « ريجنت » ، وحي « تشيرنج  
كروس » وغيرها من أحياء لندن العشرين ، ومقاطعات إنجلترا العشرين ،  
وغطى الشوارع بجنث المارة ، وملا مستودعات الجثث والجبانات بالموتى ،  
ونشر الظلام في كل مكان ، والسكون في كل مكان ، والموت في كل  
مكان ؛ ومحا بكلمة واحدة ، وبضربة واحدة القانون ، والحرية ، والحق ،  
والأمة ، والنسمة ، والحياة ، فماذا عساه يصنع الشعب الانجليزي بهذا  
الرجل ؟ قبل أن تنتهي الجملة ، سوف ترون سلم المشنقة وهو يخرج  
من الأرض من تلقائه وينتصب أمامكم ! نعم ، المشنقة . وهما كانت  
بشاعة الجرائم التي عدتها الآن ، فاني لا أخفي عليك - ولم أخفي ؟  
لا أخفي عليك اني أنطق بهذه الكلمة والقلب منقبض ؟ ذلك لأن كلمة  
التقدم السامية التي اعترفنا بها نحن الديموقراطيين الاشتراكيين ،  
لم تعترف بها إنجلترا حتى اليوم ، فالحياة البشرية ، في نظر هذا  
الشعب الجزيري العظيم الذي توقف عند منتصف الطريق ، في القرن  
التاسع عشر ، وعلى مسافة من قمة الحضارة ، لم تصبح بعد آمنة  
مطمئنة .

ولابد أن يكون الانسان فوق هذه الهضبة المرتفعة ، هضبة النفي  
والحننة التي نحن فيها لكي يحيط بأفق الحقيقة كلها ، ويفهم أن الحياة  
البشرية كلها ، بل وحياتك أنت ياسيدي ، مقدسة .

على أن أصدقائك في هذا البلد لا يعالجون المسائل التي تمسك على  
هذا النحو ، طبقا لمبدأ من المبادئ . فهم يفضلون أن يقتصروا على القول  
بأنه لم يكن أبدا ثمة انقلاب سياسي ، وأن هذا شيء غير صحيح ، وأنت  
لم تقسم أبدا أي يمين ، وأن ديسمبر لم يكن له أبدا وجود ، وأنه لم  
تسفك نقطة دم واحدة ، وأن سانت أرنو ، وايسبيناس ، وموبا شخص  
اسطورية ، وأنه لا يوجد منفيون ، وأن لامبسا (١) في القمر ، وأننا  
انما نتظاهر بغير الحقيقة .

يقول الدهاة انه كان هناك في الواقع شيء ما ، ولكننا نبالغ ، وأن  
الرجال الذين قتلوا لم يكونوا كلهم من ذوى الشعور البيضاء ، وأن النساء  
الواتي قتلن لم يكن كلهن حوامل ، وأن طفل شارع تيكسون ذا الأعوام  
السبعة كان في الثامنة من عمره .

---

(١) لامبسا : مقاطعة في الجزائر ، كانت تستخدم كاصلاحية للجرمن في عهد  
الامبراطورية الثانية - المترجم .

أعود فأقول لآثأت الى هذا البلد .

وعليك فضلا عن ذلك أن تفكر فى عاقبة الرعونة ، وفى الأمور التى  
بعرض لها الحكومه التى سنستقبلك فى بلدهما . كان لباريس فورانات  
فجائية ، برهنت عليها فى عام ١٧٨٩ ، ١٨٣٠ ، ١٨٤٨ . ماذا يضمن  
للحكومة البريطانية ، مع تقديره الحق للصدقة الفرنسية ، ماذا يضمن  
للحكومة البريطانية ، أن ثورة لن تنفجر فى أعقابك ، وأن الديكور لن  
ينخير فجأة ، وأن معكر الأفراح القديم فى ضاحية سانت إظوان لن  
يستيقظ فجأة ويركل الأمبراطورية ، وأن الحكومة البريطانية ، تتسهم  
برقية كهربية ، فلا تجد فى ضيافتها فى سان جيمس ، صاحب الجلالة  
امبراطور الفرنسيين ، المدعو الى الوليمة الملكية ، وانما تجد فجأة بدلا منه  
المتهم الفرنسى الجمهورى ، المتتقع الوجه ، المرتجف الأوصال ؟ لن تجد  
نابليون صاحب العمود التذكارى ، وانما نابليون المشنقة ؟

ولكن شرطتك يطمنونك . فالانقلاب يحتفظ فى جعبته برئيس  
الشرطة العجوز فيدوك ، يبصر عن طريقه بواطن الأمور ، فهو بالنسبة  
اليه بمثابة الضمير . الشرطة مسؤولة أمامك عن الشعب ، كما أن القس  
مسئول أمامك عن الله . ويتحدث اليك كل من السيد بيترى ، والسيد  
سيبور ، كل من جهته : فالسيد بيترى يؤكد أن ذلك الشعب من الرعاع  
لم يعد له وجود . ويهمس السيد سيبور قائلا : أريد أن أرى الله يتحرك .  
وانت هادىء النفس . وتقول : لا عليك ، ان هؤلاء النظريين يحملون .  
انهم يريدون ارهايبى بالغيلان . لم يعد هنا ثورة ، لقد حطمها « فيبو » ،  
وتستطيع حكومة الانقلاب أن تنام ملء جفניה بفضل يقظة « باروش » (١) .  
والرعاع والضواحي ، كل هؤلاء تحت نعالى . لا أهمية لكل ذلك .

الحقيقة أن الأمر كذلك . ما أهمية التاريخ ؟ ما أهمية السلف ؟  
ما أهمية أن يكون هناك اليوم حكومة ٢ ديسمبر ، تتشبه بأوسترلتيين ،  
وسباستيويل معادلة لمارينجو (٢) ، ونابليسون الكبير ، ونابليون آخر  
يتحرك تحت المجهر (المكروسكوب) ، وأن يكون عمنا هو عمنا حقا (٣) ،  
أو أنه ليس عمنا ، وأن يكون قد عاش أو مات ، وأن تكون انجلترا قد

(١) باروش - من وزراء نابليون الثالث - للترجم .

(٢) مارينجو - قرية ايطالية ، مشهورة بانتصار الفرنسيين بقيادة بونابرت على  
النمساويين فى ١٤ يولية ١٨٠٠ - المترجم .

(٣) نابليون الاول هو عم نابليون الثالث ( لوى بونابرت - امبراطور الفرنسيين  
الذى يقصده المؤلف بهذا الخطاب ) - المترجم .

وضعت ولنجنون (١) فوق رأسه ، وهدسون لو (٢) على صدره ؟ ما أهمية كل ذلك ؟ لا أهمية لذلك . كل ذلك فى الماضى حديث افك وتشهير . ادا كنا صغيرين ، فهذا أمر لا يخص أحدا . الناس معجبون بنا . اليس كذلك يانرولون ؟ (٣) نعم يا مولاي . ليس هناك اليوم سوى مسألة واحدة : امبراطوريتنا . المهم هو شىء واحد : أن نسبت أنهم قد رسبوا بنا ، وأن نفرض « محدث النعمة » على بيت « برنسويك » الملكى القديم ، وازالة آثار كارثة القرم تحت ستار من الاحنقالات فى انجلترا ، والابتهاج فى هذا النوب ، وتغطية طلقات المدافع الرشاشة بالألعاب النارية . وعرض حلتنا ، حلة الجيرال فى المكان الذى رأنا فيه الناس وعصا السرطه فى يدنا ، وأن نكون فرحين ونرقص قليلا فى قصر بكنجهام . اذا لم ذلك ، تم كل شىء .

وعلى ذلك ، فلنسافر الى لندن ، فهذا على أية حال أفضل من السفر الى القرم ففي لندن سوف تتوالى طلقات المدافع بالبارود ، ويقام الحفلات خمسة عشر يوما ، فى لندن أعياد النصر ، وتزهات فى القصور الملكية . فى كارلتون هاوس ، وأوسبورن ، وجزيرة وايت ، وقصر وندسور حيث سرير لوى فيليب الذين يدين له بحياتك وبماله ، وحيث يتحدث إليك برج لانكاستر عن هنرى الأبله ، ويحدثك برج يورك عن ريتشارد القاتل ثم المراسم الكبرى والصغرى للنهوض من الفراش ، وحفلات الرقص ، وباقات الورد ، والفرق الموسيقية تؤدى مقطوعة « احكى يا بريطانيا » مع مقطوعة « الرحيل الى سوريا » ، وتريا مضيئة ، وقصور منيرة ، وخطب ، وهتافات الابتهاج . وتجد تفاصيل أحاديثك وآيات لطفك فى الصحف . شىء جميل . ولسوف تجد أننى أحس صنبعا اذ أخلط مقدما بهذه التفاصيل تفاصيل أخرى تاتى من موقع آخر من مواقع نصرك ، ذلك هو « كايين » فالمنفيون سياسيا - أولئك الرجال الذين لم يرتكبوا جريمة سوى أنهم كافحوا جريمتك ، أى أنهم أدوا واجبهم ، وكانوا مواطنين صالحين وشجعانا - منضمون هناك ( فى كايين ) الى المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة ، يشتهلون ثمانى ساعات يوميا تحت ضربات عصى السجنائين ، وصرخاتهم المزعجة ، شأنهم شأن العبيد فى

(١) ولنجنون - قائد انجليزى ( ١٧٦٩ - ١٨٥٢ ) - هزم القوات الفرنسية فى البرتغال واسانيا . وفى عام ١٨١٤ جاء الى سولت وباشر معركة تولوز . بولى فساده القوات المتحالفة ضد فرنسا عام ١٨١٥ ، وبيع معركة وانرلو - المترجم .  
(٢) هدسون لو - حاكم جزيرة سانت هيلين خلال فترة تسمى نابلدون اليها - المترجم  
(٣) ترولون - رئيس مجلس الشيوخ فى فرنسا فى عهد نابليون الثالث - المترجم .

الزمان الماضى ، محلوقى الروس ، على أجسامهم اسمال بالية كتبت عليها الحروف الأولى من كلمتى « أشغال ساقا » أما أولئك الذين يريدون أن تكتب على أحدىيهم كلمة « سجين المراكب » بحروف غليظة ، فانهم يسرون حفاة • ويؤخذ منهم النقود التى ترسل اليهم • وإذا نسوا أن يخلعوا الطافية أمام أى واحد من جنودكم الذين يتلون حراستهم ، اعتبر ذلك منهم سلوكا يستحق العقاب ، من قيود حديدية ، وسجن انفرادى ، وصوم ، وجوع ، او يربطونهم خمسة عشر يوما ، أربع ساعات كل يوم ، من الرقبة والصدر والأذرع والسيقان بحبال غليظة شدة الى وضمة • ويقضى فرار السيد بونار فى ٢٩ أغسطس بصفته حاكما لجويان ، بأنه مصرح للحراس بقتل المسجونين بحجة ما يسمونه « مخالفة تعليمات السجن » • مناح فطیح ، وبسما استوائية ، ومياه مويوة ، وحصى وتيفوس ، وحنين الى الوطن • هناك يموتون - بنسبة خمسة وثلاثين لكل مائتين فى جزيرة سان جوزيف الصغيرة وحدها ، وتلقى الجثث فى البحر • وهكذا الحال يا سيدى •

أعرف أن أحاديث القبور هذه نحمك على الابتسام ، ولكنك تبتسم لها فى وجه من يكون بسبها • وأوافقك على أن ضحاياك ، واليتامى ، والأرامل الذين تتركهم بأعمالك ، والمقابر التى تفتحها ، كل ذلك موضوع مستهلك • وهذه الأكتاف كلها تشير الى جبل المسنقة • وليس عندى جديد أقدمه لك • فماذا تريد ؟ أنت تقتل ، والناس يموتون • ولتحزم جميعا أمورنا ، فننتقل نحن الواقع ، وتقبل انت الصيحة تقاسى نحن من الجرائم ، وتقاسى أنت من الأشباح •

ثم انهم يطلبون منا هنا أن نصمت ، ويضيفون قائلين اننا نحن المنفين ، اذا رفعنا أصواتنا فى هذه اللحظة ، آتحنا الفرصة الملائمة لالتقاءنا خارج البلاد • ولسوف يحسنون صنعا • من العدل أن نخرج من البلاد فى اللحظة التى تدخلها أنت •

وسوف يكون فى هذه الحال لون من المجد للمطرودين • والأمر منطلقى من الوجهه السياسية • فاضطهاد المنفين أفضل ترحيب يعمل للنافى ، ويمكن قراءة ذلك فى كتابات مكيافيل ، أو فى عينيك •

أزق ملاطفة يمكن أن تقدم للخائن هى امانة المخدوعين • والبصقة على وجه المسيح ، بسمة فى نظر يهوذا •

فليفعلوا ما يشامون

الاضطهاد • فليكن

وأعلم أنه مهماً كان هذا الاضطهاد ، ومهما كان الشكل الذى يتخذه .  
فانا سوف نستقبله بفخر ورسور ، وسوف نحياه فى الوقت الذى  
يحيونك فيه . وليس هذا يشىء جديد . فى كل مرة صاح فيها الناس :  
سلام على قيصر ، أجاب صدى الصوت الآدمى قائلا : سلام أيها الألم

ومهما كان الاضطهاد ، فانه لن ينتزع من عيوننا ، ولا من أعين  
التاريخ ، ذلك الشبح القبيح الذى صنعته ، ولن يمحو من أمام ناظرينا  
مرأى حكومتك فى غداة الانقلاب ، وتلك الوليمة الكانوليكية العسكرية ،  
وليمة تيجان الأساقفة وقلنسوات ضباط الجيش ، ذلك الجمع الخليط من  
المدرسة الاكليريكية ومن ثكنات الجنود فى لهر وقصف ، ذلك الهرج والمرج  
من أصحاب الثياب الرسمية المشتوسه ، وأصحاب الثياب الكهنوتية  
السكرارى ، تلك الوليمة التى تضم الأساقفة وضباط الصف ، التى لم  
يعد من فيها يعرفون ما يصنعون ، فيها يسب « سيبور » الدين ، ويتوسل  
« مانيسان » ، ويقطع القس خبزه بالسيف ، ويشرب الجندى فى وعاء  
القربان ، لن يمحو من أمام ناظرينا أغوار مصيرك ، وخبو جذوة هذه  
الامة العظيمة ، وانطفاء نور العالم ، وهذا الحزن ، وهذا الحداد ، وهذه  
اليمن الزور الكبيرة ، وموتمارتر ، الجبل القائم على أفك المشتم ، والغمام  
الثابت ، غمام الطلقات النارية فى « شان دومارس » ، هناك آلات  
الاعدام ، الجيوتين ، التى رفعت مثلثاتها السود فى عام ١٨٥٢ ، وهنا ،  
تحت أقدامنا ، فى الظلام ، هذا المحيط الذى يحمل فى زبده جنت  
ضحايك فى كابين .

آه ! لعنة المستقبل هى أيضا بحر . وذكراك ، جثة بشعة ، سوف  
تنقلب أبدا فى هذه الأمواج المظلمة !

آه ، أيها التعس ! ألدريك فكرة عن مسئولية النفوس ؟ ما هو  
غدك ، غدك على الأرض ، غدك فى القبر ؟ ماذا ينتظرك ؟ أتؤمن بالله ؟  
من أنت ؟

ويعز على النوم أحيانا فى الليل – فسبات الوطن هو سهاد المنفى –  
فانظر الى الفلك السرمدى ، وجه العدالة الأبدية ، وألقى على الظلال  
أسئلة عنك ، وأطلب الى ظلمات الاله رأيها فى ظلماتك ، وأرئى لك  
يا سيدى ، فى سكون الأبدية الرهيب .

( فيكتور هوجو )



كان لوى بونايرت في هذه الأثناء ، يجري في السر بعض المناورات ، وذلك على أثر التعذيب الذي قرأناه بعاليه . وحرك في هذا الصدد شخصا من التكرات في مجلس العموم يحمل اسما مشهورا ، ذلك هو السير روبرت بيل الذي استخدم اللهجة الجدية التي نقرأها السياسة ، وخاصة في انجلترا ، في التشهير بفيكتور هوجو ، وماتسيني (١) ، وكوسوت (٢) ، وقال عن فيكتور هوجو : « لهذا الانسان نوع من النزاع الشخصي بينه وبين الشخصية الجلييلة التي انتخبها الشعب الفرنسي ملكا له » . ويبدو أن لفظة « الانسان » هي الكلمة المناسبة . وثمة شخص يدعى مسيو دو ريبوكور ، استخدم هذه الكلمة فيما بعد ، في مايو ١٨٧١ ، ليطلب طرد فيكتور هوجو من بلجيكا ، واستخدمها السيد بونايرت ليكني بها عن مثلي الشعب الذين نفاهم في يناير ١٨٥٢ . وعندما أبلغ السيد « بيل » هذا في تلك الجلسة التي انعقدت في ١٣ ديسمبر ١٨٥٤ عن رسائل ونشرات فيكتور هوجو ، أعلن أنه يسأل وزراء الملكة عما اذا كانت هناك وسيلة لوضع حله لهذه الأعمال . وكانت بذرة الاضطهاد كامنة في كلامه . ولم يهتم فيكتور هوجو بهذه الأشياء المختلفة ، واستمر في أداء واجبه ، وحرك من فوق رأس الحكومة الانجليزية « رسالته الى لوى بونايرت » التي قرأها آنفا . واحتدم الغضب ، ونشط الحلف الانجليزي الفرنسي بفجأة ، وقام شرطة باريس بتمزيق ملصقات المنفى

(١) ماتسيني ( جويبي ) - ( ١٨٠٥ - ١٨٧٢ ) - وطني ايطالي ، مؤسس جمعية سرية ( ايطاليا الفتاة ) ، استمر يحيك المؤامرات ، في ايطاليا وسويسرا - نشر في الكتب والمجلات مبادئه الثورية ، وناذى باقامة جمهورية ايطالية موحدة . الترجمة .

(٢) كوسوت ( لويس ) - ( ١٨٠٢ - ١٨٩٤ ) - بطل وقاتل هنغاري ، لعب دورا خطيرا في الثورة الهنغارية ، مارس ١٨٤٨ - صار في أبريل ١٨٤٩ رئيسا للجمهورية الهنغارية الجديدة - فرال تركيا حينما طبقت القوات النمساوية والروسية على هنغاريا - وقضى بقية حياته في المنفى - الترجمة .

من فوق حواظ لندن . ومع ذلك ارتأى للحكومة الانجليزية أنه من الاضرب انتظار فرصة أخرى . ولم تلبث أن سنحت هذه الفرصة ، فقد نشرت في لندن رسالة بليغة ، ظريفة ، سافرة موجهة الى الملكة ، وعليها توقيع فليكس بيان ، ونقلتها في جيرسي جريدة « لوم » ( الانسان ) - ( انظر كتاب « رجال المنفى » ) . وحدث الانفجار على اثر ذلك . وأبعد من جيرسي بأمر الحكومة الانجليزية ثلاثة من المنفيين : ريبيرول ، محرر صحيفة « لوم » ، والكولونيل بيانتشيانى ، وتوماس . وتدخل فيكتور هوجو ، ورفع صوته دفاعا عنهم .

### ( بيان )

أبعد من جيرسي ثلاثة من المنفيين ، ريبيرول ، الكاتب البليغ الشجاع ، وبيانتشيانى ممثل الشعب الايطالى الشهم ، وتوماس ، سجين مون سان ميشيل الشجاع .

العمل خطير ، فاذا هناك على ما يبدو ؟ الحكومة الانجليزية . وماذا هناك فى الباطن ؟ الشرطة الفرنسية . يد فوشيه تستطيع أن ترتدى قفاز كاستيلريا ، وهذا العمل يثبت ذلك .

لقد تسخلت حكومة الانقلاب فى الحريات الانجليزية . وانتهت انجلترا فى هذا الخصوص الى أن تنفى المنفيين . وخطوة أخرى تصير انجلترا بعدها من توابع الامبراطورية الفرنسية ، وتصبح جيرسي مقاطعة تابعة لمركز كوتانس .

ورحل أصدقائنا ، ونفذ أمر الاقصاء .

وسوف يقدر المستقبل هذا العمل ، ونحن انما نقصر على تسجيله . اما أعمال العنف التى وقعت على أشخاصنا فانها تحملنا على الابتسام والسخرية ، بغض النظر عن الحق الممتدى عليه .

الثورة الفرنسية مستمرة ، والجمهورية الفرنسية هى الحق ، والمستقبل أمر محتوم . ما أهمية كل ما عدا ذلك ؟ ثم ما هو هذا الاقصاء ؟ حلية أخرى تضاف الى النفى ، تثب آخر فى العلم .

فقط ، ليس هناك شبهة فى المسألة .

واليكم ما نقوله ، نحن منفيى فرنسا ، لكم يا حكومة انجلترا السيد بونابرت ، « حليفكم الوفى القوى » ، لا وجود له شرعى ، سوى أنه متهم بجريمة الخيانة العظمى .

فمنذ أربع سنوات والسيد بونايرت تحت رحمة أمر بالضبط والاحضار موقع عليه من السادة أردوان رئيس المحكمة العليا ، والقضاء ديلاالم ، وياتاي ، ومورو ( من السين ) ، وكوش ، والى جانبهم توقيع رينوار النائب العام (١) .

لقد أقسم السيد بونايرت بصفته موظفا يمين الاخلاص للجمهورية ، وحنث في يمينه .

وأقسم السيد بونايرت يمين الاخلاص للدستور ، وهدم الدستور . وانتكح السيد بونايرت كل القوانين ، وهو الامين على القوانين كلها . وسجن السيد بونايرت ممثلى الشعب المنتخبين بالحصانة . وطرد القضاة .

واقترف السيد بونايرت ، ليفلت من أمر القبض والاحضار ما يقترفه الاشرار للانفلات من الشرطة ، فقتل .

وضرب السيد بونايرت بالسيف والمدفع الرشاش ، وأعدم ، وذبح بالنهار ، وأطلق الرصاص بالليل .

وأعدم السيد بونايرت بالجويون كوزينييه ، وسبراس ، وشارليه المتهمين بتقديم المساعدة العسكرية فى تنفيذ أمر القبض والاحضار .

ورشا السيد بونايرت الجنود ، ورشا الموظفين ، ورشا القضاة . وسرق السيد بونايرت أموال لوى فيليب الذى يدين له بحياته .

وحجز السيد بونايرت على الاموال ونهبها وصادرها ، وأرهب الضمائر ، وهدم الأسر ونفى السيد بونايرت ، وأبعد ، وطرد ، وأقصى فى أفريقيا وفى كايين ، وأرسل الى المنفى أربعين ألف مواطن ، من بينهم الموقعون على هذا التصريح .

(١) حكم

ينقض المادة ٦٨ من الدستور .

علن محكمة العدل العليا .

أن لوى نابليون بونايرت متهم بجريمة الخيانة العظمى .

وتدعو هيئة المحلفين الوطنية الى محاكمته دون امهال ، وتكلف السيد المستشار

رينوار بمهام النيابة العمومية لدى المحكمة العليا .

صدر فى باريس فى ديسمبر ١٨٥١ .

امضاء

أردوان ، رئيسا ، ديلاالم ، باتال ، مورو ( من السين )

وكوشى ( قضاة )

الخيانة العظمى ، اليمين الزور ، الحنث في اليمين ، رشوة الموظفين ،  
الحجر على المواطنين ، النهب ، السرقة ، القتل ، كل أولئك جرائم نصت  
عليها كل القوانين ، لدى كل الشعوب ، تعاقب عليها انجلترا بالإعدام  
شنتقا ، وتعاقب عليها فرنسا بالليمان ، في حين ألغت الجمهورية عقوبة  
الإعدام .

فمحكمة الجنايات تنتظر السيد بونابرت .

ويقول له التاريخ ، منذ اليوم : قف ، أيها المتهم .

والامبراطور المجرم هو جلاذ الشعب الفرنسي ، وحليف الحكومة  
الانجليزية هذا ما تقوله .

وهذا ما قلناه بالأبس ، وقالته معنا الصحافة الانجليزية برمنها ،  
وما سوف نقوله في الغد ويقولوه معنا الحلف بالاجماع .

هذا ما سنقوله على الدوام ، نحن الذين لا نملك سوى روح واحدة .  
هي الحقيقة ، وكلمة واحدة ، هي العدالة .

والآن فلتطردونا !

### ( فيكتور هوجو )

جيرسي في ١٧ أكتوبر ١٨٥٥

وأضيف الى توقيع فيكتور هوجو ثلاثة وثلاثون توقيعاً من المنفيين ،  
هي : الكولونيل شاندر تيليكي ، أ . بوفيه ، يونيه دو فيرديه ، هينيه  
دوكيلر أرسين هاييس ، البر باربيو ، روميلاك ، محام ، أ . س .  
فيستر ، ضابط نمساوي سابق ، دكتور جوريه ، شارل هوجو ،  
ج . ب . أمييل ( من أرييج ) فرانسوا فيكتور هوجو ، ف . تافيري ،  
تيوفيل جيران ، فرانسوا زيشون ، بنجامان كولان ، ادوار كولييه ،  
كوزيل ف . فانسان ، أ . بياسيكي ، جوزيب رانكان ، لوفيفر ،  
دكتور باربييه ، طبيب ، ه . بريفيرو ، محكوم عليه بالإعدام في  
انقلاب ، ديسمبر ( الييه ) دكتور فرانك ، منفي ألماني ، بابوفسكي  
وزينو ، زفيتوسلافسكي ، منفيان بولنديان ، ادوار بيغي منفي ايطالي ،  
فوميرتو ، الأب فوميرتو ، الابن ، شاردينال ، بويار ، دكتور دوفيل .  
والفقرة التالية منقولة من كتاب « رجال المنفى » لشارل هوجو :

في الساعة العاشرة من صباح يوم ٢٧ أكتوبر ١٨٥٥ ، تقدم ثلاثة

استخاص من دار « مارين بيراس » وطلبوا التحدث الى السيد فيكتور هوجو وابنيه .

وسأل السيد فيكتور هوجو أول الثلاثة قائلا : « من لي الشرف بمحادثته ؟ » .

— أنا ضابط شرطة سان كليمان يا سيد فيكتور هوجو ، مكلف من قبل صاحب السعادة حاكم جيرسيى بأن أخطركم بأنه بموجب الأمر الملكى ، لم يعد بوسعكم الإقامة فى هذه الجزيرة . وعليكم مغادرتها من الآن حتى يوم ٢ نوفمبر المقبل . والباعث لهذا الاجراء الذى اتخذه بشأنكم هو توقيعكم بأسفل « البيان » الذى أعلن فى شوارع سان هيلينيه ، ونشر فى صحيفة « لوم » .

— حسن يا سيدى .

وأبلغ ضابط الشرطة بعد هذا نفس الاخطار بنفس الصيغة السيدين شارل هوجو ، وفرانسوا فيكتور هوجو اللذين ردا عليه كما رد فيكتور هوجو .

وسأل السيد فيكتور هوجو الضابط عما اذا كان فى استطاعته ان يترك له نسخة من أمر الحكومة الانجليزية . ولما أجاب السيد لينفيو بالنفى ، وصرح بأن هذا الشئ غير متبع ، قال له السيد فيكتور هوجو :  
— « أرى أننا نحن المنفيين نوقع وننشر ما نكتبه وأن الحكومة الانجليزية تخفى ما تكتبه » .

وبعد أن أدى الضابط ومساعداه مأموريتهم جلسوا .

وواصل فيكتور هوجو الحديث فقال : « من الضرورى أيها السادة ان تعرفوا مرعى العمل الذى أدبتموه منذ هنيهة بقدر من اللباقة وبأسلوب يسرنى أن أقر باتساقه التام . ولست أحملكم أنتم مسئولية هذا العمل ، ولا أريد أن أسألكم رأيكم فيه ، وأنا واثق أنكم فى وجدانكم حائقون ومتكدرون بسبب ما كلفتمكم السلطة العسكرية أداءه اليوم » .

وبقى الضباط الثلاثة ساكتين مطاطئى الرؤوس .

واسترسل فيكتور هوجو :

— « لا أريد أن أعرف شعوركم ، فسكوتكم يحدثنى عنه بالقدر الكافى . ان بين ضمائر الشرفاء قنطرة تنتقل من طريقها الأفكار دون حاجة الى أن تخرج من الفم . ومع ذلك أكرر لكم القول بأنه لا بد من

أن تقدروا جيدا كنه العمل الذى نظنون أنكم قد أجبرتم على المساعدة فى تنفيذة . سيدى ضابط شرطة سان كليمان ، أنت عضو فى مجلس طبقات الأمة عن هذه الجزيرة . وقد انتخبك مواطنوك بطريق الافتراح الحر . أنت ممثل شعب جيرسى . فما قولك اذا بعث الحاكم العسكرى جنوده ذات ليلة للقبض عليك وأنت فى فراشك ، وألقى بك فى السجن ، وحطم بين يديك النفويض الذى عهد بك اليك ، وعاملك ، أنت ممثل الشعب كما لو كنت شر العباد ؟ ما قولك اذا صنع الشيء نفسه مع كل واحد من زملائك ؟ وليس هذا كل شيء . اننى أفرض انه اراء هذا الانتهاك للقانون اجتمع قضاة بلاطكم الملكى ، وأصدروا حكما يفضى بأن الحاكم متهم بجريمة الخيانة العظمى ، وعندئذ أرسل الحاكم نردمة من الجنود قاموا بطرد القضاة من كراسيهم وسط مداولانهم الرسمية . وأفترض أيضا أنه أزاء هذه الاعتداءات يجتمع مواطنوا جزيرتكم الشرفاء فى الشوارع ، ويحملون السلاح ، ويقومون الحواجز ، ويباشرون المقاومة بالقوة باسم القانون ، وعندئذ تقوم حامية الحصن ببناء على أمر الحاكم بضربهم بالبنادق الرشاشة . وأفترض أكثر من ذلك أنه ذبح النساء والأطفال والعجائز والمارة المسالمين العزل من السلاح طوال يوم كامل ، وأنه حطم أبواب المنازل بطلقات المدافع ، واخترق الحوانيت برصاص البنادق . وقتل السكان وهم تحت أسرتهن بطعنات من حراب البنادق . لو فعل حاكم جيرسى كل هذا ، فما قولكم ؟

وأنصت ضابط شرطة سان كليمان الى هذا الكلام فى سكون عميق وارتباك واضح . واستمر صامتا يعد السؤال الذى وجه اليه . وكرر فيكتور هوجو سؤاله : « ما قولك يا سيدى ؟ أجب » .  
فأجاب السيد لينيبفو : أقول ان الحاكم يكون عندئذ مخطئا .

— عفا يا سيدى ، فلنتفاهم فى مدلول الكلمات . تقابلنى فى السارح ، وتحيينى ، وأنا لا أحبيك . وتدخل منزلك تقول : « السيد فيكتور هوجو لم يرد تحيتى فهو مخطئ » عظيم . ولمة طفل يخفق أمه ، فهل تكتفى بأن تقول انه أخطأ كلا ، ستقول انه مجرم . عظيم . وأنا أسألك : ألا يعتبر الرجل الذى يقتل الحرية ، ويذبح شعبا ، قاتلا لاهله ؟ ألا يعتبر مرتكبا جناية ؟ أجب .

### فقال الضابط :

— نعم يا سيدى أنه يرتكب جناية .  
— أسجل اجابتك يا سيدى الضابط . وأستمر . عندما اعتدوا عليك وأنت تؤدى مهمتك التى وكلت لأدائها كممثل للشعب ، وطردت من

مقر عملك وسجنت لم نفيته ، اعتكمت في بلد يعتقد أنه حر ويتبعاي بذلك . وكان أول عمل تؤديه هناك أن توضح الجريمة وتعلق على الحوايط الحكم الذي أصدرته محكمتك والذي يقرر أن الحاكم متهم بالخيانة العظمى . وكان أول ما فعله أن تنبئ كل الذين يحيطون بك ، والعالم بأسره لو استطعت ، بنبا الجريمة الفظيمة التي رحمت ضحيتها أنت وأسرتك وحريتك وحقوقك ووطنك . الست بهذا العمل يا سيدي الضابط ، تستخدم حقك ؟ بل اني أذهب الى أبعد من هذا فأقول : الست تؤدي واجبك ؟

وجاوب الضابط أن يتحاشى الاجابة على هذا السؤال الجديد ، فتمسم يقول انه لم يات ليناقتس قرار السلطة العليا ، وانما هو قد أتى فقط لتبليغ القرار .

والج فيكتور جوهو قائلا :

« اننا نصنع في هذه اللحظة يا سيدي صفحة من صفحات التاريخ يوما من الأيام . أجب اذن . الست تستخدم حقك ، وتؤدي واجبك ، عندما تحتج على الجريمة ؟  
- نعم يا سيدي .

- ما رأيك اذن في الحكومة التي ترسل اليك من أجل اذائك هذا الواجب المقدس ، أمرا بمغادرة البلد ، على يد ضابط يفعل معك ما تفعله معي اليوم ؟ ما رأيك في الحكومة التي تطردك ، أنت المنفي ، وتبعذك أنت ممثل الشعب بسبب اذائك واجبك ؟ الا تعتقد أن هذه الحكومة قد انحطت الى أدنى مدارج الحزى ؟ غير أنني أقنع في هذه النقطة يا سيدي بسكوبك . أنتم هنا ثلاثة رجال شرفاء وأنا أعلم ، دون أن نتكلموا ما تجيب به الآن ضمائركم » .

وغامر أحد مساعدي الضابط ببدء ملاحظة في استحياء :

- سيدي فيكتور هوجو ، في بيانك شيء آخر خلاف جرائم الأمبراطور .

- أنت مخطيء يا سيدي ، وحتى أقنعك بذلك ، اقرأ لك البيان . وتلا فيكتور هوجو البيان ، وجعل يتوقف عند كل فقرة ويسال الضباط الذين كانوا يستمعون اليه قائلا : أكان من حقنا أن نقول هذا ؟

فقال الضابط :

- ولكنك تعارض في طرد أصدقائك .

فأجاب فيكتور هوجو :

- انني أعارض فيه جهارا . ولكن ليس من حقى أن أقول ذلك ؟

الا تمتد حرية الصحافة فتشمل إباحة انتقاد أى إجراء تعسفى تقوم به  
السلطة ؟

فقال الضابط : بالتأكيد بالتأكيد .

— وقد أنيتم لابلاغى أمر الطرد بسبب هذا البيان ، هذا البيان  
الذى تقرون بأنه من واجبى عمله ، وتسلمون بأنه لا يتضمن أية عبارة  
تتخطى حدود حريتكم المحلية ، وأنكم خليقون بعمله لو كنتم فى مكانى ؟  
فقال أحد الضابطين المساعدين : انه من أجل خطاب فيلكس بيات .

فاسترجع فيكتور هوجو مخاطبا الضابط : « معذرة ، ألم تقل  
لى اننى يجب أن أغادر الجزيرة بسبب توقيعى أسفل هذا البيان ؟ » .

وأخرج الضابط من جيبه مظروف الحاكم وقتحه وقال :

— بالفعل أنت مطرود بسبب البيان وحده ، لا لشيء آخر  
— اننى أثبت هذا وأسجله أمام الموجودين هنا .

وقال الضابط للسيد فيكتور هوجو :

— هل لى أن أسألك يا سيدي عن اليوم الذى تعتزم مغادرة الجزيرة  
فيه ؟

وأنى فيكتور هوجو بحركة وقال : لماذا ؟ هل هناك إجراءات شكلية  
لا بد أن تجرىها ؟ هل أنت فى حاجة الى أن تثبت أن أمر الطرد قد تم  
تبليغه على أفضل الوجوه وأكملها ؟

فأجاب الضابط :

— سيدي ، اذا كنت أرغب فى معرفة وقت رحيلك ، فانما لكى  
أحضر فى ذلك اليوم لأقدم لك احتراماتى .

( فقال فيكتور هوجو ) :

— لا أعرف الآن اليوم الذى سوف أرحل فيه . ولكن اطمئنوا فانى  
لن أترى حتى انتهاء المهلة . واذا استطعت أن أرحل فى ربح ساعة  
فسوف أفضل . اننى أتمجل مغادرة جيرسى ، فالأرض التى لم يعد فيها  
شرف انما تحرق قدمى .

واردف فيكتور هوجو قائلا :

— والآن يا سيدي الضابط ، لك أن تنصرف . وسوف تقدم تقريرا  
عن تنفيذ مهمتك لرئيسك الحاكم العسكرى الذى سوف يقدم عنه تقريرا  
لرئاسته وهى الحكومة الانجليزية التى سوف تقدم عنه تقريرا لرئيسها  
السيد بوتابرت .

وفى يوم ٢ نوفمبر ١٨٥٥ غادر فيكتور هوجو جيرسى ، وذهب  
الى جيرنسى . وفى هذه الأثناء تحركت مشاعر الشعب الانجليزى الحر .



وجرت اجتماعات في كل أنحاء بريطانيا العظمى ، واستنات الأمة من طرد المنفيين من جيرسي ، فوجهت لومًا شديدًا للحكومة . واحتجت إنجلترا عن طريق لندن كما احتجت اسكتلندا في جلاسجو . وشكر فيكتور هوجو الشعب الانجليزي .

جيرسي ، اوتفيل هاوس في ٢٥ نوفمبر ١٨٥٥

### الى الانجليز

مواطني الاعزاء في الوطن الأوروبي الكبير .

تسلمت من يدى أختينا فى الايبان ، الأخ الشجاع هارنى ، الرسالة التى تكرمتم بتوجيهها الى باسم لبتنكم ، وباسم اجتماع نيوكاسل وأشكركم من أجلها . كما أشكر أصدقائكم ، باسمى واسم زملائى فى الكفاح والنفى والتشريد .

كان من المستحيل ألا يثير طرد المنفيين من جيرسي استياء عاما فى إنجلترا . فانجلترا أمة كريمة عظيمة تنبض فيها قوى التقدم الحية كلها ، وتدرك أن الحرية هى النور . ولكن ما جرى فى جيرسي هو تجربة فى خفاء الليل وغارة الظلمات ، وهجمة بالسلاح شنها الطغيان ضد دستور بريطانيا العظمى الحر القديم ، وانقلاب سياسى أوقعته الامبراطورية بوقاحة فى قلب إنجلترا . لقد تمت عملية الابعاد فى ٢ نوفمبر ، وهذا خطأ فى التوقيت ، اذ كان الواجب أن تتم فى يوم ٢ ديسمبر .

رجائى أن تبلغوا أصدقائى أعضاء اللجنة وأصدقائكم فى الاجتماع تأثيرنا الشديد بظاهرتهم الحسامية النبيلة . ومن شأن هذه الأعمال أن تنذر وتوقف بعض حكامكم الذين يفكرون فى هذه الساعة أن يوجهوا الضربة الأخيرة للشرف الانجليزي القديم عن طريق قانون الأجانب المخزى .

ان مظاهرات ، مثل مظاهرتكم والمظاهرات التى جرت فى لندن ، وتلك التى يجرى الترتيب والاعداد لها فى جلاسجو تثبت الحلف وتقويه وتدعمه ، لا الحلف الباطل الكاذب المشتم ، المعمم برماد مجلس الوزراء الانجليزي الحاضر ورماد الامبراطورية البونا برتية ، وانما الحلف الحقيقى الضرورى ، الأبدى ، حلف شعب إنجلترا الحر ، وشعب فرنسا الحر .

وتقبلوا مع جزيل الشكر وأسمى معانى الاخاء القلبي .

( فيكتور هوجو )

١

فى يوم ٢٥ مايو ١٨٥٦ ، حين بدأ فيكتور هوجو يستقر فى منفاه الجديد فى جبرنسى ، تلقى من مانسىيى الذى كان وقتئذ فى لندن هذين السطرين :

« أسألكم كلمة لايطاليا • انها تميل فى هذه اللحظة ناحية الملوك •  
نهبوها وقوموها • »

( ج : مانسىيى )

### الى ايطاليا

أيها الايطاليون ، هذا الذى يتحدث اليكم أخ مجهول ، ولكنه مخلص •  
احترزوا مما يبدو أن المؤتمرات ومجالس الوزراء والدبلوماسيات تعده  
لكم فى هذه اللحظة • لقد تحركت ايطاليا • وبجلى فيها دلائل التيقظ  
وصارت تزعج وتقلق الملوك الذين بدأ لهم من الضرورى تنويعها للحال •  
احترسوا ، انهم لا يريدون تهدتكم ، فالتهدئة لا تكون الا باحقاق الحق ،  
انما هم يريدون أن تستغرقوا فى سباتكم ، أن تموتوا • ومن ثم كانت  
الفخاخ • فحاذروا ومهما كان المظهر الخارجى ، لا تشردوا عن الحقيقة •  
الدبلوماسية هى الليل • ان ما يعال لكم انما يدبر ضدكم •

ماذا ! تنظيمات ، اصلاحات ادارية ، عفو شامل ، العفو عن بطولتكم ،  
شئ من التحرر الدينى ، قلبل من حرية الرأى • مجموعة من قوانين نابليون،  
الديمقراطية البونابرتية ، الخطاب القديم الموجه الى « ادجار نبى » وقد  
أعيد كتابته بالمداد الأحمر بدم باريس باليد التى قتلت روما ! هذا هو  
ما يقدمه لكم الامراء ! وانتم تعبرونهم الآذان ! وتقولون : لننقع بهذا ،  
وتقبلون ، وتلقون السلاح ! وتؤجلون هذه الثورة المظلمة الجليلة الكامنة  
فى قلوبكم ، والتى تسطع فى عيونكم ! أهذا شئ ممكن ؟

سوف تنقش فجأة وفي وقت واحد بالنسبة للكافة ، وأنه اذا كان الغد لنا فهو لكم ، وأنه في اليوم الذي تظهر فيه فرنسا للعالم تظهر إيطاليا أيضا .

نعم ، أي من الشعبين ينهض أولا ، سوف يعمل على انهاض الشعب الآخر . نحن ، بتعبير أفضل ، شعب واحد ونوع بشري واحد . أنتم الجمهورية الرومانية ، ونحن الجمهورية الفرنسية ، تسرى فينا نسمة حياة واحدة . ولا نستطيع نحن الفرنسيين أن نتوارى عن اشعاع إيطاليا كما أنكم أيها الايطاليون لا تستطيعون أن تتواروا عن اشعاع فرنسا . بيننا وبينكم ذلك التضامن الانساني العميق الذي سوف تتولد منه الوحدة الشاملة وقت الكفاح ، والتآلف بعد النصر . أيها الايطاليون ، سوف يشهده المستقبل اتحاد أمم القارة الأوروبية ، كأخوات جليات ، كل واحدة منهن متوجهة بالحرية التي تتمتع بها سائر الأمم واخاء الاوطان في داخل الوحدة الجمهورية العظمى .

لا تحولوا أنظاركم لحظة واحدة عن هذا المستقبل الرائع ، فالحل الأكبر قريب ، ولا تقبلوا أن يجرى لكم حل منفرد . احتقروا ما يعرضه الأمراء من التقدم بخطوات بطيئة متتابعة على هامش الحياة ، فنحن في زمن الوثبات الهائلة التي نسميها ثورات . والشعوب تفقد أجيالا طويلة ثم تستعيدوها في ساعة واحدة . والاحصاء ، بالنسبة الى الحرية وفي نهر النيل ، هو الاغراق .

ليكن عندنا ايمان ، لا نريد أواسط الأمور ، ولا مهادنات . ولا حلولاً وسطى ، ولا أنصاف انتصارات . كيف ! أنقبل التنازلات بينما الحق معنا ، ونقبل معونة الأمراء ، بينما معونة الشعوب معنا ! في هذا الضعف من التقدم نوع من التنازل . لا . لنطمح في العلاء ، ولنفكر تفكيراً صائباً ، ولنسر سيرا مستقيماً . ولم تعد الأشياء التقريبية تكفيها . ولنسوف يتم كل شيء ، يتم بخطوة واحدة وفي يوم واحد ، وومضة واحدة ، وصاعقة واحدة . ولكن مؤمنين .

وعندما تدق ساعة الانهيار ، تلقى الثورة على أوروبا ، فجأة ،

وفي خط رأسي يقانونها الالهي ، دون اعداد ، ودون تحول ، شعاعها  
الوهاج العجيب الذي يبهز الأبصار ، شعاع الحرية والحماسة والنور ،  
فلا يترك للعالم القديم من الوقت الا ما يسمح له بالسقوط .

فلا تقبلوا شيئا من العالم القديم . انه ميت . وأيدي الجنت باردة .  
فليس لديها ما تعطيه .

اخواني ، عندما يكون الانسان من الجنس الايطالي القديم ، تجرى  
في عروقه كل أجيال التاريخ الرائعة ، ودم الحضارة ، وعندما لا يكون  
الانسان مهجنا أو مفسود الأصل ، وعندما يكون فد استطاع أن يجتد ،  
في اليوم الذي أراه ، كل مستويات الماضي العظيمة ، وعندما يكون قد  
بذل المجهود الذي لا ينسى في الجمعية التأسيسية ، والحكومة الثلاثية ،  
وعندما يكون قد أثبت بالأمس - وعام ١٨٤٩ انما هو الأمس - أنه جدير  
بروما ، عندما يكون الانسان في مثل ما أنتم فيه ، فانه يشعر ، باختصار ،  
أنه يملك كل شيء في داخل نفسه ، ويقول لنفسه انه يحمل خلاصة في  
يده ومصيره في ارادته ، ويزدري عروض الأمراء ، ولا يرضى أن يأخذ  
أى شيء من أولئك الذين يجب أن يسترد منهم كل شيء .

وتذكروا فضلا عن ذلك ما على الأيدي الملكية والكهنوتية من بقع  
الوحل ونقط الدم .

تذكروا ألوان التعذيب والتقتيل والجرائم ، وكل صفوف الشهداء  
الضحايا ، والضرب بالعضى علنا أو في السجن ، والمحاكم العسكرية ،  
ومحاكم الاساقفة ، ومحكمة البابا الاستشارية المقدسة في روما ، ومحاكم  
نابولي الكبرى ، ومنصبات الاعدام في ميلانو ، وأنكونا ، ولوجو ،  
وسينيغال ، وإيمولا ، وفاننزا ، وفيرارا ، والمقصلة ؛ وآلة ضغط  
الشرابين ، والمشقة ، ومائة وسبعين عملية اعدام بالرصاص في ثلاث  
سنوات باسم البابا في مدينة واحدة هي بولونيا ، ثم حصن أوربان ،  
وقصر سانت أنتج ، وإسكيا ، وبويريو التي لم تجد وسيلة للتخفيف  
من آلام المسجونين سوى تغيير موضع ربط السلاسل في أجسامهم ،  
والحكام الذين لم يعودوا يعرفون عدد المنفيين ، والليمانات ، والسجون  
الانفرادية الضيقة ، والسجون السفلية المظلمة والقبور .

ثم تذكروا برنامجكم الروماني العظيم الفاخر ، وكونوا له أوفياء ،  
ففيه الخلاص ، وفيه الأمان وليكن مانلا أمام بصيرتكم تلك الكلمة القبيحة  
التي قالتها الدبلوماسية : ايطاليا ليست أمة ، ولكنها تعبير جغرافي .

ولا تجعلوا لكم سوى فكرة واحدة ، أن تعيشوا في دياركم حياة  
خاصة بكم . أن تكونوا ايطاليا . ورددوا في قرارة نفوسكم دون انقطاع

هذا الأمر الرهيب : طالما لم تكن إيطاليا سعبا ، فان الايطالى لن يكون رجلا .

أيها الايطاليون ، الساعة قادمة ، وأقول تمجيديا لكم انها قادمة على أيديكم . انكم اليوم مصدر قلق كبير لعروش القارة الأوروبية . إيطاليا هى البقعة التى يتصاعد منها أكبر قدر من الأدخنة الكبريتية فى أوروبا فى الوقت الحاضر .

نعم ، لم يبق لسليطان الوحوش والطغاة ، كبارا وصغارا سوى لحظات قلائل ، ونحن فى أواخر عهدهم . تذكروا جيدا انكم أبناء هذه الأرض المهيأة للخير ، المبيدة للشر ، التى يلقى عليها عملاقا الفكر الانسانى ميكيلانج ودانتى ظللها : ميكيلانج عن حساب الآخرة ، ودانتى عن عقاب الدنيا .

حافظوا على رسالتكم السامية ، كاملة ، طاهرة .

لا تقبلوا لأنفسكم التجزئة أو النقصان . لا نوم ، ولا خدر . ولا خمول ، ولا أفيون ، ولا هدنة . تحركوا ، نحركوا ، تحركوا ! واجب الجميع ، واجبكم وواجبنا ، هو التحرك اليوم ، والثورة فى الغد .

رسالتكم هادمة من جهة ، وبانية للحضارة من جهة أخرى ، وفى وقت واحد . ومن المستحيل الا تتم . لا يداخلكم ريب فى أن العناية الالهية سوف تخرج إيطاليا من هذه الظلمة عظيمة وقوية ، سعيدة وحررة . انكم تحملون فى نفوسكم الثورة التى سوف تبتلع الماضى ، والبعث الذى سوف ينشئ المستقبل . وهناك فى الوقت نفسه ، على جبين إيطاليا المهيب الذى نلمحه خلال الظلمات ، ومضات الحريق الحمراء ، وأضواء الفجر احتقروا اذن ما يبدو أن البعض يستعد لتقديمه اليكم . حاذروا ، وآمنوا ، واحذروا من الملوك ، وتوكلوا على الله .

( فيكتور هوغو )

( جرنيسى فى ٢٦ مايو ١٨٥٦ )

## اليونان

## الى السيد أندريه ريجوبولوس

نسلمت بمزيد التأثر جريدكم الممتازة ، وأشكركم على ذلك من أعماق قلبي ، واني أطلع جريدتكم باهتمام شديد .

واصلوا العمل المقدس الذي أنتم من صانعيه اليواصل . اعملوا في سبيل وحدة الشعوب . اليوم يجب أن تحلق روح أوروبا وتحل في النفوس محل روح القوميات القديمة . ومن واجب أمجد الأمم ، كاليونان وايطاليا وفرنسا أن تكون قدوة لغيرها غير أنه يجب عليها أولا وقبل كل شيء أن تجد نفسها . وأن تنتمي الى نفسها . يجب على اليونان أن تنتهي من اجلاء تركيا ، وعلى ايطاليا أن تهز النمسا ، وعلى فرنسا أن تمزق الامبراطورية . وعندما تخرج هذه الشعوب العظيمة من اكفانها ، سوف تصبح قائلة : الوحدة ! أوروبا ! الانسانية !

ذلك هو المستقبل . وسوف يكون صوت اليونان من أقوى الأصوات وضوحا للأسماع وأمتالكم من الرجال خليقون بأن يجعلوا صوتها مسموعا . لقد كافحت منذ بضع سنوات مع أوائل المكافحين من أجل تحرير اليونان، وأشكركم لأنكم تذكرون هذا .

لقد حملت اليونان وايطاليا وفرنسا الشعلة ، كل منها بدوره . وعليها الآن ، في القرن التاسع عشر العظيم أن تسلمها الى أوروبا ، مع احتفاظها باشعاعها . ولنصبح بالتدريج ، شعوبا وأفرادا ، أقل أنانية ، وأقوى رجولة وانسانية . نادوا : لتحي فرنسا ! في حين أنادي أنا : لتحي اليونان !

أهنئك يا مواطن اسخيلوس وبيريكليس ، يا من ناضلت في سبيل المبادئ الانسانية . انه لشيء بديع أن ينتمي الانسان لبلد النور وأن يحمل فيه علم الحرية .

وأصافحك من كل قلبي .

فيكتور هوجو

جيرنسي في ٢٥ أغسطس ١٨٥٦

## ١

## العفو الشامل

وانقضت السنون • وفي ختام ثمانى سنوات ، ارتأى للمجرم أنه من المناسب الإفراج عن الأبرياء ، ومن ثم عفا القاتل عن قتلاه ، وأحس الجلال بالحاجة الى العفو عن ضحاياه ، فأصدر قرارا بعودة المنفيين الى فرنسا • ورد فيكتور هوجو على قرار العفو الشامل •

## ( بيان )

لم يكن أحد ينتظر منى أن أخصص لحظة واحدة فى الاهتمام بهذا الشيء الذى يسمونه العفو الشامل •  
والواجب فى الموقف الحالى لفرنسا ، حسب رأى ، هو الاحتجاج المطلق الدائم الذى لا يلين •  
ولما كنت مخلصا للعهد الذى اتخذته مع ضميرى ، فانى سوف أقاسم الحرية منفاها حتى النهاية • وسأعود ، عندما تعود الحرية •

فيكتور هوجو

أوتفيل هاوس فى ١٨ أغسطس ١٨٥٩

## جون براون

فى هذه الأثناء ، كانت دولة ديموقراطية أخرى على وشك ان ترتكب  
 هى أيضا جريمة وبلغ أوروبا نبأ الحكم بادانة جون براون ، وتأثر منه  
 فيكتور هوغو . وفى ٢ ديسمبر ١٨٥٩ ، فى تلك الذكرى السنوية التى  
 استحضرت فى مخيلته كل صور الواجب وضروراته ، وجه الخطاب الذى  
 نقرأ أدناه الى أمريكا عن طريق كل الصحف الحرة فى أوروبا .

## الى الولايات المتحدة الأمريكية

عندما يفكر الانسان فى الولايات المتحدة الأمريكية ، تمنق فى  
 الذاكرة صورة مهيبة ، صورة واشنطنجتون .

واليكم ما يحدث فى هذه اللحظة فى ذاك الوطن ، وطن  
 واشنطنجتون .

فى ولايات الجنوب عبید ، الأمر الذى يثير حفيظة الضمير المنطقى  
 الظاهر لدى ولايات الشمال ، باعتباره اشد صنوف اللامعقولات بشاعة .  
 وهناك رجل أبيض ، حر ، يدعى جون براون ، أراد أن يخلص هؤلاء  
 العبيد حقاً ، اذا كانت الثورة واجبا مقدسا ، فانما هى كذلك ضد الرق .  
 وأراد جون براون أن يبدأ مهمة الخلاص هذه بتحرير العبيد فى ولاية  
 فيرجينيا . وأطلق لهؤلاء الناس ، لهؤلاء الأخوة ، صيحة التحرير ، وهو  
 الرجل الورع المتدين ، المتقشف ، المؤمن بالانجيل . ولم يستجب العبيد  
 الذين أنهبهم الرق ، فالعبودية تؤدى الى صمم النفس . وناضل جون  
 براون الذى أهمله الناس ، ناضل ومعه حفنة من الرجال الأبطال .



وانهال الرصاص على بدنه ، وسقط ولده الصغيران شهيدين طاعرين الى جانبه . وقبض عليه . هذا هو ما يسمونه قضية « هاربرز فيرى » .

وبعد أن قبض على جون براون . حوكم ومعه أربعة من أنصاره : ستيفنز ، وكوب ، وجرين ، وكوبلاندرز .

فكيف كانت تلك القضية ؟ لتتحدث عنها في كلمتين :

كان جون براون ممددا على سرير من الجلد ، وبجسده سه جروح لم تلتئم ، رصاصا في ذراعه ، واخرى في خاصرته ، واننتان في راسه . واننتان في صدره . يسمع بصعوبة . ودماؤه تنزف خلال فراسه . وشبهما والديه الميتين الى جواره . وزملاؤه الاربعة المهيمون معه ومجروحون وممددون بجانبه : سنيفز وفي جسده أربع طعنات بالسيف . و « العدالة » متعجلة . فلا تعبر هذه الأمور أى اهتمام . ونية مدع عام يسمى « هنتر » يريد أن يتصرف بسرعة ، وقاض يدعى باركر يوافق على ذلك . المداولات تبتر ، والمهل كلها ترفض . والمستندات المزورة أو المشوهة تقدم ، وشهود النفي يبعدون ، والدفاع يعطل ، ومدفعان رشاشان معنان في فناء المحكمة ، وأمر صادر للسجانين بإطلاق الرصاص على المهجين اذا حاول البعض خطفهم ، ومداولة تستمر أربعين دقيقة ، وثلاثة أحكام بالاعدام . وأؤكد بشرفى أن مثل هذا الشيء لم يحدث أبدا في تركيا ، وإنما حدث في أمريكا .

مثل هذه الأمور لا تحدث في العالم المتحضر دون عقاب . فالضهير العالمى عين مفتوحة . ولاشك أن قضاة شارلستاون وهنتر وباركر والمحلفون الذين يمتلكون عبيدا ، وكل سكان فيرجينيا ، يفكرون في ذلك فهناك من يراهم .

وأنظار أوروبا مثبتة في هذه اللحظة على أمريكا .

وكان من المفروض ، بعد الحكم بالاعدام على جون براون أن ينفذ فيه الحكم يوم ٢ ديسمبر ( هذا اليوم نفسه ) .

ويصل نبأ في هذه اللحظة ، يقول أنه قد تفرر تأجيل التنفيذ ، فيعدم يوم ١٦ . والفترة قصيرة . فهل هناك الى ذلك الحين ، وقت لا بلاغ صيحة الرحمة الى اسماع الناس ؟ .

مهما يكن من الأمر ، فالواجب رفع الصوت .

وقد يتقرر تأجيل ثان في أعقاب الاول . ان أمريكا أرض نبيلة .

والشعور الانساني يستنقظ بسرعة في بلد حر • ونحن نأمل ان ينقذ  
براون •

فاذا حدث خلاف ذلك ، اذا مات جون براون في ١٦ ديسمبر على  
منصة الاعداء ، كان ذلك أمرا رهيبا •

ونحن نعلق جهارا ( فالملوك يمضون ، والشعوب تأتي ، ومن واجبا  
ان نخبر الشعوب بالحقيقة ) ، نعلن ان جلاد براون لن يكون المدعى العام  
هنر ولا القاضي باركر ، ولا الحاكم وايز ، ولا ولاية فرجينيا الصغيرة ،  
وانما سيكون - وامي لارتعد حين أقول ذلك وأفكر فيه - ستكون الجمهورية  
الأمريكية العظيمة بأسرها •

وازاء مثل هذه الكارثة ، كلما ارداد حب الانسان لهذه الجمهورية.  
ويؤثر لها ، واعجابها بها ، ازيد انقباض قلبه • ولا يليق بولاية واحدة  
ان تلتطخ بالعار سائر الولايات • ولا بد بداهة ، في هذه المسألة من تدخل  
فيدرالي ، والا أصبح الاتحاد مشاركا في الاثم ، مادامت هناك جريمة  
سترتكب وفي الامكان منعها • ومهما كان سخط الولايات الشمالية  
الكريمة ، فان ولايات الجنوب تشرکہا في العار الذي يقترب من مثل هذا  
الاعداء ، ونحن جميعا • مهما كنا نحن الذين ننمى الى وطن مشترك ،  
هو رمز الديمقراطية ، نشعر بان هذا الأمر قد مسنا ، واننا أصبحنا بنوع  
ما معرضين للخطر • فاذا أقيمت المشنقة في ١٦ ديسمبر ، فان اتحاد  
العالم الجديد العظيم ، أمام التاريخ الذي لا يمكن نشويه ، سوف يضيف  
من اليوم ، الى كل تضامنااته المقدسة ، تضامنا دمويا ، وسوف تكون  
أنشطة جبل مشنقة جون براون هي رباط الحزمة الضوئية التي تشع  
من هذه الجمهورية البهية •

وهذا الرباط قاتل •

وعندما تفكر فيما حاول براون ، ذلك المحرر ، جندي المسيح ، وتفكر  
في أنه سيموت ، ويموت مشنوقا بأيدي الجمهورية الأمريكية ، نجد ان  
الجريمة سوف تتخذ أبعاد الأمة التي تقتربها • وعندما نقول لأنفسنا ان  
هذه الأمة هي فخر الجنس البشري ، وانها كفرنسا وانجلترا وألمانيا ،  
عضو من أعضاء الحضارة ، بل وانها تفوق أوروبا أحيانا في بعض الأعمال  
الجليلية الجريئة في ميدان التقدم ، وانها قمة عالم بأسره ، تحمل على  
جنبيها نور الحرية الشاسع ، عندئذ يتأكد لنا أن جون براون لن يموت  
اذ أننا نتراجع مذعورين أمام مثل هذا الجرم الكبير الذي يرتكبه مثل  
هذا الشعب العظيم •

وقتل براون ، من وجهة النظر السياسية خطأ لا يمكن اصلاحه .  
سوف يسبب للاتحاد ( الامريكى ) صعدا خفيا ينتهى بانفصامه . وقد يكون  
من المحتمل أن يؤدي اعدام براون الى تدعيم الرؤى فى فيرجينيا ، ولكن  
من المؤكد أنه سوف يزعزع الديموقراطية الأمريكية كلها . انكم تقفون  
عاركم ، ولكنكم تقتلون مجدكم .

ويبدو ، من وجهة النظر الأخلاقية ، أن قسما من نور الانسانيه  
سوف يحتجب ، وأن فكرة العدل والظلم سوف تصبح قاتمة حالكة فى  
اليوم الذى نشهد فيه اعدام « الخلاص » بايدى « الحريه » .

أما أنا ، ولست سوى درة ، ولكنى أملك . كسائر الناس ، ضمير  
الانسانية كلها ، فانى أركع . والدهوع ملء عيني أمام العلم ذى النجوم .  
علم الدنيا الجديدة ، وأنوسل بيدين مضمومتين ، وباحترام بنوى عميق  
الى تلك الجمهورية الأمريكيه المجيده أن تغيا سلامه قانون الاحلال ،  
وتنقله جون براون ، وتهدم منصة الاعدام التى تهدد باعدامه فى ١٦  
ديسمبر ، والا نسمح بارتكاب جريمة قتل الانسان لآخيه الانسان .  
تحت أنظارها ، بل وأقول وأنا أرتجف : بخطئها تقريبا .

نعم ، فلتعلم امريكا ، ولنتأمل ، أن هناك سيئا أقطع من قتل قابيل  
أخاه هابيل . هذا هو واشنطنجتون يقتل سبارتاكوس (١) .

فيكتور هوجو

اوتفيل هاوس فى ٢ ديسمبر ١٨٥٩

شوق جون براون . وألف له فيكتور هوجو هذه العبارة . لنكتب  
على قبره : Pro Christo Sicut Christus كالمسيح ، ومن أجل  
المسيح وبموت جون براون ، تتحقق نبوءة فيكتور هوجو . فبعد انقضاء  
سنتين على النبوءة التى قرأناها بعاليه ، « انفسم » الاتحاد الأمريكى ،  
وانفجرت الحرب الغظيعة بين الجنوبيين وبين الشماليين .

---

(١) زعيم العبيد الدين ناروا ضد روما ، قتل فى عام ٧١ ق.م بعد أن صعد ستنز  
فى وجه القوات العسكرية - المترجم .

### العودة الى جيرسي

فى يوم ١٨ يونيه ١٨٦٠ ، شوهد نىء غريب فى جيرسى ، اذ عطيط الحواظ كلها بملصقات كتبت عليها عبارة : « وصل فيكتور هوجو » لقد طردت جيرسى فيكتور هوجو منذ خمس سنوات . أما اليوم فقد خرج سكان جيرسى عن بكره أبيهم ، فى أبهى ثيابهم يحيون فيكتور هوجو فى شوارع سان هيليبه .

واليكم ما حدث

كان ذلك ابان حمله « الألف » الراجعة التى بهرت أوروبا . وليس فى التاريخ فترات توقف ، فمحررو الشعوب يتعاقبون ويتشابهون ، ولكن أقدارهم تختلف . فبعد جون براون يأتى جاريبالدى . والمطلوب مساعدة جاريبالدى فى مشروعه العظيم . ونظم فى انجلترا اكتوبر عام على نطاق واسع . وفكرت جيرسى فى فيكتور هوجو ، واعتمد الناس أن كلمة منه خليقة بأن تدفع عجلة الاكتوبر . وأصبحت الجزيرة كلها الآن خجل من الطرد الذى تم فى عام ١٨٥٥ . وأتى وفد على رأسه السسيديان فيليب أسبليت ، وديريشاير الى فيكتور هوجو ومعه دعوة موقع عليها بامضاء خمسمائة من أعيان جيرسى يرجونه فيها العودة الى الجزيرة ، والتحدث من أجل جاريبالدى . وفى ١٨ يونيه ١٨٦٠ عاد فيكتور هوجو الى جيرسى ووسط حشده كبير من جمهور متأثر ، ألقى الحديث الذى نقرأه فيما يلى :

أيها السادة

هأنذا استجيب لندائكم . اننى أذهب الى مكان يقام فيه منبر يدعونى اليه من أجل الحرية ، فتلك فطرتى ، وأقول الحق ، هذا واجبى ( هتافات - اسمعوا ، اسمعوا ! ) .

ها هي الحفيه : انه من غير المسجوح لاي انسان أن يتهاون في  
الأمر الكبرى التي نجرى في هذه الآونة ، وأنه يلزم للعمل الجليل الذي  
يستهدف الخلاص العام الشامل والذي ابتداء اليوم مجسود الجميع .  
ومشاركه الجميع ، ومعاونه الجميع ، وأنه لا يجوز لأذن أن تغلق ، ولا  
اغلب أن يصمت ، وأنه في كل مكان ترتفع فيه صيحة الشعوب كلها .  
يجب أن يردد صدى هذه الصيحات في صدور الناس كلهم ، وأن على كل  
إنسان لا يملك غير فلس واحد ، أن يقدمه لحررى الشعوب ، وأن على كل  
إنسان لا يملك سوى حجر واحد أن يلقيه على الطغاة ( تصفيق ) .

فليتحرك البعض ، وليتكلم البعض الآخر وليعمل الجميع ! نعم ،  
هيا الى العمل جميعا ! الريح تهب . وليكن تشجيع الناس للأبطال بهجه  
للتفوس ! ولتحمر وجوه الناس حماسا وكأنها السعير المتهب . وعلى  
الدين لا يقاتلون بالسيف أن يقاتلوا بالفكرة ! ولا يبقى ذكاء خاملا ،  
ولا يبقى عقل متعطلا ! وليشعر أولئك الذين يناضلون أن الجميع ينظرون  
اليهم ويحبونهم ويعضدونهم ! وليكن حول ذلك الرجل الباسل الواقف  
«:الك في بالبره و نار فوق كل جبال صقلية ونور فوق كل قمم أوروبا .

لقد نطقت منذ هنيهة بكلمة « الطغاة » فهل بالغت في قولى ؟ هل  
نلت حكمة نابولى ؟

لندع الكلام . واليكم الوقائع .

انتبهوا . ان ما ساقوله تىء من التاريخ الحى ، ونسنطيع أن نقول  
أنه من التاريخ الدامى ( هتاف : اسمعوا ! ) .

ملكمة نابولى - التي نهتم بأمرها في هذه اللحظة - ليس بها سوى  
هيئة واحدة . هي هيئة الشرطة ، فكل مقاطعة بها « لجنة الضرب بالعصا »  
وهناك شرطيان: أجوسا ، ومانيسكالكو ، يحكمان تحت امره الملك .  
«أجوسا يضرب نابولى بالعصا ومانيسكالكو يضرب صقلية . ولكن العصا  
لبست الا اسلوبا تركيا ، أما هذه الحكومة فانها تملك فوق ذلك اسلوب  
«حاكم التنفيس والتعذيب . اسمعوا ، هناك سرطى يدعى برونو . يربط  
المتهمين ورؤوسهم بين سيقانهم حتى يعترفوا . وشرطى آخر اسمه بوتيللو  
يجلسهم على مشواة ويشعل نارا تحتها . وهذا ما يسمونه « الكرسى  
المتهب » . وشرطى آخر اسمه لويجي مانيسكالكو ، من أقارب الرئيس  
اخترع آلة يدخلون فيها ذراع المحكوم عليه ، ثم يدبرون لولبا . فينسحق  
العضو . ويسمى هذا الشيء « الآلة الملائكية » . وشرطى آخر يعلق الرجل بذراعيه  
من حلقته على حدار ، ومن قدمه على الجدار المقابل ، وبعد ذلك يقفز

فوق الرجل ويفسحه . وهناك الأصعاد التي سحق أصابع اليد . وهناك آلة الضغط على الرأس ، وهي عبارة عن دائرة من حديد تضغط بواسطة مسمار لولبي ( قلاووظ ) ، فتحفظ العينان ونيرزان من المحاجر . ويفر بعض المحكومين عليهم أحياناً قفصاً من حديد يمسونه أرسيمانو ، هرب ، فقبض على زوجته وأولاده وبناته وأجلسوا مكانه على « الكرسي الملتهب » . وبجوار راس « زافيرانا » شاطىء مهجور ، وإلى هذا الشاطىء حضر بعض الشرطة أكياساً بداخلها رجال ، وجعلوا يغطسون الكيس تحت الماء ، ويفغونه هكذا حتى يكف عن الحركة ، ثم يخرجون الكيس ويقولون للمخلوق الموجود بداخله : اعترف ! فإذا رفض أعادوا نغطيسه . وعلى هذا الحوامات جيوفانى صنبا من مسينا . وفى موزيال ، انهم شيخ مسن وابنته بمبولهما الوطنية ، فمات الشيخ مجلوداً بالسوط ، أما ابنته وكانت حبلى . فأنها جلدت وهي عارية حتى ماتت . سادتى ، هناك شاب فى العشرين من عمره ، هو الذى يقترب هذه الأفعال . هذا الشاب اسمه فرانسوا البانى . وهذا الأمر جرى فى بلد تيببر (١) ( هتافات ) أهذا شئ ممكن ؟ انه حقيقى والتاريخ ؟ عام ١٨٦٠ ، السنة التى نحن فيها . أصبغوا الى ذلك حادت الأمس ، فقد دكت بالبرمو بالقابل ، وغرقت فى الدماء ، وقتل سكانها . وأضيفوا ذلك العرف الرهيب ، عرف إبادة المدن ، الذى يبدو انه هوس مسعور فى أسرة من الأسر . وأنه سوف يغير فى التاريخ بصورة قبيحة ، اسم تلك السلالة الملكية من « بوربون » الى « بومبا » ( هتافات ) . نعم ، شاب فى العشرين ، الذى يرتكب كل هذه الأعمال المشنوءة . سادتى ، اعترف بأننى أشعر بشفقة سديدة كلما فكرت فى هذا الملك الصغير التعس . بالظلمات ! هذا التعس يقتل ويعذب ، وهو فى السن الذى يحب فيها الانسان ، ويؤمن ، ويأمل . هاكم ما يعمله القانون الالهى بنفس شقية . فالقانون الالهى يستبدل بكل الشوائب الكريمة فى الشببية والبدائية ، أهوال الشيخوخة والنهاية ، ويجعل العرف الدموى قيذا على الأمير والشعب ، ويكسد على عاتق المرتقى الجديد للعرس تأثيرات الأسرة . وبألها من أشياء رهيبة ! فلو نزعنا أجريبين (٢) من نيرون ، وسلختم كاترين دى

(١) تانى امراطور رومانى - بول الحكم عام ١٤ ميلادية - كان كمنابارعا ولكنه فاس ، ويرتآب فى الناس - المترجم .

(٢) أم نيرون . كانت على درجة كبيرة من الدعاء والطلوح ، ولا ضمير لها . تزوجت ثلاث مرة الامراطور كلوديوس ، وجعلته نثنى ولدعا ، ثم سمته . وأقام مكانه على العرش ابتها نيرون . ولكن نيرون لم يحمل طويلا سيطرتها وفوذما . فقتلها بيد احد قادة الجيش - المترجم .

ميديسيس (١) ( دى مدينى ) من سارل التاسع ، لما كان هناك على الاربع سارل التاسع ، ولا نيرون . وفي نفس اللحظة التي يقبض فيها وريت القانون الالهى على صولجان الملك ، يرى مصاصى الدماء أجوسا وما نيسكالكو مقبلين عليه . والتاريخ يعرف هدين الشخصين اللذين يطلق عليهما أيضا اسمى نارسيس وباللاس ، أو فيلروا وباسيليه . ويسولى هذان الشبحان على الطفل المسكين المنوج . ويؤكد له « التعذيب » انه عو الحكومة ، وتعلن له « عموبه الضرب بالمصا » أنها السلطة ، وتقول له الشرطة : اننى آتية من عل . ويظهرونه على الجهة التى حرج منها . ويذكرونه بأبى جده فيرديناند الأول الذى قام : العالم يحكمه ثلاثة بدأ أسماؤهم بحرف ف : فيستا ، وفارينا ، وفوركا (٢) ، وبجده فراسوا الأول . رجل الكمان ووالده فيرديناند الثانى . رجل المدافع الرساسه . فهل يريد أن ينكر آباهه ؟ ويستون له أنه يجب أن يكون سرسا بحكم الوفاء البنوى ، فيطيع ؟ ويذهله ما فى السلطة المطلقة من حول وعطه . فهناك على هذه الصورة أطفال بشعون . وعلى هذا النحو ، وبصورة حمية مع الأسف ، يواصل الملوك الشبان ضروب الاستبداد القديمة ( حركة استنكار متصلة ) .

لايد من تخلص هذا الشعب ، بل اكاد أقول انه لايد من تخلص هذا الملك . لقد تكفل جاريبالدى بذلك ( هنافات استحسان ) .

جاريبالدى . من هو جاريبالدى هذا ؟ انه رجل ، لا أكثر من ذلك . ولكن رجلا بكل ما فى الكلمة من معان سامية . رجل الحرية ، رجلا الانسانية ، « فير » ( الرجل كامل الرجوله ) كما يقول مواطنه ويرجل .

معه جيش ؟ كلا حفنة من المتطوعين . ألدیه ذخيرة حربية ؟ كلا بالمره . بارود ؟ بضعة براميل . مدافع ؟ نعم ، مدافع الأعداء . ما هى قوته اذن ؟ ما الذى يجعله ينتصر ؟ ما الذى معه ؟ روح الشعب . انه يمشى ، ويجرى . مسيرة سحابة من لهب . والنفر القليل من رجاله يصمقون الكتاب . فى أسلحته الضعيفة سحر ، ورسا صغدارته يصمد أمام كرات المدافع . الثورة معه . ومن حين لآخر ، فى هرج المعركة

(١) ولدت فى فلورسا ( ١٥١٩ - ١٥٨٩ ) روجه هرى الساس . والده فراسوا الناس وشارل التاسع وهرى الثالث ، سياسية فديرة وانما قاسية . حاولت أن يحكم مع اقامة التوازن بين البروتستانت والكاثوليك خلال الحروب الدينية . كان لها النصب الأكبر فى مذبة سانت باوتليمى - المترجم .

(٢) العمد ، والدقيق ، والمدراء ( المستقة ) - المترجم .

والدحان والبرق ، يظهر حلعه الالهه ، وكأنه أحسد أبطال هوميروس  
( هناك ) .

ومهما كانت ضراوة المقاومة ، فان هذه الحرب مدهشة ببساطتها .  
انها هجوم رجل واحد على مملكة ، وافراد جماعته يتواهبون حوله . النساء  
ينقبن اليه بالزهور ، والرجال يقانلون وهم ينشدون ، وجيش الملك يفر .  
كل هذه المغامرة عمل بطولى حساس . انها عمل ساطع ، خلاب ورائع .  
مثل هجوم النحل .

عجبوا لهدم الخطوات اللآلة . وانى لأنسبأ بأنه ما من خطوة منها  
تجيب فى آجال المستقبل المحومة . هناك باليرمو بعد مارسالا ، وميسينا  
بعد باليرمو ، ودبولى بعد ميسينا ، وروما بعد نابولى ، وفيبسبا بعد  
روما . وكل سىء بعد فينيسيا ( بصيف حماسى ) .

سادنى . الله هو منير الزلزال الذى يرح صقليه السى تشهد اليوم  
فوقيا سعلة الوطنية والايمان والحرية والشرف والبطولة . وهى تتوهج  
وبوره يحجب سبناها بريق ( بركان ) اطنا !

نعم ، هذا لايد أن يكون . وانه لشيء رائع أن تصدر هذه العبرة الى  
العالم من أرض الفورانات البركانية ( هتافات استحسان ) .

آه ، ما أجمله من شعب عندما تحين الساعة ! وما أبدع هذا اللفظ .  
وهذه الورة . وهذا الاغضاء عن المصالح الدنيئة والجواب المنحطه فى  
نفس الانسان . وهؤلاء النسوة اللواتى يدفنن أزواجهن ويقاتلن بأنفسهن  
وهؤلاء الأمهات اللواتى يصحن فى اولادهن قائلات : اذهبوا ! وتلك  
الفرحة ، فرحة الاندفاع طلبا للسلاح ، والتنفس والوجود . وهذه  
الصبيحة الصادرة من الجميع ، وهذا الضوء الفسيح عند الأفق ! لم يعد  
أحد يفكر فى الاثراء ، أو الذهب ، أو البطون ، أو المنع ، أو البلاده  
التي تسود حفلات القصف والخلاعة . الناس خجلون . ومتشامخون .  
برفون الهامات . وهذا المحصا المترفع على الرؤوس يستفز الطغاة .  
صفوف الهمجة تتلانى ، وضروب الطغبان تتهاوى ، والضماثر ترفض  
ألوان العبودية . وأصحاب البارثينون ( اليونانيون ) يزغزون أصحاب  
الهلال ( الأتراك ) . وتنصب المبترقا (١) جادة فى ضوء الشمس وحربتها  
فى يدها . وتفتتح القبور ، وينادى الناس بعضهم على بعض ، من قبر الى  
قبر . ابعثوا الموتى ، انه لشيء أقوى من الحياة ، انه التالىه . آه ! انها

(١) ابنة حوبيتر ( سيد الأرباب فى اساطير اليونان ) ، الهة الحكمة والمنون - المترجم .



لخفة قلب الهية . وينعزى الأبطال القدامى المغلوبون على أمرهم ، وتمتلىء عيون الفلاسفة المنعفين بالدموع عندما يغضب من انحط قدره ، وينهض من سقط . وتظهر الأجداد الرائلة . تظهر من جديد رائحة مرعبة . وعندما تعود استانبول فتصبح بيزنطة . وتعود سيمتيللاه فتصبح أثينا ، ونعود روما فتصبح روما ! ( هتافات مضاعفة ) .

ونحن جميعا . أيا كما . نصفق بأيدينا لايطاليا . ولنمجد تلك الأرض ذات الاناجات العظيمة ، الأم الحلوب . فى مثل هذه الأمم تبدو بعض العقائد المجردة مرئية واقعة . أنها أمم عذراء من حيث الشرف ، وأمهمات من حيث التقدم .

أنتم يا من سستمعون الى ، هل نصورون هذا المنظر الرائع ، منظر إيطاليا الحرة ؟ حرة حرة من خليج تارنت الى بحيرات سان مارك ، فأنا أؤكد لك يا مانين (١) فى قبرك . أن فينيسيا سوف تشارك فى هذا الاحتفال ! قولوا ، هل تتصورون هذا المنظر الذى سوف يكون فى الغد حقيقة واقعة ؟ انتهى . لقد تلاشى كل ما كان كذبا ووهما ورمادا ولبلا . إيطاليا كائنة . إيطاليا هي إيطاليا . وحيثما وجد مصطلح جغرافى وحدت أمة . وحيثما وجدت حنة وحدت روح . وحيثما وجد طيف . يوجد ملاك ملاك الشعوب الهائل ، الحرية واقفا مبسوط الجناحين . لقد استبقت إيطاليا ، المنة العظيمة . انظروا اليها . انها تنهض وتبتسم للجنس البشرى . وتقول للميونان : انا ابنتك . وتقول لفرنسا : أنا أمك . ويلتف حولها شعراؤها وخطباؤها وفنانوها وفلاسفتها ، وكل هؤلاء الناصحين الهادين للبشرية ، وكل آباء المعرفة العالمية ، وكل أعضاء السيناتو عبر القرون . والى يمينها والى يسارها ذاتكم الرجال العظميان الرهيبان : دانتى وميكبلانج . آه ، ما دامت السياسة تحب هذه الكلمات ، فإن فى ذلك أجل المنجزات . ياله من نصر ! ياله من فعل ! ما أفخم تلك الظاهرة . ظاهرة الوحدة التى تتجاز فى ومضة واحدة تلك المجموعة الرائعة من المدن الشقيقة : ميلانو وتورينو وجنوا وفلورنسا وبولونيا وبيزا وسيننا وفرونا وبارما وبالبرمو وميسينا وناپولي وفينيسيا وروما ! وتهب إيطاليا واقفة وتسير قدما - Patuit dea « انتشرت الآلهة » وتسطع ، وتنقل الى التقدم العالمى كله الحمى العظيمة البهيجة التى تتميز بها عبقريتها . وسوف تتكهرب أوروبا بهذا البريق العجيب . ولن تكون النشوة فى أعين الشعوب ، والضياء الساطع على الجباه ، والفرح . والانبهار بسبب هذا

(١) مانين ( دابيل ) - ( ١٨٠٤ - ١٨٥٧ ) - وطنى ايطالى . ولد فى البندقية .  
- وصار رئيسا لجمهوريةها ، فى عام ١٨٤٨ ، من الاعداء للسيطرة النمساوية - المترجم .

النور الجديد على الأرض بأقل سدة مما لو ظهر نجم جديد فى السماء .  
( مرعى مرحى ! )

سادتى ، اذا أردنا أن نحيط علما بما يجرى اعداده ، وبما يجرى  
فى الوقت نفسه ، كان علينا الا ننسى أبدا أن جاريبالدى رجل اليوم ،  
ورجل الغد ، هو أيضا رجل الأمس ، فقد كان جندى الجمهورية الرومانية  
قبل أن يكون جندى الوحدة الايطالية . وفى أعيننا وأعين كل من يدرك  
التعرجات الضرورية التى يتخذها المقدم وهو ماض صوب هدفه . وبدرك  
بقلبات الفكرة التى تتطور حتى نعود الى الظهور ، نجد أن عام ١٨٦٠ هو  
استمرار لعام ١٨٤٩ ( ضجة )

ما أعظم محررى الشعوب ، فلينبعمهم فى انصاراتهم هتاف الشعوب  
لهم اقرارا بفضاهم ! بالأمس كانت الدموع ، واليوم نسيب المجد لله . والله  
قادر على إعادة نوازن الأمور على هذا النحو . انهار « جون براون » فى  
أمريكا ، ولكن جاريبالدى ينتصر فى أوروبا . والانسانية التى أسست  
أمام مشنقة شارلستاون المخزية ، تفر عيننا أمام سيف كاتا لافيمى البراق  
( مرعى ! )

اخوانى فى الانسانية ، هذى ساعة الفرح والعناق ، فلندع جانبا  
كل الفروق الطفيفة الشاذة ، والخلافات السياسية ، وهى هينة فى هذه  
اللحظة . ولنثبت أنظارنا فقط فى هذه الدقيقة القدسية التى نمر بها ،  
على هذا العمل المقدس ، الهدف المهيب ، وهذا الشفق الفسيح الذى يغطى  
الأمم المتحررة ، ولنمزج ارواحنا كلها فى تلك الصيحة الهائلة الجديرة  
بالجنس البشرى وبالسما : لتحرى الحرية ! نعم ، ما دامت أمريكا مع  
الاسف تحافظ على العبودية بصورة مفجعة ، وتميل ناحية الظلام . فعلى  
أوروبا أن تضى أنوارها نعم ، انا نهيب بحضارة القارة القديمة التى الغت  
الخرافة بفضل فولتير ، والرق بفضل فيلبرفورس ، وآلة التعذيب بفضل  
بيكاريا ، تلك الحضارة الكبرى ، نهيب بها أن تظهر من جديد فى اشعاعها  
الذى لن ينطفئ بعد الآن ، وأن ترفع فوق الناس الشعلات الثلاث ،  
فرنسا وانجلترا وايطاليا ( هتافات )

سادتى ، كلمة أخرى . لن نترك صقلية هذه قبل أن نلقى عليها  
نظرة أخيرة . ونختم الحديث .

ما هى النتيجة الاجمالية لهذه الأعمال البطولية الباهرة ؟ ماذا يخلص  
من كل هذا ؟ قانون أخلاقى ، قانون مهيب . واليكم هذا القانون .



آه ، فلتقر أعين المعذبين ، وليطمئن المقيدون بالأغلال . وكل ما يجرى فى هذه اللحظة أمر منطوى . نعم ، الأمل فى كل أرجاء العالم ! فليأمل رقيق الأرض فى روسيا ( الموجيه ) . والفلاح . والعامل الكادح ، والمنبود ، والزنجى المبيع ، والابيض المضطهد . ليأمل الجمع . السلاسل تشبكه ، متماسكة . اذا انكسرت سلسلة منها . انفكت الشبكة . ومن ثم كان تضامن الطغيان . فالبايا أخ للسلطان باكثر مما يظن . وأكرر العول بأن الأمر قد انتهى . آه ، ما أجمل القوة فى الأشياء ، فى الحلاص قوة يعون فوه البشر . والحربة هوة الهية تجذب اليها الأنبياء ، والقوة التى لا تقاوم تكمن فى أساس النورات . والتقدم ليس الا ظاهرة من ظواهر الجادية ، فمن ذا الذى يستطيع عرقلته ؟ بمجرد ان تندفع عجلة التقدم ، يبدأ عمل القوة التى لا تقهر . يأبها الطغاة ، اتحداكم أن توقفوا الحجر الذى يهوى من عال . أو السبل الجارف ، أو الانهيار الثلجى ، اتحداكم أن توقفوا إيطاليا ، أو ثورة ١٧٨٩ . أو الدنيا التى عمرها الله بالنور ( تصفيق حماسى ) .

تنبأ فيكتور هوجو ، فى شأن جون براون بالحرب الأهلية الأمريكية ، وتنبأ فى شأن جاريبالدى بالوحدة الايطالية . ونحقت هاتان النبوءتان .

وبعد الاجتماع أقيمت وليمة اختتمت بتناول نخب فيكتور هو جو .  
فأجاب فيكتور هو جو قائلاً :

سأدتى ،

ما دمت واقفا ، فاسمحو لى ألا أجلس . اننى أشعر بحاجة الى أن أشكر فى الحال الرجل الملمه الطيب القلب الذى سمعناه منذ هنيهة . ولن أقول سوى كلمات قليلة ، فالأحاسيس العميقة توجز الكلام بطبيعتها ، والقلوب المتأثرة فصيحة بانفعالها وحده . حسن . اننى شديد التأثر .

وأفضل وسيلة لشكركم أن أقول لكم اننى أحب جيرسى . قلت ذلك لكم بالأمس ، وسمعتوه فى الاجتماع . وقرأتموه فى الصحف ، وأكرره اليوم . ولكنى اتحدث الى قلب شعب ، وفى أذنه . والأمم كالنساء لا تمل من سماع عبارة : أحبك . لقد غادرت جيرسى وأنا آسف ، وهانذا أعود اليها وأنا سعيد . وثمة شىء عجيب وبديع يميز محررى الشعوب : ذلك أنهم يذهبون فى تحريرهم أحيانا الى مدى أبعد مما كانوا يأملون . لقد ضرب جاريبالدى ضربتين بحجر واحد دون أن يدري ، فأخرج آل بوربون من صقلية ، وأعادنى الى جيرسى .

ان هتافاتكم ومقاطعاتكم الودية لمديني لتؤثر في نفسي في هذه اللحظة لدرجة أنني لا أجد الكلمات التي يجب أن أقولها لكم . ولا أعرف كيف أجب على مثل هذا الترحيب الشامل باسم بصورة رائعة من كل النواحي ، وعلى مثل هذا القدر الكبير من الهنافات ومظاهر العطف والمودة . وأكاد أقول لكم : رفقا بي ، أنتم جميعا ضد انسان واحد . هناك وحش خرافي يترأى لى في هذه اللحظة عظيم الموهبة ، واني لأحسد هذا الوحش الذي يسمى برياريه(١) ، ولكم أتمنى أن يكون لى مثله مائة ذراع لأصافحكم مائة مرة .

سأقول لكم ما أحيه في جيرسي . اننى أحب كل ما فيها . احب هذا المناخ المعتدل في الصيف والشماء ، وهذه الأزهار التي نتجلى دائما كأنها في فصل الربيع ، وهذه الأشجار النورمانديه . والصخور البريوتية ، والسماء التي نذكرى بفرنسا ، والبحر الذي يذكرني ببازيس . أحب هذا الشعب الذي يعمل ويكافح ، وكل اولئك الناس الطيبين الذين تقابلهم في كل لحظة في سوارعكم وحقولكم ، والذين تتشكل سيماهم من الحرية الانجليزية ، والرفقة الفرنسية التي هي أيضا حرية .

عندما وصلت ها هنا منذ سبانية أعوام ، بعد خروجي من اعجب الصراعات السياسية في هذا القرن ، وأنا الغريق الذي كنت أنتد أنضج من كارثة ديسمبر ، ومرتعا من تلك العاصفة ، أسعت الرأس من تلك الزوبعة ، هل تعلمون ماذا وجدت في جيرسي ؟ وجدت سينا قدسيا ساميا ، غير متوقع ، وجدت السلام . نعم لقد تم اقرار أكبر جريمة سياسية في العصر الحديث : ذلك الاعتداء الشنيع ، خنق الحرية في بلد النور ، في قلب فرنسا مع الأسف ! لقد ناضلت ذلك الاستعباد استعباد رجل واحد لشعب واحد . واضطربت في نفسي كل تلك الحركة المرتجة ، من أعلى رأسى الى أخمص قدمي . وكنت ساخطا ، مذهولا . لاهنا . ولكن جيرسي هدأت نفسي . وأعيد القول اننى وجدت السلام والراحة ، وهدوءا عميقا في هذه الطبيعة الرقيقة في ريفكم ، في هذه الدعة اللطيفة التي يتصف بها مزارعوكم ، في تلك الوديان والأماكن المنقطعة ، وتلك الليالي التي تبدو فوق البحر وكأنها أغزر نجوما . وذلك المحيط المضطرب أبدا الأباد ، الذي يبدو وكأنه ينبض تبضا مباشرا

---

(١) برياريه : مارد اسطوري ، ابن السماء والأرض ، له خمسون رأسا ومائة ذراع . أغرته نسون في الحر ، وتيمده جوينير بالأعلال تحت الاطما . عقابا له عل سرده ، ويطلق الاسم اغريا ومجازيا على كل انسان او جماعة تدل حيودا مضاعفة . المترجم

بحت السمة الريانية . وهكذا فمع شبسى بالفضبة المقدسة ضد الجريمه . احسست بالفضاء الشاسع يمزج بهذا الغضب رحابته الصافية الهادئة . ومن لم سكن ما كان يهدر فى نفسى . نعم . انسكر جبرسى ، وانسكركم . لقد احسست بطيبة الاسان تحب سموف دياركم ، وفى مدنكم ، واحسست بالطيبة الالهية فى حفولكم وفوف بحوركم . آه . لن أنسى ما حبيت تلك السكينة الجليلة التى ازلتها الطبيعة على نفسى فى أيام النفى الأولى . ونسنتطع ان نقول اليوم . ولن تمنعنا كرامتنا من هذا الاعتراف . ولن يكذبى به اى واحد من زملائى فى المنفى ، نقول اننا تألمنا جميعا عندما عاودنا جبرسى . ان لنا كلبا فيها جذورا عائرة . فشمه عروق من قلوبنا قد نفذت فى ربتكم وانفرت فيها . وكان انتزاعنا منها مؤلما لنا . واحببنا جميعا جبرسى . احبها البعض منا لانه كان سعيدا بها . واحبها البعض الآخر لانه كان تعسا بها . فالعذاب رباط لا يقل قوة وعمقا عن البهجة . والانسان قد يشعر مع الأسف بسبل هذه الآلام فى الأرض التى يلجأ اليها ، حتى ليصبح من المستحيل عليه أن ينفصل عنها ، حتى لو تيسر له العودة الى الوطن . واليكم شيتنا رأيه بالأمس ، وطرا على ذهنى فى هذه اللحظة . ان هذا الاجماع مهيب واليق فى وقت واحد ، وما سوف ا قوله لكم يلائم هذه الطبيعة المزوجة . وبالأمس ذهبت مع بعض الأصدقاء الأعزاء لزيارة هذه الجزيرة ، والعودة الى رؤية الأماكن التى بحبها ، والمتنزهات التى كنا نفضلها فيما مضى . والمنظر الطبيعية التى بقيت فى ذاكرتنا وكأنها خيالات مرثية . وعند شودتنا ، بقيت فكرة كان لابد لنا أن نحققها ، فقد أردنا أن نختم زيارتنا بسا هو الختام : بالجبانة .

وأوقفا العربة التى كانت نفلنا أمام حقل سان جان الذى يضم الكثير من أهلنا أتعرفون الشىء الذى أثار الرعدة فى أوصالنا لحظة وصولنا ؟ أتعرفون ما رهناء ؟ كانت هناك امرأة ، أو بالأحرى شكلا آدميا فى ملأه سوداء ممددة على الأرض أكثر منها راكعة أو ساجدة ، بل ومتهابوية بصورة ما على قبر من العبور . وبقيتنا جامدين صامتين واصابعنا على افواهننا أمام هذا الألم المهيب . وبعد أن صلت المرأة ، نهضت وقطعت وردة من أعشاب المقبرة وأخفنها فى قلبها . عند هذا عرفناها . عرفنا هذا الوجه الشاحب وهاتين العينين اللتين لا ينفع فيهما أى عزاء . وتلك الشعور البيض . انها أم ، أم أحد المنفيين . أم فيليب فور ، الشاب الكريم الذى مات منذ أربع سنوات . هذه الأم تأتي كل يوم الى هذا المكان ، مهمسا كانت حالة الجو . منذ أربع سنوات وهذه الأم تركع على هذا الحجر وتقبله . حاولوا اذن أن تنتزعوها منه . أشيروا لها الى فرنسا ، نعم درنسا ذاتها ! لا أهمية لذلك عند هذه الأم . قولوا لها : « ليس هنا

بلدك ، فلس بصدقكم • قولوا لها « لم تولدى هنا » . وسوف نرد عليكم  
مانلة : « همامات وادي » . وسوف نسكنون أمام هذه الاحابة ، لان وطن  
الام هو فبر طفايا •

وهكذا أيها السادة ، قد يحب الاسان أرضا ما ، يحبها بلحمه  
ودمه وروحه • ان ارواحا قد امتزجت بهذه الأرض ، ففيها أصدقاؤنا  
الذين ماتوا • واعلموا انه لبس هناك أرض أجنبية • فالأرض في كل  
مكان هي ام الانسان ، أمه الحنون • الصلبة العميقة • دار الانسان هي  
كل مكان أحب فيه أو بكى ، أو قاسى ، انها كل هذه الأماكن •

سادتى ، انى أجيب على النخب الذى قدم الى بنخب لجيرسىسى ،  
وانسرب من أجل جبرى ورخانها ، وتراثها ، وصلاحتها • وتوسعها الصناعى  
والمجارى • وأكثر من ذلك من أجل صائها النقافى والمعنوى •

هناك سبينان يجعلان الشعوب عظيمة رائعه ، هذان الشيطان هما  
الحرية وكرم الضيافة • وكان كرم الضيافة فخار الأمم القديمة ، أما  
الحرية فانها فخار الامم الحديثة • وجبرى تملك هذين التاجين ،  
مانحفظ بهما •

لتحفظ بهما الى الأبد ! ويحمل بنا أن نتحدث بادة ذى بدء عن  
الحرية • عليكم أن نحرصوا بغيره على حريتك • لا تسمحوا لى كائن  
س كان أن يجزؤ على المساس بها • هذه الجزيرة هي أرض الجمال  
والسعادة والاستقلال • ولستم فيها لتعيشوا وتستمنعوا فحسب ،  
وانسا أنتم فيها لى تؤدوا واجبكم • وسوف يتكفل الله بالحفاظ عليها  
جنيلة ، ويتكفل نساؤكم بالحفاظ عليها سعيدة • أما أنتم أيها الرجال  
معليكم أن تحافظوا عليها حرة •

أما كرم ضيافتكم ، فحافظوا عليها هي الأخرى بنفس ورعة •  
وسين الامم الكريمة المضيافة عن سائر الأمم بلون من البهاء الجليل  
المرفر ، وهي قدوة حسنة لغيرها من الامم • ولا تكفى هذه الامم ، فى  
حركة الشعوب الشاسعة الصاخبة باكرام الضيوف ، وانسا تباشر التربة  
فوق ذلك • وكرم الضيافة بين الأمم بداية للأخاء بين الناس • والأخاء بين  
الناس مو فى ذاته هدف • كونوا أبدا كراما لضيوفكم ، ولتكن هذه  
الشيمة المقدسة ، كرم الضيافة • شرفا دائما لهذه الجزيرة • واسمحوا لى  
بان أقرن بها فى هذا الصدد شققتها جيرنسى • وأرخبيل المانش كله •  
تلك الأرض ملجأ عظيم ، لا من حيث اتساعها ، وانما من حيث عدد  
اللاجئين من جميع الأحزاب والأوطان اللذين آوتهم وواستهم منذ قرون

ثلاثة • آه ، ليس ثمه شيء فى العالم ابداع من الملجأ ! كونوا ملجأ •  
استمروا فى الاحتفاء بكل من يأتى اليكم • كونوا الأرخيبيسل المبارك  
المنقذ • لقد جعلكم الله ها هنا لتفتحوها نفوركم لكل السفن التى تقذفها  
العاصفة ، وقلوبكم لكل الرجال الذين يصيبهم ضربة القدر •

وليس هناك حدود لهذه الضيافة القدسية • لاتجادلوا من يأتىكم ،  
استقبلوه دون أن تختبروه • وكل من يتعذب فهو جدير بالضيافة ، وتلك  
من سمات العظمة فى كرم الضيافة • ونحن الموجودين هنا ، كل المنفيين  
من فرنسا ، لم نؤذ أحدا ، وقد دافعنا عن حقوق بلادنا وقوانينها ووفينا  
بالتزامات الوكالة عن الشعب ، وانصتنا الى صوت ضميرنا ، ونحن نقاسى  
من أجل ما هو عدل وما هو حق • لقد رحبتم بنا ، وهذا شيء طيب •  
ولكن لا بد أن تتوقعوا غيرنا من العرقى • واذا كان للأختيار مصائبهم ،  
فلمذنبين مزالقيهم المهلكة • ولبس ارتكاب الانسان شرا سببا فى أن  
ينتصر على الدوام • اسمعوا هذا : اذا أتاكم فى أى وقت نفر من المهزومين  
فى قضايا جائرة ، فعليكم أن ترحبوا بهم كما ترحبون بنا • والتعس  
هو أحد أشكال الحق القدسية • واستمعوا الى هذا جيدا : انى لا استثنى  
أحدا من هؤلاء المهزومين المحتمل قدومهم • وقد يحدث ذات يوم –  
فالأحداث فى يد الله ، ويد الله لا تفرغ – قد يحدث أن يكون من بين  
أولئك الذين تلقى بهم العواصف الشديدة أو نوبات مد البحر العالبة  
على شواطئكم ، ذلك الذى نفانا نحن الموجودين هنا ، وقد طرد بدوره  
وأصبح تعسا • عندئذ كونوا به رحما كما كنتم معنا طبيين • فاذا دق  
بابكم ، افتحوه وقلوا له : « أولئك الذين نفيتهم من قبل هم الذين طلبوا  
الينا أن نرحب بكم فى هذا الملجأ » •

## ٢

نشرت صحيفة « البروجريه » فى « بورت أوبرانس » الخطاب  
التالى الذى حرره فيكتور هوجو للمسيح هيرتيلو رئيس تحرير هذه  
الصحيفة ، ردا على عبارات الشكر التى وجهها اليه السيد هيرتيلو دفاعا  
عن جون براون •

أوتقيل هاوس فى ٣١ مارس ١٨٦٠ ••

أنت يا سيدي أنموذج نبيل لهذا النوع البشرى الأسود الذى اضطهد  
وأهمل أمدا طويلا • هناك شعلة واحدة فى نفس الانسان ، فى جميع  
بقاع الأرض ، والسود أمثالك برهان على هذه الحقيقة • هل كان هناك أكثر



من آدم واحد ؟ فى استطاعة أنصار المذهب الطبيعى أن يناقشوا هذه المسألة . ولكن النابت أنه لا يوجد غير إله واحد .

وطالما لا يوجد سوى أب واحد ، فنحن كلنا إخوة . ومن أجل هذه الحقيقة مات جون براون . وأنا أكافح من أجلها ، وأنتم تشكروننى على ذلك ، وليس فى مقدورى أن أعبر لكم عن مقدار نائرى بكلما ناكم البديعة .

لا يوجد على الأرض بيص وسود ، وإنما بها أرواح . وأنت روح من هذه الأرواح . والأرواح كلها أمام الله بيضاء .

انى أحب بلدكم ، وجنسكم ، وحرىتكم ، وثورىكم ، وجمهورىتكم . والنفوس الحرة ترتاح فى هذه الساعة الى جزيرتكم البديعة . لقد ضربت منذ قليل مثلا عظيما حين حطمت الاستبداد .

وسوف تساعدنا على تحطيم الرق ، فيختفى الاستعباد بجميع أشكاله . وليس ما قتلته ولايات الجنوب هو جون براون ، وإنما هى قتلت الرق .

ويمكن أن نعتبر الاتحاد الأمريكى منجلا من الآن ، رغم ما تقوله عنه الرسالة المخزية التى أرسلها الرئيس بوكانان ، وانى لأسف على ذلك أسفا عميقا ، ولكنه أمر أصبح منذ اليوم محتوما . هناك بين الشمال والجنوب مشتقة جون براون . ولم يعد التضامن ممكنا . ومثل هذه الجريمة لا يتحملها طرفان .

واصلوا التنديد بهذه الجريمة ، وواصلوا دعم ثورتكم الباسلة . تابعوا عملكم ، أنتم ومواطنوكم الأفاضل . ان هايتى (١) الآن نور ساطع ، وانه لشيء جميل أن نرى بين مشاعل التقدم التى تضىء طريق الناس ، مشعلا تحمله يد زنجى .

إخوة

فيكتور هوجو

---

(١) جزيرة من جزر الأنتيل الكبرى ، تقع شرقى كوبا ، تنقسم الى دولتين مستقلتين : جمهورية هايتى ، وجمهورية دومينيكا - المترجم .

الى كاتبين بتلر

اوتفيل هاوس في ٢٥ نوفمبر ١٨٦١

سألتني يا سيدى رأيي في حملة الصين . انك نرى هذه الحملة بدبعة ومشرفة ، ومن طيب خلقك أنك تقدر شعورى في هذا الصدد بعض القدير . ومن رأيك أن حملة الصين التي انتظمت تحت رايتي الملكة فيكتور والامبراطور نابليون مجد تنقاسمه فرنسا وانجلترا ، وتريد أن تعرف مدى نايدى لهذا النصر الانجائيزى الفرنسى وما دمت تريد أن تعرف رأيي ، فالك رأيي :

كان في أحد أركان العالم ، أعجوبة من أعاجيب الدنيا . وكانت هذه الأعجوبة تسمى « قصر الصيف » .

للفن مبدعان : الفكرة التي تتيح الفن الأوروبى ، والخيال الذي يتيح الفن الشرقى . وقصر الصيف بالنسبة الى الفن الخيالى يماثل البارتيئون بالنسبة الى الفن المئالى .

وفي هذا القصر كل ما يمكن أن يولده خيال شعب متفوق من الناحية الانسانية . لم يكن ، كالبارتينون عملا نادرا لا نظير له ، وانما كان شستا من قبيل النموذج الهائل للخيال ، اذا أمكن أن يكون للخيال نموذج . تصور بناء لبس في الامكان وصفه ، شيئا شبيها بعمارة قمرية . هذا الشيء هو قصر الصيف . لو شيدت حلما بالرخام وحجر اليشم والبرونز والخزف ، وأقمت له هكلا من خشب الأرز ، وغطيته بالأحجار الكريمة ، وكسوته بالحرير ، وجعلت له هنا محرابا ، وهناك جناحا للحرير ، وفي موضع آخر قلعة ، ووضعت فيه آلهة ووحوشا . ثم صقلته وطلبته بالمينا والذهب ، وزينتة ، وعهدت الى بعض المهندسين الذين هم أيضا شعراء بأن يبنوا الألف حلم وحلم في الألف ليلة وليلة وأضفت الى ذلك حدائق وأحواضا ونافورات من الماء والزبد والبجع والطاوس ، قصارى القول لو افترضت شيئا كالكهف اللألاء الذي شبده

خيال الانسان فى صورة معبد وفصر ، لكان هذا البناء الاىرى • امتضى  
انشاؤه عملا طويلا اضطلع به جيلان من الناس • لقد سيدت القرون هذا  
البناء الذى يضارع مدينه فى ضخامته • ولكن لمن شديد ؟ للشعوب •  
ذلك لأن ما يصنعه الزمن يسلكه الانسان • ويعرف الفنانون والشعراء  
والفلاسفة قصر الصيف • تحدث عنه فولتير • وهديما قالوا : البارثينون  
فى اليونان ، والاهرامات فى مصر ، والكوليزيه فى روما ، ونوتردام فى  
باريس ، وفصر الصبب فى الشرف • يراه الانسان فى الأحلام ، اذا لم  
يره بالعين • أنه نحفة فنية ، من نوع مجهول ، يلمحه الانسان عن بعد  
فيما يشبه السفن • وكأنه صورة لحضارة آسيا على أفق حضارة أوروبا •  
لقد اختلفت هذه الاعجوبة •

فدات يوم دخل لصان فى قصر الصيف ، فنهبه أحدهما ، واشعل  
النانى الحريق فيه • وقد يبدو النصر لصا من اللصوص • لقد اشترك  
المنتصران فى تخريب قصر الصيف بخربيا تاملا • ويختلط بكل هذا  
اسم « الجين » (١) الذى يذكرنا بالبارثينون بصوره هدامة • وما صنع  
فى البارثينون ، صنع مثله فى قصر الصيف ، وانما بصورة أتم وأبرع  
بحيث لم يترك به شئ • ولا يمكن أن تعادل كتوز كاتدرائياتنا مجتمعة  
هذا المتحف الهائل الفخم ، منحرف الشرق • ولم يكن به نحف فنيه رائعة  
فحسب ، وانما كان به ايضا أكداس من المصوغات • عمل رائع ، وغنيمة  
كبيرة • لقد ملا أحد المنتصرين جيوبه ، ولما رآه المنتصر النانى وهو يفعل  
ذلك ملا هو ايضا خزائنه • وعادا الى أوروبا يضحكآن وقد تأبط كل  
منهما ذراع الآخر • تلك هى قصة اللصين !

أننا نحن الأوروبيين المتمدنون ، أما الصينيون فهم فى نظرنا  
الهمجيون • وهذا هو ما فعلته المدنية بالهمجيين •

وأمام التاريخ ، سوف يسمى أحد اللصين فرنسا ، والآخر إنجلترا •  
ولكن أحتج ، واشكرك لأنك اتحت لى هذه الفرصة • ان جرائم القادة  
لا تنتم بخطا الرعية • والحكومات أحيانا لصوص ؟ أما الشعوب فليست  
كذلك بالمره •

---

(١) الجين ستوماس بروس ، كونت ديلجين ( ١٧٦٦ - ١٨٤١ ) دبلوماسى وعالم آثار  
اسكتلندى انتزع من مبنى الاكردبول باثينا مجموعة السائبل والقطع الرحامة فى ميسى  
البارثينون ، وتعرف هذه المجموعة باسمه - المترجم •

لقد وضعت الأبراطورية الفرنسية نصف هذا التمر في جيوبها،  
وهي اليوم تعرض ، بلون من السداجة الشبيهة بسداجة المالك ، تعرض  
نحف قصر الصيف العديمة الفاخرة • واني آمل أن تعيد فرنسا هذه  
العنائم الى الصين المسلوبة ، حين يتم خلاص فرنسا وتطهيرها •

• وحتى ذلك الحين ، أؤكد ان هناك سرفه ، وهناك لصين •

• ذلك هو يا سيدي مدى تأييدي لحملة الصين •

فيكتور هوجو

### المحكوم عليهم بالاعدام فى شارلروا

نسبت عدة صحف بلجيكية الى فيكتور هوجو أشعارا موجهة الى ملك  
البلجيكيين يلتمس بها العفو عن تسعة من المحكوم عليهم بالاعدام فى  
شارلروا ؛ ومن ثم حرر فيكتور هوجو فى هذا الصدد الخطاب التالى •  
أوتفيل هاوس فى ٢١ يناير ١٨٦٢ •

سيدي

اننى أعيش فى وحدة • ويستغرقنى العمل بصفة خاصة منذ  
شهرين ، وهو عمل عاجل ، لدرجة أننى لم أجد أعرف شيئا مما يجرى  
فى الخارج •

واليوم أتانى أحد الأصدقاء بصحف تحوى أشعارا جميلة تتضمن  
التناسا بالعفو عن تسعة من المحكوم عليهم بالاعدام • ورأيت توقيعى  
بأسفل هذه الأشعار •

هذه الأشعار ليست أشعاري •

وأيا كان مؤلف هذه الأشعار فانى أشكره •

فعندما يتعلق الأمر بانقاذ رعبس آدمية ، أرى من الخير أن يستخدم  
الناس اسمى ، بل ويسيتوا استخدامه •

وأضيف الى هذا أنه يبدو لى من المستحيل تقريبا أن يسره أحد  
استخدام اسمى فى مثل هذه القضية • ولا ريب أن الغاية هنا تبرر  
الواسطة •

ومع ذلك فليسمح لى المؤلف أن أهنته على هذه الأشعار التى أكرر  
القول انها تبدو لى جميلة للغاية •

وأقرن بهذا الشكر الأول الذى أقدمه اليه شكرا ثانيا ، لأنه  
أحاطنى علما بهذه القضية المجزنة ، قضية شارلروا • وأعتبر هذه

الاشعاع نداء موجها الى ، واسلوبا لدعوى الى رفع صوتى ، اذ معرض على أنظارى اليهود المى بذلتها فى ظروف أخرى مماثلة ، وأشكره على هذا التكليف الكريم .

وانى استجيب لندائه . وأنضم اليه لنحاول أن نجنب بلجيكا سقوط رهوس تسعة على منصة الاعدام . لقد خاطب هو الملك ، وأما فليل المعرفة بالملك ، ومن ثم فانى أتوجه الى الأمة .

وقضية هينو (١) هذه . بالنسبة الى بلجيكا ، والسفهم ، مناسبة من المناسبات التى تخرج فيها الشعوب اما صغيرة واما عظيمة .

انى أؤسّل الى الأمة البلجيكية أن تكون عظيمة . ومن البدهى أن فى مقدورها أن تمنع تشغيل هذه المصنعة البتسعة ذات الأطواق التسعة فى الميدان العام . وليس نمة حكومه تعاون هسذه الضغوط الفكرية القسدية فى سبيل الرحمة . ولايد أن تنجّه أرادة الاولى لآى شعب الى الاستغناء عن آلة الاعدام . هناك من يقول : ارادة الشعب من ارادة الله . وفى مقدوركم أيها البلجيكيون أن تجعلوا المل يعول : ما يريد الله . يريده الشعب .

انا نجتاز فى هذه اللحظة اسوا فترة فى القرن التاسع عشر . ومنذ عشر سنوات ، والحضارة تتراجع نراجعا واضحا : فينيسيا مكبلة بالأغلال ، والمجر مضغوط عليها . وبولندا معذبة . وعقوبة الاعدام فى كل مكان . للملكيات قادة عسكريون مثل هايناو (٢) . وللجمهوريات أمثال تاللافيرو . لقد رفعت عقوبة الاعدام الى مرتبة « الحجية الأخيرة » Vltine ratio الأجناس والألوان والأحزاب تواجه بعضها بعضا بهذه العقوبة ، وتستخدمها كما لو كانت ردا مقنعا ، ويستخدمها البيض ضد الزنوج . ويستخدمها الزنوج كرد فعل مفرج ضد البيض .

الحكومة الإسبانية نعدم الجمهوريين بالرصاص ، والحكومة الإيطالية نعدم الملكيين بالرصاص . وروما نعدم رجلا بريثا . ويظهر القاتل الحقيقى ويعلن عن اسمه ويعترض على التنفيذ بلا جدوى ، فقد سبق السيف التلذذ ، فالجلاد لا يرجع فى عمل أده ، وأوروبا تؤمن بعقوبة الاعدام وتتمسك بها . وأمريكا تتقاتل بسببها ومن أجلها . آلة الاعدام صديفة

(١) مقاطعة فى بلجسكا - المترجم .

(٢) جواوسن حاكوب دوهايساو ( ١٧٨٦ - ١٨٥٢ ) - فيلد مارشال نساوى - أشمد

نيسوه النوره المحررة - المترجم .

الرق ، والمستمنة تلقي ظلانها على حرب الإبادة بين الاخوة فى الولايات المتحدة .

ولم يحدث ايذا ان كان بين أمريكا وأوروبا مثل هذا السوازي ، ولم نتفاهما من قبل يصل هذه الدرجة . انهما مختلفتان فى كل سىء ، فيما عدا هذه المسألة ، مسألة الفتل . وهكذا ينقى العالمان فى موضوع عقوبه الاعدام . فعقوبة الاعدام لسود الدنيا . ونمة ضرب من القانون الالهى . قانون البطله . يصدر عن الانجيل للكاثوليك الرومان . وعن التوراة لاهالى فيرجينيا البرويستانت . وقد شيد « بين » Penn بالفكرة (١) فوس نصر منالى كفنطره تربط العالمين . ولا بد أن يوضع اليوم مننة الاعدام على هذا القوس .

وعلى هذا الاعتبار . فان أمام بلجيكا فرصه رائعة .

لا بد لتسعب يملك الحرية أن يملك أيضا الإرادة .

المثير الحر . والصحافة الحرة يسكلان بيان الرأى الكامل . ليتحدث الرأى ، فالحظة حاسمة . وفى الظروف التى نمر بها . تستطيع بلجيكا . وهى التسعب الصغير الذى لا يكاد يكون له وجود . تستطيع اذا ارادت ، بالغائها عقوبة الاعدام . أن تصبج زعيمة الأمم .

وأؤكد القول ان هذه فرصه رائعة . فمن الواضح أنه اذا لم تكن هناك آلة لاعدام مجرمى « هينو » ، فلن تكون نمة آلة اعدام لآى انسان كان . وأن القصلة لن تنبت فى أرض بلجيكا الحرة ؛ ولن تكون مياديتكم العامة بعد ذلك عرضة لظهور هذا الشبح المشؤوم . ويقضى منطق الأشياء الحاسم بأن عقوبة الاعدام الملغاة عندكم اليوم الغاء فعليا ، سوف تكون ملغاة فى الغد الغاء قانونيا .

وانه لشيء رائع أن يعطى التسعب الصغير درسا للشعوب الكبيرة ، فيكون من أجل هذا وحده أعظم منها . وانه لشيء رائع ، أمسا تكاتف الضامات بصورة كريهة ، وفى وجود الهمجية العليلة المنتكسة ، أن نضطلع بلجيكا بدور الدولة الكبيرة فى مجال الحضارة . ونبهر الجنس البشرى فيجأة بالنور الحقيقى ، وذلك بأن تعلن فى الظروف التى يتفجر فيها جلال المبدأ على أحسن الوجوه . لا بمناسبة خلاف ثورى أو دينى ، ولا بمناسبة وجود عدو سياسى ، وانما بمناسبة وجود تسعة من المساكين

(١) وليم بين - عضو فى جماعه اللويكرز الاانجليز - وهى جماعه تعمل على التعريب بين الشعوب والعناصر والديانات ( ١٦٢٤ - ١٧١٨ ) - الترجمة .

غير الجديدين بأية رحمة خلاف رحمة الفلاسفة ، تملن في هذه الظروف  
حصانة الحياة البشرية ، ونرد نهائيا الى دياجير الليل تلك العقوبة  
البشعة ، عقوبة الاعدام التي تفخر بأنها أقامت على وجه الأرض صليبين ،  
صليب يسوع المسيح في العالم القديم ، وصليب جون براون في العالم  
الجسدي .

على بلجيكا الكريمة أن تتأمل في ذلك . انها هي الحاسرة بسبب  
آلة الاعدام في شارلروا ، وعندما تضع الفلسفة والتاريخ حضارة من  
الحضارات على كفتي ميزان ، فان الروس المقطوعة تنقل الكفة المضادة  
لهذه الحضارة .

اننى أودى واجبا بنحري هذا الخطاب ، فكن ياسيدى عوننا لى ،  
وأعزنى دعائتك من أجل هذه المصلحة الجليلة المؤلمة .

فيكتور هوجو

نشر هذا الخطاب في الصحف الانجليزية والبلجيكية ، وتاجل تنفيذ  
الحكم ، وأنقذت سبعة روس من التسعة .



### أرمان باربيس

فى عام ١٨٣٩ حكم على باربيس بالإعدام \* وأرسل فيكتور هوجو  
الى الملك لوى فيليب الأشعار الأربعة المعروفة ، وأنقذ حياة باربيس \*  
والخطابان التاليان يتصلان بهذا الموضوع \*

#### الى فيكتور هوجو

أيها المواطن العزيز المجيد :

لا بد أنك تتصور أن المحكوم عليه بالإعدام الذى تحدثت عنه فى  
العدد السابع من كتاب « البؤساء » انسان ججود \* لهد انقضت ثلاثة  
وعشرون عاما وهو مدين لك بهذا المعروف ! ومع ذلك فلم يقل لك  
شسيتها \*

سامحه ! سامحنى !

لقد آليت على نفسى مرارا وأنا فى سجنى قبل شهر فبراير ، أن  
أسرع الى لقاءك اذا أعيدت الى حريى . ولكننا كانت أحلام الشباب !  
وأتى ذلك اليوم القيت فيه بنفسى ، كقشة مهشمة فى دوامة عام  
١٨٤٨ \* ولم استطع أن أعمل شيئا مما كنت استهى عمله بحرارة \*  
ومن ذاك الحين - وأرجو المعذرة أيها المواطن العزيز فى هذه الكلمة التى  
سأقولها - كان جلال موهبتك يقف على الدوام حائلا دون ابداء فكرى \*

كنت فخورا فى ساعة الخطر أن أرى نفسى محميا بشمعاع من  
شعلتك ، ولم يكن بوسعى أن أموت طالما كنت تدافع عنى \* ولم يكن

في مقدورى أن أثبت أنني جدير بذراعك التى امتدت فوقى • ولكن لكل انسان قدره المكتوب ؛ ولم يكن كل الذين أنقذهم أخيل أبطالا •

وقد أصبحت الآن شيخا • ومنذ سنة وأنا فى حالة صحية سيئة • وكثيرا ما اعتقدت بأن قلبى أو رأسى سيستفجر • ولكنى أهنيء نفسى لسلامتى رغم آلامى ، اذ وجدت فى نفسى الجرأة ، يتأثير « معروفك » (١) الجديد ، لأن أشكرك على معروفك القديم •

ومادمت قد نحدثت ، فشكرا وألف شكر من أجل قضيتنا المقدسة ومن أجل فرنسا • للكتاب الذى ألفتته منذ قليل •

أقول : فرنسا ، لانه يبدو لى أن هذا الوطن العزيز ، وطن جان دارك ووطن الثورة ، هو وحده القادر على أن ينجب قلبك وعمقريتك • لقد وضعت ، أنت الابن السعيد البار ، على جبين أمك الواضح إكليلا جديدا من أكاليل المجد !

١٠ باديس

مع خالص المسودة ٩

لاهاى فى ١٠ يولية ١٨٦٢ •

### الى ارمان باديس

اوتفيل هاوس فى ١٥ يولية ١٨٦٢ •

أخى فى النفى :

رجل مثلك ، كان جندى التقدم وشهيد ، ضحى فى سبيل القضية المقدسة ، قضية الديمقراطية والانسانية بنوته وشبابه وحقه فى السعادة وحرية ، وارتضى من أجل خدمة المثل الأعلى كل أشكال الصراع ، وكل ألوان المحن ، والافتراء والاضطهاد والاقصاء ، وسنوات السجن الطويلة ، وسنوات النفى الطويلة ، وأسلم قياده للغير بسبب اخلاصه ، حتى انتهت به المسيرة تحت سكين المفصلة ؛ عندما يكون رجل مثلك قد فعل كل هذا ، فان الناس كلهم يكونون مدينين له ، أما هو فلا يدري

(١) انظر « البؤساء » الكتاب الأول ( العدد الرابع من طبعتنا ) وفيه خط تحت كلمة معروف • الواردة فى خطاب باديس •

لأى مخلوق بأى شيء ، ومن وهب كل ما يملك للنوع الانساني ، أصبح  
بريء الذمة حبال الحميع .

من المستحيل عليك أن تكون جاحدا لأى انسان . وأرى اليوم  
بوضوح أننى لو لم أفعل منذ ثلاث وعشرين سنة ما تفضل بشكرى  
عليه ، لكننت أنا الجاحد لك .

وانى لأشعر بأن كل ما فعلته للشعب انسا هو خدمة قدمتها  
لشخصى .

لقد أديت واجبا لا مفر منه ، فى الوقت الذى بذكرنى به . وإذا  
كان الحظ قد أسعدنى فى ذلك الحين بأن أسدد لك قليلا من الدين العام ،  
فان تلك اللحظة لا تعد شيئا بالنسبة الى حياتك كلها ، ومارلنا نحن  
جميعاً مدينيك .

ومنوبتى ، اذا سلمنا بأنى استحق أية مشوية ، كانت فى عملى  
نفسه . ومع ذلك فانى أقبل بحنو العبارات النبيلة التى أرسلتها الى ؛  
وقد أثر فى نفسى تأثيرا عميقا عرفانك السامى بالجميل .

اننى أرد عليك وأنا منفعل بما جاء فى خطابك . وذلك الشعاع  
الذى يأتى من وحدتك الى وحدتى ، سىء جميل . الى اللقاء القريب فى هذه  
الأرض أو فى خارجها ، وأحبي روحك العظيمة .

فيكتور هوغو

---

 البؤساء
 

---

 ١٦ سبتمبر ١٨٦٢
 

---

بعد أن نشر كتاب « البؤساء » ، ذهب فيكتور هوجو الى بروكسل • وأدب له الناشران السيدان لاکروا ، وفيربوكهوفن وليمة ، كانت فرصة للقاء الكتاب المشهورين من جميع البلاد ( انظر مذكراتنا ) • وأجاب فيكتور هوجو ، وحوله الكثير من كرام الرجال ، وبعضهم على درجة كبيرة من ذبوع الصبب ، على تحيات هذه النفوس النبيلة بكلمات نطالعا فيها بلى • ويذكر أولئك الذين حضروا هذا الحفل الرصين الجميل الذى أقيم من أجل أحد المنفيين أن فيكتور هوجو لم يستطع أن يحبس دموعه فى اللحظة التى طرأت فيها على ذهنه ذكرى اسبروهوتنى (١) •

## سادتى :

لا يمكن أن أعبر عن مقدار تأثرى ، فأرجو العذرة اذا كانت الكلمات تعوزنى •

واذا لم يكن من واجبى سوى أن أرد على خطاب عمدة بروكسل المبجل ، كانت مهمتى هذه بسيطة ، فليس على ، لأمجد هذا الحاكم المحبوب بجداره ، وهذه المدينة النبيلة المضيافة ، الا أن أكرر كل ما يتردد على الأفواه ! ويكفينى لذلك أن أكون صدى لها • ولكن كيف لى أن أشكر

---

(١) اسبروهوتنى - مرتفعات جرانيتية نايطاليا ( واسمها الآن كالايربا ) • وفى عام ١٨٦٢ أصابت عددا قوات فيكتور ايمانويل جاريبالدني واسرته ، المترجم •

الأصوات الأخرى الفصيحة الودودة التي خاطبتني ؟ قال جانب هذين الناشرين اللذين يرجع اليهما الفضل في تلك الفكرة المثمرة ، ففكرة المكتبة الدولية ، وهي نوع من الرباط الاعدادي بين الشعوب ، أرى أنه قد اجتمع هاهنا سياسيون ، وفلاسفة ، وكتاب ميرزون ، فخر الآداب ، وفخرة القارة المتحضرة . واني لأشعر بالحيرة والارتباك اذ أجد نفسى مركزا لحفل العباقرة هذا ، وأرى هذا القدر الكبير من التكريم يوجه الى شخصي ، في حين أنني لست سوى ضميم يرتضى الواجب ، وقلوب يرتضى التضحية .

ان شكر هذه المدينة في شخص عمدتها أمر بسيط ؛ ولكني أقول ثانية كيف يتأتى لي أن اشكركم جميعا ؟ كيف لي أن أصافحكم جميعا بيد واحدة ؟ ومع ذلك فالطريقة أيضا بسيطة ، فانتم جميعا ، الموجودين هنا ، كتابا كنتم أم صحافيين ، ناشرين أم طابعين ، سياسيين أم مفكرين ، ما الذي تمثلونه ؟ كل طاقات الذكاء ، وكل أشكال الدعاية ، أنتم فريق الروح ، أنتم المضمو الجديد في المجتمع الجديد، أنتم الصحافة . اننى اشرب نخب الصحافة !

الى الصحافة لدى كل الشعوب ! الى الصحافة الحرة ، الى الصحافة القوية المجيدة الحصبة !

أيها السادة ، الصحافة هي ضياء العالم الاجتماعي ، وفي كل ما هو ضياء ، يوجد قيس من الحكمة الالهية .

الفكر شيء أكثر من الحق ، انه روح الانسان نفسها . وكل من يعرقل الفكر انما يعتدى على الانسان نفسه . والقانون يعتبر الكتابة والطبع والنشر نظائر ؛ انها دوائر تتسع باستمرار ، دوائر الذكاء ، الفعاليات ، انها موجات الفكر الرنانة .

والصحافة هي أوسع كل دوائر الروح الانسانية هذه واشعاعاتها وقطر دائرة الصحافة هي نفس قطر دائرة الحضارة .

وكل نقص في حرية الصحافة يقابله نقص في الحضارة . ويمكن القول انه حيثما احتجبت الصحافة الحرة ، انقطع غذاء الجنس البشرى . سادتي ، ان رسالة عصرنا الحاضر هي تغيير أسس المجتمع القديمة ، وخلق النظام الحق ، واستبدال الحقائق الواقعية في كل مكان بالأوهام . وفي انتقال القواعد الاجتماعية هذه ، وهي المهمة الضخمة التي يضطلع بها

هذا الجليل . لا يوجد شيء يستطيع أن يقاوم الصحافة التي تستخدم قوتها المجاذبة على المذهب الكاثوليكي ، والنزعة الحربية ، والحكم المطلق ، وعلى أسد التكتلات الواقعية والفكرية صلابة ومقاومة .

الصحافة هي القوة . لماذا ؟ لأنها العقل المفكر .

إنها البوق الحى الذى يوظف الشعوب ، ويعلن بصوت مرتفع عن سيادة القانون . وهى لا تهتم بالبلبل الا لكى بعبع الفجر ، ونخمن قدوم النهار وتحذر العالم . والشئ الغريب مع ذلك أنها تكون أحيانا هدفا للتحذير ، كالبومة التى توضع اليديك على صباحه .

نعم ، الصحافة مضطهدة فى بعض البلاد . هل هى عبد رقيق ؟ لا . صحافة مستعبدة ! هذا تزاوج فى الكلمات ، لا وجود له فى الواقع .

وهناك فضلا عن ذلك اسلوبان كبيران للرق ، اسلوب سيارتاكوس ، واسلوب ابيكتيت (١) . الأول حطم أغلاله ، أما الثانى فانه حقق روحه . فاذا لم يستطع الكاتب المقيد بالأغلال أن يلجأ الى الأسلوب الأول ، بقى له استخدام الأسلوب الثانى .

لا ، مهما فعل الطغاة ، فليس ثمة استعباد للروح ! وأشهد على ذلك كل الرجال الأحرار الذين يستمعون الى ، وهذا ما قلته لى أخيرا ياسيد بيليتان بعبارات بديعة . فضلا عن أنك وكثيرين غيرك قد أثبتوا ذلك بالمثل الطيب الذى قدمتموه .

سادتى ، فى هذا القرن . لا سلام من غير حرية الصحافة ، وانما ضلال عن سواء السبيل ، وغرق ، وكوارث فى كل مكان .

هناك اليوم مسائل معينة . هى مشاكل هذا القرن ، قائمة امامنا ، لا نستطيع أن نتجنبها ؛ وليس ثمة حـل وسط بشأنها ، فلا مفر من

---

(١) فيلسوف رومى ( من مدرسة زينون ) من القرن الأول الميلادى . كان فى روما عددا لاسانوديت عموى نبرون . جمعت احادنه فى كتاب واحد ، وهى عن المذهب الروامى . بحكى أن سنده كان سديد السوء ، فعذبه ذات يوم نان اوى ساغه فى آلة التعذيب فقال له ابيكتيت « سوف تكسر ساقي » . ولما تم ذلك اكنفى بان يقول له « ألم ابد لك ذلك ؟ » - المترجم .

الاحتمال بما أو الاحتمال بها . والمجتمع يسير من هذه الناحية بصورة  
 حذية ، لا نفاوم . هذه المسائل هي موضوع الكتاب المؤثر المؤلم الذى  
 جرى التدبیر عنه منذ عشرينيات رابعة . هذه المسائل هي :  
 الفاقة ، والتطفل ، وانماج الثورة وتوزيعها . والنقد ، والانسان .  
 والنسل ، والأجر . وزوال طبقة الكادحين ( البروليتاريا ) . وتناقص  
 العثرات بالتدريج ، والبؤس ، والدعارة ، وحق المرأة الذى يرفع نصف  
 الجنس البشرى هؤلاء من وضعهم كفاصات ، وحق الطفل الذى يعنى  
 - وأقول يقتضى - التعليم المجانى الالزامى ، وحق الروح الذى يتضمن  
 حرية الدين . ومع الصحافة الحرة ، تجد هذه المشاكل نورا يعلها ،  
 وتصير قابلة للتناول ، ويمكن رؤية أغوارها ومنافذها ، ويمكن لهاؤها  
 والنفاذ فيها . فاذا ما تم تناولها والنفاذ فيها ؛ أى تم حلها ، فانها  
 سوف تنفذ العالم . ومن غير صحافة ، ليل مدلهم . وكل هذه المشاكل  
 مخيفة فى الوقت الحاضر ، لا يبين الانسان منها سوى منحدراتها ، وقد  
 لا يتبين مدخلا لها . ومن المحتمل أن يغرق المجتمع فيها . فانقار اذا  
 انطفأ ، أصبح الميناء صخرة الهلاك .

سادتى ، ليس هناك احتمال للخطا مع الصحافة الحرة ، ولا ذبذبة ،  
 ولا تلمس فى المسيرة البشرية . الصحافة هي الاصح المرشدة وسط  
 هذه المناسك الاجتماعية ، ومفترقات الطرق المظلمة . سيروا نحو المل  
 الأعلى ، والعدالة ، والحقيقة ؛ ولا يكفى السير وحده ، وانما لابد من السير  
 الى الامام . فى أى اتجاه تسيرون ؟ تلك هي المسألة برمتها . الظاهر  
 بالحركة ليس بالمرء هو انجاز التقدم . التظاهر بالحركة دون التقدم  
 أمر بلائم الطاعة السلبية . وتحريك الأقدام فى حفرة بالأرض تحريكاً  
 متواصلاً آلياً ، أمر لا يلقى بالجنس البشرى . ليكون لنا هدف ، ولنعرف  
 الى أين نسير ، ولنجعل ثمة تناسباً بين الجهد والنتيجة ، ولتكن فى كل  
 خطوة نخطوها فكرة . ولتتصل كل خطوة اتصالاً منطقياً بالخطوة التى  
 تليها ، وليأت الحل بعد الفكرة ، والنصر بعد الحق . لا خطوة الى الراء .  
 التردد فى الحركة يكشف عن فراغ فى العقل . وليس ثمة ما هو أتعس  
 من ارادة الشيء وعدم ارادته فى وقت واحد . الانسان الذى يتردد ويتقهقر  
 ويتريث لا يفكر . أما أنا ، فاني لا أقبل سياسة من غير رأس مفكر ،  
 كما لا أتصور إيطاليا من غير روما .

وما دمت قد نطقت بهذه الكلمة ، كلمة روما ، فاسمحوا لى بأن  
 أقطع حديثى ، وأن أمضى بفكرى الذى تحول لحظة عن اتجاهه ، صوب  
 ذلك الرجل الباسل الراقد هناك على فراش الالم . لا ريب فى أنه على  
 صواب حين يبتسم ، فالجد والحق معه . ومما يربك النفس ويدهقها

أنه يوجد في إيطاليا ، إيطاليا النبيلة المجيدة ، أو قد وجد بها ، رجال يسلون السيف ضد هذا الرجل الذي هو الفضيلة بعينها . ألم يتعرف هؤلاء الايطاليون على الشخصية الرومانية في شخص هذا الانسان ؟

ويقول هؤلاء الرجال عن أنفسهم انهم رجال إيطاليا ، ويمنون أنها مظفرة ، ولا يدركون أنها مذبوحة . آه ، انها المغامرة كنيية ، ولسوف يتراجع التاريخ حانقا أمام هذا النصر البشع الذي يتم بقتل جاريبالدى حتى لا يكون ثمة روما !

ان القلب ليشتمل غيظا ، فلندع ذلك .

سادتي ، من هو نصير الوطنى ؟ الصحافة . من هو مفزعة الجبان والحائن ؟ الصحافة .

أعلم أن الصحافة مكروهة ، وهذا سبب كبير يدعو الى محبتها . وكل ضروب الظلم والتعصب والخرافات تشكو من الصحافة وتهينها وتسبها بقدر ما تستطيع . وأتذكر منشورا يابويا مشهورا ، ظلت بعض كلماته البارزة راسخة فى ذهنى . فى هذا المنشور لأحد البابوات ، وهو معاصرنا البابا جريجوار السادس عشر ، عدو جيله - وهذا من بعض مساوئ البابوات - وفى ذهنه دائما فكرة التنين القديم ، ووحش سفر الرؤيا ؛ نقول ، فى هذا المنشور نعت البابا الصحافة بلغته اللاتينية ، لغة رهبان كامالدول (١) بأنها *Gula ichca, ealigo, impetus immanuscu* (١) *Strepitu harrendo* حنجرة ملتهبة ، ضباب مظلم ، اندفاع شرس مع جلبة مخيفة .

وأنا لا أعارض شيئا من هذا ، فالصورة صادقة . فوهة لهب ، دخان ، سرعة معجزة ، صوت هائل . نعم ، أنها القاطرة التى تمر ! تلك هى الصحافة ، القاطرة الهائلة القدسية ، قاطرة التقدم . الى أين تمضى ؟ الى أين تجر الحضارة خلفها ؟ الى أين تحمل هذه القاطرة القوية الشعوب ؟ النفق طويل ومظلم ومخيف ؛ اذ يمكن القول بان الجنس البشرى لم يزل تحت الأرض ، تلفة المادة وتسحقه ؛ وتشكل عليه الخرافات والمعتقدات وضروب الجور والاستبداد عقلا سميكا ، وفوقه ظلمات كثيفة ، ومنذ وجد الانسان ، والتاريخ كله تاريخ سفلى ، تحت الأرض ، لا يلمح المرء فى أى مكان فيه الشعاع الربانى . ولكن هناك منذ القرن التاسع عشر ، بعد الثورة الفرنسية ، أملا ويقينا . هناك أمامنا ، على بعد ، نقطة مضيئة ظاهرة ؛ تكبر لحظة بعد لحظة ، فهى المستقبل ، وهى

(١) رهبان وراعيات ، اقامهم فى كاما لدولى ( فى توسكانيا بايطاليا ) النديس روموالد فى أوائل القرن الحادى عشر - المترجم .



الانجاز ، نهاية التعاسة ، وفجر الأفراح ؛ هي كنعان (١) ! انها أرض  
المستقبل التي لن يجد الانسان فيها حوله سوى أخوة ، ولن يجد فوفه  
سوى السماء \* فلتتشجع القاطرة المقدسة ! ولتتشجع الفكر والعلم  
والفلسفة ، ولتتشجع الصحافة ، ولتتشجعن جميعا ، أينها الأرواح !  
الساعة تقترب ، تلك الساعة التي سوف تخرج فيها البشرية ، وخرجها  
السامى فى النور الباهر ، بعد أن تكون قد تخلصت فى النهاية من ذلك  
النفق المظلم الذى امتد عبر ستة آلاف سنة ، تخرج مذهولة لتجد نفسها  
فجأة وجها لوجه مع شمس المثل الأعلى \*

سادتى ، كلمة أخسرى ، وأرجو من سماحتكم أن تعتبروها  
شخصية \*

اننى سعيد بوجودى بينكم ، وأشكر الله الذى أنعم على بهذه الساعة  
الجميلة فى حياتى القاسية \* وسوف أعود غدا الى الظلام \* ولكنى رأيتكم  
وتحدثت اليكم ، وسمعت أصواتكم ، وصافحتكم \* وسوف أحمل كل  
ذلك معى فى عزلتى \*

وأنتم يا أصدقائى من فرنسا - وسوف يجد أصدقائى الآخرون  
الموجودون هنا أن من الطبيعى أن أوجه اليكم كلمتى الأخيرة - لقد  
شهدتم منذ أحد عشر عاما انسانا يغادر فرنسا وهو فى طور الشباب ؛  
وتشهدونه الآن شيخا مسنا \* تغير لون الشعر ، ولم يتغير القلب \*  
واشكركم لتذكركم الغائب ، ولحضوركم \* وتقبلوا أعبقى مشاعر الحنان  
- أنتم أيضا ، الأصغر منى سنا ، والذين أعتز بأسمائهم عن بعد ، ولكن  
أراهم هنا لأول مرة \* ويخيل الى أننى استنشقت بينكم هواء الوطن ، وأن  
كلا منكم قد أثنانى بشئ قليل من فرنسا ، وأننى أرى شيئا خارجا من  
أرواحكم المتجمعة حولى ، شيئا أخاذا وجليلا ، يشبه النور ، هو بسمه  
الوطن \*

اننى أشرب نخب الصحافة ! نخب سلطاتها ومجدها وقوتها !  
وحريتها فى بلجيكا والمانيا وسويسرا وإيطاليا وأسبانيا وانجلترا  
وأمریکا ، وخلصها فى سائر أنحاء العالم \*

---

(١) ابن حام ، سلف الكنعانيين - اسم أعطاء الاسرائيليين للفلسطين قبل الاستيلاء  
عليها ، فكانت الأرض الواعدة لهم من قبل الله ، ونهاية تنقلاتهم بعد مغادرتهم لصر \*  
المسوعة العربية الميسرة \*

## مأدبة الأطفال الى الناشر كاستيل

أوتفيل هاس ، فى ٥ أكتوبر ١٨٦٢

عزيزى السيد كاستيل

وقع تحت انظارك ، بعامل الصدفة ، بعض تجارب الرسوم التى أجريتها بيدي ، فى ساعات كنت أقضيها فى تأمل شبيه بالذهول ، بما كان فى ريشتى من بقايا حبر ، وذلك على بعض هوامش أو اغلفة المخطوطات . وتبدي رغبتك فى نشر هذه الأشياء \* ويبدى الحفار البارخ السيد بول شينى استعداده لعمل صور منها مطابقة للأصل \* وتطلبون موافقتى . ومهما كانت موهبة السيد بول شينى الجميلة ، فانى أخشى أن هذه الخطوط المبعثرة التى أجرتها الريشة على الورق فى غير حذق بيد رجل عنده مشاغل أخرى ، ليست بالمرّة رسوما بمعنى الكلمة مجرد الادعاء بأنها رسوم \* ومع ذلك تصر على نشرها . وأنا أوافق . هذه الموافقة لشيء ربما كان يدعو الى الضحك والسخرية ، تحتاج الى تفسير . اليك اذن الأسباب :

أقمت منذ قليل فى دارى بجزنسى جمعية أخوية عملية ، أردت أن أنميها وأعمل بصفة خاصة على توسيع نطاقها \* انهنسا عمل زهيد لا يستحق أن أتكلم عنه ؛ وجبة أسبوعية للأطفال المعوزين . وفى كل أسبوع تشرفنى بعض الأمهات الفقيرات بالحضور بأطفالهن لتناول طعام الغداء بمتزلى . وكان عندى فى البداية ثمانية من هؤلاء الأطفال ، ثم خمسة عشر ؛ وعندى الآن اثنان وعشرون طفلا (١) . ويتغذى هؤلاء الأطفال معا ، ويختلطون بعضهم ببعض ، فمنهم كاثوليك وبروتستانت وانجليز

(١) زاد هذا العدد فيما بعد حتى بلغ الأربعين .

وفرنسيون وإيرلنديون ، لا تمييز بينهم بسبب الدين أو الوطن . أدعوهم الى الضحك والسرور وأقول لهم : كونوا أحرارا \* ويسنهلون الرجاسة ويخمونها بالشكر لله ، ببسارة بسيطة بعيدة عن الصيغ الدينية التي قد تؤثر في مداركهم \* وأنولى خدمتهم مع زوجتي وابنتي وزوجة أخي وأولادى وخدمى \* ويأكل الأطفال لحما وبشربون نبيذاً ، وهذان شيخان ضروريان للأطفال \* وبعد ذلك يلعبون ويذهبون الى المدرسة . ويأبى أحيانا بعض الفسوسة الكاثوليك والبروتسنتات ومعهم بعض ذوى الفكر الحر وبعض المنفيين من الديموقراطيين ليشهدوا هذه الولاية المتواضعة ، فلا الحظ على اى واحد منهم أنه قد استاء \* وأوجز القول . ولكن يبدو لى أننى قلت ما يكفى لايضاح أن هذه الفكرة ، فكرة تقديم الأسر الفقيرة داخل الأسر الأكرن يسارا ، فى سهولة ومساواة ، فكرة يغذيها رجال أفضل منى ، وعلى الأخص قلوب النساء ، فكرة قد لا تكون رديئة ، وأعتقد أنها عملية وخليقة بأن تعطى ثمارا طيبة ، ولذلك أتحدث عنها حتى يقتدى بها من يشاء ، ومن يكون قادرا على تنفيذها . وليس هذا من قبيل الصدقة ولكنه من قبيل الأخوة . وهذا الضرب من دخول الأسر الفقيرة فى أسرنا يعود علينا بالفائدة كما يفيدها ، وهو بداية للتضامن ، ومحرك للصيغة الديموقراطية المقدسة : الحرية والمساواة والاخاء . ويدفعها أمامنا . انه الانحداد بنسنا وبين اخواننا الأقل منا حظا . نحن نتعلم أن نقوم على خدمتهم وهم يتعلمون أن يحبونا .

وأعتقد يا سيدي أننى عندما أفكر فى هذا العمل الصغير استطيع أن أضحى بشيء من عزة نفسى فأصرح لك بالنشر الذى ترجوه . وسوف يسهم عائد هذا النشر فى تكوين رأس مال لأطفالى الصغار الفقراء . ها هو ذا الشتاء . قد أقبل ، ولن يضيرنى فى شيء أن أمنح تيابا لأولئك الذين يرتدون أسمالا بالية ، وأحذية لأولئك الذين يسبرون بأقدام عارية . ولسوف يكون نشرك لرسومى عوناً لى فى ذلك ، وتشجعنى هذه المعونة على التصريح لك بالنشر . واعترف باننى لم أكن أتصور بالمرّة أن رسومى ، كما تفضلت بتسميتها كذلك ، خليقة بأن تجذب انتباه ناشر خبير مماك وفنان مثل السيد بو شبنى . فلتنحقق رغبتكما . ولسوف تستخلص الرسوم كل ما تستطيع استخلاصه من هذا النشر العريض الذى لم تكن مهيةة له بالمرّة . وسيكون للنقد حق على هذه الرسوم ، حق ارتجف من وطأته . وهأنذا أتركها تحت رحمتك . وانى لوائى دواما أن أطفالى الصغار الأغرار الفقراء سوف يجعلونها حسنة للغاية .

أنشر اذن هذه الرسوم يا سيد كاستيل ، وتقبل كل ما أتمناه لك من نجاح .

فيكتور هوغو

## جنيف وعقوبة الاعدام

فى الأشهر الأخيرة من عام ١٨٦٢ ، راجعت جمهورية جنيف دستورها . وعرضت مسألة عقوبة الاعدام \* وأبقى التصويت الأول على آلة الاعدام ، وكان لزاما اجراء تصويت ثان \* وفكر الجمهوريون التقدميون فى جنيف فى فيكتور هوجو ، فكتب له السيد بوسمت ، أحد أعضاء الكنيسة البروسنتانية ، وصاحب الكتبر من المؤلفات القيمة خطابا نطالع فيما يلى سطره الأخيرة \*

« صوتت الجمعية التأسيسية فى جنيف مؤيدة الإبقاء على عقوبة الاعدام بثلاثة وأربعين صوتا ضد خمسة أصوات . ولكن لا بد أن تعرض هذه المسألة ثانية عما قريب فتناقش من جديد . فإذا كان بوسعك أن تتدخل فى المسألة بوضع كلمات من عندك ، كان ذلك عونا كبيرا وقوة جديدة لنا ، فهى ليست مجرد مسألة اقليمية أو اتحادية ، وانما هى مسألة اجتماعية وانسانية ، كل ضروب التدخل فيها مشروعة . فلا بد من عظمة الرجال فى الأمور العظام . ومناقشاتنا فى حاجة الى عبقرية . تدير لها السبيل . وسوف تكون المساعدة التى تأتينا من تلك الصخرة التى نتجه اليها الكثير من الأنظار عونا كبيرا لنا أجمعين » .

وصل هذا الخطاب الى فيكتور هوجو فى يوم ١٦ نوفمبر . وفى يوم ١٧ منه أجاب قائلا :

أوتفيل هاوس ، فى ١٧ نوفمبر ١٨٦٢

سيدي :

أحسنتم صنعا ؛ انتم فى حاجة الى المعونة ، وتخاطبوننى فى ذلك ، وأنا أشكركم . تنادوننى وأنا أبادر بتلبية النداء . ما الأمر ؟ هانذا . جنيف على مشارف أزمة من تلك الأزمات الطبيعية التى تسجل

التغيرات فى الأطوار بالنسبة الى الأمم والأفراد . انتم بسببيل مراجعة دستوركم ، وأنتم تحكمون بلادكم بأنفسكم ، أنتم سادة ، وأحرار . أنتم جمهورية . وسوف نعملون عملاً جسيماً ، وسوف تعدلون ميثاقكم الاجتماعى ، وتدرسون موقفكم من التقدم والحضارة ، وتفاهمون فيما بينكم بشأن المسائل المشتركة . وسوف يفتح باب المناقشة ، ويظهر من بين المسائل المدرجة فى جدول الأعمال أخطر المسائل قاطبة ، مسألة حصانة الحياة البشرية .

تلك هى عقوبة الأعدام .

والأسفاه ! متى تكف عن التدرج والسقوط على المجتمع الانساني ، من أعلى تلك الصخرة الكالحة ، صخرة سيسيف (١) تلك الكتلة من الحقد والظلم والجهل والظلم ، والذى يسمونها القصاص ؟ متى يستبدل بكلمة العقاب كلمة التعليم ؟ متى يدرك الناس أن المذنب انسان جاهل ؟ الثأر ، العين بالعين والسن بالسن ، والشر بالشر ، هذا هو بالتقريب قانوننا . متى يكف الثأر عن ذلك الجهد القديم الذى يبذله حين يعطينا العوض باسم القصاص ؟ أيطن أنه يخدعنا ؟ لا فرق بينه وبين الغدر حين يسمى نفسه « المصلحة العليا للدولة » ، ولا بينه وبين قتل الانسان لأخيه الانسان حين يرتدى الزي العسكري ويسمى نفسه « الحرب » . وعيناً حاول « دى ميستر » (٢) أن يزيّن دراكون (٣) ويومه ، فالبلاغة الدموية لا طائل من ورائها ، اذ هى لا تستطيع أن تخفى التشوه الواقعى الذى تداريه . والسفسطائيون أشخاص يموهون الحقائق ولكن دون فائدة . الظالم يبقى ظالماً ، والقبيح يظل قبيحاً . من الكلمات ما هى أقنعة ، ولكننا نستطيع أن نلمح ظلال الشر خلال ثقوبها .

متى اذن ينطبق القانون على الحق ؟ متى تتوافق العدالة البشرية مع العدالة الالهية ؟ متى يفهم أولئك الذين يقرأون التوراة أن قابيل قد خلس بحياته ؟ متى يفهم أولئك الذين يقرأون الانجيل صلب المسيح ؟

(١) كائن اسطوري ، مرهوب الجانب بسبب قوته وما يقترفه من ضروب السلب والنهب . حكم عليه بعد موته أن يدحرج فى الجحيم حجراً كبيراً على قمة جبل ، لينبع الحجر من الجبل ابد الآباد . « وصخرة سيسيف » تمبير ينصرف معنا الى العمل الشاق الذى لا يتوقف أبداً - المترجم .

(٢) جوزيف دى ميستر ( ١٧٥٤ - ١٨٢١ ) كاتب فرنسى ، اشتغل بالسياسة ، وكان - فيما للاده فى سردنيا وبلطسبرج - المترجم .

(٣) دراكون - كبير القضاة ، ومشروع فى اثينا . كانت قوانينه شديدة القسوة حتى قيل انها قد كتبت بالدماء ، وجرت قسوته هذه مجرى الأمثال - المترجم .

متى ينصت الناس الى الصوت العدى الذى يرتفع من اقوار ما يتحول  
فى ظلماتنا قائلا « لا تقتل أبدا ! » • منى يدرك أولئك الذين يسمون  
فى هذه الدنيا ، من قاض وقس وسعيب وملك أن هناك من « يؤثرون » ؟  
جمهوريات بها عبید ، ملكيات لها جنود ، مجتمعات بها جلاود ، القوة  
فى كل مكان ، أما الحق فليس له مكان • تصموا لكم يا سادة العالم  
البائسين ، يا ديدان العلل ، وثماين الثرور •

وتتاح للقدم فرصة يستطيع فيها أن يخطر خطوة الى الامام • « وف  
تناقش جنيف مسألة عقوبة الاعدام ، ومن تم حررت خطابك يا سيدي  
تطلب منى فيه أن ألتخيل فى النقاش وأشترك فيه ، وأقول كما ترى •  
وأخشى أنك تبالغ فى اعتقادك بقبالية كلمة واحبه عزلاء كلمتى • فمن  
عسأى أكون ؟ وماذا بوسعى أن أفعل ؟ ما قد انقضت سنون طويلة منذ  
عام ١٨٢٨ ، وأنا أكافح ، بقوى الانسان الواهية ضد ذلك الشيء الهائل  
المتناقض البشع ، ضد عقوبة الاعدام التى تتشكل من قدر كاف من  
العدالة لارضاء جمهور الناس ، وقدر كاف من الظلم لاذراع الرجل  
المفكر • وهناك آخرون غيرى فعلوا أكثر وأحسن مما فعلت • كل ما هناك  
أن عقوبة الاعدام قد تخلت عن بعض ميادينها ، واعتراها الشعور بالحزى  
فى باريس وسط كل ذلك الضياء • وفقد الجيرتين ثقته بذاته ، ولم  
يتنازل مع ذلك عن مركزه • ولما طرد من ميدان « جريف » ظهر عنده  
بوابة « سان جاك » ، ولما طرد من بوابة سان جاك ، ظهر فى ميدان  
« روكيت » • انه يتقهقر ، ولكنه مع ذلك باق •

وما دمت تطلب يا سيدي مساعدتى ، فانى مدين لك بها • ولكن  
لا تبالغ فى تصور أهمية نصيبي فى انجاح هذا العمل اذا كتب له  
النجاح • وأكرر لك القول اننى منذ خمس وثلاثين سنة وأنا أحسول  
أن أقام الاعدام فى المبادئ العامة • لقد نددت دون هوادة بذلك الضرب  
من التعدى الذى يقترفه القانون الدنيوى على القانون السموى •  
واستشرت الضمير العالمى ، وهاجمت ذلك الجور بالمنطق ، وبالشفقة التى  
هى اسمى ألوان المنطق • وناضلت اجمالا وتفصيلا تلك العقوبة العمياء  
المفرطة التى تقتل ، فكنت أحيانا أعالج الفكرة العامة محاولا أن أصيب  
هذا العمل وأجرحه فى مبدئه ، وجاعدا أن أهدم آلة الاعدام برهنتها الى  
غير رجعة ، وليس آلة معينة بالذات ؟ وفى أحيان أخرى اكتفى بحالة  
معينة وأنفيا انقاذ حياة انسان واحد • ونجحت أحيانا ، ولكنى فشلت  
فى أكثر الأحيان • وأخلصت بعض النفوس النبيلة لهذه المهمة • ومنذ  
أقل من عشرة شهور ، نجحت الصحافة البلجيكية فى انقاذ سبعة رؤوس

بين تسعة من المحكوم عليهم بالإعدام في شارلروا ، اثر المساعدة الآرية  
التي قدمتها الى تلك الصحافة عند تدخل في صالح هؤلاء الناس .

لقد هدم كتاب القرن الثامن عشر عقوبة التضييق . ولا شك عندي  
في أن كتاب القرن التاسع عشر سوف يهدمون عقوبة الإعدام . لقد  
نجحوا في فرنسا من قبل في محو عقوبة قطع اليد والحرق بالتحديد  
المحمى بانثار ، والفساء الموث المدني ، واقترحوا تلك الوسيلة الوثقنيه  
الرائعة ، وسيلة الظروف المخففة . قال النائب سالفيرت : « نحن ندين  
لبعض الكذب القبيحة ككتاب « اليوم الأخير في حياسة محكوم عليه  
بالإعدام » بادخال ذلك الأسلوب المفوت . اسلوب الظروف المخففة .  
والحقيقة أن الظروف المخففة هي بداية الغاء عقوبة الإعدام . واطروف  
المخففة في القانون كالاسفين في سجر البلوط . فلنتناول المطرقة الالبية  
ونسق بها على الاسفين دون هوادة . دقات الحفيقة القوية ، فلسوف  
يتشدهخ الطعح .

واعترف بأن هذا العمل سوف يتم ببطء ، ومع ذلك فعلينا الا نلتقط .  
فجهودنا لن تكون دائما عديمة الفائدة ، حتى في التفاصيل الدقيقة .  
ذكرتكم منذ هنيهة بواقعة شارلروا . وهانذا أذكر لكم واقعة أخرى . .  
فمنذ ثمانية أعوام ، أي في عام ١٨٥٤ ، حكم في جيرنسي على رجل  
يدعى « تابز » بالإعدام شنقا . وتدخلت ، ووقع سستائة شخص من  
أعيان الجزيرة على التماس بالفعو . وشنق الرجل . والآن اسمعوا .  
وصلت الى أمريكا بعض الصحف الأوروبية التي تحوى الخطاب الذى  
حررته لأهالى جيرنسي لمنع تنفيذ حكم الإعدام . وصلت في الوقت  
المناسب لكى يعاد نشر هذا الخطاب بصورة مجدوية فى الصحف الأمريكية .  
اذ سوف يشنق فى كوبيك رجل يدعى جوايان . واعتبر شعب كندا  
الخطاب الذى كتبه لشعب جيرنسي كأنه موجه اليه - أى الى شعب  
كندا - وبمشيئة الله أنفذ هذا الخطاب « جوليان » الذى لم يكن يقصده  
أصلا ، لا تابز الذى كان محررا من أجله . لماذا أذكر هذه الوقائع ؟ لأنها  
تبرهن على ضرورة الثبات والاصرار . ولكن والأسفاه ، فان آلة الإعدام  
تصر هي الأخرى على البقاء .

ولم تزل احصائيات الجيوتين والمشقة تحفظ بمستوياتها الفظيعة .  
ولم تنقص ارقام القتل الشرعى فى أى بلد . بل لقد حدثت نكسة منسأ .  
عشر سنوات ، عندما ضعفت المشاعر الخلقية ، فاستردت عقوبة الإعدام  
خطورتها . وانتم أيها الشعب ، شهدتم فى مدينتكم جنيف وحدها التى  
جيوتين أقيمتا فى غضون ثمانية عشر شهرا . حقا ، لماذا لا يعسهم

« ايلسى » بعد أن أعلم « فارى » ؟ فى أسبانيا آلة ضغط الشرايين ؛ وفى روسيا الإعدام ضربا بالعصى ؛ وفى روما ، تستبشع الكنيسة سفك الدماء ، ومن ثم تزهب أرواح المحكوم عليهم بالإعدام اغتيالاً أما فى إنجلترا التى تحكمها امرأة ، فانها شنت امرأة .

هذا الأمر لا يمنع العقوبات القديمة من اطلاق الأصوات القوية ، والاجتجاج بأن الناس يفترقون عليها ، ومن التظاهر ببراءتها . الناس يكتفون من الحديث عنها ، وهذا شيء مخيف . لقد كانت دائما ودعته ورقيقة . انها تصنع قوانين تبدو فى ظاهرها قاسية ، ولكنها لا تستطيع تطبيقها . هى التى أرسلت جان فالجان الى الليمان من أجل قطعة خبز سرقها ! ما أعجب ذلك ! حقا ، انها أرسلت الى الإشغال الشاقة المؤبدة فى عام ١٨١٦ النوار الجامعين فى مقاطعة السوم ، وفى عام ١٨٤٦ . . . بالأسف ، ان أولئك الذين يعتبرون على سبيل جان فالجان فى الليمان ينسون جيوتين بوزانسيه .

كانت نظرة القانون الى الجوع على الدوام نظرة عكسية . لقد تحدثت منذ هنيهة عن عقوبات التعذيب اللغاة . عظيم ! . ولكن لم يزل التعذيب قائما فى عام ١٨٤٩ . أين ؟ فى الصين ؟ لا ، بل فى سويسرا . فى بلدك يا سيدى . فى أكتوبر ١٨٤٩ ، فى مدينة « زوج » (١) ، أراد قاضى التحقيق أن يحمل لصا سرق قطعة خبز على الاعتراف بجرمه ( سرقة مادة غذائية . الجوع أيضا ! ) ، واللص فتاة تدعى ماتيلد فيلدبرج ، فضغط على ابهاميها فى مكيس ، ورفع التمسة الى السقف بواسطة بكرة وحبل مربوط بالمكيس . وهكذا أصبحت معلقة من ابهاميها ، وجعل مساعد الجلاد يضربها بالعصا . وفى عام ١٨٦٢ كان التعذيب بالسياط لم يزل مطبقا فى جيرنسى . وفى الصيف الماضى جلد رجل يدعى « تورود » فى الحسبن من عمره ؛ وكان هو أيضا جائعا ، فأصبح لصا .

لا ، علينا الا نياس ، ولنشعل الثورة ، ثورة الفلاسفة للتخفيف من قسوة القوانين . لننقص العقوبات ، ونزيد التعليم . ولنقدر الخطوات التى يجب أن نتخذها من واقع الخطوات التى اتخذت من قبل ! ما أجل الظروف المخففة ! انها كانت خليفة بأن تمنح حموت ما سوف انقصه عليكم الآن .

كنت مارا بميدان « دار القضاء » بباريس ظهر يوم من أيام صيف عام ١٨١٨ أو ١٨١٩ ، فوجدت حشدا من الناس حول عمود من الخشب . واقتربت . كان هناك مخلوق بشرى ، امرأة شابة ، فتاة ، مربوطة الى

(١) مدينة فى سويسرا - المترجم



العمود بسلسلة حديدية تطوق عنقها ، ولافتة معلقة من رأسها . وأمامها عند قدميها موقد ممتلئ فحم منقذ وقطعة من حديد بيد خشبية ، مغسوة في الجصرة ، والحديد يزداد احمرارا ، وجمهور الناس يظهرن الرضا . كانت المرأة مدانة بذلك الجرم الذى يسميه القضاء « سرقة خدم المارل » ، ويسمى بأسلوب مجازى « رقصه أذن السلة » (١) . وفتاة دقت الساعة الثانية عشرة ظهرا ، فصعد رجل على المنصة خلف المرأة دون أن تراه . ولاحظت أن صدار المرأة الصوفى الخشن كان به من الحلف شق مضموم بشرائط مبرومة . وفك الرجل الترائط بسرعة ، وفتح الصدر ، وعرى ظهر المرأة حتى الخاصرة ، وأمسك الحديدية الموضوعة فى الموقد وضغطها بشدة وعمق على الكتف العارى . واختفى الحديد ويد الجلاد عن الأنظار فى دخان أبيض . ولم تزل الصرخة الفرعة التى أطلقتها المرأة المذبذبة تدوى فى أذنى رغم انقضاء أكثر من أربعين سنة ، وسوف تبقى فى نفسى أبد الآباد . كانت المرأة سارقة ، ولكنى اعتبرتها شهيدة . وبرحت ذاك المكان وأنا وقتئذ فى السادسة عشرة ، وقد صح عزمى على أن أناهض ما حبيت مساوىء القانون .

ومن أسوأ هذه الأعمال عقوبة الاعدام . وكم شهدنا منها ، حتى فى القرن الحاضر ، بل وفى المحاكم العادية ، وبسبب جنح عادية ! وفى ٢٠ أبريل ١٨٤٩ ، اعدمت فى بريستول فتاة تدعى سارة توماس فى السابعة عشرة لأنها فى لحظة غضب قتلت سيدتها التى كانت تضربها . فضربتها بقطعة من حطب . وكانت المحكوم عليها لا تريد أن تموت ، ومن ثم كان لابد أن يجرها سبعة من الرجال الى المشنقة . وشنتت قسرا . وفى اللحظة التى عقدت فيها الأنشودة على عنقها ، سالها الجلاد عما اذا كان لديها كلام تبعث به الى والدها ، فكفت عن عودها لتقول له : نعم ، قولوا له انى أحبه . وفى مطلع هذا القرن ، فى عهد جورج الثالث ، حكم فى لندن بالاعدام على ثلاثة أطفال من طبقة لابسى الخرق ، بتهمة السرقة . وذكرت صحيفة « نيوجيت كالندر » أن أكبرهم لم يكن يبلغ وقتئذ الرابعة عشرة . وشنق الأطفال الثلاثة .

ماذا يرى الناس اذن فى القتل ؟ كيف ! أيمتنع على القتل وأنا فى الزى العادى ، ويباح لى القتل وأنا فى ثوب القضاء ! عمادة القضاة مثل الثوب الكهنوتى الذى كان يلبسه ريشليو ، تبيح كل شئ ! آه ! أرجوكم ، لا تأخذوا بثأرى ، وأقول لكم ان هذا قتل ، وقتل . هل قتل الانسان

(١) تعبير فرنسى يقصد به ما يفعله بعض خدم البيوت من الحصول من مخدوميهم على صاوغ تزيد عما أنفقوه فى شراء حاجيات المنزل - المترجم .

«باح في غير حالة الدفاع الشرعي بأضيق معانيه ( اذ انه به مجرد أن يسقط  
المتدنى عليك جريحا ، يصير من واجبك أن تنفذه ) ! بل الذي الذي  
يحرم على الفرد يباح للجمهور ؟ هاكم الجداد . قابل من طراز مهبج ،  
انه القائل الرسمي ، المرخص له ، الموظف ، الأجير ، المكاتب بالعدل في  
أيام معينه ، الذي يشتغل في علانية ويقتل في وضخ النهار . ويسخدم  
« أخشاب العدالة » عدة له ، وثبت له صفة قابل الدواه ! القابل  
الموظف ، القاتل الذي يتخذ القانون مقرا له ، القابل باسم الجميع ا  
انه يملك تفويض ونفويضكم في الضل . يخنق ويدبح . ثم يصرب على  
كف المجتمع ويسول له : انا اعمل من اجلك . فادفع لي أبرى . انه  
القابل بحكم القانون ، القاتل الذي بقرت مهمته . مهمة القتل . بأمر  
المشرع ، وداول المحلفون بشأنها ، وأصدر القاضي حكمه بها . وأمن  
القس عليها ، وفام الجندی بحراستها ، وراح الشعب ينفرج عنها . انه  
القابل الذي يحظى أحيانا بعطف القتل . لقد ناقشت . أنا الذي أحاطبكم ،  
هذه المسألة مع محكوم عليه بالإعدام يدعى ماركيز . كان من مؤيدي فكرة  
عقوبة الإعدام ، كما ناقشت هذه المسألة أيضا قبل قضية مسهورة  
بسنين ، مع أحد رجال القضاء ويدعى « بيست » كان من أنصار  
العقوبات المحلة بالشرف ، فلتفكر الحضارة في أنها مسئولة عن عمل  
الجلاد . آه ! تمقتون القتل حتى تقتلوا القاتل . أما أنا فأكره القتل  
لدرجة أنى أمنكم من أن تصيروا قتلة . الناس كلهم ضد فرد واحد .  
والقدرة الاجتماعية متركرة في الجيوتين ، وقوة الجماعة مستخدمة لازهاق  
روح انسان ، ما أبشع كل هذا ! قتل الانسان انسانا آخر . هل يرهب  
الفكر ، أما قتل الناس جميعا انسانا واحدا فانه عمل يفرعه .

أمن الضروري أن أكرر لكم دواما ما أقول ؟ كان هذا الرجل في  
حاجة الى كل ما تبقى له من العمر ليتعرف الى نفسه . ويقومها . ويتخلص  
من المسؤولية التي تنقل روحه . ولكنكم تمنحونه بضع دقائق ! بأى  
حق ؟ كيف تجراون على أن تتحملوا مسؤولية هذا العمل الرهيب الذي  
يجتنب مختلف ظواهر التوبة والندم ؟ أتدركون ماهية هذه المسؤولية  
التي تاحذونها ، والتي تنقلب ضدكم فتصبح مسئوليتكم أنتم ؟ انكم  
تعدلون اكر من مجرد نذل انسان . انكم تقبلون ضميرا .

بأى حق تجعلون الله قاضيا قبل الساعة ؟ أية صنعه تبرر لكم  
رفع القضية أمامه ؟ هل هذا القضاء درجة من درجات قضاؤكم ؟ هل  
تضعون محكمكم مع المحكمة الإلهية في مستوى واحد ؟ هناك انسانان :  
فاما انكم مؤمنون بالله أو غير مؤمنين . فان كنتم مؤمنين ، كيف تجرؤون  
على أن تلقوا بروح خالدة الى عالم الأبدية ؟ وان كنتم غير مؤمنين ، كيف  
تجرؤون على أن تلقوا بكائن حي الى العدم ؟

«منناك فقيه من فقهاء العازون الجنائي ، أجرى التفريقة الآسية :  
» من الخطأ أن نقول : اعدام ، وإنما يجب أن نقول : اصلاح . المجتمع  
لا يقتل وإنما بجنت » \* ونحن فوم علمانيون ، ومن ثم لا نفهم هذه الأمور  
الدقيقة .

الناس ينطقون كلمة العدالة ! آه ، تلك الفكرة الجليلة الموقرة بين  
كل الفكر ذلك السوازن الفائق ، تلك الاستقامة المتصلة بأغوار الأمور ،  
ذلك الوسواس الخفى الذى يفترق من المنل العليا ، تلك الاستقامة المطلقة  
المختلطة بالرجفة ازاء الضخامة الأبدية الفاعرة امامنا ، تلك الحشمة  
الطاهرة التى لا تحيز ولا تحايى ، تلك الموازنة التى تشمل ما لا وزن  
له . ذلك المفهوم الذى يتركب من الأشياء كلها ، ذلك التسامى بالحكمة  
المتعجزة بالرأفة ، ذلك الفحص الذى تجر به عين الاله للأفعال البشرية .  
تلك الطيبة الصارمة ، ذلك الشعاع الساطع الذى ينبثق من الضمير  
العالمى ، ذلك التجرد . تجرد المطلق الذى يغسلو واقعا دنوبيا ، ذلك  
المراى . مرأى الحق ، ذلك الوميض ، وميض الأبدية الذى يتجلى للانسان:  
تلك هى العدالة ! تلك البصيرة المقدسة - بصيرة الحق التى تحدد  
بوجودها وحده المقادير النسبية للخير والشر ، والتى نبر وجدان الانسان  
فتجعلها فى تلك اللحظة الها ، ذلك الشيء الكامل الذى يتناسب بحكم  
قانونه مع اللانهاية ، ذلك الجوهر السماوى الذى جعلت منه الرننية الهة .  
وجعلت منه المسيحية كبر الملائكة ، تلك الصورة الشاسعة التى تضع  
قديمها على قلب الانسان وجناحيها فى النجوم ، ذلك « البيونجفراو » (١)  
للفضائل الانسانية ، تلك الذروة ، ذروة الروح ، تلك العذراء . بالاله  
الطيب . الاله السرمدى ، أمن الممكن أن نتصوره واقفا على الجيوتين ؟  
أمن المستطاع أن نتصوره وهو يعقله سيور « طيلية » المشنقة على مابض  
انسان نعس ؟ أفى المستطاع أن نتخيله وهو يفك بأصابعه النورانية  
الخييل البشع الذى يشبه سكين المقصلة ؟ ونتخيله وهو يكرس الجلاذ ،  
ذلك الضامد الرهيب ويحط من قدره فى آن واحد ؟ ونتخيله وهو  
معروض ومبسوط وملصق بيده مثبت الملصقات على العمود المسين الذى  
يشبه اليه المجرمون ؟ أيمكن أن تتمنله محبوسا يتنقل فى تلك الحقيبة  
الليلية . حقيبة الجلاذ « كالكرافت » التى اختلط فيها مع الجوارب  
والقمصان الجبل الذى شئتق به بالأمس بعضهم وسوف يشئتق به فى  
العقد غيرهم .

وطالما وجدت عقوبة الاعدام ، فان الانسان سوف يشعر بالبرودة  
حين يدخل فى محكمة الجنائيات فيجدها كثيفة مظلمة .

(١) قصة عالية فى سويسرا - المترجم \*

حدث فى بلجيكا ، فى شهر يناير الماضى ، أثناء مناقشات شارلرؤا - ونذكر فى هذه المناسبة أنه قد اتضح خلالها من بعض المدومات التى كشف عنها شخص يدعى « راييه » أن اثنين من الذين أعدموا بالجيوتين فى السنوات الماضية ويدعيان جوتال وكوبك كانا على ما يحتمل بريئين ( ويا له من احتمال ! ) - نقول انه حدث خلال هذه المناقشات ، وازاء الكثير من الجرائم المتولدة من أعمال العنف التى تنسب الى الجهل ، ان ظن أحد المحامين أن من واجبه وفى مقدوره أن يثبت ضرورة التعليم المجانى الالزامى . ولكن النائب العام قاطعه وقال له ساخرا : ايها المحامى ، لسنا هنا فى مجلس النواب . كلا يا سيدي النائب العام ، بل هنا القبر .

ولعقوبة الإعدام صنفان من الأنصار : فبعضهم يفسرها ، وبعضهم يطبقها ، وبتعبير آخر أولئك الذين يتاولون النظرية ، وأولئك الذين يتكلمون بالتطبيق . ولكن النظر والتطبيق لا يتفقان ، فهما يتعارضان بصورة عجيبة . وليس عليكم ، لكى تهدموا عقوبة الإعدام الا أن تفتحوا باب المناقشة بين النظر والتطبيق . والأجدر أن تستمعوا الى . أولئك الذين يريدون الإعدام ، لماذا يريدونه ؟ هل ذلك لأن الإعدام عبرة للناس ؟ تقول النظرية ، نعم أما التطبيق فيقول لا ، ومن ثم فهو يخفى منصة الإعدام بقدر ما يستطيع ، ويهدم موتفوكون (١) ، ويلغى المنادى العام ، ويتجنب أمام السوق ، ويقيم آلتة فى منتصف الليل ، وينجز عمله فى وقت السم . وفى بعض البلاد ، فى أمريكا وروسيا يشنق الناس وتقطع رءوسهم فى غير علانية . فهل ذلك لأن عقوبة الإعدام عادلة ؟ يقول النظرى نعم ، فالمذنب ينال جزاءه ويقول العلمى لا . ذلك لأنه لا بأس من أن يعاقب الرجل ويعدم ، ولكن من تكسون هذه المرأة ؟ انها أرملة . ومن هؤلاء الأطفال ؟ انهم أيتام . لقد ترك الميت كل هؤلاء وراءه ، ترك أرملة وينامى ، أى أن هؤلاء قد وقع بهم القصاص فى حين انهم أيرياء أين عدالتكم ؟ ولكن اذا لم تكن عقوبة الإعدام عادلة ، فهل ياترى نافعة ؟ يقول النظرى نعم فالجنة الهامدة تبعث فى نفوسنا الهدوء . ويقول العلمى لا لأن تلك الجنة تخلف لك أسرة تجعلها تحت وصايتك : أسرة بلا أب ولا خبز . وهما هى الأرملة تبيع عرضها لتعيش ، وهما هم الأيتام يسرقون لياكلوا .

كان دومولار الذى سرق فى سن الخامسة يتيمًا ، من أب أعدم بالجيوتين .

(١) موقع كان فىسا مقى خارج اسوار باريس ، وفيه مشنقة مشهورة شيدت فى القرن الثالث عشر - المترجم .

لقد تلقيت منذ بضعة شهور اهانة شديدة لاني تجاوزت على القول بأن في هذه الحالة طرفا متخفا .

من الجلي أن عقوبة الاعدام ليست عبرة ولا هي عادلة او ناعمة ما هي اذن ؟ انها « أنا من أنا » Sum qui Sum ان علمتها كائنة في ذاتها . ولكن عجباً ، الجيوتين للجيوتين ، كالفن للفن !

ولنجمل ما قلنا .

هكذا المسائل كلها تدور دون استثناء حول عقوبة الاعدام ، المسألة الاجتماعية ، والمسألة الأخلاقية ، والمسألة الفلسفية ، والمسألة الدينية . ترى هل ألمتم بهذه المسألة الأخيرة بنوع خاص ؟ هذه المسألة البعيدة الأغوار ؟ أم ، انني الح في هذه النقطة . هل فكرتم في ذلك ، انتم الذين تريدون الموت ؟ هل تأملتم في هذه السقطة المفاجئة التي تهوى بحياة بشرية في اللانهاية ، سقطة غير متوقعة في الأغوار ، تقع على غير موعد ، مفاجأة رهيبية تحدث سرا ؟ انكم تضعون هناك قسا ، ولكن القس يرتجف مثلما يرتجف المحكوم عليه بالاعدام . انه أيضا لا يعلم شيئا . تطمنون بالسواد بالظلام .

ألم تملوا اذن على المجهول ؟ كيف تجسرون على أن تلقوا فيه بشي ؟ ما أن تظهر آلة الاعدام على قارعة الطريق في احدى مدننا ، حتى تضرب في الظلمات التي تلف هذه النقطة الرهيبية خليجة هائلة تبدأ من ميدانكم ، ميدان « جريف » ولا تتوقف الا أمام الله . وهذا التعدي يدهش الليل . تنفيذ عقوبة الاعدام ، انما هي يد المجتمع التي تمسك برجل فوق الهاوية ، ثم تفتح اليد وتلقيه فيها . ويسقط الرجل . أما المفكر الذي يدرك بعض ظواهر العالم المجهول ، فانه يستشعر ارتجاف الظلمة العجيبة . ايه لكم ايها الناس ، ماذا فعلتم ؟ من ذا الذي يعرف اذن رعشات الظلام ؟ الى أين تذهب الروح ؟ ماذا تعلمون عن ذلك ؟

بالقرب من باريس حقل بشع يسمى « كلامار » ، موضع القبور اللعينة ، لقاء المحكوم عليهم بالاعدام . ليس به هيكل عظمي واحد معه الراس . الا أن المجتمع البشري ينام هادئا الى جوار ذلك . لا يعنينا في شيء وجود جبانات على سطح الأرض ، من صنع الله ، والله أعلم بالحكمة في ذلك . ولكن هل يستطيع الانسان أن يفكر في هذا الشيء دون أن يرتعب ، يفكر في جبانة من صنع الانسان ؟

لا ، خليك بنا أن نردد هذه الصيحة : لا مشنقة بعد اليوم ! الموت للوثة !

اننا نعرف على الرجل المفكر بنوع من الاحترام النامض الذى يمكنه للحياة . وأعلم تمام العلم أن الفلاسفة بهم مس من جنون - ترى من يحفدون عليه ؟ الواقع أنهم يطالبون بالفناء عقوبة الاعدام ! ويقولون انها حداد الانسانية . حداد ! فليعضوا اذن ليشهدوا بجهور الناس وهم يكون حول المشنقة ! فليرجعوا اذن الى الواقع ! اننا نجد الضحكة فى الموضوع الذى يؤكدون فيه قيام الحداد . هؤلاء الناس يحلقون مع السحاب . يحسجون بالوحشية والهمجية لان الناس ينسمون رجلا أو يقطعون رأس رجل من وقت الى آخر . يالهم من حاملين ! أيهكرون فى محو عقوبة الاعدام ؟ هل فى الامكان أن يتصور الانسان شيئا أشد سرفا من هذا ؟ عجيبا ! ان يكون ثمة مشنقة ، ولا حرب ! ان يقتل انسان بعد اليوم ! أسألكم ، هل فى هذا شيء من الصواب ! من عساه يخلصنا من الفلاسفة ؟ متى نتخلص من الأساليب والنظريات والمستحيلات والحقاقت ؟ ولكنى أسألكم باسم من تصدر هذه الحماقات ، باسم التقدم ، هذى كلمة جوفاء . باسم الملل الأعلى ؟ انها كلمة طنانة . لا جلاذ بعد اليوم ! ولكن الام يؤول أمورنا ؟ مجتمع تخلو قوانينه من الموت ! يالها من أوهام ! ياللحياة من خيالات ! من هم كل أولئك الذين يقرءون بالاصلاحات ؟ انهم شعراء ، فلنتنحز من الشعراء . الجنس البشرى ليس فى حاجة الى هوميروس وانما هو فى حاجة الى السبند فولنسيرون .

ولعله من العجيب ان نشهد مجتمعنا وحضارة يتولى قيادتهما ايسخولوس ، وسوفوكليس ، واشعيا (١) ، وأيوب ، وفيثاغورس ، وينسدار ، وبلوت ، ولوكريس ، وفريجيل ، وجوفينال ، ودانتى وسيرفانتس ، وشكسبير ، وميلتون ، وكورينى وموليير ، وفولتير . انه لأمر يثير الضحك والسخرية . لسوف يقهقه عندئذ كل الرجال الجادين الرصينين ، ويهزون أكتافهم ازدراء ، سواء منهم فى ذلك جون بول أو برودوم . لسوف تخلط الامور ونعم الفوضى . والنخر اليقبن فى ذلك تجدة فى الدوائر المختلفة ، سواء دور البورصة أو دوائر النواب العموميين وعلى أية حال ، فانكم سوف تناقشون يا سيدى من جديد هذه المسألة الضخمة ، مسألة القتل الشرعى ! تشجعوا ، ولا تتهاونوا ، وليمض أهل الخير قدما فى طريق النجاح .

ليس هناك شعب صغير . قلت هذا فى بلجيكا منذ بضعة

(١) اول الانبياء اليهود الاربعة الكبار ، فى القرن الثامن قبل المسيح . مؤلف « كتاب اشعيا » - المترجم .

شهور في صدد المحكوم عليه بالاعدام في سارلروا ، واسمحوا لي  
 برديده اليوم في سويسرا . لا نعاس عظيمة الشعب بعدد أفراده ،  
 كما لا نقاس عظيمة الرجل بطول قامته . المقياس الوحيد هو كمية  
 الذكاء والفضيلة . من يضرب مثلا عظيما فهو انسان عظيم . وسوف  
 يغدو الأهم الصغيرة أما عظيمه في اليوم الذي تمارس فيه ، الى جانب  
 الشعوب القوية عددا . الشاسعة الاقاليم ، التي تنشبت بالمعصبات  
 والمزاعم الباطلة ، وتوغل في الأحقاد . وتصادى في الحرب والاسترقاق  
 والموت ، تمارس الأخوة في هدوء وفخار ، وتبقت السلاح ، وتلقى آلة  
 الاعدام ، وتمجد التقدم ، وتبتسم في صفاء ، كصفاء السماء . لا جدوى  
 من الكلمات اذا لم تكن وراءها الأفكار الجمهورية لا تكفى ، وانما لا بد  
 أيضا من الحرية ؟ والديموقراطية لا تكفى ، وانما لا بد أيضا من  
 الانسانية . الشعب يجب أن يكون انسانا ، والانسان روحا . من الغريب  
 أن نتقدم جنيف في اللحظة التي تتفهم فيها أوروبا . فلتأمل سويسرا  
 في هذا . لتفكر جمهوريتكم الصغيرة النبيلة في جمهورية تواجه الملكيات  
 بعقوبة الاعدام وقد ألغيت ، ولسوف يكون هذا أمرا مدهشاً . وسوف  
 يكون أمرا عظيما أن نبعث العداوة القديمة النافعة بين جنيف وروما في  
 مظهر جديد ، وأن يعرض على أنظار العالم المتحضر وتأملانه روما مع  
 البابوية من جهة ، البابوية التي تقضى بالادانة والاعدام ، وروما مع  
 حنيف ، بانجيلها الذي يعفو ويغفر ، من جهة أخرى .

أيا شعب جنيف ، مدينتكم على بحيرة من بحيرات جنة عدن ، فانتهم  
 في مكان مبارك ، تحف بكم كل روائع الخليفة . ان عادة التأمل في  
 الجمال تكشف عن الحق وتفرض بعض الواجبات . ولا بد أن الحضارة  
 متناسقة كالطبيعة . استشيروا كل هذه الآيات الرؤف وآمنوا بسمائكم  
 البهية ، فالرحمة تنزل من السماء الزرقاء . أبطالوا آلة الاعدام . لا تكونوا  
 جاحدين . وحاشا لله أن يقال ان الانسان يقدم الجيوتين لله حمدا  
 وشكرا لذاته العلية في ذلك الركن الرائع من أركان الأرض الذي يكشف  
 الاله فيه للانسان عن الجلال والقدسية اللتين تتجليان في الألب  
 والأرف (١) والرون واللمون (٢) الأزرق ، « ومون بلال » في حالة  
 من شعاع الشمس .

وعلى الرغم من السرعة التي أجاب بها فيكتور هوجو ، فان المداولة  
 التي جرت في لجنة الدستور كانت أسرع منها ، وعندما وصل خطاب

(١) نهر صغير في سويسرا

(٢) بحيرة حنيف - المترجم

فيكتور هوجو كان عمل اللجنة قد انتهى . وأبقى مشروع الدستور على عقوبة الإعدام . ولم يقنط فيكتور هوجو لأن الشعب لم يعط صوته بعد، ومن ثم لم تكن المسألة قد انتهت . وعلى ذلك كتب فيكتور هوجو الى السيد بوست الرسالة التالية :

أوتفيل هاوس في ٢٩ نوفمبر ١٨٦٢ .

سيدي .

وصلك الخطاب الذي تشرفت بإرساله اليك في يوم ١٧ من نوفمبر - على ما أظن - في يوم ١٩ أو ٢٠ منه . وفي غداة اليوم نفسه الذي حررت فيه رسالتي تلك ، عرضت أمام محكمة جنبايات السوم قضية « دوازاردان » التي ألفت الأضواء على بعض الأحداث الطارئة المخيفه الملازمة لعقوبة الإعدام ، فضلا عن انها جعلت الحاجة الملحة الى مراجعة قانون العقوبات على نطاق واسع أمرا ملموسا . أما الوقائع البشعة فان من شأنها أن تؤيد ضرورة اجراء التعديلات .

طلعت اليوم ، ٢٩ نوفمبر ، في جريدة « لابريس » هذه السطور التي كتبت في برن بتاريخ ٢٤ نوفمبر :

« تشترتم الخطاب الموجه من السيد فيكتور هوجو الى السيد بوست في جنيف بشأن عقوبة الإعدام . وجاء نشر هذا الخطاب متأخرا بعض الشيء ، فقد أنهت الجمعية التأسيسية في جنيف أعمالها منذ خمسة عشر يوما ، ولم يحقق الدستور الذي وضعتة أمانى الشاعر ، لأنه لم يلغ عقوبة الإعدام ، حتى بالنسبة الى الجرائم السياسية » .

كلا ، لم يفت الأوان بعد

عندما كتبت رسالتي ، كنت أخطب الشعب الذي يقرر ، أكثر مما كنت أخطب اللجنة الدستورية .

وبعد بضعة أيام ، في اليوم السابع من شهر ديسمبر ، سوف يعرض الدستور على الشعب ليقول فيه كلمته ؛ ومن ثم فلم يزل هناك بعض الوقت .

الدستور الذي يتضمن ، في القرن التاسع عشر ، قدرا من عقوبة الإعدام ، ليس جديرا بجمهورية . ومن يقول « جمهورية » ، يعنى صراحة « حضارة » . واذا رفض شعب جنيف المشروع الذي سيعرض عليه ، ومن



حقه ، بل من واجبه أن يرفضه ، فانه يؤدي بذلك عملا من تلك الأعمال العظيمة التي تحمل طابع السيادة والعدالة في وقت واحد \*

وعسى أن تجدوا فائدة من نشر هذا الخطاب

واقدم لك ياسيدي من جديد أسمى آيات التقدير والموادة \*

فيكتور هوجو

ونشر الخطاب ، وأعطى الشعب صوته ، ورفض مشروع الدستور .  
وبعد أيام قلائل استلم فيكتور هوجو هذا الخطاب :

« \* انتصرنا ، ورفض دستور المحافظين \* لقد أثمر خطابك الذي نشرته كل الصحف وحاربه الكاثوليك ، وطبع منه السيد بوسنت ألف نسخة ، وطبع منه الراديكاليون أربعة آلاف نسخة ؛ وجعل منه الراديكاليون وعلى رأسهم السيد جيمس فازي سلاحا للكفاح \* وكان رأى الأحرار الإلغاء كرايك \* وكان تفوقك تاما \* وهناك بعض الراديكاليين الذين كانوا مترددين قبلا ، منهم السيد هيروا الذي يعتبر أنه هو الذي أيد تنفيذ حكمي الإعدام في فاري وإيلسي \* والمجلس الكبير الذي رفض العفو عن هذين الشخصين كان كله من الراديكاليين \*

ومع ذلك فإن الراديكاليين اجمالا قوم تقهيمون \* والآن وقد جمعوا كلمتهم ضد عقوبة الإعدام ، فانهم لن ينكصوا على أعقابهم \* ويعتبر الناس هنا إلغاء آلة الإعدام أمرا مؤكدا ، والفضل في ذلك يعود اليك ياسيدي \* واني لأمل أن نفوز أيضا بتقدم آخر كبير ، هو انفصال الكنيسة عن الدولة \*

« لست ياسيدي أكثر من رجل مغمور ، ولكني سعيد \* وأهنتكم كما أهنيء نفسي \* ويشرفنا الأثر العظيم الذي خلفه خطابك \* ولا يمكن لوطن السيد دو سيللون أن يصم أذنيه عن صوت فيكتور هوجو \*

« معذرة لهذا الخطاب الذي كتب على عجل ، وتفضل بقبول عميق احترامي » \*

١٠ جايبه ( من بونهيل )

## قضية دواز

الى السيد محرر جريدة « تان »

سيسى

أرجو ياسيدى أن تتفضل بقبول تبرعى فى الاكتتاب الذى نظم من أجل دواز . على أنه لاينبغى الاقتصار على جمع المال ، فهذى حالة لعابها أسوأ من حالة « ليزورك » التى قضى فيها فى فرنسا فى القرن التاسع عشر ، اذ انتزع الاعتراف من فم امرأة حبلى ، بواسطة الخنق ، واستخدام الصخرة التى يشد بها المسجونون ، مما أدى الى جنون المرأة وقتل الجنين الذى كان فى أحشائها ، قتلا « شرعيا » بشعا ، نتيجة للتعذيب الذى وقع بها ، ثم كان سلوك قاضى التحقيق ورئيس المحكمة والنائبين العموميين ، وادانة البريئة . وعندما ثبتت براءتها بعد أن أهينت أمام محكمة الجنايات باسم العدالة ، كان لزاما أن تخر العدالة على ركبتهها أمام البريئة . . كل ذلك مسألة لا يحدى فيها النقود .

الاكتتاب شىء طيب ومفيد ومحمود بالتأكيد . وانما لابد من تعويض اسمى من ذلك . لقد أصيب المجتمع بضرر أشد مما وقع على روزالى دواز . والاهانة التى لحقت بالمدنية بالغة العمق . أما تلك التى لحقتها الاهانة الكبرى فهى العدالة .

فليكن الاكتتاب ، ولكنه يبدو لى أن على وزراء العدل وثقيبى المحامين السابقين أن يفعلوا شيئا آخر . أما من ناحيتى ، فعلى واجب لن أقصر فى أدائه .

فيكتور هوجو

أوتقيل هاوس في ٢ ديسمبر ١٨٦٢

لم يصغ أحد الى النداء الذي وجهه فيكتور هوجو \* وصدق من قال ان المنفى يجبا بالأوهام \* لقد أخطأ فيكتور هوجو حين اعتقد أن وزراء العدل ونقيبى المحامين سوف يباشرون هذه القضية بأنفسهم \* ولم يتخذ أى اجراء قضائى فى أعقاب الحقائق الرهيبة التى تكشف عنها فضحة دواز \* ثم انه ليس فى ذلك أى شىء غير طبيعى : فالعدالة لم تبأسر أبداً \* دعوى ضد العدالة \*

ولنوضح هنا ، من باب التذكرة ، كيف عرملت روزالى دواز \* ومن المفيد أن نضع هذه التفاصيل تحت أنظار المفكرين \* فالمفكرون يسهفون المشرعين \* والضوء الذى يسطع أولا فى الضمائر ، يتجلى بعد ذلك فى القوانين \*

اتهمت روزالى دواز بقتل والدها مارين دواز استنادا الى قرائن شديدة الغموض \* ولم تحتل روزالى دواز هذا الاتهام بصبر \* ففى كل مرة استجوبت فيها كانت تنور ، الأمر الذى كان يصدم وقار القضاة \* وفقدت التهمة رزانها وأفلت زمامها حسبما قيل فى محضر الاتهام ، واضطرم غيظها حتى كانت تبدو هائجة مجنونة \* وما أن يكف الناس عن اتهامها حتى تهدأ نفسها وتغدو صامتة جامدة من شدة الارهاق \* قال عنها شاهد : كانت تبدو كقديسة قادت من حجر \*

أرادت « العدالة » أن تعترف روزالى دواز بقتل أبيها \* ولكن يحصلوا منها على هذا الاعتراف ، وضعوها فى زنزانة طولها ثمانية أقدام وعرضها سبعة وارتفاعها سبعة (١) \* وكانت هذه الحجرة مغلقة بباب مزدوج \* ولم يكن ثمة نور أو هواء ، اللهم الا ما كان يمر خلال فرجة « فى سعة قالب الطوب » (٢) مثقوبة فى الباب ، تفتح فى قاعة داخلية بالسجن \* وكانت أرضية الحجرة مرصوفة ببلاطات مربعة ، ولم يكن بها أى مقعد ، فكانت السجينة مضطرة الى الوقوف أو الرقاد على البلاط \*

(١) الطول ٢ر٥ مترا والعرض ٢ر١٥ مترا والارتفاع ٢ر٤ مترا ( حسب شهادة كبير السجنائين ) \*

(٢) سال النائب العام كبير السجنائين :

— هل كان فى تلك الحجرة نور بشكل ما ؟

كبير السجنائين : نعم نا سيدى النائب العام . كان هناك فتحة ماتساع قالب الطوب \*

وفى المساء ، تعطى فراشا من قش يؤخذ منها فى الصباح \* وفى أحد الأركان سطن للغائط \* ولم يكن نخرج أبدا ، لم تخرج الا مرتين فى ستة أسابيع \* وكانوا يلبسونها أحيانا صنادير المجانين (١) \* وكانت حاملا .  
ولما شعرت بالجنين يتحرك اعترفت \* وحكم عليها بالأشغال الشاقة المؤبدة \* ومات الطفل .  
كانت بريئة .

وهاكم فقرة من فقرات الاستجواب الذى أجرى بعد أن ثبتت براءتها \* كانوا مع ذلك يوجهون الخطاب اليها باعتبارها مذنبه :  
س - ولكننا لاندرى مع ذلك ماهى وسائل الاكراه التى استخدمت ضدك ؟

ج - قالوا لى : اعترفى والا فانك سوف تبقيين فى الحب المظلم الذى وضعت فيه ، ولم يكن لى فيه شيء حتى الهوا .

س - أى أنهم وضعوك فى السجن الانفرادى . وهذا من حق الفاضل ودين واجبه ، وقد تمسكت باعترافك خمسة أسابيع بعد خروجك من السجن الانفرادى .

ج - « بانفعال » - ايه ، بلا شك ، لم أكن أريد العودة الى السجن الانفرادى .

النائب العام : ولكنك لم توضعى فى الزنزانة ؟

ج - أوه ! لا أعلم \* ولكنى أعلم أنه كان هناك بابان بثقب ، ولا هوا .  
النائب العام : لم تكونى مفصولة عن قاعة المسجونين العمومية الا بباب واحد .

الرئيس : هل كنت تخرجين الى النور ؟

ج - لم أخرج فى المدة كلها سوى مرتين \*  
س - لأنك لم تطلبى ذلك ؟

ج - عفوا ، عفوا ، انى لم أطلب شيئا غير ذلك \* قالوا لى : قولى الحقيقة ، وسوف تخرجين .

---

(١) سأل الدفاع كبير السجنائين قائلا : ألم تلبس صنادير المجانين يومس تلبسين ، كبير السجنائين . نعم ، لأنها أرادت أن تنتصر .

س - ( النائب العام ) : لا تخلطى الأمور ، ألم تكونى تخرجين مرتين كل يوم ؟

ج - لم أخرج سوى مرتين خلال ستة أسابيع أو سبعة .

س - ( الرئيس ) : ولكن ألم تطلبى الخروج ؟

ج - طلبت أشياء كثيرة ولم أزل شبيها على الاطلاق . وكان الكاتب المنتدب يقول لى دائما : اعترفى وسوف تخرجين .

س - هل زارك الطبيب ؟

ج - لم أره سوى مرتين خلال شهرين . فى المرة الأولى فصد دى ، وفى المرة الناسة أمر بخروجى .

س - كم يوما انقضت بعد خروجك من السجن الانفرادى وقبل أن تلدى ؟

ج - أربعة أسابيع .

س - هل فقدت طفلك ؟

ج - نعم ( تبكى ) . عاش ولدى أربعة وعشرين يوما . كيف كان فى مقدوره أن يعيش ؟ لم أكن أنام أبدا فى الزنزانة ( تبكى ) .

### قرار محكمة النقض

بتاريخ ٩ أكتوبر ١٨٦٢

« المحكمة »

« تقرّر عدم هلافة أحكام محكمة الجنايات التى أدانت بتهمة اغتيال دارتن دوار :

أولا : روزالى دوار ، زوجة جاردان ( بالاشغال الشاقة المؤبدة ) .

ثانيا : فانها لمن ، وفبرهام ( للواقعة نفسها ) .

ونقول منذ اليوم ، بأن فى عزم فيكتور هوجو أن يعود الى قضية دوار فى كتاب بعنوان « ملف عقوبة الاعدام » . ولسوف تأخذ العدالة مجراها .

الى الجيش الروسى

نارت بولندا العنيدة ، عناد الحق . وسحقها الجنس الروسى .  
وكتب ألكسندر هيرزن محرر صحيفة «كولوكول» الشجاع الى فيكتور هوجو  
العبارة الآتية :

« النجدة أيها الأخ الأكبر ! قل كلمة الحضارة »

ونشر فيكتور هوجو فى الصحف الأوروبية الحرة ندا، الى الجيش  
الروسى نطالعه فيما يلى :

أيها الجنود الروس ، كونوا بشرا كما كنتم

هذا المجد متاح لكم فى هذه اللحظة ، فتلقفوه

اسمعوا طالما كانت هناك فسحة من الوقت :

إذا واصلتم هذه الحرب الوحشية ، إذا كنتم أنتم أيها الضباط ذوى  
القلوب النبيلة ، تخشون أن تنور فيكم رغبة جامحة قد دلفى بكم فى  
سبيرييا ، وأنتم أيها الجنود ، يا من كنتم فيما مضى رقيق الأرض فأصبحتم  
اليوم عبيدا ، وانتزعتكم بشدة من بين أمهاتكم وخطيباتكم وأسركم ، وصرتم  
معرضين للجلد بالسباط والمعاملة السيئة والتغذية الرديئة ، مقضيا عليكم  
بالخدمة العسكرية سنين طويلة ولأجل غير محدود - والخدمة العسكرية  
فى روسيا أشد قوة من الأشغال الشاقة فى البلاد الأخرى - إذا جعلتم من  
أنفسكم أنتم الضحايا ، أعداء للضحايا ، إذا كنتم فى هذه اللحظة المقدسة  
التي تنهض فيها بولندا الموقرة ، اللحظة السامية التي تخيرون فيها بين  
بترسبورج حيث الطاغية ووارسو حيث الحرية ، إذا أنكرتم واجبكم ،  
الواجب الأوحده ، واجب الاخاء فى هذه المعركة الحاسمة ، إذا وحدثم ضد  
البولنديين مصالحكم ومصالح قيصر ، جلادهم وجلاذكم ، إذا لم تكونوا

انتم المفهورين قد اسنخلصم من الطفيان درسا سوى باييد الطاغى ،  
اذا كنتم نصنعون العار لانفسكم من تعسكم ، اذا كنتم انتم الذين تحملون  
الحسام بايديكم ، يضعون فى خدمة الاسسنبداد ذلك الغول الثقيل  
الوطاة ، الضعيف النفس ، الذى يسحقكم جميعا . روسا كنتم أم بولنديين ،  
يضعون فى خدمة قوتكم الغاشمة المخدوعة ، اذا كنتم تعسفون بنذاله  
استنادا الى تفوق السلاح والعدد هؤلاء الأهالى الأبطال اليائسين الذين  
يطالبون بأولى الحقوق ، حق الوطن ، بدلا من أن تستديروا وتجاهبوا  
جزار الأهم ، اذا كنتم فى صميم القرن التاسع عشر تجهزون على بولندا ،  
اذا كنتم تفعلون كل ذلك يا رجال الجيش الروسى ، فانكم سوف تهوون  
الى مستوى أحط من مستوى العصايات فى أمريكا الجنوبية ، الأمر الذى  
يبدو مستحيلا ، وتثيرون لعنة العالم المتحضر عليكم ! جرائم القوة هى  
مع ذلك ولم تزل جرائم ، والرعب العام هو عقوبة من العقوبات .

أيها الجنود الروس ، استلهموا البولنديين ، ولا تحاربوهم .

ان ما امامكم مى بولندا ، لس هو العدو ، وانما هو القدوة .

فيكتور هوجو

بونسل ١٥ اوس فى ١١ فبراير ١٨٦٢

جاريبالدى  
الى فيكتور هوجو

كابريلا فى أغسطس ١٨٦٣  
صديقى العزيز

أنا فى حاجة الى مليون بندقية اخرى للايطالين . وانى لعلئ نمة من  
أنك سوف تساعدنى فى جمع الأموال اللازمة . وسوف نوضع التمرين  
بأيدي السيد ادريانو ليماى ، أمين صندوقنا .

المخلص  
ج . جاريبالدى

الى الجنرال جاريبالدى

أونفيل هاوس ، جرنسي ، فى ١٨ نوفمبر ١٨٦٢  
عزيزى جاريبالدى

كنت غائبا ، ولذلك تأخرت فى استلام خطابك ، وسوف يصلك  
جوابى متأخرا تجد تبرعى طى هذا الخطاب .

ولامراء فى أنك تستطيع الاعتماد على شخصى الضعيف ، وعلى  
القليل الذى فى قدرتى أن أفعله ، وسوف أنهز أول فرصة لأرفع صوتى .  
مادمت تجد فائدة فى ذلك .

لا بد لك من ملايين السواعد ، وملايين القلوب ، وملايين النفوس .  
تلزمك ثورة الشعوب الكبرى ، وهى لامحالة قادمة .

صديقك  
فيكتور هوجو



## حرب المكسيك

كانت الأمبراطورية الأولى نستحق كل ضروب القسوة من التاريخ ،  
 ومع ذلك فإنها صنعت المجد . أما الأمبراطورية الثانية فإنها صنعت  
 العار واضطرت حرب المكسيك ، وهي اعتداء غاشم على شعب حر .  
 وقاومت المكسيك ، وعملت معاملة عسكرية . وكان الهجوم على  
 « بويلا » جريمة فى داخل تلك الجريمة . كانت عملية من عمليات  
 ذلك المدن . تزرى بقضية عادلة . وتتم شناعة حرب جائرة . ودافعت  
 بويلا دفاعا بطوليا ، ودأبت طول مدة الحصار على اصدار جريدة مطبوعة  
 من عمودين ، أحدهما بالفرنسية والثانى بالاسبانية . وكانت كل أعداد  
 هذه الجريدة تبدأ بصفحة عن « نابليون الصغير » . وهكذا كان محاربو  
 بويلا يفسرون لجيش الأمبراطورية ماهية الأمبراطور . وتضمنت  
 الجريدة نداء لفيتكتور هوجو (١) ، أجاب عليه قائلا .

أيا رجال بويلا ،

أنتم على حق فى اعتقادكم بأنى معكم .

ليست فرنسا هى التى تحاربكم ، إنما هى الأمبراطورية . انى معكم  
 بالتأكيد . ونحن قائلون ضد الأمبراطورية ، أنتم من جانبكم ، وأنا من  
 جانبى ، أنتم فى الوطن وأنا فى المنفى .

قاتلوا ، ناضلوا ، كونوا رهييبين . واذا اعتقدتم بأن فى اسمى  
 بعض الفائدة ، فلکم أن تستخدموه . ولتكن الحرية قذيفتكم ، صوبوها  
 الى رأس ذلك الرجل . هناك علمان مثلنا الألوان ، علم الجمهورية المثلث

(١) وهذا نص النداء :

اسمعوا يا جنود الطاعة : معنا افضل الفرنسيين . عندكم نابليون وعندنا فيكتور  
 هوجو .

وعلم الأبيوطوريه المنلت . ليس الذى يعاديكم هو العلم الأول . انما هو  
الثانى .

نطالع على العلم الأول عبارة : الحرية ، المساواة ، الاخاء .

ونطالع على الثانى : طولون ، ١٨ برومير - ٢ ديسمبر . طولون .

اسمع الصبيحة النى ترساونها الى ، ويودى لو وقفت حائلا بينكم  
وبين جنودنا ، ولكن من عساي آكرون ؟ شبح . يا حسرتاه ا جنودنا ليسوا  
مذنبين فى هذه الحرب التى فرضت عليهم كما فرضت عليكم . وقضى  
عليهم بالرعب من اضرارها وهم كارهون لها . أما القواعد التاريخيه  
فانها تقضى بتلب الجنرالات ونبرثة الجيوش . والجيوش أمجاد عشواء ،  
قوات انزغ منها الصمير . الاضطهاد الذى يوقعه جيش بالشعوب ، انما  
يبدأ باسعداد الجبتى نفسه . هؤلاء الغزاة مكبلون بالأسفاد . والجندى  
الذى يستعبد الناس انما يستعبد نفسه فى المقام الأول . ولم تعد  
الجيوش ، بعد أحداث ١٨ برومير و ٢ ديسمبر سوى أشباح الأمة .

أيا رجال المكسيك الشجعان ، قاوموا .

الجمهورية معكم ، ترفع فوق رؤوسكم علم فرنسا الذى يضم  
قوس قزح ، وكذا عام أمريكا الذى يضم النجوم . عليكم بالأمل .  
مقاومتكم البطولية تعتمد على القانون ، وتمتع بذلك اليقين الكبير ،  
بالعدالة .

الاعتداء على الجمهورية المكسيكية هو استمرار للاعتداء على  
الجمهورية الفرنسية . الكمين يكمل كميننا آخر . وانى أمل أن تفشل  
الأمبراطورية فى محاولتها المزرية ، وأن تنتصروا أنتم . وفى جديع  
الأحوال : منتصرين كنم أو منهزمين ، سنظل فرنسا أختكم ، أختا لمجدكم  
كما هى أخت لتعسكم . أما من جهتى ، فما دمتم تستفيدون باسمى ،  
فانى أكرر لكم القول بأنى معكم ، ولسوف آتيكم بأخوتى ، أخوة المواطن  
ان كنتم منصورين ، وأخوتى ، أخوة المنفى ، ان كنتم منكسرين .

فيكتور هوجو

## ذكرى شكسبير المئوية

باريس فى ١١ أبريل ١٨٦٤

من لجنة شكسبير الى فيكتور هوجو

أيها الأستاذ العزيز الذائع الصيت

انعقد اجتماع من الكتاب والمؤلفين والفنانين المسرحيين وممثل  
جميع المهن الحرة بقصد تنظيم احتفال بباريس فى يوم ٢٣ من أبريل  
لمناسبة ذكرى مرور ثلاثمائة سنة على مولد شكسبير .

وتم اختيار أعضاء لجنة شكسبير الفرنسية وهم :

السادة : أوجست باربييه ، وبارى ، وشارل باتاى (من الكونسرفاتوار)  
وهكتور بيرليوز ، والكسندر دوما ، وجول فافر ، وجورج صانند ،  
وجول جانان ، ونيوفيل جوتييه ، وفرنسوا فيكتور هوجو ، وليجوفيه ،  
وليتريه ، وبول موريس ، وميشليه ، وأوجين بيليتتان ، ورينيه ( من  
الكوميدي فرانسيز ) \* والسكرتاريون : السادة لوران بيشا ، وليكونت  
دوليل ، وفيليسيان مالفيسى ، وبول دوسان فيكتور ، وتوريه .

وجعلت الرئاسة لكم بالاجتماع ، فهى من حق الشاعر الكبير  
والموطن العظيم .

وانا لعل ثقة من أنكم سوف تنضمون الينا بصورة تضى على هذا  
الحفل مغزاه الاكمل .

مندوبو اللجنة

لوران بيشا

هنرى روشسفور

لوى أولبساك

أوجست فاكيرى

أ . فالتى

### الى لجنة ذكرى شكسبير

أوتفيل هاوس فى ١٦ أبريل ١٨٦٤

سأدتى

بيدو لخاطرى كما لو كنت عائدا الى فرنسا . ان شعورى بانى  
بينكم انما يعادل وجودى بها . تدعوننى ، فتهرع روحى اليكم .

أنتم أيا الفرنسيين تضربون مثلا رائعا بتمجيدكم لشكسبير .  
انكم تضعونه على مستوى مفاخركم القومية ، وتؤاخون بينه وبين موليير  
الذى تقرونه به ، وبين فولتير الذى نضمونه اليه . وفى حين تجعل  
انجلترا من جاريبالدى مواطن للمدينة لندن ، تجعلون أنتم من شكسبير  
مواطن لجمهورية الأدب الفرنسى . ذلك لأن شكسبير ينتمى فى الواقع  
اليكم ، فأنتم تحبون كل ما فى هذا الرجل ، أولا لأنه انسان . وأنتم  
تنجون فى شخصه المثل الذى قاسى ، والفيلسوف الذى ناضل ،  
والشاعر الذى انتصر . وهتافاتكم له تكرم فى حياته الارادة . وفى  
عبقريته المقدره ، وفى فنه الادراك ، وفى مسرحه الانسانية .

أنتم على صواب ، وهذا حق . الحضارة تصفق لهذا الحفل النبيل .  
أنتم الشعراء تمجدون الشعر ، أنتم المفكرين تمجدون الفاسفة ،  
أنتم الفنانين تمجدون الفن . أنتم أكثر من هذا ، أنتم فرنسا تحبى  
انجلترا . هذا هو العناق السامى ، عناق الأخت لأختها . عناق الأمة التى  
أنجبت « فانسان دوبول » ( أى فرنسا ) للأمة التى أنجبت ويلبرفورس (١)  
( أى انجلترا ) ؛ عناق باريس حيث المساواة للندن حيث الحرية .  
ويرتب التبادل على هذا العناق ، فتعطى احدهما ما تملكه الى الأخرى .

تحببكم باسم فرنسا لانجلترا فى شخص رجلها العظيم شىء بديع .  
ولكنكم تفعلون أكثر من ذلك . انكم تتخطون الحدود الجغرافية ، فلم  
يعد ثمة فرنسى ولا انجليزى . أنتم اخوة لرجل عبقرى تحنفلون به .  
انكم تحنفلون بهذه الكرة الأرضية . تهنتون الأرض التى شهدت مولد  
شكسبير فى مثل هذا اليوم من ثلاثمائة سنة . أنتم تكرسون ذلك المبدأ

(١) ولهم ويلبرفورس ، من رجال السياسة الانجليز ( ١٧٥٩ - ١٨٣٣ ) . اشتهر  
بجذالاته التى شنها على الرق - المترجم .

السامى ، مبدأ كلبة وجود الارواح ، ومه نبيح وحدة الحضارة ، وتزعون  
الاناثية من قلوب القوميات • فكورينى لا يخصنا وحدنا ، وميليتون  
لا يخصصهم وحدهم ، وانما الجميع للجميع • الأرض كلها وطن للذكاء •  
نأخذون النوايح كلهم فتمطونهم كل الشعوب • وتزعون الحواجز  
الحائلة بين الشعراء وبذلك ننزعونها من بين الناس ، وتمزجون الأمجاد  
بعضها ببعض وبذلك تشرعون فى ازالة الحدود ! فياله من مزيج مقدس !  
وياله من يوم عظيم !

هوميروس ، دانتي ، شكسبير ، مولير ، فولتير ، كل لا ينحرا •  
النوع البشرى بأجمعه يمتلك الرجال العظام ، والروائع تجعل على  
المشاع ، تلك هى الخطوة الأولى ، تتبعها الخطوات الباقية •

هذا هو العمل الذى سوف تستهلون به ، عمل لا وطن له ،  
انسانى ، تضاهى ، أخوى ، مجرد من أى تعصب قومى ، أعلى من كل  
الحدود المحلية • فرنسا تتبنى أوروبا ، وأوروبا تتبنى الدنيا كلها  
بصورة رائعة • ومن مثل هذا الحفل ينبع عمل حضارى •

كان عليكم أن تختاروا لرئاسة هذا الاجتماع التذكارى ، بين أكبر  
الشخصيات الذائعة الصيت • وتزخر الأسماء الشهيرة الشائعة بينكم ،  
وتلمع قائمتكم بها • وتتجمع التجسيدات اللامعة فى الفن والمسرح والقصة  
والتاريخ والشعر والفلسفة والبلاغة فى هذا الحفل المهيب حول قاعة  
نمشل شكسبير • ولكن كانت لديكم بلا شك فكرة اعطاء الاحتفال بهذا  
العيد السنوى طبيعته الخارجية ، وأن يجرى هذا الحفل خارج الحدود  
كلها ، بل وفيما وراء الحدود ، ومن ثم كان يلزمكم للرئاسة رجل قائم  
فى هذا الاطار الاستثنائى ، فرنسى خارج فرنسا ، غائب وحاضر فى  
وقت واحد ، له قدم فى انجلترا وقلب فى باريس ، شىء كهمة الوصول  
الذى يمكن أن توجد على المسافة المرغوبة ، وتكون قادرة بتوع ما على أن  
تضع يدي الأمتين العظيمتين الواحدة فى الأخرى • ومن تدابير الأقدار  
أن كان هذا الوضع هو وضعى • واني لأدين باختياركم المجيد لشخصى  
لهذه الصدفة السعيدة فى الوقت الحاضر •

أشكركم ، وأقدم لكم هذا النخب : « الى شكسبير والى انجلترا ،  
الى النجاح التام ، نجاح رجال الفكر العظام ، الى وحدة الشعوب فى  
التقدم والمثل العليا » •

فيكتور هوجو

وشعرت حكومة بونابرت بالقلق من ناحية الاحتفال بعيد شكسبير  
ورأت ضرورة منعه •

شوارع « بلوا » القديمة وبيوتها  
الى السيد أ . كربوا

اوتميل هاوس فى ١٧ أبريل ١٨٦٤

أشكرك ياسيدى ، لقد جعلتنى أعيش فى الماضى . ففى يوم ١٧  
أبريل ١٨٢٥ ، فى منزل هذا اليوم من تسع وثلاثين سنة ( واسمح لى  
بأن أسجل هذا التوافق الصغير المحبب الى نفسى ) وصلت الى بلوا فى  
الصباح قادما من باريس . كنت قد أمضيت الليل فى عربة البريد .  
وماذا عساي أفعل فى عربة البريد ؟ نظمت أشعار « النبالة » (١) .  
وعندما انجزت البيتين الأخيرين ، ولم يكن الصبح قد انبلج بعد ، جعلت  
أناهل فى ضوء المصباح مرور أبقار منطقة أورليان على جانبى العربة وهى  
قادمة من باريس ، حتى تمت . وأيقظنى صوت السائق وهو يصيح بى :  
هاهى ذى بلوا ! وفتحت عيني ، وأبصرت مئات النوافذ فى وقت واحد ،  
وحشدا مشوشا من البيوت وقباب الأجراس وقصرا ، وفوق التل أكليلا  
من الدوح (٢) ، وصفا من واجهات المباني الحادة الأركان ذات الجمالونات  
الحجرية على ضفة الماء . مدينة قديمة على شكل مدرج مستدير ، منتشرة  
بصورة عفوية على بروزات فوق سطح مائل . انها شبيهة بجيرنسى التى  
أقطن بها اليوم ، فيما عدا أن المحيط ها هنا أكثر رحابة من نهر الموار  
سناك ، وليس له قنطرة توصل الى الضفة الأخرى .

وكانت الشمس تشرق على مدينة باوا .

وبعد ربع ساعة ، كنت فى شارع « لوفوا » أمام المنزل رقم ٧٣ .  
وطرقت بابا صغيرا يؤدى الى حديقة ، وجاء رجل يشغل بالحديقة ففتح  
الباب . كان أبى .

(١) النبال ، هو رامى النبال ، أى السهام - المترجم .

(٢) جمع دوحة ، وهى الشجرة العظيمة - المترجم .

وصى المساء ، أخذنى أبى الى أعلى الرابية التى تشرف على بينه وبينها شجرة جاستون . وشهدت من عل ، وللمرة الثانية . المدينة الى رايتهى فى الصباح . كان هذا المنظر ، رغم صرامته أشد فتنة من سابقه . كانت المدينة قد بدت لناطرى فى الصباح بذلك التشويش الرائع وبذلك اللون من المفاجأة اللذين يتجليان مع الصبح ، أما فى المساء فقد هدأت وبها الخطوط . وعلى الرغم من أن الدنيا لم تزل نهارا ، فقد بدأت فى الجور غاشية من كآبة ، وراحت ظلال الغسق تضعف من حدة أطراف سقوف المنازل . وثمة ومضات شعور قليلة جعلت تحل محل ضياء الشفق المتساقطة المتكسرة على زجاج النوافذ . وطراً على الأشكال الجانبية للأشياء ذلك التغير الغامض الذى يحدث مع المساء . وزالت صلابة الأشكال ، وحلت محلها الأوقاس . وكان هناك مزيد من الأكوام وقليل من الزوايا . وجعلت أنظر ، والنفس متأثرة ، تكاد تذوب رقة بفعل الطبيعة ، وفى الجو نسمة صيف غامضة . وبلت المدينة لناطرى متناسقة ، لا كما بدت فى الصباح بهيجة وفاتنة فى غير نظام . كانت مجزأة الى أقسام فى مجموعات يديعة متوازنة ، والمستويات تتسع وتتبسط ، والطوايق يرتفع أحدها عن الآخر بصورة هادئة متوافقة . فهناك الكاتدرائية والكنيسة الأسقفية وكنيسة سان نيقولا السوداء ، والقصر ، وهو حصن فى الوقت نفسه ، والوديان الضيقة المتداخلة فى المدينة ، والمرتفعات الصاعدة ، والمنحدرات البابطة ، وعليها البيوت المتسلقة من ناحية ، والمنحدرة من ناحية أخرى ، والكوبرى ومسلمته ، ونهر اللوار الجميل المتعرج ، ومجموعات أشجار الحور المنظمة فى خطوط مستقيمة ، وقصر شامبور الذى يبدو عند الأفق بأبراجه الصغيرة الداغلة ، والغابات التى يخترقها ذلك الطريق العتيق المسمى بالقناطر الرومانية والذى يحدد المجرى القديم لنهر اللوار . كل هذه المجموعة كانت عظيمة حلوة . وكان أبى يحب هذه المدينة .

انك اليوم تعيد الى خاطرى ذكرى هذه المدينة . وبفضلك أجد نفسى فى بلوا . نقوشك المحفورة الشرون ترينى المدينة المألوفة ، لا مدينة القصور والكنائس وإنما مدينة البيورن (١) . نحن معك فى الشارع ، ومعك ندخل فى الدار الخربة . وثمة أبنية قديمة متداعية ، كالمسكن الخشبي المنحوت بشارع ( سان لوبان ) ، وفندق دينس دييون الذى يعلوه برج بسلم ذى كوات جانبية مرتبة كالسلم الحلزوني لكنيسة سان جيل ، ومنزل شارع « هوت » ( أى الشارع العلوى ) ، والرواق

(١) « شوارع بلوا القديمة وبيوتها » ، نقوش محفورة على المسادن ، من ابداع

ذى العقد المنخفض فى شارع سير دوبلوا ، تعرض بدائع الخيال الغوطى كلها ، ورقه عصر النهضة كلها ، بالإضافة الى ماضى الخرائب من شاعرية . ورب دار خربة قد تكون جميلة كالجوهرة . ولا أروع من عجوز متوقدة الذكاء ذات قلب حنون . والكثير من البيوت اللطيفة التى تقشمتها بيدها ، هى أشبه شئ بمنزل هذه العجوز . وان الانسان ليسعد بالتعرف عليها . ومن كان ملى صديقا لها ، فانه يفرح اذ يراها ثانيه . وكمن من أشياء نحكيها لكم هذه النقوش ، وما أحلى أحاديث الزمان الماضى ! أنظروا على سبيل المثال هذا المنزل الأنيق الرقيق فى شارع الصاغة ( ديزورفيقر ) ، ما أشبهه بخلوة أليفة . ما أسعدنا وسط كل هذا الجمال والأناقة . أنك لتعرفنا بهذه الأشياء كلها ، فنقوشك انما هى لوحات فنية حقة ، ونصاوير فوتوغرافية صادقة ، فيها حرية الفن العظيم . ولوحة شارع سيمونتون تحفة فنية . ولقد صعدت درجات القصر الكبيرة مع هؤلاء الفلاحين الطيبين ، فلاحى سولونى الذين صورتهم . أما المنزل ذو التماثيل الصغيرة فى شارع « بيبير دوبلوا » فانه شبيه بصورة المنزل البديعة ، منزل « الموسيقين من ويموث » . واسترجعت ذكرى كل شئ . فهذا برج « دراجان » ( البرج الفضى ) ، وهذا هو الجمالون القاتم المرتفع ، فى ركن شارعى فيوليت وسان لوبان ، وهذا دار « دوجيز » ، ودار « شيفيرنى » ، ودار « ساردينى » بعقوده المقوسة على شكل يد السلة ، ودار « لوى » بعقوده الأنيقة التى ترجع الى عصر شارل التسامن ؛ وهذى درجات « سان لوى » التى تؤدى الى الكاتدرائية ، وهذا شارع « سيرمون » وفى نهايته معالم كنيسة سان نيقولا الرومانية الطراز ، وهذا هو البرج ذو الجوانب المقطوعة المسمى « منبر الملكة آن » . وكان خلف هذا البرج الحديقة التى كان لويس الثانى عشر يتنزه فيها على ظهر بغلته الصغيرة وهو مصاب بداء النقرس . وكان لويس الثانى عشر ، مثلما كان لهنرى الرابع بعض الصفات المحببة . لقد ارتكب الكثير من الحماقات ولكنه كان مع ذلك ملكا طيب القلب ، القى فى نهر الرون الدعاوى التى أقيمت ضد أهالى مقاطعة « فود » بسويسرا . ويكفيه فخرا أن يكون أبى لتلك المنجمة الهيجونوت الباسلة « رينيه دوبريتانى » التى أبدت شجاعة فائقة فى مذبحة سان بارتيليمى (١) ، وفخوة فى موثارجيس . قضى ثلاث سنوات من شبابه فى برج « بورج » وعانى السجن فى القفص الحديدى . هذا الأمر الذى كان خليقا بأن يجعل من غيره انسانا شريفا جعل منه رجلا

(١) مذبحة بدأت فى باريس فى ٢٤ أغسطس ١٥٧٢ ضد البروتستانت الفرنسيين دبرتها كاترين دى ميديشى بالاشتراك مع دوق انجو ودوق جيز: الملك شارل التاسع ، وامنعت المذبحة الى خارج باريس وأدت الى استئفاف الحروب الدينية - المترجم .



طبيب القلب • ودخل جنوا منتصرا ، وعلى درعه خلية نحل مذهبه ، وهذا  
 المرمز « non utitur aculeo » لا نستعمل حد السيف » وكان مع طبيبه  
 سحبا • وفى « اينيا ديل » قال له أحد رجال حاشيته « انك تعرض  
 نفسك لخطئ ياسيدى » فرد عليه قائلا : « ضح نفسك خلفى » • وهو  
 أيضا الذى قال « الملك الطيب ملك شحيح • انى أفضل أن أكون أضحكة  
 فى أعين حاشيتى من أن أكون تقيلا فى أعين الشعب » وما قاله :  
 « أقبح حيوان تراه العين وهو يمر ، مدع عام يحمل حافظة أوراقه •  
 وكان يمغت القضاة المولعين بادانة المتهمين ، والدين يجتهدون فى نضخيم  
 الأخطاء ، ونضيق الخناق على المتهم ، فكان يقول عنهم : « انهم كالاسكافى  
 الذى يشد الجلد بأسنانه ليطلبه » • ومات من فرط حبه لزوجته ، كما  
 حدث فيما بعد لفرانسوا الثانى ، اذ راح كل منهما ضحية رقيقة الملكة  
 اسمها « ماري » • وكان زواجه قصير الأمد • ففى يوم أول ينساير  
 عام ١٥١٥ ، بعد انقضاء ثلاثة وثمانين يوما ، أو بالأحرى  
 ثلاث وثمانين ليلة على زفافه ، أسلم لويس الثانى عشر الروح • ولما كان  
 هذا اليوم يوافق رأس السنة الميلادية ، فانه قال لزوجته : « يا حبيبتى  
 الصغيرة ، أقدم لك موتى هدية رأس السنة » وقبلت الهدية ، مناصفة مع  
 الدوق دو براندون •

والشبح الآخر الذى يشرف على بلوا ممقوت بقدر ما كان لويس  
 الثانى عشر محبوبا • ذلك هو « جاستون » الذى تجرى فى عروقه دمء  
 آل بوربون ممتزجة بدمء آل ميديتشى سادة فرنسا فى القرن  
 السادس عشر ، الحائن الغادر ، الخفيف الروح ، الذى قال فى مناسبة  
 القبض على لونجفيل ، وكونتى ، وكونديه ، « ياله من فح محكم ! صاد  
 فى دفعة واحدة ثعابا وقردا وأسدا ! » • وهو فضولى ، فنان ، جامع تحف ،  
 مولع بالأوسمة والمصوغات وأوعية الحلوى المزخرفة ، يقضى فترات  
 الصباح فى الفرجة باعجاب على غطاء صندوق من العاج ، فى حين يقوم  
 بعضهم بقطع رأس صديق من أصدقائه كان هو قد أوقعه بالغدر والخيانة •

كل هذه الصور ، وكذا صور هنرى الثالث ودوق دوجيز وغيرهما ،  
 بما فيهم « بيبير دابلوا » الذى له الفخر فى ان يكون أول من ابتدع  
 عبارة « استحالة المادة ، أى القربان ، الى لحم المسيح ودمه » • كل  
 هؤلاء رأيتهم ياسيدى عندما تصفحت مجموعتك الثمينة التى تسترجع  
 ذكريات التاريخ فى غير نظام ولا ترتيب • وتوقفت طويلا عند صورتك  
 الخاصة بنافورة لويس الثانى عشر • لقد صورتها كما شهدتها أنا من  
 قبل ، ناضرة ورائعة رغم قدمها • انها من أحسن لوحانك • وأعتقد أن  
 لوحتك الشاملة لمدينة « روان » التى أبدعتها أمام دار أمواز تمثل

بالفعل ما كانت عليه في زمانى ، انك تتمتع بموهبة رفيعة صادقة .  
وبتلك النظرة التى تدرك الأسلوب ، واللمسة الثانية القوية النشيطة ،  
والكثير من الفطنة فى استخدام المتقاسم ، والكثير من البساطة والبراءة ،  
ونلك الموهبة النادرة ، موهبة النور فى الظلال \* وما يدهشنى ويخلب  
لبى فى نقوشك هو النور الساطع والبهجة والمظهر الباسم ، وفرحة  
الاستهلال التى تتجلى فى روعة الصباح \* وتمة لوحات تبدو وكأنها  
مغمورة فى نور الفجر \* تلك هى بالفعل « بلوا » مدينتى المحبوبة » ،  
المشرقة \* ذلك لأن أول تأثير وقع فى نفسى عند وصولى إليها لم يزل  
مطبوعا بها \* « وبلوا » فى ناظرى مدينة ساطعة الأنوار ، لا أراها الا فى  
الشمس المشرقة \* تلك هى بعض تأثيرات الشباب والوطن \*

استرسلت طويلا فى حديثى اليك ياسيدى لأنك أتلفت صدرى .  
وأصبحت موطن الأضعف من نفسى ، ولمست الركن المقدس من ذكرياتى \*  
انى أعانى فى بعض الأحيان مشاعر حزينة مرة ، ولكنك منحنى بعض  
المشاعر الحزينة الرقيقة \* والحزن الرقيق انما هو لون من السرور \*  
وانى لشاكر لك هذا الجميل وسعيد بأن أجده هذه المدينة مصونة  
محفوظة ، لم يحل لونها الا قليلا جدا ، ولم تنزل على الحال التى شهدتها  
عليها منذ أربعين سنة خلت ، هذه المدينة التى تشدنى إليها تلك البكرة  
الخفية من الخيوط الروحية التى يستحيل قطعها ، « بلوا » التى  
شهدتنى يافعا ، « بلوا » التى تعرفنى شوارعها ، وأحببنى بيت من  
بيوتها ، والتى تنزهت فيها منذ قليل فى صمجتك وأنا أبحث عن  
شعرات أبى البيض ، فأجد شعرى أنا الأبيض \*

•• وأصافحك ياسيدى

( فيكتور هوجر )

اميل دوبيترون  
جبانة « المستقلين » في جينسبي  
١٩ يناير ١٨٦٥

انشغلنا أسبوعين بأختين ، فزوجنا احدهما ، وما نحن أولاً ندفن  
الأخرى . وهكذا يكون اضطراب الحياة الدائم . فلنحن الهامات أيها  
الاخوان أمام القدر القاسي . لنحنها وفي نفوسنا أمل . خلقت عيوننا  
لا لتبكي فحسب وإنما لتبصر . وخلقت قلوبنا لا لتتألم فحسب وإنما  
لتؤمن . الايمان بوجود آخر إنما ينبثق من ملكة الحب . وعلينا الانسى  
في غمار هذه الحياة القلقة التي تجد سكينتها في الحب ، أن القلب  
هو . موطن الايمان . الابن يعمل على لقاء أبيه ، والأم لا تسلم بفقد  
طاغها أبدا . عظمة الانسان في أنه ينكر العدم .

القلب لا يستطيع أن يخطئ . الجسمه حلم فهو يتلانى . لو كانت  
تلك الغشمية هي نهاية الانسان لكانت خليفة بأن تجرد وجودنا من كل  
تصديق . نحن لا نقنع بذلك المخان الذي هو المادة ، ولكننا في حاجة  
الى اليقين . وكل من يحب يعلم ويشعر بأنه لا توجد ركائز للانسان على  
« سطح الأرض » .

الحب هو الحياة فيما بعد الحياة . ومن غير هذا الايمان ، لا يسكن  
أن توجد ملكة عميقة في القلب ، ويصير الحب الذي هو غاية الانسان  
عذابا له ، ويستحيل هذا الفردوس جيحما . لا ، ولنقل جهارا ان  
الخلقية المحبسة تتطلب الخليفة الخالدة . والقلب في حاجة الى  
الروح .

في هذا التابوت قلب ، وهذا القلب حي ، وهو في هذه اللحظة  
ينصت الى ما أقول .

كانت اميلي دوبيترون موضع فخار أسرة متدينية مبدعة . كان  
اصداقها . واقاربها يغنون بجمالها ويحتفلون ببسمة . كانت زهرة

البهجة المفتحة فى المنزل ، محاطة منذ المهدي بكل ألوان الحنان ، وسُميت هائلة . وكما كانت تملقى السعادة . فانها كانت تهبها للناس . وكما كانت محبوبية ، كانت محبة . لقد قضت نجبتها منذ قليل .

الى أين ذهبت ؟ الى الطلام ؟ لا ، بل نحن الذين فى الظلام ، أما هى فانها فى نور الفجر . انها فى الأشعة الساطعة ، فى الحقيقة ، فى الواقع فى الجزاء . هؤلاء المتوفيات الصغيرات اللواتى لم يفترقن انما فى الحياة . هن نزيلات القبر العزيزات ، نرفع رؤوسهن فى رقة خارج الحفرة متجهبه نحو أكليل غامض . لقد مضت اميلى دوينرون الى العالم الأخرى باسمه عن الصفاء الأسمى الذى يكمل الموجودات البريئة . مضت وهى زهرة العمر ، صوب الأبدية . مضت وهى الجمال ، صوب المنل الأعلى . مضت وهى الأمل صوب اليقين ، مضت وهى الحب صوب اللانهاية : مضت وهى الدررة صوب المحيط . مضت وهى الروح الى ربها .

#### أذهبى أيتها الروح .

معجزة هذا الرحيل السماوى العظيم الذى نسميه الموت هى ان اولئك الذين يرحلون لا يبتعدون أبدا . انهم فى عالم من الضياء ، ولكنهم حاضرون فى عالمنا ، عالم الظلمات ، شهدوا رفقاء . انهم فى العلياء ولكنهم قرييون . اوه ، مهما تكونوا أنتم الذين شهدتم كائنا عزيزا لديكم تختفى فى طيات القبر ، لا تظنوا أنه هجركم . هو موجود على الدوام ، موجود الى جواركم أكثر من أى وقت مضى . جمال الموت فى الحضور ، الحضور الذى لا يمكن التعبير عنه ، حضور الأرواح المحبوبة التى تبتسم لعيوننا الدامية . اختفى الكائن الذى نبيكه ، ولكنه لم يرحل . لم نعد نلمح حياه الرقيق ، ولكننا نشعر أننا تحت جناحه . الموتى هم الحفايا ، ولكنهم ليسوا بالغائبين .

لنكن عادلين مع الموت ولا نكون أبدا جاحدين له . ليس الموت كما يقال عنه كميننا وانهبنا . من الخطأ أن نعتقد أن كل شيء يضيع فى هذه الظلمة ، ظلمة الحفرة الفائرة . هنا تظهر الأشياء كلها . القبر المكان الذى تعاد فيه الأشياء الى أصولها . هنا تلحق الروح باللانهاية وتسترد كمالها المطلق ، وتسترد ملكيتها لكامل طبيعتها الغامضة . لقد تحررت من الجسد والحاجة والعيب الثقيل والقدر . الموت هو أعظم صنوف الحرية ، وهو كذلك أعظم ضروب التقدم . الموت هو صعود كل من عاش الى الطبقة العليا . انه الصعود الباهر المقدس . وكل انسان ينال ثمة

نساءه . وكل سىء بنفير سماه فى الضوء وبواسطة الضوء . فمن كان  
ايضا فقط على الارض يصير جميلا ، ومن كان جميلا فحسب يصير ساميا ،  
ومن كان ساميا فقط يصبح طيبا .

والآن . ما عله وجودى هنا ، انا الذى أنهدب ؟ ما الذى أنيت به  
الى هذه الحفرة ؟ باى حق أنيت لأخاطب الموت ؟ من أكون ؟ لاشيء كلا ،  
بل أنا مخطئ ، فانى نىء ، ما . انا منفى . نفيت بالأمس قسرا ، وأنا  
اليوم معى برغيبى . المنفى اسان مهزوم ، مفرى عليه ، مضطهد ،  
مجروح بيد العدر . محروم من الوطن . المنفى انسان برىء يرزح تحت  
وطأة لعنة من اللعنات . ولا بد أن بركته طيبة ، فأنا أبارك هذه  
المقبرة .

انى أبارك هذه المخلوقة النبيلة اللطيفة الراقدة فى هذه الحفرة .  
فى الصحراء يلتقى الانسان بالواحات : وفى المنفى يلتقى بأرواح . كانت  
امبلى دوپتيرون روحا من الأرواح اللاتنة التى قابلناها . لقد جئت لأوفى  
لها بدين المنفى الذى يقبل العزاء فى وفاتها ، أباركها فى الأعماق  
المظلمة . وباسم الكروب التى اشرقت عليها بأنوارها الرقيقة ، باسم  
صروف الدهر التى انتهت بالنسبة اليها ، والتى لم تزل باقية معنا ،  
باسم كل ما كانت ترجوه فيما مضى وكل ما نالته اليوم ، باسم كل ما  
أحبته ، باسم كل هؤلاء أبارك هذه المتوفاة . أباركها فى جمالها وشبابها  
ورقتها وحياتها ومماتها . أبارك أيتها الفتاة الصغيرة فى ثوبك الجنازى  
الأبيض ، فى دارك التى تركتها موحشة ، فى نعشك الذى ملأته أمك  
بالزهور وسيماءه الاله بالنجوم .

## تمثال بيكاريا (١)

سكلت لجنة في ايطاليا لاقامة اثر تذكارى لبيكاريا . ودعى فيكتور هوجو للاشتراك فى هذه اللجنة .

أوتفيل هاوس فى ٤ مارس ١٨٦٥

أوافق ساكرا

وسوف أشعر بالفخار حين أرى اسمى بين الأسماء الرفيعة الشأن التى تشكل لجنة الأثر التذكارى لبيكاريا .

البلد الذى سوف يقام فيه مثل هذا الاثر بلد سعيد ومبارك ، فعقوبة الأعدام لم يعد لها وجود فى حضرة تمثال بيكاريا .

أهنيء ايطاليا .

واقامة تمثال بيكاريا هو الغاء لآلة الاعدام .

فاذا ما ظهرت آلة الاعدام بعد اقامة التمثال ، كان حريا بالتمثال أن يخفى فى باطن الأرض .

( فيكتور هوجو )

---

(١) فيلسوف ايطالى ، وعالم فى المريمة ، ولد بميلانو ( ١٧٣٨ - ١٧٩٤ ) مؤلف كتاب مسهور فى « الحرائم والمعونات » . جدت صادته فانون العقوبات وحظه - المترجم -

## الذكرى المثوية لدانتى

اونفيل هارس فى اول مايو ١٨٦٥

سيدى حاكم مدينة فلورنسا . .

كان لخطابك الموقر أثر عميق فى نفسى . لقد دعوتونى الى حفل نبيل ، وريد لجننتكم الوطنية أن يسمع صوتى فى هذا الحفل المهييب . واليوم تؤكد ايطاليا ذاتها أمام العالم لأمرين ، لأنها تحقق وحدتها ولأنها تمجد شاعرها . الوحدة حياة الشعب . وايطاليا الموحدة هى ايطاليا الحقة . الاتحاد ولادة . ويبدو ان ايطاليا حين اختارت هذه الذكرى المثوية للاحتفال بوحدتها أرادت أن تولد فى اليوم نفسه الذى ولد فيه دانتى . تريد هذه الأمة أن يكون لها نفس تاريخ هذا الرجل . ما ابدع هذا !

الواقع أن ايطاليا تتجسد فى شخص دانتى اليجيبيرى ، فهى مثله ناسلة ، مفكرة رفيعة ، عظيمة ، أهل للقتال وللتفكير . وهى مثله تدهج الشعر والفلسفة فى تركيب عميق . وهى مثله تنشد الحرية . وهو مثلها يملك العظمة التى يجعلها فى حياته ، والجمال الذى يجعله فى أعماله . وتختلط ايطاليا ودانتى فى لون من التداخل المتبادل الذى يحقق شخصيتهما ، ويتلأأ كل منهما فى الآخر . ايطاليا جليلة القدر ، ودانتى دائع الصبب . للآثنين قلب واحد وإرادة واحدة وقدر واحد . ايطاليا تشبه دانتى من حيث القدرة الخفية التى يتمتع بها كل منهما فى المحن . هى ملكة وهو عبقرى . كانت مثله متفية ، وهو مثلها متوج .

هى مثله خارجة من الجحيم (١) . المجد لهذا الخروج المشرق !

(١) بسير الكاس هيا الى حجوم داسى الوارد فى كتابه المسهور « الكوميديا الالهية » .  
وهو بكلم داسى من سبع دوائر فى الحجم يدبرما الانسان - المرحم .

وا حسرناها ! لقد خربت ( إيطاليا ) الدوائر السبع واحملت وجاتزت  
التقسيم المسؤوم . كانت شبحا ، وكانت تعبيرا جغرافيا ! واليوم أصبحت  
بحق إيطاليا . هي إيطاليا ، كما أن فرنسا هي فرنسا ، وانجلترا هي  
انجلترا . لقد بعثت حية وتألقت وتساحت وابتعدت عن الماضي الغامض  
المفجع . وبدأت ارتقاءها نحو المستقبل . وانه لشيء طيب وجميل أن  
نتذكر في هذه الساعة المشرفة ، في ذروة انصارها ونفدها وفي شمس  
الحضارة والمجد ، نتذكر تلك الليلة الليلية التي كان فيها دانتي سعلتها  
المضيئة .

ان عرفان الشعوب العظيمة بفضل الرجال العظام مثل يقتدى به .  
لا ، انا لا نسمح بالقول بأن الشعوب جاحدة للأفضال . ففي لحظة من  
اللحظات كان هناك رجل يمثل ضمير أمه . فعندما تمجد الأمة هذا الرجل  
فأنيا تبرهن على صدق ضميرها ، فكأنها تستشهد على ذلك بروحها . ايها  
الايطاليون ، أحبوا مدائنكم الشهيرة الرائعة ، وحافظوا عليها ويجلوها .  
وكرموا دانتي . كانت مدائنكم هي الوطن ، أما دانتي فكان الروح .

سنة قرون قام عليها مجد دانتي . والقرون هي الوجوه التي تتطور  
عليها الحضارة . ومع كل قرن ينبثق بنوع ما صنف آخر من البشر .  
وفي الامكان القول بأن خلود البيجيري قد تأكدت مرات بفضل سنه  
أجيال جديدة من الجنس البشري . وسوف تواصل الأجيال القادمة دعم  
هذا المجد .

وعاشت إيطاليا في شخص البيجيري ، رجل النور . ورائت  
غشبية طويلة ثقيلة على إيطاليا ، غشبية أصاب العالم خلالها حذر وبرود .  
ولكن إيطاليا عاشت . أقول أكثر من ذلك ان إيطاليا تألقت حتى في هذه  
الظلة . كانت إيطاليا في تابوتها ، ولكنها لم تكن ميتة . كان لها من  
دلائل الحياة الشسر والأدب والعلم والصروح الأثرية والاكتشافات  
والروائع الأدبية والغنية . ما أبهى الأنوار التي سطعت على الفن ، من  
دانتى الى ميكيلانج ! ما أوسع المنفذ المزدوج في الأرض وفي السماء ،  
فنحة في الأرض كريسنوف كولومب ، وفتحة في السماء جاليليو . هي  
إيطاليا الميتة التي صنعت هذه المعجزات . آه ! انها كانت حية بالتأكيد !  
كانت تخنق بأنوارها من أعماق جدتها . إيطاليا قبر انبلج منه  
نور الفجر .

إيطاليا المجهدة ، المصفدة بالأغلال ، الدامية . المدفونة . إيطاليا  
هذه علمت الدنيا . كانت مكمة الفم . ولكنها عرفت وسبلة تتحدث  
بها خلال روحها .



لقد شوّست نيات لها لتقدم خدماتها للحضارة • وأيا كنا ، نحن الذين نقرأ ونكتب ، فنحن نبجلك أينها الأم ! نحن رومانيون مع « جرفينال » (١) وفلورنسيون مع « دانتي » •

ومن بدائع إيطاليا أنها ارض الرواد الأوائل • ويشهد الانسان في رحابها ، في كل عصور تاريخها ، بدايات عظيمة • وهي تتكفل دون هوادة بوضع التصميمات العظيمة للتقدم الحضارى • فليباركها الله من أجل هذه المبادرة المقدسة ! انها حوارية وفنائة • وهي تمقت الهمجية • وكانت أول من نشر الاضواء على ألوان الشطط في العقاب في الأرض ، وفيما وراء الحياة • هي التي أطلقت ، في مناسبتين صيحة الانذار ضد ضروب التعذيب ، ضد الشيطان ، تم ضد فاريناتاس • Farnace وهناك رباط وثيق بين « الكوميديا الالهية » التي كشفت عن العقيدة وبين « بحث في الجرائم والعقوبات » الذى كشف عن القانون • وإيطاليا تمقت الأذى ، فهي لا تحكّم بالادانة ولا بالتعذيب • لقد حاربت الوحش في صورتيه ، صورة الجحيم ، وصورة آلة الاعدام • أما دانتي فقد تكفل بالمركبة الأولى ، وأما بيكاربا فقد تكفل بالسانية •

كان دانتي رائدا من نواح أخرى • لقد زرع في القرن الثالث عشر الفكرة التي أثرت في القرن التاسع عشر • كان يعلم أنه لا يجوز أن يكون هناك أى قصور في القانون والعدالة من ناحية التنفيذ ، ويعلم أن ناموس النمو من النواميس الالهية ، ويريد الوحدة لإيطاليا • وأحلام العظمة تنبت في مستقبل الأيام • وتلدور أحلام المفكرين طبقا لما يجب أن يكون •

والوحدة التي نادى بها جيرار جروت وروشلان لألمانيا ، وأرادها دانتي لإيطاليا ، ليست هي حياة الأمم فحسب ، وإنما هي هدف الانسانية • وحيثما تزول الانقسامات ، ويتلاشى الأذى والشر • سوف يختفي الرق من أمريكا • لماذا ؟ لأن الوحدة سوف تولد من جديد • وتميل الحرب الى الخمود فى أوروبا • لماذا ؟ لأن الوحدة تنزع الى التكون • وانه لتواز مدهش بين انحسار الكوارث وبين سيادة الانسانية الموحدة •

ان مثل هذا الاحتفال المهيب لهو مظهر رائع • انه عيد الناس كافة تحتفل به أمة من أجل أحد العباقرة • مثل هذا العيد تحتفل به

---

(١) شاعر ايطال مجاه ، كانت أسفاره الهجائية الساخرة مفعمة بالمرارة والسخط على رذائل روما • ولد حوال عام ٤٢ ميلادية وتوفى عام ١٢٥ - للترجم •

المانيا من أجل سيلر ، وانجلترا من أجل شكسبير ، وايطاليا من أجل  
دانتي . وتشارك أوروبا في الاحتفال ، وهذا هو اسمى آيات الوحدة .  
فكل أمة تعطي غيرها من الأمم بعضا من رجالها العظام . وتشكل وحدة  
الشعوب مع خطوط الاخاء بين العباقة .

وسوف يسير التقدم بخطى متزايدة في هذا الطريق الذي هو  
طريق النور . وعلى هذا النحو سوف نصل ، خطوة خطوة ، دون رجعة ،  
الى الانجازات الكبرى ، وسوف نمضى ، نحن الأبناء المتفرجين ، في  
طريق الاتحاد . وهكذا سوف نصل جميعا بقوة الأسياء وحدها وسلطان  
الأفكار وحده الى المودة والسلام والانسجام . لن يكون هناك أجنب .  
وسوف تكون الأرض كلها وطننا للجميع . تلك هى الحقيقة العليا وذلك  
هو الانجاز الضرورى . وحدة الانسان من وحدة الاله .  
وانى لأشارك بعاطفة الأبناء في عيد ايطاليا .

( فيكتور هوجر )

## مؤتمر الطلبة

انعقد مؤتمر للطلبة في بلجيكا ، ودعى فيكتور هوجو لحضوره .  
بروكسل في ٢٣ أكتوبر ١٨٦٥ .

وصلتني دعوتكم الكريمة في لحظة رحيلي الى جيرنسي . ويؤسفني  
ألا أستطيع حضور اجتماعكم النبيل المثير للمشاعر . وقد خطا مؤتمركم  
الطلابي خطوة كريمة . وأنتم تسيرون قدما مع اتجاه جيلكم ، وتبرهنون  
على نشاطكم وتحرككم ، وهذا شيء جميل .

بالإخاء بين المدارس . تعلنون عن الإخاء بين الشعوب . وتحققون  
اليوم ما تحلم به نحن للغد . ومن غيركم أنتم الشباب خليق بأن يكون  
الطلبة ؟

اتحاد الأمم ، تلك الغاية العظيمة التي يقصدها المفكرون والفلاسفة  
والتي لم تزل بعيدة المنال ، هذا الاتحاد أصبح منذ هذه اللحظة مرثيا  
في أشخاصكم . واني لأهتف لعملكم الائتلافي ، ولهذا السلام الانساني  
الذي تسم ابرامه بين أطفالنا ، وأحب في الشباب ، مشابهنه  
للمستقبل .

لقبذ افتتح باب أمامكم ، وعلى هذا الباب نطالع عبارة : السلام  
والحرية ! فلتمرروا منه ، ولتكونوا أول المارين ، وأنتم أهمل لذلك .  
هذا الباب هو قوس نصر التقدم .  
وأنا معكم من أعماق نفسي .

( فيكتور. هوجو )

## الحرية

أونفيل هاوس في ١٩ مارس ١٨٦٦ :

الى السيد/ كليمان دوفرنوا (١) .

سـمـيـدـى :

رحبت بكتابى « عمال البحر » فى عبارات رائعة ملؤها الود  
والفخار ، فأشكرك .

أنت صاحب القريحة الوقادة والضمير الثابت ، أنت أحد أفراد  
جماعة باسلة تتبع قادة قوية . أنتم ترفعون العلم الأبدى ، وتطلقون  
الصيحة الأبدية ، وتطالبون بالحق الأبدى : بالحرية !

الحرية ، هى ما تتعطش اليه اليوم المدارك والضمائر تعطشها  
شديدا . الحرية تنتمى الى كل الأحزاب ، فهى الأسلوب الجيوى للفكر .  
كل نفس تريد الحرية ، مثلما تريد حدقة العين النور . لذلك اتجهت  
إلى الجماهير كلها اليك منذ اليوم الأول .

وأنا منلك ، أريد الحرية ، وأقاسمها المنفى فى هذه اللحظة .  
كتبت : سأعود فى اليوم الذى تعود فيه الحرية . اننى أنتظر الحرية  
بصبر شخصى كبير ، وقلق وطنى كبير .

فرنسا بلا حرية ، لم تزل هى الالهة وانما من غير روح . والفارق  
بينى وبينك هو أننى رجل ثورى ، الثورة فى رأى مستمرة .

التقدم ينتابه فتور بشرى ، ومن ثم فهو فى حاجة الى هزة كل  
ألفين أو ثلاثة آلاف سنة . لا بد له من Ovid divinum « شىء الهى »

(١) كاتب وسياسى فرسى ( ١٨٣٦ - ١٨٧٩ ) - وزير فى الامبراطورية النمانية -

الترجم .

«دعوة جديدة ، سبه ابتدائيه . وعلى قدر ما خبرنا به ذاكرة الشعوب  
في التاريخ . كان رد فعل أوروبا ضد آسيا ، رد الفعل الذي نغني  
به هوميروس ، هو الرجح الأولى ، وكانت المسيحية الرجح الثانية ،  
ثالثا الثالثة فكانت المورة الفرنسية .

لكل بورة طبيعة مزدوجة نتعرف عليها من خلالها ، فهي تشكيل  
من وراء هدم ، ولا يسنى ارادة احدي الطبيعين دون الأخرى ، ويتميز  
الرجل النورى بقوله هابن الطبيعين .

المورات لا تخلق شيئا . انما هي انفجار طاقات حرارية كامنة .  
انها تخرج عن نطاق الانسان ذلك الحدث الداخلى الأبدى الذى أصبح  
حروجه أمرا ضروريا ، وموضوعه موضوع العصور فى حياة الانسانية .  
والثورات تستخلص هذا الحدث . ونحن نظن هذا الحدث أمرا جديدا  
لاننا لا نراه ، وكنا نستشعره من قبل . وهو لو كان حدثا جديدا لكان  
جائزا . وليس ثمة جديد فى الحق . اما العنصر الذى يظهر فى صورة  
مبدأ فهو ذلك الفرخ الرائع الذى نخرجه الثورات . والحق الخفى  
يتكشف فيصير حقا عاما ، وينتقل من حالة مشوشة الى حالة واضحة  
محددة . كان مستكنا فانفجر . كان شعورا فأصبح حقيقة واقعة .

هذه البساطة الفائقة هي من خصائص أعمال التقدم ذات  
السيادة .

اما الهزتان الكبيرتان الاخيرتان فى مجال التقدم فقد أثارنا الحقيقتين  
الاسانيتين الكبيرتين وأقاماهما الى الأبد فوق المجتمعات المتطورة :  
المسيحية وقد استخلصت المساواة ، والثورة الفرنسية وقد استخلصت  
الحرية .

وأينما انعدمت هاتان الحقيقتان ، انعدمت الحياة . الحياة ، أن  
يكون الناس كافة اخوانا ، وأن يكونوا أحرارا . هاكم الحركتين اللتين  
تتنفس بهما المدينة .

المساواة والحرية هما شهيق الجنس البشرى وزفيره . وما دام  
الأمر كذلك فانه من الغريب أن نسمع محاجة فى « الحريات التبعية »  
و « الحريات الضرورية » .

يقول بعضهم : سوف تتنفسون عندما تستطيعون .

ويقول آخر : سوف تتنفسون عندما تريدون .

« الحريات » عبارة لا معنى لها . أما « الحرية » فهي ذات معنى .  
إنها تشترك مع الله في نفي الجمع . هي أيضا تقول  
« أنا هو أنا » .

ارفع اذن علمك عاليا . صيحتك « الحريه » هي الصيحة التي  
نخلق الحضارة ، هي صيحة الانسان الكبرى التي تقول للشيء كن  
ف يكون . انها النداء العميق الغامض الذي سوف يشرق بعده النجم .  
النجم وراء الأفق ، يسمع صيحتك ، فتشجع !

معدرة لهذا الزاهد اذا ما خرج لحظة من هدوئه حين أثارته عباراتك  
الفصيحة الخطيرة وكلمتك القسوية الجامعة للشمل . وهانذا أبادر  
بالرجوع الى ما كنت فيه من سكينه . ولكن اسمح لي قبل ذلك يا سيدى  
أن أصافحك .

( فيكتور هوجر )

## المحكوم عليه بالاعدام فى جيسى برادل

### خطاب لصديق

بروكسل فى ٢٧ يولية ١٨٦٦ :

انا مسافر . وأنت كذلك . ولست أعرف الى أى عنوان ارسل لك خطابى . نرى هل يصل اليك ؟ ومع ذلك فقد وصلنى خطابك ، ولكن لم يصلنى أية صحيفة من الصحف التى حدثتنى عنها . تطلب الى أن اتدخل ، ولكن لا أعرف أول حرف فى هذه القضية المحزنة . قضية برادل . نم ماذا عسأى أقول ، مع الأسف ! برادل شىء لا قيمة له ، يضح عذابه فى عذاب العالم الكبير . والمدينة تقاسى فى هذه اللحظة على آلة التعذيب . ففى انجلترا أعيد تنفيذ الإعدام رميا بالرصاص ، وفى روسيا يزاولون التعذيب . وفى ألمانيا نشط اللصوص وقطاع الطرق . وفى فرنسا انحطت المدارك السياسية والأدبية والفلسفة . والمقصلة الفرنسية تنافس المشنقة الانجليزية .

أصبح التقدم فى كل مكان مجالا للجدل . الحرية فى كل مكان وتعطلة ، والمثل العليا فى كل مكان مهينة . وفى كل مكان تنجح الرجعية بمسمايتها المختلفة ، من قبيل النظام التام ، والذوق الحسن ، والحصافة ، والقوانين الجيدة ، الخ . . . كلمات كلها أكاذيب .

كانت جيسى ، الجزيرة الصغيرة ، فى طليعة الشعوب الكبيرة ، حرة ، شريفة ، ذكية ، عطوف . ويبدو أنها حين رأت الدنيا تتقهقر . اعتزمت هى أيضا أن تتقهقر . لقد أطاحت باريس برأس فيليب ، وسوف تقوم جيسى بشنق برادل : منافسة فى الاتجاه المضاد للتقدم . لقد أكدت جيسى التقدم ، وهى الآن سوف تؤكد الرجعة .

يوم ١١ أغسطس ، يوم عيد في الجزيرة • سوف نشق رجل  
في هذا اليوم •

وتصر جيرسي على أن تؤدي دورها الرحى ، أسوة بملك بروسيا  
أو امراطور الرومسا • يالك من دن صسغير مسكين من أركان  
الأرض !

يا للكفر بالله الذى الكبر من أجل هذا البلد الجميل !  
يا لنكران هذه الطبيعة ! سمه الصافية الكريمة ! مشقة فى جيرسى !  
جدير بالعبء أن يكون .حما !

اننى أحب جيرسي ، ولذلك فانا حزين •

لك أن تنشر خطابى هذا اذا شئت • اليوم ، الأشياء كلها تسعى  
لاطفاء النور • ومع ذلك فعلنا ألا نأس • واذا كان الحاضر أصم ،  
فعلينا أن نلقى الى المستقبل الذى ينتظرنا باحتجاجات الحق والانسانية  
ضد الظلام الرهيب •

( فيكتور هوجر )



## كريت

صيحة بلغتنى من أثينا :

نداء جادنى من مدينة فيدياس ومن ايسخولوس ، وأصوات تنطق  
باسمى .

من أنا حتى أستحق مثل هذا الشرف ؟ لا شيء ، رجل مهروم .  
من ذا الذى يخاطبى ؟ قوم منتصرون . نعم أيها الكانديون (١) ،  
الأبطال المتهورون اليوم . سوف تنتصرون فى الغد . اثبتوا وصابروا .  
سوف تنتصرون حتى ولو كنتم تختنقون . فى احتجاج المحتضر قوة .  
إله النداء فى حضرة الله الذى يكسر ٠٠٠ ماذا ؟ يكسر شوكة الملوك .  
كل هذه القوى الجبارة المعادية لكم ، وتلك التحالفات التى يضم  
القوى العشواء والآراء المتصلبية ، والطواغى المسلحة العتقة ، من صفاتها  
الرئيسية أنها قد تفرق بسهولة بينة .

السفينة الملكية القديمة ، على مؤخرتها تاج البابوات ، وفى مقدمتها  
العمامة ، قد تسرب ماء البحر فى داخلها انها تفرق فى هذه اللحظة فى  
المكسيك والنمسا واسبانيا وهانوفر وساكس وروما وغيرها . نعم ،  
اثبتوا صابروا .

لا يمكن أن تنهزموا .

الثورة التى تخمد لا تمحو مبدءا .

ليس هناك أمر واقع . وإنما هناك الحق فحسب . الأحداث  
لا تنتهى أبدا ، وإنما الحق هو الذى ينجزها مرة بعد مرة . الحق

(١) أمال جزيرة كريت المسماة أيضا « كانديا » ، واسم عاصمتها أيضا كانديا -

الترجم .

لا بنغمر ، فأمواج الأحداث تمر من فوقه ، ولكنه يظهر من تحتها .  
بولندا الفارفة تعوم ففتطفو . هاكم أربعة وتسعين عاما والسياسة  
الأوروبية تحمل هذه الجثة ( جثة بولندا ) ، والشعوب تبصر هذه الروح  
وهي تطفو فوق النوائيم .

أيا شعب كريت ، أنت أيضا روح .

أيا يوناني كانديا ، الحق في صفكم ، والمنطق السليم معكم ،  
وما يعمل به الباشا في كريت لا يقره العقل . وما يصدق مع إيطاليا  
بصدق بالمثل مع اليونان . ولا يمكن رد فينيسيا الى الأولى دون أن ترد  
كريت الى الثانية . والمبدأ الواحد لا يمكن أن يصدق من ناحية ويكذب  
من ناحية أخرى . وما هو هناك فجر لا يمكن أن يكون هنا قبر .

والى أن يحين الأوان ، تسيل السماء ، وتتركها أوروبا تسيل وتعتاد  
ذلك . واليوم يوم السلطان ، انه يبيد إحدى القوميات .

هل ثمة قانون الهى تركى ، يبجله القانون الالهى المسيحى ؟  
القتل والسرقة والاعتصاب تنقض في هذه اللحظة على كانديا كما انقضت  
منذ ستة شهور على ألمانيا . والشئ الذى يمتنع على شيندر هانز يتاح  
للسياسة . يقال عن الانسان الذى يضع السيف في جنبه ويتفرج على  
المذابح هي هدوء انه من رجال السياسة . ويبدو أن الدين مهتم بأن  
يذبح الأتراك كانديا في هدوء ، وأن المجتمع سوف يتزلزل كيانه اذا لم  
تخترق السيوف أجسام الأطفال بين سكارينتو وسيتير . ان نهب  
المحاصيل واحراق القرى شئ مفيد . والباعث الذى يفسر عمليات الابادة  
هذه ويجعلها مقبولة ومحتملة هو باعث يعلو على مداركنا . ويدهشنا  
بالمثل ما جرى في ألمانيا هذا الصيف . ومن الأمور المهينة لأولئك الناس  
الذين أحالهم النفى أغبياء بلدها ، وأنا منهم ، ألا يفهموا البتة الأسباب  
العظيمة التى يبدؤها القنلة الحاليون .

ومهما كان الأمر فقد طرحت المسألة الكريتية منذ اليوم على  
بساط البحث . ولسوف تحل هذه المسألة أسوة بجميع مسائل هذا  
القرن ، بالتحجير .

لكم ما ندين به نحن الفرنسيين لوالدتيننا ، اليونان وإيطاليا :  
أن تكتمل سيادة كل منهما ، وتصير أثينا على رأس الأولى وروما على  
رأس الثانية .

انه دين سوف توفى به فرنسا . وانه واجب سوف يؤديه  
فرنسا .

متى ؟

البتوا وثابروا .

أوتفيل هاوس فى ٢ ديسمبر ١٨٦٦ .

( فيكتور هوجر )

١

## كريت

من شعب كريت الى فيكتور هوجو

أومالوس ( حى سيلوينا ) بكريت فى ١٦ يناير ١٨٦٧

عبت علينا نفحة من روحك القوية فبجفت دموعنا \* وقلنا لأطفالنا :  
عناك وراء البحار شعوب كريمة وقوية تنشد العدالة وسوف نحطم  
أغلالنا .

فأدأ هلكتنا فى المعركة ، وتركتناكم يتامى شاردين فى الجبال مع  
أمهاتكم الجائعات ، فان هذه الشعوب سوف تتبناكم ، ولن تقاسوا أى  
عذاب بعد ذلك .

ومع ذلك فقد تطلعتنا عبثا ناحية الغرب \* ومن الغرب لم نصلنا  
أية نجدة \* وقال لنا أولادنا : لقد خدمونا - وجاء خطايك ، أمن عندنا  
من أحسن الجيوش \* ذلك لأنه يؤكد حقنا .

لقد قمنا بنورتنا لأننا نعرف حقنا .

ولم نكن نطمح ، نحن الجبليين المساكين المسلمين تسليما هزليا .  
أن ننتصر وحدنا على صلاتين الأمبراطوريتين الكبريتين المتحالفتين ضدنا :  
عصر وركيا .

ولكننا أردنا أن نلجأ الى رأى العام الذى قيل لنا انه السيد الوحيد  
على العالم فى الوقت الحاضر ، نلجأ الى النفوس الكبيرة التى تقود هذا  
الرأى . مثلك .

وبفضل الاكتشافات العلمية ، أصبحت القوة المادية اليوم ملك  
الحضارة .

كانت أوروبا منذ أربعة قرون عاجزة أمام البرابرة \* أما اليوم فانها  
تملى عليهم القوانين \* لذلك فانه لن يكون ثمة اضطهاد للانسانية اذا شاءت  
أوروبا الا يكون اضطهاد .

لماذا اذن تبقى أوروبا على أحد الباشوات على مرأى من الشواطئ  
«لايطالية فى وسط البحر المتوسط ، على بعد ثلاثين ساعة من فرنسا»  
هذا ما حدث فى الزمان الماضى الذى كان فيه الأبرك يحاصرون تارنتو  
فى ايطاليا ، وفيينا فى المانيا !

لقد الغى رق الجنس الأسود فى أمريكا . بيد أن عبوديتنا أكثر  
بشاعة وأسد وطأة مما كانت عليه عبودية الزوج . ورعم المواثيق كلها ،  
فان التركي هو دائما سيد أشد قسوة من أى مواطن أمريكى فى الولايات  
المتحدة .

وإذا أتيج لك أن نعرف تاريخ كل أسرة عندنا كما نعرف تاريخ  
بلدنا الشمس ، فانك سوف تشهد النفي والاضطهاد والموت ، تشهد الأب  
وقد ذبحته سبوف طغائنا ، والأم وقد انتزعت من بين أطفالها الصغار  
لتزرع فى أشد ضروب العبودية ادلالا للنفس ، والأخوات وقد تلونن .  
والاخوة وقد جرحن أو قتلن .

ولن تقول لأولئك الذين يتكوننا نقاسى كل تلك المقاساة .  
ويستطيعون انقاذنا سوى العبارة الآتية : أنم لا نعرفون اذن الحقيقة ؟

عندما أنزلت بارجتان احدهما انجليزية والثانية روسية فى ميناء  
بيريه . بعض أسرنا ، كان هناك بعض الأجانب . وشهد هؤلاء الأجانب  
أننا لم تكن مبالغين فى وصف آامنا .

أنت نور أيها الشاعر . وأنا نناشدك أن تنير أذهان أولئك الذين  
يجهلوننا ، وأولئك الذين حذرهم بعض الرجالين من قضيتنا المقدسة .

أيها الشاعر ، تقول لفتنا الجميلة انك خالق ، خالق الشعوب .  
كالمرتلين الأقدمين .

وبأغانيك الفاخرة فى كتاب « شرقيات » بذلت جهدا عظيما فى خلق  
الشعب اليونانى الحديث .

هيا أنجز عملك .

انك تدعونا بالمتصرين ، وسوف ننتصر بفضلك .

باسم الشعب الكرىتى ، وبتفويض من ضباط البلد ،

حكماد مقاطعة كانية الأربع

ج زيغبراكيس

اوتفيل هاوس فى ١٧ فبراير ١٨٦٧

كتبت هذه السطور استجابة لامر جاء من عل ، من وسط الغم .  
وهذا ثانى نداء وجهته اليونان الى .

وصلنى خطاب ، خرج من معسكر البائسين يحمل تاريخا من اوما لوس  
بى سيدويتا ، مصطبغ بدم الشهداء . مكتوب بين الأطلال والمونى ،  
بين الشرف والحريية . فى هذا الخطاب صيغه أمره تشوبها سمة بطولية .  
وعنوان الخطاب : « من شعب كريت الى فيكتور هوجو » . ويقول لى :  
واصل ما بدأتها .

وها أنذا أسنمر ، وما دامت كانديا التى نلتفت أنفاسها الاحيرة  
نريدنى أن أتكلم ، فأنا أعاود الحديث .

ويحمل الخطاب توقيع زيمبرا كاكيس .

زيمبرا كاكيس هو بطل هذه النورة الكاندية التى كان زيريسدانى  
خائنها .

تتخذ الشعوب فى بعض ساعات البطولة والشهامة اجساد الجنود  
الذين هم فى الوقت نفسه ارواح ، فمنهم واتسنجنون وبوتزاريس  
وجاريبالدى .

وكما نار جون براون من أجل السود . وجاريبالدى من أجل  
ايطاليا . يتور زيمبرا كاكيس من أجل كريت .

فاذا واصل زيمبرا كاكيس الجهاد حتى النهاية ، وسوف يفعل ،  
سواء هلك مثل جون براون . أو انتصر مثل جاريبالدى . فانه سوف  
يكون رجلا عظيما .

أتريدون أن تعرفوا موقف كريت فى الوقت الحاضر ؟ اليكم بعض  
الحقائق .

النورة لم تمت . لقد استردوا فيها السهول . ولكنها احتفظت  
بالجبال .

انها لم تنزل حية ، تنادى ونصبح مستغفيتها .

لماذا تارت كريت ؟ لأن الله جعلها أجمل بلاد الدنيا . وخلق الأناذك  
أتس الخلائق ، لأن عندها حاصلات وليس لها تجارة ، عندها مدن ليس  
بها طرق ، وقرى ليس بها دروب ، عندها موانى ليس بها أرصفة .

وانهار ليس عليها قناطر ، وأطفال بلا مدارس ، وحقوق بلا قوانين .  
وشمس بلا ضياء ، وقد نشر الأتراك عليها أجنحة الليل .

تارت كريت لانها يونانية وليست تركية ، لأن الأجنبي بها  
لا يحتمل ، لأن الطاغية ممقوت اذا كان من جنس المضطهد ، أما اذا لم  
يكن كذلك فهو بشع ، لأنه لا يمكن أن يكون هناك سيد يتكلم برطانة  
بربرية فى بلد ايتيارك ومينوس ، لانك با فرنسا سوف تتورين !

تارت كريت ، وخيرا صنعت .

ما الذى نتج من هذه الورة ؟ سوف أخبركم . أربع معارك لغاية  
يوم ٣ يناير ، منها انتصارات ثلاثة : أبوكورونا ، وفافيه ، وكاستل  
سيلينو ، وكارثة مشهورة : أركاديون ! وقد شقبت الثورة الجزيرة  
قسمين ، فأصبح نصفها للأتراك والنصف الآخر لليونانيين . وهناك حط  
للعلميات الحربية يمتد عن طريق سكيغو وروكولى . من كسماهوس الى  
لاستى ، بل والى جيرابيترا . ومنذ ستة أسابيع لم يعد للأتراك المردىين  
سوى بضع نقاط على الساحل . والسفح الغربى لجبال بسيلورينى حيث  
أمبيلرسا . وفى تلك اللحظة كان خليقا باصعب أوروبا المرفوعة ان تنقذ  
كانديا . ولكن أوروبا لم يكن لديها وقت لذلك . كان هناك زفاف فى  
تلك اللحظة ، وكانت أوروبا تتفرج على الحفل الراقص .

يعرف الناس كلمة أركاديون ، ولكنهم يعرفون القليل عن الحفيقة .  
واليكم التفاصيل الدقيقة المجهولة تقريبا . فى أركاديون ، وهى دير جبل  
ايدا ، أسسه هيراكليس ، هاجم سنة عشر ألف تركى مائة وسبعة  
وتسعين رجلا وثلاثمائة وثلاث وأربعين امرأة وأطفالهم . وكان مع الأتراك  
سنة وعشرون مدفعا ، ومدفعا حصار ، ومع اليونانيين مائتان وأربعون  
بندقية . واستمرت المعركة يومين وليلتين . واخترق جدران الدير الفـ  
ومائتا كرة حديدية من كرات المدافع . وانهار جدار منها . ودخل  
الأتراك ، وواصل اليونانيون المعركة ، ولم تعد مائة وخمسون بندقية  
صالحة للاستعمال . واستمر القتال فى الحجرات الصغيرة والسلام ست  
ساعات . وكان فى الفناء ألفا جثة . وحشود الأتراك المنتصرين تملأ  
الدير . ولم يبق غير قاعة محصنة بالتاريس ، بها مخزن البارود .  
وفى هذه القاعة ، بالقرب من المذبح ، وسط جماعة من الأطفال والأمهات ،  
رجل فى الثمانين من العمر ، هو الراهب جابرييل ، يصلى . وفى الخارج  
يقتل الأتراك الآباء والأزواج . ولكن خلاص النساء والأطفال من القتل  
من شأنه أن يلقى بهم فى مهاوى الشقاء والتعس فى حريم الأتراك .  
وكان الباب الذى انهالت عليه دقات القفؤوس على وشك الانهيار

والسقوط . وناول الشيخ المسن من فوق المديح سمعدانا ، ونظر الى هؤلاء الأطفال والنسوة وآمال الشمعدان فوق البارود ، وحلص الجميع . ووقع انفجار رهيب ، انقذ المنهزمين ، وانقلب النزاع الأخير نصرا ، وباد هذا الدير البطولي الذي قاتل كما تقاثل القلاع الحصينة . باد كالمبركان .

ليست يسارا أعظم بطولة . وليست ميسولونجي (١) أعظم سانا من أركاديون .

ملك هي الرقائق ، فماذا تفعل الحكومات التي يقال عنها متحضرة ؟ ماذا سطر ؟ انها تتهامس قائلة : صبرا ، فنحن نتفاوض .

نتفاوضون ؟ وفي هذه الأثناء نفتتح أشجار الريفون والقسطل (٢) ، وهدم طواحين الزيت ، وحرى القرى والمحاصيل . ونرسل مجموعات كاملة من السكان الى الجبال ليموتوا فيها من الجوع والبرد ، ويذبح الأزرار . ويشنق الشيوخ . ونمى جندي بركى يبصر طفلا طريحا على الأرض ، فيسحق في فتحتى أنفه شمعة مشتعلة ليستنوق من وفاته . وعلى هذا النحو استيقظ فى أركاديون خمسة من المرحى فذبخوا لفورهم .

تقولون صبرا ! وفي هذه الأثناء يدخل الأتراك قرية مورينيس التي لم يبق فيها سوى النساء والأطفال . وعندما يخرجون منها ، لا تشهد العين سوى كومة من الحرائب منهارة على كومة من الجثث الأدمية . كبيرة وصغيرة .

والرأى العام ؟ ماذا يفعل ؟ ماذا يقول ؟ لا شئ . انه يسميح بوجهه الى الساجية الأخرى . ماذا تريدون ؟ عيب هذه الفواجع أنها لا تساير العادات الشائعة .

يا للأسف !

ومنتهى السياسة الصبور التي تنتهجها الحكومات الى نتيجتين : امتناع العدالة عن اليونان ، وامتناع الرحمة عن الجنس البشرى . أيها الملوك ، كلمة واحدة سوف تنقذ هذا الشعب . لقد أسرعت أوروبا فقالت كلمتها . هيا قولوا هذه الكلمة . فيم نفعكم ان لم يكن فى هذا الخصوص ؟

(١) مدينة فى اليونان على البحر الايوني ، اشتهرت بالدفاع الطول الذى مندى به  
١٨٢٢ - ١٨٢٥ . ومات فيها الساعر الانجليزى بارون - المترجم .  
(٢) أبو فروة - المترجم



ولكن لا ، انكم تصمتون ، وتريدون أن يصمت الجميع .

الحديث عن كريت محظور ، وهذى هي الخطة المرسومة . وهناك ست  
أو سبع دول كبرى تناهز ضد شعب صغير . ترى ما عساها تكون هذه  
المؤامرة ؟ انها أشد المؤامرات خسة ونذالة ، مؤامرة السكوت .

ولكن الرعد نقبض السكوت . والرعد يأتي من العلباء ويسمى في  
الغة السياسة : النورة .

( فيكتور هوجر )

## الفينانيون (١)

بعد كريت ، نتجه ايرلندا نحو ذلك المقيم فى جيرنسىسى . فيكتب  
اليه نساء الفينانيين المحكوم عليهم . ومن ثم حرر فيكتور هوجو تلك  
الرسالة الى انجلترا .

### الى انجلترا

الكرب والغمة فى دبلن . الأحكام متعاقب ، وقرارات العفو عن المحكوم  
عليهم لا تصل وثمة خطاب بين أيدينا يقول : « ٠٠٠ سوف ن نصب  
المشنقة ، فتبدأ نشاطها بالجنرال برك . وبعده الكابتن مكافرتى ، والكابتن  
ماكليور ، ثم ثلاثة آخرون ، كيلي وجويس وكولينين ٠٠٠ لم يبق أمامنا  
دقيقة واحدة نضيعها ٠٠٠ نساء وفتيات يتوسلن اليك ٠٠٠ نرى هل  
يصلك خطابنا فى الوقت المناسب ؟ ٠٠٠ » نقرأ هذا الخطاب ولا تصدق  
ما يحويه . يقال لنا : المشنقة مستعدة ، فتجيب : هذا مستحيل . لم  
يجر العرف على اعدام مرتكبي الجرائم السياسية ، فضلا عن أن عقوبة  
الاعدام مكروهة حتى للجرائم العادية . لا ، المشنقة السياسية لا يمكن  
أن يكون لها وجود فى انجلترا . لم تهلك انجلترا لكوسوت (٢) لتقيم  
هى مشائق مثل مشائق هنغاريا ، ولم تجد انجلترا جاريبالدى لتعود الى  
مثل مشائق صقلية . ترى ما معنى الهتافات التى تطلقها لندن وساوثمبتون؟  
الفوا اذن كل لجانكم البولندية واليونانية والايطالية ، وكونوا مثل

(١) الفينانية حركة سياسية ثورية انضمت فى ايرلندا عام ١٨٦١ بفضد بحريها من  
السيطرة الانجليزية وامتد نشاطها الى امريكا - المرحم .  
(٢) لويس كوسوت ( ١٨٠٢ - ١٨٩٤ ) بطل وناظر هنغارى ، زعيم ثوره عام ١٩٤٨  
فى هنغاريا . احبر رئيسا للحكومة فى ابريل ١٨٤٩ - وحسما اطيقت السنوات المساوية  
والروسه على هنغارنا وعممت الثورة فر الى تركيا وفضى بعة حياته منفا عن البلاد . ومات  
فى ايطاليا - المترجم .

أسبانيا • كلا ، لن تعلم انجلترا ايرلندا فى عام ١٨٦٧ مثلما فعلت  
اليزابيث عندما قطعت رأس مارى ستيوارت •

فالقرن التاسع عشر حى يرزق •

هل يشنق برك ! مستحيل • هل تحاكون نالافرو فى قنله جون  
براون ، وشاكون فى قنله لويبر ، وجيفرار فى قنله دياورم الصغير ،  
وفرديناند فى قنله بيزاكان ؟

عجبا ! ابعده الثورة الانجليزية ، والورة الفرنسية ، وفى العصر  
العظيم الذى نحن فيه ، عصر النور ، لم يقل أحد شيئا ولم يفكر أحد فى  
شئ ، ولم يتم الاعلان عن أى شئ ، أو انجاز أى شئ منذ أربعين سنة •

عجبا ، اتحدث مبل هذه الأشياء فى حضورنا ، ونحن أكثر من  
متفرجين ، بل نحن شهود عيان ! عجبا ، أما زالت العقوبات القديمة  
الوحدسية قائمة ! عجبا . أما زالت مثل هذه الأحكام صدر حتى هذه  
الساعة : « فى يوم كذا ، يتاريخ كذا سوف بحر على الحصر فى المكان  
الذى سنعدم فيه ، ثم يقطع جسده أربع قطع تترك نحت تصرف صاحب  
الجلالة الذى سيأمر بما يتبع بشأنها حسب ما يتراءى له » عجبا ! فى  
ذات صباح من شهر مايو أو يونية ، اليوم أو غدا . سوف تونق بدا  
رجل بالحبال ويغطفى رأسه بطاقية سوداء ويشنق ويشنق حتى تفيض  
روحه . لأنه ذو عقيدة سياسية أو وطنية ، ولأنه ناضل من أجل هذه  
العقيدة وإنهزم ! لا ! لست انت انجلترا التى نعلن هذا !

انك تمنازين على فرنسا فى الوقت الحاضر من حيث أنك أمة حرة •  
أما فرنسا التى تضارع انجلترا فى عظمتها فإنها ليست الآن سيده  
نفسها ، وفى هذه الحال اذلال شديد لها ، ومن أجل هذا ترهين  
وتتفاخرين • ولكن حذار : قد يتقهقر الانسان قرنا كاملا فى يوم واحد •  
وانت يا انجلترا ترتدين الى الورا ، الى المشتقة السياسية ! اذن أقيمى  
تمنالا لجيفريز (١) •

وفى هذه الأبناء سوف نقيم نحن تمنالا لعولير •

هل فكرتم فى ذلك ؟ عجبا ! عندكم شريدان وفوكس اللذان وضعا

---

(١) حامل الأسم ( وزير العدل ) فى انجلترا فى عهد سارل السابى وحاك النابى حلف  
لنفسه كرامة الشعب بسبب الاحكام الجائرة التاسية التى اصدرها - للترجم •

أسس البلاغة البرلمانية ، وهوارد الذي زاد في نهوية السجون وخفصه العقوبات ، وولبرمورس الذي ألغى الرق ، ورولاندهل الذي نشط حركة البريد ، وكويدن الذي خلق حرية التجارة . لقد دفعتم العسالم الى الاستعمار ، ومددتم أول خط ( كابل ) لتلغرافى عبر المحيطات . أنتم الذين فضجتم كل النضج فى عالم السياسة ، وتمارسون الحقوى الوطنىة العظيمة بكل أشكالها ممارسة رائمة . عندكم حرية الصحافة ، وحرية الخطابة ، وحرية العقيدة ، وحرية تكوين الجمعيات ، وحرية الصناعة ، وحرية السكن ، وحرية الشخصية . وسوف تصلون عن طريق الاصلاح الى الانتخاب العام ، أنتم بلده التصويت ، وقائمة الناخبين ، والاجتماع . أنتم الشعب القوى صاحب قانون « احضار المتهم الى قاعة المحكمة » ( ١ ) . بديع ، أضيفوا اذن الى كل هذه العظمة شيئا آخر . أضيفوا « برك المشنوق » . أنتم أعظم الشعوب الحرة ، وبسبب هذا بالذات نصبحون أصغرها .

لا يعلم الانسان مدى التخريب الذى تسببه قطرة من العار فى داخل المجد والفخار . فبعد أن كنتم الأوائل تصبحون الآخرين ! ما هذا الطموح المعكوس ؟ ما هذا التعتش الى الانخراط ؟ لن تعرف القارة الأوروبية بريطانيا العظمى المهيبه صانعة التقدم أمام هذه المشائق الجديرة بيجنون جورج الثالث . ولسوف نشيح الأمم بوجهها عن هذا العمل المتنافى للمدنية . ومن عساه يقترف هذا العمل ؟ انجلترا ! يا لها من مفاجأة مفرجة ، ودهشة تبعث على الأسى . ما أبشعها شمس يخرج منها الليل فجأة !

لا ، لا ، لا ، ثم لا ! أقول لكم ثانية أنكم لستم انجلترا التى تفعل هذا . أنتم انجلترا مرشدة الأمم الى التقدم والعمل والمبادأة والحقيقة والحق والعقل والعدالة وجلال الحرية ! أنتم انجلترا التى تعرض علينا صورة الحياة ، لا شبح الموت .

أوروبا تدعوكم الى الواجب .

ان الدفاع عن هؤلاء المحكوم عليهم ، انما هو مبادرة الى نجدة ايرلندا ، وهو أيضاً مبادرة الى نجدة انجلترا . فالأولى معرضة للخطر من ناحية حقها ، والثانية من ناحية مجدها .

لن نقام المشانق أبدا . ولن يموت ماكليور وماهرنى وكيبلى وجويس.  
وكولينان . أيتها الزوجات والبنات اللوانى كتبن خطابا لرجل منفى ،  
لا حاجة بكن الى تفصيل النياب السود . انظرن فى طمأنينه الى اطفالكن  
النائمين فى مهودهن . انجلترا بحكمها امرأة تلبس توب الحداد . الامم  
لن نيتم أطفالا ، والأرملة لن تجعل النساء أرامل .

( فيكتور هوجر )

اوتفيل هاوس فى ٢٨ مايو ١٨٦٧

وكان لهذا الكلام أثره فى النفوس ، فلم يعدم الغينيانيون

## الامبراطور ماكسيميليان

### الى رئيس جمهورية المكسيك

حواريز ، لقد أصبحت ندا لجون براون .  
 وأمريكا الحالية لها بطلان . جون براون ، وأنت جون براون الذى  
 انفضى الرق على يديه ، وأنت الذى عاشت الحرية بفضلك .  
 لقد خلصت المكسيك بفضل مبدأ ورجل . أما المبدأ فهو الجمهورية ،  
 وأما الرجل فهو أنت .  
 نم ان مصير الاعتداءات الملكية كلها الى الفشل .  
 وكل حركة لاغتصاب السلطة تبدأ من مدينة بويلا وتنتهى فى  
 مدينة كويريتارو .

انقضت أوروبا على أمريكا فى عام ١٨٦٣ . وهجمت ملكيتان على  
 ديموقراطيتكم ، هجمت احدهما بأمر ، وهجمت الثانية بجيش . وأنى  
 الجيش بالأمير . وعندئذ شهد العالم هذا المنظر : من ناحية ، جيش ،  
 أعظم جيوش أوروبا حنكة ودربة . يستند الى أسطول قوى فى البحر  
 بقدر ما هو قوى فى البر ، تموله فرنسا . جيش مستعد دائما ، تحت  
 قيادة قديرة ، مظفر فى أفريقيا والقرم وإيطاليا والصين ، شديد التعصب  
 لرايته . يمتلك جيادا ومدافع ومؤونة وذخائر حربية بكميات هائلة ،  
 ومن ناحية أخرى : حواريز . من ناحية ، امبراطوريتان ، ومن ناحية  
 أخرى رجل واحد ، رجل معه حفنة من الرجال . رجل مطارذ من بلد  
 الى بلد ، ومن حلة الى حلة ، ومن غابة الى غابة ، يترصده رصاص المحاليس  
 العسكرية المزدولة ، مطارذ ، متسكع ، مرتد الى الكهوف وكأنه حيوان  
 متوحش ، محصور فى الصحراء ، رصدت جائزة لمن يقبض عليه ،

جنرالاته نفر من البائسين ، وجنوده من اصحاب السياب الرنة المهليلة .  
لا مال معه ولا خبز ولا بارود ولا مدفع ، يتخذ من الادغال قلعا .  
الاغتصاب هنا يسمى عملا مشروعا ، والحق هناك يسمى لصوصية .  
الاغتصاب ، وعلى رأسه خوذة ، وفي يده حسام الامبراطور ، يحييه  
الأساقفة ، يدفع أمامه ويجر خلفه جميع الفرق العسكرية . أما الحق فهو  
وحيد وعار . أنت الحق ، وقد قبلت النزال .

واستمرت المعركة ، معركة فرد واحد ضد الجميع ، خمس سنوات .  
ولما أعوزك الرجال ، اتخذت من الأشياء قذائف . كان الجو الشديد الغسوة  
عونا لك ، وشمسك تابعة لك . اتخذت للدفاع عنك البحريرات التي  
يستحيل عبورها ، والجنادل التي توجع بالتماسيح ، والمستنقعات الملائى  
بالحيات والنبانات السامة والحصى الصفراء المنتشرة فى المناطق الحارة ،  
والقعار المائلة ، والرمال الشاسعة التى لا ماء فيها ولا عشب ، والتي نموت  
فيها الخيول من الجوع والعطش ، وهضبة « أناهوك » . الكبيرة الصارمة  
الحصينة بتجردها كإقليم قشتالة ( باسبانيا ) ، والسهول ذات الوهاد التي  
ترجها الهزات البركانية ، من كوليفا الى نيفادو دى تولوكا . واسنعت  
بحدودك الطبيعية ، سلاسل جبال الأند ( الكورديلير ) الوعرة ، والسدود  
البازلتية العالية ، وصخور البورفير (١) الضخمة . لقد أضربت حرب  
الجبابرة ، فاتخذت من الجبال عدتك للقتال .

وذات يوم ، بعد انصرام أعوام خمسة فى دخان وتراب وعمى ، تندت  
الغمامة ، ورأينا الامبراطوريتين صريعتين ، ولم يعد ثمة أثر للملكية ولا  
للجيش ، وصار الاغتصاب الفاجر اطلالا خربة ، وفوق هذا الدمار رجل  
واقف هو فواريز ، والى جانب هذا الرجل ، الحرية .

لقد فعلت هذا يا خواريز ، وانه لعمل عظيم . وبقي عليك أن تعمل  
عملا أعظم .

اسمع أيها المواطن ، رئيس جمهورية المكسيك .  
لقد جدلت الملكيات تحت وطأة الديمقراطية ، وأريتها قوتها ،  
والآن أرهم جمالها . أعرض الشفق بعد الصواعق ، أعرض الجمهورية التي  
تبقي على حياة الناس بعد حكم القياصرة الذى يذبحهم . أعرض الشعب  
الذى يحكم على الملكيات المتفصبة المدمرة ، ويعدل فى حكمه . أظهر المدنية  
للهمج والمبادئ للطغاة . أشعر الملوك بالذلة والهوان أمام أنوار الشعب  
السلطاعة ، وأفضى عليهم بالرفقة والحنان .

(١) البورفير نوع الرخام الشديد الصلابة ، لونه احمر أو اخضر ، ومبرقش -

الترجم .

المبادئ» تندعم خاصة بحمايتنا لأعدائنا . وعظمه المبادئ، في الغاصى والتجاهل . الناس لا أسماء لهم أمام المبادئ ، إنما هم « الانسان » . فحسب . والمبادئ لا تعرف الا نفسها ، فهي في سداًجتها السامية لا تعرف سوى أن الحياة البشرية مصونة من كل اعتداء .

ايه لك ايتها الحقيقة الموقرة في عدم نحيزها ! يا لجمال الحق من غير تمييز ، الحق الذي لا يهيم غير أن يكون حقا !

من أهم الأشياء أن ننبد أسلوب العنف هذا ، أسلوب القتال . خاصة أمام أولئك الجديريين بأن يموتوا بحكم الشرع . ان أبدع انقلاب يقع لآلة الاعدام ، هو الانقلاب الذى ينم أمام المحكوم عليه .

ضع مبدأ ينقذ هذا الذى اعمدى على المبادئ ، ويكون له فيه السعادة ، كما يكون له فيه الحزى والعار ! وليركن الى الحق ، هذا الذى يضطهد الحق . فاذا جردته من حصانته الكاذبة ، حصانته الملكية ، كشفت عن الحصانة الحقيقية ، الحصانة الانسانية . وانه ليذهل حين يرى أنه قد كرس أمبراطورا من وجه غير وجهه الأمبراطورى . ليعلم هذا الأمير الذى لم يشعر بانسانيته أن فى شخصه تعاسة ، تعاسة الأمير ، وفيه جلالا ، جلال الانسان .

لم تسنح أبدا فرصة رائعة مثل هذه الفرصة . أيجرؤ أحد أن يصرع بيريزوفسكى فى وجود ماكسيميليان السلميم المعافى ؟ لقد أراد الأول أن يقتل ملكا ، وأراد الثانى أن يقتل أمة .

أى خواريز ، فلتخط بالمدينة هذه الخطوة الهائلة ، أى خواريز ، الخ عقوبة الاعدام من على وجه الأرض .

وليشهد العنالم هذه المعجزة : الجمهورية وفى قبضتها قاتلها الامبراطور . وفى اللحظة التى تم فيها بسحقه . تدرك أنه انسان ، فتختلى سبيله وتقول له : أنت من الشعب مثل غيرك ، فاذهب !

هناك يا خواريز ، سيكون ثانى نصر لك . كان انتصارك الأول على الاغتصاب نصرا مبيها ، أما انتصارك الثانى ، بالتسامح مع المقتصب . فسوف يكون نصرا ساميا .

نعم ، هؤلاء الملوك الذين غصت سجونهم بالنزلاء ، وتلطخت ما عندهم من آلات الاعدام بدماء القتلى ، ملوك المشانق والمنافى (١)

(١) جمع مسمى - المترجم .



والمعاقل وفيافي سيبيريا ، هؤلاء الذين يملكون بولندا ، وأولئك الذين ييدهم هافانا ، وكريت ، أولئك الأمراء الذى بنصاع لهم الفضاة ، والقضاة الذين يطيعهم الجلادون ، والجلادون الذين يمتثلهم الموت ، وهؤلاء الأباطرة الذين يقطعون رؤوس الناس بسهولة ، بين لهؤلاء كلهم كيف يمكن الأبقاء على رأس امبراطور .

اكتشفوا عن قانون النور ، فوف مجموعات القوانين الملكية كلها حيث قطرات الدم تتساقط ، ولينصر وسط أظهر صفحة من صفحات الكتاب المقدس أصبح الجمهورية موضوعة على هذا الأمر الإلهى الذى يقول : « لا تقتل ... » .

• هذه الكلمات الثلاث تتضمن الواجب .

• والواجب ستؤديه .

سوف يخلص المغتصب . أما المحرر فانه لم يسلم مع الأسف ! فمنذ تسانية أعوام ، فى الثانى من ديسمبر عام ١٨٥٩ ، تحدثت باسم الديموقراطية ، وطالبت الولايات المتحدة بحياة جون براون ، ولكن لم أستطع انقاذ حياته . واليوم أطالب المكسيك بحياة ماكسيميليان . فهل يا ترى أحصل عليها ؟ نعم ، وربما قد تم خلاصها فى هذه اللحظة .

ان ماكسيميليان يدين بحياته لخواريز

وقد يقول بعضهم : والعقاب !

العقاب ، ها هو :

سوف يعيش ماكسيميليان « بموجب العفو الصادر من الجمهورية »

أوتفيل هاوس فى ٢٠ يونية ١٨٦٧

( فيكتور هوجر )

حرر هذا الخطاب وأرسل فى ٢٠ يونية ١٨٦٧ . وفى اللحظة نفسها ، أى فى الوقت الذى كان فيه فيكتور هوجر يكتب هذا الخطاب ، جرى فى باريس العرض الأول لاعادة مسرحية « هيرنانى » . ونشرت الصحف الانجليزية والبلجيكية الخطاب الموجه الى خواريز فى يوم ٢١ يونية . وفى الوقت نفسه أرسلت برقية من لندن عن طريق سفارة النمسا وبأمر خاص من الامبراطور الهرم فرديناند الثانى تخطر خواريز أن فيكتور هوجر طلب العفو عن ماكسيميليان . ووصلت البرقية متأخرة بعد تنفيذ الحكم بالاعدام فى ماكسيميليان . وفقدت الجمهورية المكسيكية بهذا العمل فرصة عظيمة للمجد والفخار .

## ٤

### فولتير

فى عام ١٨٦٧ ، افتتحت صحيفة « لوسبيكل » اكتتاباً شعبياً  
لاقامة تمثال لفولتير وأرسل فيكتور هوجو قائمة تبرعات جماعة المنفيين  
فى جيرنسى ، وكتب لمحرر جريدة توسبيكل :

الاكتتاب من أجل اقامة تمثال لفولتير واجب عام .

فولتير رائد

انه حامل سبعة القرن الثامن عشر ، فهو يتقدم النورة الفرنسية  
ويعلن عنها . انه نجم ذلك الصباح العظيم .

كان القساوسة محقين حين أطلقوا عليه لقب لوسيفير (١)

( فيكتور هوجو )

---

(١) ايليس - المترجم .

## جون براون

نظم مديرو جريدة باريسية اسمها « لاکوؤبراسيون » ( النعاون )  
 منذ بضعة شهور اکتتابا محمدا ببيني (١) واحد لتقديم وسام لأرملة  
 ابراهام لنكولن \* وعندما تم لهم تحقيق هذا الغرض ، فتحوا اکتتابا مائلا  
 من أجل تقديم تذکار من هذا القبيل لأرملة جون براون ، وارسلوا الخطاب  
 الآتی الى فيكتور هوجو :

( برينه أوروبا )

باريس في ٣٠ يونية ١٨٦٧

سيدي

نظمتنا اکتتابا بعشرة سنتيم لاهداء وسام لأرملة جون براون .  
 ولا بد أن يدرج اسمك على رأس قوائمنا \* وقد قمنا من تلقائنا بدرج  
 اسمك في رأس القوائم \* لك تحياتنا الأخوية واحتراماتنا \*

بول بلان

احد مديري صحيفة « لاکوؤبراسيون »

فأرسل فيكتور هوجو الرد التالي :

سيدي

أشكرك

اسمى لمن يريد أن يستخدمه في سبيل التقدم والحقيقة \* الوسام  
 للنكولن يستخدمى وساما لجون براون \* فلنوف بهذا الدين حتى تسدد  
 أمريكا دينها \* وأمريكا مدينة لجون براون بتمثال في مثل علو تمثال  
 واشنطنون \* لقد أسس واشنطنون الجمهورية ، أما جون براون فإنه أقام  
 دعائم الحرية \* وانى لأشد على يدك مصافحا \*

أوتفيل هاوس في ٣ يولية ١٨٦٧

( فكتور هوجو )

(١) عملة انجليزية تقدر بـصه مليمات - المرجع \*

## عقوبة الاعدام الفاؤها في البرتغال

« من المعروف ان ملك البرتغال الشاب دون لويز دى نوروجال قد تفضل قبل أن يبادر بلاده لزيارة المعرض العالمى بالتوقيع على قانون اقره مجلسا البرلمان بالغاء عقوبة الاعدام .

« وقد أتاح هذا الحدث الخطير فى تاريخ المدينة تبادل الرسائل اللتين نطالعهما فيما يلى بين أحد نبلاء البرتغال وبين فيكتور هوجو » .  
( صحيفة بريد أوروبا « فى ١٠ أغسطس ١٨٦٧ )

### الى السيد فيكتور هوجو .

لشبونة فى ٢٧ يونية ١٨٦٧

فزنا بنصر عظيم . بل ان المدينة قد خطت خطوة جبارة .  
وفاز التقدم بأساس آخر متين ! واشتد اشراق نور المعرفة ، وارتدت  
الظلمات على أعقابها .

فازت الانسانية بنصر مبين . ولسوف تهنئى الأهم الحقيقة . نهنتها  
الواحدة بعد الأخرى ، وتتعلم الشعوب كيف تعرف أصدقاءها الحقيقيين .  
أصدقاء الانسانية .

استاذى ، ان صوتك الذى يصل دائما الى الأسماع حين يتحتم الدفاع  
عن مبدأ كبير ، أو تسليط الأضواء على فكرة كبيرة ، أو الاشارة بأنبال  
الأعمال ، صوتك الذى لا يكمل أبدا من الدفاع عن قضية المظلوم ضد  
الظالم ، والضعيف ضد القوى ، صوتك الذى ينصت اليه الانسان  
بانتمرام ، من الشرق الى الغرب ، والذى يصل صدهاء الى كل مكان ، الى  
أقصى بقاع العالم ، صوتك الذى كثيرا ما ارتفع قويا حازما رهيبا ،  
كصوت نبي عملاق من أنبياء البشرية ، حتى وصل الى ها هنا ، وفهمه

الناس ، مخاطب القلوب ، ونرجم الى حدث كبير ٠٠٠ في هذا الركن الذي هو الى ذلك مكان مبارك ، يكاد لا يبين في أوروبا ، بقعة « مجيرية » ، ( لا نراها العين المجردة ) في العالم ، في هذه الأرض الواقعة في الغرب الأقصى ، والتي كانت ذائعة الصيت في الزمان الماضي . واستطاعت أن ندون صفحات لامعة لا تمحي في تاريخ الأمم ، وفتحت نفور الهند لتجارة العالم ، وكشفت الحجاب عن بقاع غير معروفة ، وتكاد أعمالها العظيمة أن تكون اليوم منسية ، وكأنها قد أمحت ، محنها الغزوات الاخيرة التي أنجزتها المدنية ، وبالإجمال ، في هذه البقعة التي تسمى البرتغال .

لم لا ينهض الصغار الأذلاء في هذه الآونة التي يدنو عيها القرن التاسع عشر من نهائيه ، ليصيحوا في وجه الكبار الأقوياء قائلين : الانسانية نثن ، فلنبعثها حية ، الانسانية تضطرب فلنهدتها ، الانسانية توشك أن نفع في الهاوية فلننقذها !

لم لا نستطيع الشعوب الصغيرة أن نرسد الكبيرة الى طريق الكمال ؟  
لم لا نستطيع ، بحجة أنها صغيرة فحسب ، أن تعلم الشعوب القوية طريق الواجب ؟

البرتغال اقليم صغير بلا شك ، يبيه أن شجرة الحرية قد ازدهرت فيها بقوة من قديم الزمان . البرتغال اقليم صغير بلا ريب ، ولكننا لا نجد رقيقا واحدا ، ولكنها ، كما قلت أمة عظيمة .

أستاذي ، أؤف اليك أننا قد وزنا بنصر عظيم .

لقد أقر مجلسا البرلمان أخيرا الفاء الاعلام . هنا الالف الذي كان موجودا منذ عدة سنوات وجودا واقعيا ، أصبح اليوم حقيقة قانونية . انه قانون بالفعل ، قانون كبير في أمة صغيرة . فيالها من فدوة حسنة ، وباله من درس مقدس !

تقبل من صديقك المخلص وتلميذك المتواضع فيلاته واحرامانه .  
سدرو دي بورتو ادائها

الى السيد بيدرو دي بريتو أرائها

اوتفيل هاوس في ١٥ يولية

خفق قلبي من تأثير خطابك النبيل . وكنت على علم بالحجر العظيم ، ففرحت حين تلقيت عن طريقك هذا الصدى اللطيف .

لا ، ليس هناك شعوب صغيرة • بل هناك اناس صغار مع الأسف !  
وهم أحيانا قادة الشعوب الكبيرة •

الشعوب التي بها طغاة كالسبوع المكممة الأفواه •  
اننى أحب وأمجد برنالكتم الجميلة العزيزة • انها حرة ومن ثم فهي  
عظيمة •

لقد ألغت البرتغال عقوبة الاعدام •

وانجاز هذا السقدم ، انما هو انجاز خطوة المدنية الكبيرة •

أصبحت البرتغال منذ اليوم على رأس أوروبا •

ومازلتم دواما ، أيها البرتغاليون ملاحين بواسل ، تتقدمون دائما :  
تتقدمون فى المحيط فى الزمان الماضى ، وتتقدمون اليوم فى عالم الحقبنة •  
اعلان المبادئ، شئ أبعد من اكتشاف العوالم •

واننى أصيبح : المجد للبرتغال ، ولكم الحظ السعيد !

وأشد على يدك الصديقة •  
ف.هـ •

## هيرنانى

تشكل أحكام النفي من تفاصيل منوعة لا بد من تسجيلها مها كانت وضاعة الأمر بهذه الأحكام . ويستكمل التاريخ بنيانه بهذه الطرائف . من ذلك أن السيد لوى بونايرت لم يحكم بالنفي على فيكتور هوجو وحده ، وإنما نفى أيضا « هيرنانى » . نفى كل مسرحيات الكاتب المنفى . فلا يكفى نفي الانسان ، بل لا بد أيضا من نفي فكره . بل انهم كانوا يريدون نفي ذكراه . وكانت صورة فيكتور هوجو مئ سسه ١٨٥٣ تعتبر ضربا من التمرد ، وخطر على السيد بيلفى والسيد ماريسك نشر صورته على مقعدة طبعه جديدة عرضها للبيس .

وتنتهى الصغائر بأن تبلى وتخلق . لذلك نفذ صبر الرأى العام وطالب بما يريد . وفى عام ١٨٦٧ ، صرح السيد بونايرت بمسرحية « هيرنانى » فى مناسبة المعرض العالمى .

وسرى فيما بعد أن هذا الصريح لم يستمر طويلا . ومد الحظر الدانى لم تظهر هيرنانى على المسرح الفرنسى . وتقول ضمنا ان الكثير من الأشياء التى عملتها الامبراطورية ، تبدو اليوم ونحن فى عام ١٨٧٥ ، ولها قوة القانون فى عهد الجمهورية . وجههويتنا تحيا فى ظل الأحكام العرفية ، وتتناهى مع الرقابة ، ولا يسوؤها قليل من النظام الامبراطورى ممتازجا بالحرية . ولم تزل مسرحيات فيكتور هوجو ممنوعة من العرض تقريبا نقول « تقريبا » لأن ما كان صريحا فى عهد الامبراطورية أصبح مستترا فى عهد الجمهورية . كل ما هنا لك أن الصراحة قد ضعفت بعض الشيء . ويبدو أن المسارح الرسمية تتخذ من فيكتور هوجو موقف الحظر على أعماله ، وتمارس هذا الحظر فى سكون . ومع ذلك تنفجر الطبيعة العسكرية فى بعض الأحيان ، وتتبدى الرقابة فى سداجة عسكرية فتعترف بما فيها من صفات . ويكف الرقيب العسكرى الفظ الطباع عن تلك المظاهر الساذجة ، مظاهر التحشم البلاء التى يتجلى بها الشرطى المدنى .

فيظهر على حقيقته . من ذلك أن السيد الجنرال « لادميرو » لم يستخف حين منع عرض مسرحية « الملك يلهو » بمقتضى الأحكام العرفية . بل انه لم يهتم البتة بأن يفسر كيف أن تريبوليه (١) عرض « ماري الأكون » (٢) للخطر . إذ نراه له هذا الأمر حقيقة واضحة ، واكتفى بذلك ، وكان لا بد لنا أن نكتفى نحن أيضا بذلك .

وتنذكر أنه حدث منذ سنتين أن قام موظف آخر ، وهو مأمور مركز لجو مسرحية « الشيخ » عن اعلانات مسرح من المسارح العلمية ، وصرح بأنه يجب . لنشر أى كلام عن مسرحيه من مسرحيات فيكتور هوجو . الحصول على إذن خاص من وزير الداخلية . ينجدد لكل حفلة مسائية . ولنعد الى عام ١٨٦٧ .

أعيد عرض « هيرنانى » فى ٢٠ يونية ١٨٦٧ فى نفس اللحظة التى كان فيها فيكتور هوجو يتشفع من أجل ماكسيميليان . وأرسل اليه بعض الشعراء الشبان الذين نطالغ أسماءهم فيما يلى الخطاب التالى :

أيها الأسناذ الجليل العزيز

استقبلنا إعادة عرض مسرحيتكم « هيرنانى » على خشبة المسرح بهتافات حاسية شديدة . وكان للنصر الجديدي الذى ناله أعظم شاعر فرنسى رنة فرح كبيرة فى نفوس شباب الشعراء كلهم ، وسوف يكبر يوم ٢٠ يونية هذا يوما تاريخيا مشهودا فى حياتنا .

ومع ذلك فقد شاعت فى هذا الحفل سخابه من حزن ، إذ كان عبايكم عنه مبعث ألم لرفاتكم فى الكفاح المجيد عام ١٨٣٠ ، فلم يستطيعوا أن يضافحوا يد الأستاذ الكبير الصديق ، وكان عبايكم مع ذلك أشد ايلاسا لنفوس الشبان الذين لم يحظوا أبدا بمصافحة تلك اليد التى كتبت « أسطورة القرون » . وقله صموا أن يعنوا اليك على الأقل ، أيها الأستاذ الجليل بآيات ولائهم الشديده واعجابهم الذى لا حد له سمالى برودوم ، أرمان سيلفستر ، فرانسوا كوبيه ، جورج لافونيستر ، ليون فالاد ، ليون دبيركس ، جان ايكار ، بول فدرلين ، بيرمبرا ، أندره تورييه ، أرمان رينو ، لوى كزافييه دوريكار ، هـ . كازاليس ، ايرنست ديرفيللى .

---

(١) تريبوليه ( المشهور بلوهوريال ) مهرج لويس الثانى عشر وفرانسوا الأول  
١ بومى حوالى ١٥٢٨ ) - المترجم .  
(٢) القديسة مارجسريت ماري « الأكون » . راصة ( ١٦٤٧ - ١٦٩٠ ) .  
شرت شعار « ساكر كود » ( القلب المقدس ) - المترجم .



واجاب فيكتور هوجو قائلا :

بروكسل فى ٢٢ يولية ١٨٦٧

أيها الشعراء الأعزاء

الثورة الأدبية لعام ١٨٣٠ ، المترتبة على ثورة ١٧٨٩ حدث من أحداث القرن الحاضر وأنا جندي متواضع من جنود هذا التقدم ، أقابل من أجل الثورة فى جميع أشكالها ، فى شكلها الأدبى ، والاجتماعى ، مبدئى الحرية ، وقانونى التقدم ، ونمطى المل الأعلى .

لست شيئاً يذكر ، ولكن الثورة هى كل شئ . لقد استقرت دعائم شعر القرن التاسع عشر . كان عام ١٨٣٠ على حق ، وتجل ذلك فى عام ١٨٦٧ . وسمعتكم الطيبة الفتية برهان على ذلك . ولعصرنا منطق عميق لا تدركه النفوس المسطحية ، ولا سبيل لآى رد فعل أن يعمل ضده . والفن الكبير جزء لا يتجزأ من هذا القرن . انه روحه .

ولسوف يزداد النور اشراقاً بنصالكم أنتم . أصحاب المواهب الجميلة الفتية ، والنفوس النبيلة . كان من نصيبنا نحن الكبار الكفاح أما أنتم الشباب فسوف يكون لكم النصر .

ان روح القرن التاسع عشر لتقرن السعى الديموقراطى وراه الحقيقة بقانون الجمال الأبدى . وتيار عصرنا الذى لا يقاوم يقود كل شئ نحو هذا الهدف الأسمى ، نحو الحرية فى الممارك ، والمثل الأعلى فى الفن . واذا صرفنا النظر عن كل ما هو لاصق بشخصى ، رأينا بالتأكيد أن الاتحاد قد تم بين جميع الكتاب ، والمواهب ، والمدارك من أجل تحقيق هذه النتيجة الرائعة . ويريد الشباب الكريم ، وأنتم منه ، بحماسة عظيمة . أن يحقق الثورة الشاملة ، فى الشعر ، كما يحققها فى نظام الدولة . فلا بد أن يكون الأدب ديموقراطياً ومثالياً فى وقت واحد ، ديموقراطياً من ناحية الحضارة ، ومثالياً من ناحية الروح .

المسرحية هى الشعب . الشعر هو الانسان . وهذا هو اتجاه عام ١٨٣٠ الذى واصلتم السير فيه ، واستوعبه النقد العظيم فى وقتنا الحاضر . وانى لأؤكد أنه ليس ثمة جهه رجعى بقادر على التغلب على هذه الحقائق . فالنقد السامى على اتفاق مع الشعر السامى .

وانى ، على قلة شأنى ، لأشكر وأهنئ هذا النقد السامى الذى يتحدث بثقة ومقدرة فى الصحافة السياسية والأدبية ، ويتمتع بإدراك عميق لفلسفة الفن ، ويهتف بالاجماع لعام ١٨٣٠ كما يهتف لعام ١٧٨٩ .

وتقبلوا شكرى انتم أيضا ، يا زملائي الصغار .  
وفى هذه المرحلة من الحياة التى أمر بها ، أبصر بوضوح النهاية ،  
أى اللانهاية . وعندما تصبح هذه النهاية وشيكة ، لا تترك مبارحة هذه  
الأرض فى نفوسنا سوى هموم قاسية . ومع ذلك فقبل أن يبدأ هذا  
الرحيل المعزّن الذى أعد له العدة فى وحدتى هذه ، يسعدنى أن أنلقى  
رسالتكم البليغة التى تجعلنى أحلم بالعودة بينكم ، وتبعث فى نفسى وهما  
بتلك العودة . فما أحلى الشسبه بين الغروب والشروق انكم ترحبون  
بشخصى ، أنا الذى أستعد للقاء الإله القدير .

شكرا . أنا الغائب من أجل الواجب . عزمى قوى لا يتزعزع ،  
ولكن قلبى معكم .

وانى لفخور بأن أرى اسمى محاطا بأسمائكم . ان أسماءكم أكليل  
من النجوم .

فيكتور هوجو

## ٨

### مثنانا (١) الى جاريبالدى

هؤلاء الشبان ، اولاد برتوس وكامبى ،  
وترازياس ، كم كانوا ؟ أربعة آلاف •  
كم مات منهم ؟ ستمائة • احصوا ، انظروا •  
شтан من أشلاء بترتها القنابل ،  
أذرع مقطوعة ، عيون سود مثقوبة ،  
بطون تنهشها ذئاب تعوى خرجت من مراضها ،  
لحم آدمى مضروب بالرصاص وسط الأيكات •  
هذا كل ما تبقى بعد الخيانات ،  
بعد الفخاخ ، بعد الكمائن المشيئة ،  
واحسرتاه لتلك القلوب الكبيرة والنفوس العظيمة !  
انظروا ، لقد حصلوا بالمناجل •  
جريمتهم ؟ أرادوا روما وما بها من أقواس النصر ،  
كانوا يدافعون عن الشرف والحق ، عن هذه الأوهام •  
اقتربن أيتها الأمهات ، تعرفن على أولادكن !  
فالإنسان دائما هو ابن من أرضعته •  
انظروا ، هذا الجبين الزائع الذى اخترقته رصاصة شدخته ،  
انه الرأس الأشقر المسكين الذى كنت أيتها المرأة المسكينة ،  
تربينه فيما مضى يتلأأ فى الشفق ، وينبلج فيه الروح •

---

(١) قرية ايطالية بالقرب من روما ، انهزم عندها جاريبالدى أمام الجيش البابوية  
والفرنسية فى ٣ نوفمبر ١٨٦٧ ، المترجم •

هاته الشفاء التي لطح العشب زبدها ،  
 هذه اليد الباردة ، بالقرب من تلك الأجنف المنقلقة ،  
 كانت تفجر لبنك بين أصابعها الوردية .  
 ما هو ذا المولود الأول ، وما هو ذا المولود الأخير .  
 ايه أيها الأمل الذي خبا ، فأصبح كومة تعسة !  
 ادمع غزيرة ! كانوا أحياء ، وطالبوا بنهر النبير ، نهرهم .  
 الشباب لا يكتمل ، من غير حرية ،  
 أرادوا التحرير ، والترميم ، العزاء ،  
 وكان كل واحد منهم يعاني في نفسه ، في ورع وإيمان  
 جماع الإهانات التي يعايتها الوطن .  
 كانوا يعرفون حساب كل شيء ، فيما عدا الأعداء .  
 واحسرتاه ! ها أنتم اذن نائمون نوما أبديا !  
 اتقضت سويعات النور والحب .  
 فلن نقطفوا مع خطيباتكم ،  
 أوراق زهور المروج البانعة اللآلاء .  
 كم من دماء فوق هذا القس ، أيها المسيح الشاحب اللون



حبر عظيم مختار ، مسه الملاك بخصوصته ،  
 امره الله أن يمسك برقة وهدوء ،  
 اتجبله مفتوحا على العالم اليتيم .  
 أيها الأخ ، أتح الناس كلهم ، ذو الرداء الكثناني ،  
 نصفك على المنبر ، ونصفك الثاني في القبر .  
 حادم الحمل ، وحارس الحمام ،  
 أنت الذي تحمل من السماوات زنبقة ترتجف في يدك .  
 أيها الانسان الداني من نهايتك ، لأن جبينك ناصع البياض ،  
 وهواء القبر يتلاعب بين شعرات رأسك ،  
 أنت يائائب ذلك الذي كان يعرض خده الثاني ،  
 يامن تنثر الغفران بلا حساب ،

ان ما يتلج صدرك فى هذه الساعة . وما بباركه  
على أرضنا الظلماء حيث تناضل الروح البشرية ،  
انما هي بندقية تقتل أننى عشر رجلا فى الدبقه ا

## ١

ويظهر يوليوس النانى (١) تحت تاجه الأسقى الحديدى  
وأخيرا تؤيد البابوية الشرسة الجحيم .

حفا ، لقد قامت أداة الموت بمهمتها خير قيام .  
وهؤلاء المنوك ! صاعقنهم خائنه ، ورعدهم جبان .  
كنتم أيها الفرنسيون فيما مضى عظماء ، ما أثقل ذلك على النفس .  
كنتم فيما مضى واحدا ضد عشرة ، وأنتم اليوم عشرة ضد واحد .  
أيا فرنسا ، لقد جللوك بالعار ، وساقوك ، وربطوك ،  
وأجبروك على استعباد ايطاليا .  
هاك ما صنعوه بك ، أنت الماردة ، فريسة الأقرام !  
جدول يغلى ويسيل على سقح جبال الأينين .

## ٢

ياأيها الشيخ المنحوس ، ها أنت ذا مستول  
عن الرخمة التى تنبش الرمال لتخرج جمجمة ،  
وعن نعيق الغربان المشنوم !  
املتى من الآن خيالاته ، أيتها القبور ،  
والبقاع البشعة حيث تتجول بنات عرس ،  
وأشباح الطيور الجائمة على هياكل عظمية !  
فاذا نام ، اظهرى له يا ساحة الحرب المطلمة .  
المدافع ساخنة ، لقد أدت واجبها ،  
والمدفع الرشاش الذى دعى فلبى الدعوة وأنجز الوعد ،  
وانتهى كل شىء ، وقضى الموتى ، فلتقرأ القديس ،  
ولتتناول القربان المقدس بين أصابعك بعد أن تجففها قليلا ،

(١) نابا رومانى ( يوليان دو لاروفير ) من ١٥٠٣ الى ١٥١٣ - كان سياسيا كبيرا  
وانشترك فى حروب ايطاليا - المترجم .

اد لا يليق أن تلتخ الاله بالدم !  
 كل شيء مع ذلك بدع ففرنسا ليست فخورة ،  
 وملك بروسيا يضحك ، وأموال سان بير موفورة  
 والاييرلندى يبذل آخر قرش فى جمعته ،  
 ويستسلم الشعب ويركع على ركبته ،  
 ويتنتنى كما ينتنى العشب خشية أن يحصده أحد \*  
 ويسترد العدو فروزيون ، ويدخل فيتيرب ،  
 ويأمر قصر روسيا بإقامة شعائره الدينية \*  
 وفى كل واد استلقى فيه ميت شاحب اللون ،  
 جاء الجزر فرحا ينهسه ، ويرنجف خشية أن يتحرك الميت \*  
 هنا الأرض سوداء ، هنا السهول حمراء  
 لم يعد جازيبالدى سوى اسم خالده لاجدوى منه ،  
 مثل ليونيداس ، ومثل وليم تل \*  
 أما البابا فانه يضع كل جواهره فى سكستين وجيزى وكارم \*  
 وهو لرقه مشاعره ، ينتر دموع الفرح \*  
 انه وديع للغاية ، يتحدث عن نجاح أسلحته .  
 والدم المهرق ، والفرنسيين الطيبين ،  
 وكميات الرصاص التى يقذفها المدفع \*  
 وفى تواضع ، وعيناه مطرقتان ، كأعين الشعراء ؛  
 يتلقى من البعض رجاء بأن يتفضل بتلاوة أشعاره \*  
 الطرق مغطاة بمواكب الجرحى  
 والنصر يضحك فى كل مكان .  
 فائدة الخونة  
 بينما انت جالس أيها البابا على عرشك ، تحت مظلتك ،  
 بين اللآلىء ، والذهب والحريير ، وسط فرسانك  
 الذين كنت بالأمس تقودهم بأصبعك فى ميدان القتال ،  
 وعلى رأسك تاجك البابوى ذو الشعب الثلاث ،  
 تبصر أيها القس ذات يوم فى القاتيكان  
 رجلا حزينا يدخل عليك متسر بلا بشاب بالية ،

رجلا مسكينا لا يعرفه أحد • فتقول له .  
من أنت يا عابر السبيل ؟ ماذا تريد منى ؟ أخرج أنت من السجن ؟  
لماذا نرى هذه الفتل من الصوف على كتفك ؟  
وسوف يجيب الرجل قائلا : كانت شاه فوقها منذ قليل •  
أنا أت من بعيد • أنا اليسوع •

### ٣

فيد للبطل ! جيل للرسول !  
جون براون ، جاريبالدى ، مروا الواحد بعد الآخر •  
من هذا السجن ؟ انه بطل التحرير •  
على الأرض ، فى كل مكان ، من القطب الى خط الاستواء ،  
يسود الظلم ، وينتصر ، ويقود الضمير الانسانى  
بالقوة والجين والندالة •  
يا للمعجزات المخزية ! يا لقللة الحياء العجيبة !  
يتلقون الصفعات على أيدي السفراء ،  
يكبلون بالحديد ذلك الذى أحسن البنا •  
انت تعلم أنى لمتك لأنك أعطيتته هذا العرش !  
كان شريفا ، فأصبح شرطيا •  
انه مدين لمملكة ، ومن ثم يوفى دينه بالنفى •  
المراء خسيس • ولم لا ؟ فهو يؤمر بأن يكون خسيسا •  
فلنزحف على الأرض • أسلم للانسان أن يلحق سيده من أن يعضه •  
ثم ان كل شىء معقول • أين اللامعقول ؟  
السجن السحيق للمجد ، أما الجريمة فلها البخور •  
فهم تشكون ؟ لما كان صاحب الخزى هو صاحب المقام الرفيع ،  
فلا بد أن تكون الحقيقة زورا وبهتانا ، وهكذا يستقيم الميزان •  
يقال لاجندى : اضرب ! فلا بد له أن يضرب •  
الموت هو الخادم الكئيب الذى ينفذ أوامر الأقوى •  
ثم ان النسر قد يأتى ليساعد البجعة !

- ضرب الرصاص هو المبدأ . أما الايمان فهو الأمر
- ما الجندي في نظرنا ؟ حديد يحمله خادم
- يريد البابا نصرا كنصر سادوفا ، فليكن له ما يريد !
- ماذا اذن ؟ هل يبلغ الأمر بنا فى القرن الذى نعيش فيه ،
- ان نناقش القانون القديم الذى يفرض على الناس
- ان يطيعوا أميرهم . ويقتتلوا فيما بينهم ؟
- لم السمعى فى سبيل التقدم المزعوم ،
- مادام السوقة ثابتين على عاداتهم ؟
- ويتمتع الجمهور بأكبر قدر من الهدوء . لأن عندهم أقل قدر من المعرفة .
- ان كل المصالح الكبرى عند الشعوب ، كآلة الاعدام ،
- والحرب ، والميزانية ، والجهل الضرورى ،
- لاتتعرض الا للقليل من الأخطار ، وهى متوازنة عند الانسان
- المشدود الوفاق أكثر مما هى متوازنة عند الانسان الحر .
- الانسان الحر يتحرك ويسبب الاضطراب
- ورجل مثل جاريبالدى يستطيع أن يحطم كل شىء فى أية لحظة ،
- ويجر خلفه الجماهير التى تفر ،
- وتنتقل الى الملل الأعلى . وهذا شىء خطير .
- ومن المفهوم حقا أن المجتمع الذى يراعاه الملوك ،
- حقيق بأن يهتز ويرتعد ويصيح طالباً النجدة .
- اذا كان هناك بطل لم تغل يده عن البطش .
- وانظلام يتهم المنار بجريمة اللمعان .

## ٤

- لم يجد جاريبالدى الوسيلة المثلى لتعريف الأمور
- اليست غاية كل انسان فى هذه الحياة الدنيا
- ألا يكون غرا الا بأقل قدر مستطاع ؟
- الاستمتاع شىء جميل . والحياة رماية على مرمى .
- الضمير الحى فى الأسماك يرتجف ، وانى أرثى له .
- لاشىء يملك من الفضيلة أكثر مما تملك الخزائن المليئة .



من مصلحة الناس كلهم أن يكون هناك أمراء  
يتشرون الذهب فى الأقاليم .  
من أجل هذا يجب أن يكون المالك غنيا .  
ومن الواجب أن يقرر له راتب ضخم .  
أما البابا الذى يريدون أن يكون مكانه فى الكواكب  
فانه ملك كسائر الملوك ، فى حاجة الى القروش .  
يا للشيطان ! الرخاء هو قانون الكنيسة ،  
ولا بد من طلاء البابا بالذهب حتى يمكن اثبات وجود الله .  
أما أن يكون الانسان معدما لايملك حجرا يريح عليه رأسه ،  
فهذا خليق بيسوع المسيح . والأسماك الرنة عار .  
لنبحت المسألة من الوجهة الأخلاقية .  
ان غاية الكولونيل أن يصير جنرالا ،  
وغاية المارشال أن يكون قائدا أعلى للجيوش !  
ولنتكلم بصراحة . اننا نريد مرتاتنا قبل كل شيء .  
المتنكر لمبادئه مخطيء طالما لم يكن فى رتبة مشير  
فان كان مشيرا فهو على حق . المهم هو الفنى والانراء  
انظروا ، ها نحن نتمثل بأفراد ، أسرة هانوفر .  
أما هؤلاء اللصوص قطاع الطرق الذين يريدون أن يبقوا فقراء ،  
فانهم أعداء الشعب . ويل لهم ، الخارجين على القانون .  
انهم مثل سىء . اسجنوا هذا الصعلوك ،  
الذى كان حاكما مطلقا فلم يضع فى جيبه شيئا .  
عندما يمس الانسان الناقوس يصطدم بالمقرعة .  
وعندما يقترب من القسيس يجده جنديا خسيسا .  
ويح نفسى ، ليست البابوية موضوعا من مواضيع الفن  
فبالجسام فى اسبانيا ، وبالعصا فى ألمانيا .  
والرقابة فى فرنسا ، يخفون ويشذبون  
الاغراق فى الأحلام والميل الى الحق .  
الشعب عند الأمير حذاء شديد الضيق ،  
من المفيد توسيعه باستهلاكه فى المسيرات العسكرية .

ويستطيع صاحب النيافة ، بمواعظه الدينية الصارمه ، أن يلصق بالسما ، تلك القوانين التي نسميها عاسفة .  
 أما المجلدة ، فان اللاتينية تسميها « سيلابس » المنهاج ( النظام كل شيء . وبنسبة « شاسيو » حلوة  
 وانتقدم مبارك ، ولكن فيمن ؟ في الزواوى (١)  
 وكرات المدافع مباركة في طلقانها ، وابن آوى مبارك في جوعه ، اذا كان من أتباع البابوية .  
 أما نحن ، فانا نرى شيئا عظيما أن يسخر البابا من هذا الجيل الغبى ، ويحطم ويضرب .  
 وما أن يحاول بعضهم أن يأخذ منه ماله ، حتى ينقلب دون حياء شرطيا يجمع الجنود ، ويضرم نيران الحرب وبصيح : الموت للأحرار .  
 فليوص في عظة الأحد باستخدام قنقلة المدفع ، وليقل في ختام صلانه : اذبحوا !  
 وليرسل الى المحاربين عربات كثيرة مشحونة بالبارود والحديد والرصاص والمؤن ، ويغذى عمليات الإبادة في ميادين القتال .

## ٥

فليذهب اذن ! ليذهب حاملا تفويض الشعب له ، ليذهب ، هذا الفارس ، فارس الشعوب التائه ، هذا الجندي ، هذا الفارس المغوار ، حامى المنزل الأعلى ، ليرحل .  
 أما نحن المنفيين من أيتنا ، فانا نفتتح أبوابنا لهذا المنفى من اسبرطة ، وليكن اليوم ضيفنا وليدخل دارنا المظلمة ، وهو مشرق الأنوار .  
 نعم ، تعا أيها الأئح المكروب ، ان كل واحد منا ، يريد أن يجعل من منفاه وطنا لك !

(١) حندى فرنسي بلباس أهل الجزائر والمغرب - المترجم .

نعال ، اجلس مع أولئك الذين لم يعد لهم دار .  
 نعال ، أنت الذى استطاعو أن يهزموك ، ولم يستطيعوا أن يطروك  
 ولسوف نبحت عن اسم للأمل .  
 سوف نقول : ايطاليا ! فتجيب أنت قائلا : فرنسا .  
 وسوف ننظر الى النجوم وهى تشرق ،  
 ونحن نصبو الى نيل الحقوق ، فالليل يبعث الأحلام .  
 حب الانسانية يخالطه شئ ، من الحقد ،  
 يعادل نقل العبودية . وبرودة السلاسل ،  
 واكاذيب القسيس ، وقسوة الملك .  
 اننا نزار ونخيف . لماذا ؟  
 لأننا نحب . اننا نريد أن نرى كل هذه الرؤوس الصغيرة  
 ننمو وتشبب . نحن وحوش فى مرائبها ،  
 ولشعوب هى صغارنا  
 أنا وأنت يا أخى ، قد ألقوا بنا على نفس الصخرة ، ولكننا لم نغرق عندهما .  
 وسوف يحكى كل منا للآخر قصته .  
 سوف تحكى لى قصة باليرمو وانتصارك فيها ،  
 وسوف أحكى لك عن باريس ، وسقوطها ، وزفرائنا ،  
 ونقرأ معا هوميروس على حافة الأمواج ،  
 ثم نواصل سيرك القوى الجرى .  
 وهناك يتحول البريق حريقا .

## ٦

أه ! أيها الشعب الايطالى ، لقد كان دعامتك .  
 أه ! أيها الشعوب ، كنت ستظفرين بروما بفضلها ،  
 بفضل ذراع المحارب ، بفضل قلب النبي .  
 كان حقيقيا أن يعطيها اباكم أولا ، ثم يصلحها بالتالى .  
 نعم ، انه فى هدوئه ، وفى عظمته التى تكفى  
 لأن تلحقه دون صعوبة بالأبطال الغابرين  
 كان خليقا بأن يعيد بناء روما ، وأن يمزج

أمتولة القبر القديم بأمتولة المعبد العديم ،  
كان خليقا بأن يجمع بين تورين وبيزا وألب وفيلابنرى ،  
ويجمع الكاينول بعيزوف ، ويعجن ،  
روح جوفينال بروح دانتى ،  
ويزيد من صلابة معدن الاستقلال  
ويريكم الطرق المجيدة ، طرف الجبايرة \*  
أبكوا أيها الايطاليون ، انه كان خليقا بأن يجعلكم من الرومان \*\*

## ٧

وتم ارتكاب الجريمة \* من ارتكباها ؟ هذا البابا ؟  
لا ، هذا الملك ؟ لا ، السلاح يقلت من سواعدهم الهزيلة \*  
من المذنب اذن ؟ انه الرجل الغامض  
الذى نربص خلف حائطنا  
انه ابن « سينون » الاغريقى ، وابن يهودا الاسخريوطى  
ذلك الذى ترصد للجمهورية مبسما ،  
وايمانه فى جبينه ، وخنجره فى يده \*  
انه بينكم ، أيها الملوك ، أيتها الجماعة التى تكاد تتجرد من الانسانية ،  
رجل يرمقه البرق من حين الى حين \*  
هذا المدان ، الذى يصاعف حوله الحرس  
يضيع جهده سدى \* ان دوره يعرب \* منى ؟ عما هرب \*  
ولهذا نسمع هديرا فى الأعالى \*  
الظلام فوق قصوركم أيها الملوك ، لقد جاء به الليل \*  
الرعد يطلب أن يتحدث الى أحدكم ،  
وكانه الجلال جاء يفرع بأبكم  
وفى هذه الانناء تفوح رائحة الموتى البشعة ،  
ممتزجة بدخان البخور الذى يرفع مع تسبيحات السكر لله ،  
تفوح من اغوار الغابات وأعماق المروج الملأى بالحنائش ،

من البرارى والمستنقعات ويطون الوديان ، ومن كل مكان !  
 وبشم الانسان ابخرة القبور المعنة فى شوارع باريس الناصية ،  
 وفى المكسيك وبولنده وابطالبا والكريت التى يهبط عليها الليل .  
 كما لو كانت المنايح الحمراء قد تفتحت أزهارها ،  
 فى سَجرة الموت النامية فى أرض مجتونة ،  
 فقد حان أوان ازدهارها ،  
 على الكرة الأرضية ، وتحت القبة السماوية .  
 قنتلى فى كل مكان ، ودبجى فى كل مكان .  
 الجثة ملقاة على الأرض . والفكرة قائمة .  
 الجثث سنلقة فى السهول الوحشة ،  
 والدعوة الى السلاح برقرُف على شفاهها .  
 وكان هذه الجثث مبنوأة ، وهى بالفعل مبنوأة .  
 أما خط المحراث فاسمه الحرية ، وأما الموت فاسمه ربح الشمال العاصفة .  
 وأما الموتى الأهمجاد فهم الحبوب النيبيله التى ينثرها  
 الموت بعيدا فوق المستقبل ، فوق الهاوية .  
 انهضوا أيها الأبطال ! وأنت أيتها الجنت ، تعفتى .  
 أد عملك . أيها السر الغامض . أما هؤلاء البائدون ،  
 المشتتون ، العرايا ، الشعث ، الفاغرو الأفواه ،  
 الذين يعرضون على السماء أذرعهم المقطوعة المدلاة ،  
 كل هؤلاء البائدين الجامدين ينتظرون .

وبينما يقيم الملوك الفرعون المخربون  
 حفلا مهيبا مظفرا فيما بينهم  
 وبينما تقصف آلتهم فى بطون السحب ،  
 بالموسىقات والأعياد والضحكات والأغانى ،  
 وتعرض على المأل السعيد ، فى جبهاتنا ،  
 اخاء القياصرة والسلاطين .  
 يتآخى النسر من ناحيته مع الموت ؛ هناك !  
 بعيدا فى الصحراء ، فى الظل ، تحت ربح الشمال الباردة .

هناك تتقابل دواب القبور مقابلتها الدينية .  
هناك الغراب ، والإنوق الأنوص . والنسر الأصهب ،  
والرخمة الشرهة ، والبواشن . والخطاطيف الضارية ،  
تطير بأقصى سرعتها بأسطة أجنحتها ،  
فاصدة تلك المجازر حيث جنب الموتى  
فتنقض هذه الطيور الشرسة عليها ،  
ينهش بعضها اللحم ، ويعض بعضها العظم  
مولولة . ينادى أحدهما الآخر . والنار نحت أبقانها  
وتقبل على شرب الدم الذى يسيل بين الحجارة



أيها الشعب الغارق فى سباته ، متى تصحو ؟  
ان الرقاد المصل لا يلىق بمن قصته القواصم ،  
انتم نائم . ودمك على يديك ، والندبة على جسدك  
الندبة التى خلفها الخندق الخشن واللعين  
وأثر الجبل الذى كان ملفوفا حول رسغيك  
ماذا فعلت بروحك ، انت يامن اضطرمت غيظا ؟  
الامبراطورية كهف . وكل صتوف الليل ،  
نمسكك فى دياجيرها الكثيفة .  
وتنام ناسيا كل نبي : مجدك ، والدسائس ،  
والحرية ، والحق ، والانوار العلوية .  
وتغلق عينيك منتاقلا . مستلقيا تحت اغطية بشعة ،  
لاتبالي بالاهانة التى تلقىها للنجوم !  
هيا ، تحرك ، هيا انهض واجلس .  
وتشهد أخيرا جذع المارد يتحرك .  
أصبحت الهجمة الطويبة خزيا وعارا .  
هل أنت مكدود ؟ هل انت أصم ؟ هل أنت ميت ؟ انى انكر كل ذلك .  
الا تشعر بما أنت فيه من كد وارضاق ؟  
وبان العار يسمو ويستفحل لحظة بعد لحظة ؟

إلا نسمع من يسير فوق رأسك ؟  
 انهم الملوك يقتربون الشرور وبقبيون الأذراع •  
 أنت نائم على هذا الروت ! كنت مواطناً ،  
 فأصبحت دابة تحمل الأفعال • حسس !  
 الحمار ينهض وينهق • والور يقف ونجور •  
 أبحث اذن فى ظلام ليلك ، ماداهوا مد ذهبوا بنور عيسيك !  
 أنت يامن كنت عظيماً ، فف ! الوقت متأخر •  
 فى هذه الظلمة • قد يصع الاسنان يده عفوا ،  
 على الخزى • أو فد يضعها على المجد •  
 أمدد ذراعك على طول الجدار الأسود •  
 فقد ينوارى المجهول غير المرتقب فى هذا الظل •  
 ولعلك تستطيع أن تمسك حساماً بين فبضينك التعسيتين ،  
 وانت تلمس طريقك مضطرباً فى الظلمات !

اوتينل هاوس فى نوفمبر ١٨٦٧

لم ينقض شهر على نشر هذه الأشعار • حتى ظهر سبع عشرة  
 ترجمة لها ، بعضها فى صورة شعرية • وزاد احتدام الصحافة الاكاديمية  
 غيظاً من دوى هذه الأشعار •

ورد جاريبالدى على فيكتور هوجو بقصيد من الأشعار الفرنسية ،  
 يتضمن آيات الشكر النبيل المعبرة عن نفس عظيمة •

وكان من أثر نشر أشعار فيكتور هوجو الحادث الآنى : ذلك انه  
 فى تلك الآونة ( فى شهر نوفمبر ١٨٦٧ ) كانت مسرحية هيرنانى  
 تمثل فى « المسرح الفرنسى » ( الكوميدي فرانسيز ) • ومسرحيه  
 « روى بلاس » على وشك أن تعرض على مسرح الأوديون ، ومن ثم أوقفت  
 حفلات « هيرنانى » ، وتسلم فيكتور هوجو فى جرنسى الرسالة  
 التالية :

« يتسرف مدير مسرح أوديون الامبراطورى باخطار السيد فيكتور  
 هوجو بأنه قد صدر الأمر بمنع إعادة عرض مسرحية روى بلاس »

شيل

**فاجاب فيكتور هوجو قائلاً :**

الى السيد لو بونايرت ، بقصر التويليرى •  
 سيدى ، تسلمت رسالك الموقعة باسم شيلى •

فيكتور هوجو

## الأطفال الفقراء

عيد الميلاد - ديسمبر ١٨٦٧

أشعر دائما بنوع من الحيرة كلما رأيت أشخاصا كثيرين مجتمعين حول شيء بسيط وصغير للغاية . فانا الانسان الوحيد ، أفنح دارى مرة كل سنة . لماذا ؟ لكى يشهد كل الناس حفلة صغيرة . ويستمتعوا بساعة من السعادة ليست من عندى وانما من عند الله يهبها لأربعين طفلا فقيرا ، يعيشون سنة بطولها فى تعاسة ، ويوما واحدا فى سعادة . أهذا كثير عليهم ؟

سيداتى ، أوجه كلامى هذا اليكن . فلمن أهب فرحة الأطفال ان لم أهبها لقلوب النساء ؟ فكروا جميعا فى أطفالكن حين ترين هؤلاء الأطفال ؛ وفى حدود ما تتمتعن به من قوة ، ومن أجل أن تبدأن مواخاة الناس منذ الطفولة . اجتهدت أيتها الأمهات السعيدات المحظوظات أن لا يحسد الصغار الفقراء الصغار الأغنياء ! ليندر الحب . وهكذا سوف نجعل المستقبل هادئا ميسورا .

بذل الاحسان لأربعين طفلا ، كما قلت من قبل فى منزل هذه المناسبة ، عمل قليل الأهمية . ولكن اذا أمكن زيادة عدد هؤلاء الأطفال الأربعين الى ما لا نهاية له ، بتعاون كل النفوس الطيبة ، كان ذلك مثلا طيبا مفيدا . ومن أجل هذه الغاية ، غاية الدعاية ، وافقت على نشر بعض الاعلان عن مشروع « عشاء الأطفال الفقراء » الذى وضع أساسه فى أوتفيل هاوس . لهذه المبرة الصغيرة اذن هدفان رئيسيان ، هدف صحى وهدف دعائى .

فهل ننجح من الوجهة الصحية ؟ نعم ؛ واليكم البرهان . منذ سبعة أعوام ، أى منذ تأسيس « عشاء الأطفال الفقراء ، » هذا فى أوتفيل



هاوس . لم يمض سوى طفلين فقط من بين الاربعة طعلا المشتركين فيه .  
طعلان في ستة أعوم ! اننى أعرض هذه الحفصة على رجال الصحة والأطباء ،  
ليأملوهما .

هل سجع من وجهه الدعابة ! نعم هناك ولائم عشاء اسبوعيه  
للأطفال الفقراء ، على سنى هذا العشاء ؛ الذى بدأ فى أوتفيل هاوس ) ،  
بدأت منتظم فى كل مكان قريبا . فى سويسرا وانجلترا ، وأمريكا بوجه  
خاص . وقد استلم بالأمس صحيفه انجليزية اسمها « ليث يابلوت »  
وصى بانشائها فى حماسه .

قرأت لكم فى العام الماضى خطابا نشر فى صحيفه التايمز ، يعلن  
فى لندن من انشاء مبرة لعشاء ٣٢٠ طعلا . وهامك اليوم رسالة حررتها  
ليدى طومسون . أمينه صندوق ميره عشاء الأطفال الفقراء فى قريه  
« ماريلبون » ، تضم ٦٠٠٠ طفل . من ثلاثمائة الى سنة آلاف . تقدم  
رائع ، سنة بعد سنة . وانى لاهنى وأشكر مراسلتى النبيلة ليدى  
طومسون . وهكذا أمرت فكرة المعتكف بفضليها وبفضل أسدقائها  
المبجلين . لقد أصبح الجدول الصغير فى جيرنسى نهارا كبير فى لندن .  
كلمة أخيرة .

علينا جميعا فى هذه الحياة الدنيا واجبات متعددة الأنواع . لند  
رض الله علينا أول ما فرض واجبات قاسية . علينا أن نناضل من  
أجل مصلحة الناس كافة . علينا أن نحارب الأقوياء وذوى السلطان .  
نحارب الأقوياء حين يسيئون استخدام القوة ؛ ونحارب ذوى السلطة  
حين يستخدمون السلطة فى عمل الشر . علينا أن تقبض على عنق  
الطاغى ، مهما كانت هويته . من سائق عربة النقل الذى يسئ معاملة  
الحصان . الى الملك الذى يعتسف شعبا . المقاومة والنضال ضرورتان  
قاسيتان . ولسوف تكون الحياة قاسية اذا اقتصرنا على هذين الأمرين .  
وفى بعض الأحيان يبلغ الأعياء من الانسان غايته ، فيستهمل الواجب .  
ويواجه الانسان عندئذ ضميره فيرد عليه الضمير قائلا . ماذا تريدنى  
أن أعمل فى هذا الشأن ؟ الواجب أن تستمر . ومع ذلك فهو يستوقف  
النضال لحظة ، وينسرع فى تأمل الأطفال الفقراء الصغار ، تلك الوجوه  
الناضرة التى يجعلها فجر الحيساة الرائع ووردا وأنوارا لآلاءة . ويتأثر  
الانسان ، ويتحول من السخط الى الحنان . وعندئذ يفهم الحياة كلها  
ويشكر الله الذى يعطينا الأقوياء والخبثاء لنحاربهم ، ويعطينا أيضا  
الأبرياء والضعفاء لنخفف آلامهم . الله الذى جعل الواجبات اللذيذة الى  
جانب الواجبات آصارمة ، الأولى تؤاسى الثانية .

١

## مانين (١)

دعى أهالي فينيسيا ( البندقية ) فيكتور هوجو لحضور الاحتفال  
بمقل رماد مانين الى فينيسيا . فرد على دعوتهم بالخطاب الآتى :

أونفيل هاوس فى ١٦ مارس ١٨٦٨ :

كتب الى بعضهم من فينيسيا متسائلا عما اذا كان عندى كلمة  
أدلى بها فى هذا اليوم المشهود ، يوم ٢٢ مارس . نعم ؛ واليكم هذه  
الكلمة :

لقد انتزعت فينيسيا من مانين ، مثلما أنتزعت روما من جاريبالدى  
أما مانين الميت فإنه يستعيد فينيسيا . وأما جاريبالدى الحى فإنه سوف  
يدخل روما .

وليس لفرنسا من حق الضغط على روما بأكثر مما للنمسا من حق  
الضغط على فينيسيا .

نفس الاغتصاب الذى ينتهى الى نفس النتيجة .

وهذه النتيجة التى سوف ترفع من قدر ايطاليا ، سوف تزيد من  
عظمة فرنسا .

ذلك لأن كل الأشياء العادلة التى يصنعها الشعب أشياء عظيمة .

وسوف تبسط فرنسا المرء يدها لايطاليا المتكاملة .

وسوف تنجاب الامتان . أقول هذا بهرحة عميقة ، وأنا ابن فرنسا  
وحفيد ايطاليا .

وانتصار مانين اليوم ينبىء بانتصار جاريبالدى فى الغد .

(١) مانين ( دانيليه ) وطنى ايطالى . ولد فى فينيسيا ( البندقية ) . رئيس جمهورية  
ميسيسيا فى عام ١٨٤٨ . من اكبر أعداء السيطرة النمساوية ( ١٨٠٤ - ١٨٥٧ ) - المترجم .

ويوم ٢٢ مارس هذا يوم يبشر بالمستقبل .

مثل هذه الأحداث ملأى بالوعود . كان مانين مقاتلا ، ونفى من أجل الحق . لقد ناضل في سبيل المبادئ ، ورفع عاليا سيف النور . كان يتميز مثل جاريبالدي برقة الأبطال . وحلف نعهه ، تقف حرية إيطاليا المرثبة رغم أنها ممتعة . وسوف ننزع قناعها . عندئذ نصبح الحرية سلاما ، مع بقائها حرية .

هذا هو ما تعلن عنه عودة مانين الى فينيسيا .

فى موت ، مثل موت مانين ، شئ من الأمل .

فكتور هوجو

## جوستاف فلوران

من أجل بعض الوقائع ، تنطلق صيحة غضب وسخط .

السيد جوستاف فلوران كاتب سواب وهو هوب ، وهو ابن رجل كرس نفسه للعلم ، ومن ثم كرس هو نفسه للتقدم . عندما اندلعت ثورة كريت ، مضى إليها . لقد جعلته الطبيعة مفكرا ، وجعلته الحرية جنديا . وتبنى القضية الكريتيّة ؛ وناضل من أجل وحدة كريت واليونان . تبنى كانديا ( كريت ) البطلة بعاطفة الأبوة الخالصة . وسالت دماؤه وقاسى على تلك الأرض التعسة ، وعانى فيها القر والقيظ ، والجوع والعطش . وحارب هذا الباريسى فى جبال « سفاكيا البيضاء » وعانى فصول الشتاء والصيف القاسية ، وخبر ميادين القتال الكئيبة ، ونام فى الثلج أكثر من مرة بعد انتهاء المعركة بجانب الذين ناموا مع الموت . وهب دمه ، وهب ماله . وثمة واقعة مؤثرة : فقد أقرض حكومة كريت ثلثمائة فرنك . وأفهم أن تحتقر الحكومات المدينة بثلاثة عشر مليارا (١) مثل هذا المبلغ الزهيد . وبعد سنوات قضائها هذا الفرنسى فى اخلاص عنيد ، منح الجنسية الكريتيّة . وضم مجلس الأمة الكريتي الى عضويته السيد جوستاف فلوران ، وبعنه الى اليونان ليقيم برسالة الاخوة والسلام ، كما كلفه بتقديم نواب كريت الى البرلمان اليونانى . وفى أينا ، أراد السيد جوستاف فلوران أن يقابل جورج المانركى الذى يقال انه ملك اليونان . ولكن قبض على السيد جوستاف فلوران .

(١) كان هذا المبلغ دين فرنسا فى عهد الامبراطورة فى تلك الآونة . ومن ذلك الحين . اضاف معركة سندان وأذبالها الى هذا الدين مبلغ عشرة مليارات . وتدين فرنسا من جراء المعامرة الاخيرة التى دام بها الامبراطور به بدين اشافى قدره عشرة ملارات . فى حين انها فهدت اهليسي .

كان بصفته فرنسا صاحب حق ، وبصفته كرينيا ملتزما بواجب .  
وانكرت الحكومة اليونانية هذا الحق وذاك الواجب . وقامت الحكومتان  
الفرنسية واليونانية المتواطئتان فى لجرية بترجيله على ظهر سفينة ركاب  
أوصلته قسرا الى مارسيليا . وهناك كان من العسر حرمانه من حرية  
التنقل ؛ ومن ثم كان لابد من اخلاء سبيله . وما أن استرد السيد  
جوستاف فلوران حتى سافر من فورهِ الى اليونان وهكذا عاد الى ائينا  
قبل انقضاء ثمانية أيام على طرده منها . كان هذا واجبه ، لقد قبل السيد  
جوستاف فلوران مهمة مقدسة ، فهو نائب شعب يحتضر ، وحامل صحة  
النزع الأخير ، والأمين على أسمى الوصايا ، على حق أمة ؛ ويريد أن ينفذ  
هذه الوصية بكل أمانه ، ويؤدى المهمة خير أداء . ومن ثم كان عناده  
وبسالته . ولكن بعض اليهود تعتبر أن من يؤدى واجبه انما يرتكب  
جرية . والسيد جوستاف خارج على القانون فى هذه اللحظة ، تطارده  
الحكومة اليونانية وتسلمه الحكومة الفرنسية . وما هو المناضل الشديد  
البأس يكتب الى من أثينا حيث أختبأ فيقول : « اذا قبض على ، فاني  
أوقع ان يدسوا لى السم فى سجن ضيق » .

ونقرأ فى خطاب آخر كتبه لى بعضهم من اليونان ، « جوستاف  
فلوران مخذول » .

لا ، انه لم يخذل . فلتعلم الحكومات ، سواء منها التى تعتقد  
انها قوية ، مثل روسيا ، أو التى تشعر بأنها ضعيفة مثل اليونان ،  
أو التى تسوم بولندا العذاب ، أو التى تخون كريت ، لتعلم وتتفكر فى  
أن فرنسا قوة ضخمة مجهولة . فرنسا ليست امبراطورية أو جيشا أو  
بقعة جغرافية ، بل انها ليست كتلة بشرية تبلغ ثمانية وثلاثين مليونا من  
الناس الغافلين الى حد ما عن الحق بسبب ما هم فيه من عناء ، ولكنها  
روح . اين هى ؟ فى كل مكان . ولعلها فى هذه اللحظة موجودة فى  
الحارج أكثر مما هى فى داخل فرنسا نفسها . ويحدث أحيانا لأمة من  
الأمم أن تكون منفية . أمة مثل فرنسا تمثل مبدأ ، واقلبيها الواقعي  
هو الحق . الى الحق تلجأ . تاركة الأرض للاستعباد ، والأمالك المادية  
للطغيان المادى . لا ؛ لم تهجر الكريت التى لا يعتبرونها أمة من الأمم .  
لا ؛ لم يخذل نائبها وجنديها جوستاف فلوران الذى اعتبر خارجا على  
القانون . أما الحقيقة ، وهى الخطر الأكبر ، فانها هناك ، يقظة . الحكومات  
ناائمة ، أو تتظاهر بالنوم . ولكن هناك فى جهة ما عيوننا مفتوحة ، ترى  
وتحكم . هذه العيون ترى وتحكم ؛ انها عيون ثابتة مخيفة . الحدقة التى  
يكمُن فيها الضوء هجوم متصل على كل ما هو كذب وظلم وظلام . هـل

يعلم أحد لماذا انهارت القباصرة • والسلاطين والملوك الأقدمون والقرايين  
والعقائد القديمة ؟ انهارت لأن هذا الضوء كان مسلطا عليها • هل يعلم  
أحد لماذا سقط نابليون ؟ سقط لأن العدالة الواقعة في الظلال كانت  
تنظر اليه •

فيكتور هوجو

أوتفيل هاوس في ٩ يولية ١٨٦٨ :

وبعد ثلاثة اسابيع من نشر هذه الرسالة ، تلقى فيكتور هوجو  
البطاقة التالية :

نابولي في ٢٥ يولية ١٨٦٨ •

استاذي :

أصبحت بفضلك خارج السجن بعيدا عن الخطر • لقد اضطرت  
الحكومات تحت ضغط الضمير العام الى الافراج عن الشخص الذي طالب  
فيكتور هوجو بالافراج عنه • لقد دان لك باريس بحياته ، وأنا أدین لك  
بحريتي •

جوستاف فلوران

## اسميانيا

فى عام ١٨٦٨ ، دهم الرجل المنفى مصيبتان : فقد زوجته ، وفقد حفيده المولود البكر لابنه سارل . مات الطفل فى شهر مارس وماتت مدام فيكتور هوجو فى شهر أغسطس . واستطاع فيكتور هوجو أن يحتفظ بالطفل الى جواره ، اذ دفن فى أرض المنفى . أما مدام فيكتور هوجو فانها عادت الى فرنسا . وكانت الام قد أبليت رغبتها فى أن ترقد بالقرب من ابنتها ، فدفنت فى جبانة فيلكيه . ولم يستطع المنفى أن يمضى فى أثر المتوفاة ، فوقف بعيدا على الحدود ، يرقب النعش وهو يختفى عند الأفق . وألقيت كلمة الوداع الأخيرة باسمه على مقبرة فيلكيه ، ألقاها صوت نبيل . وها هى الكلمات السامية العظيمة التى قالها بول موريس :

« أود فقط أن أودعها باسمنا جميعا .

« انكم تعلمون جيدا ، يا من تلتفون حولها لآخر مرة ، من كانت هذه النفس الجميلة الرقيقة ، هذه الروح المحبوبة ، هذا القلب الكبير .

« آه ، هذا القلب الكبير ، بنوع خاص ! كم كانت تحب الحب ، وتحب أن تكون محبوبة ! كم كانت قادرة على المعاناة مع أولئك الذين تحبهم !

« كانت زوجة أعظم رجل فى الوجود ، وارتفعت بقلبيها الى مرتبة هذا العبقري . كانت نديدة له من كثرة ما كانت تفهمه .

« لابد أن ترحل عنا ، ولا بد أن نتركها .

« لقد وجدت بالفعل حبا . وجدت طفلها هنا ( يشير الى الحفرة ) وهناك ( مشيرا الى السماء ) .

« قال لي فيكتور هوجو بالأمس عند الحدود : قل لابنتي اني ارسلك لها أمها حتى يأتي الاوان . وما أنذا قد قلت كما تمة ، وأعتقد أنها سمعتها . »

« والآن وداعا ! وداعا للحاضرين ، ووداعا للغائبين ! وداعا لصديقتنا ، وداعا لأختنا ! » وداعا ، ولكن الى لقاء ! »

ولكن الواجب لا يرحم ، فله مطالب عاجلة ملحة . وقد رأينا أن مدام فيكتور هوجو توفيت في شهر أغسطس . وفي شهر أكتوبر ، سقطت الملكية في اسبانيا ، فأعاد سقوطها الى نفس فيكتور هوجو الرغبة في الكلام ، واضطر أمام مثل هذه الأحداث الحاسمة الى قطع حبل السكوت ، رغم ما هو فيه من حداد .

## الى اسبانيا

شعب كان طوال ألف سنة ، من القرن السادس الى السادس عشر ، أول شعوب أوروبا ، نفا لليونان في الأدب الملحمي ، ولايطاليا في الفن ، وفرنسا في الفلسفة . كان لهذا الشعب « ليونيداس » تحت اسم « بيلاج » ، وأخيلوس تحت اسم « سيد » . بدأ بغيريات وانتهى برييجو . كان له « ليبانت » مثلما كان لليونان « سلامين » . ولولا هذا الشعب لما خلق كورنيلي التراجيديا ، ولما اكتشف كريستوف كولومب أمريكا . هذا هو الشعب الصلب العود ، شعب « فويرو يوزجو » . اسبانيا منيعة بجبالها السماء ، كسويسرا ، فجبيل « مولاهاسين » ( مولى حسن ) هو بالنسبة الى « مون بلان » ( في سويسرا ) كنسبة الى ١٨ الى ٢٤ . كان لها مجلسها في الغابة ، وكان هذا المجلس معاصرا للفوروم في روما ، ويتعقد المجلس في الغابة حيث يباشر الشعب الحكم مرتين كل شهر ، مرة والقمر هلال ، ومرة والقمر بدر . كان لها مجالسها الوطنية في « ليون » قبل أن يعرف الانجليز البرلمان في لندن بسبعين سنة . وكان لها في « مديناديل كامبو » قسمها المائل لقسم « لعبة الكرة » (١) في عهده « دون سانشي » . وفي عام ١١٣٣ ، كان له طبقة ثالثة ( عامة الشعب ) متفوقة في مجالس بورخا . وشهدنا في مجلس هذه الأمة مدينة ممثل « ساراجوس » تبعث وحدها خمسة عشر نائبا . ومنذ عام ١٣٠٧ أعلن

---

(١) قسم اذاه بواب الطبقة الثالثة ( عامه الشعب ) في فرنسا في يوم ٢٨ يولية ١٧٨٩ ، بالا بفرنسا دبل ان منحوا فرنسا دستوراً ، رغم أن الملك لوس السادس عشر قد رفض أن مصرح لهم بدخول قاعة المداولات - المترجم .



الشعب في عهد الفوننس البالد حقه وواجهه في الثورة . وفي أراجونا نبت دعائم ذلك الكائن المسمى بالعدالة . وهو اسمى من ذلك الكائن المسمى بالملك . وأقسام في وجه العرس ذلك الحق الرهيب ، حق « الرفض » فرفض الضريبة لشارل كنت . لقد خذل هذا الشعب في منشئه شارلمان ، وخذل وهو يحترض نابليون . كان لهذا الشعب علله ، وتحمل أذى الحشرات ، ولكنه بالاجمال لم ينله من الخزي على أيدي الرهبان أكثر مما يبال السبوع من الأذى بسبب الفحل . ولم يتخلف عن هذا الشعب سوى شيئين : أن يعرف كيف يستغنى عن البابا ، وأن يستغنى عن الملك . كان شبيها بانجلترا من حيث الملاحظة والمغامرة والصناعة والتجارة والاختراع في أنحاء الكرة الأرضية ، وإنشاء طرق للمواصلات كانت مجهولة ، والمبادأة ، والاستعمار الشامل : كان سببها بانجلترا فيما عدا عزلتها - وبزيادة شمسها ، شمس اسبانيا . كان له ربانته وأطبائه وشعراؤه وأنبيائه وأبطاله وحكامؤه . يملك هذا لشعب قصر الحمراء ، كما تملك الباريونون ، ويملك سيرفانتس كما تملك فولتير . وألقت روح هذا الشعب الضخمة على وجه الأرض أنوارا قوية ، لم يكن في المستطاع إطفائها الا على يد رجل مثل « توركمادا » (١) . وعلى هذه الشعلة وضع البابوات قلائدهم الشبيهة بالمطفأة الهائلة . وتحالفت البابوية مع السلطة المطلقة للتغلب على هذه الأمة . ثم أحالت كل ضياء هذا الشعب الى لهيب ، وشهدنا اسبانيا مشدودة الى الآتون . وغطت محاكم التفتيش هذه الدنيا ، وكان دخانها يشكل طوال قرون ثلاثة سحابة بشعة تظلل المدينة . وما أن انتهى التعذيب والاحراق حتى أصبح في الامكان القول بأن هذا الرماد هو الشعب .

واليوم تنبعث هذه الأمة من داخل هذا الرماد . وما هو خرافي في طير العنقاء حقيقي بالنسبة للشعب .

هذا الشعب يبعث حيا ، فهل يبعث ضئيلا ؟ أو يبعث كبيرا ؟ هذا هو السؤال .

في مقدور اسبانيا أن تسترد مكانتها ، وتعود ندا لفرنسا وانجلترا . وانها لهبة عظيمة من الله ، وفرصة نادرة . فهل تترك اسبانيا هذه الفرصة تفلت منها ؟

(١) توماس دي بوركماندا ، فاض بمحاكم التفتيش باسبانيا (١٤٢٠ - ١٤٩٨) اشهر بكنوته . وبقي اسمه مقرونا بذكرى محاكم التفتيش - المترجم .

والفائدة من قيام ملكية أخرى فى القارة الأوروبية ؟ اسبانيا خاضعة للملك خاضع لسائر الدول ، يا للاحطاط آ وفضلا عن ذلك فان اقامة الملكة فى هذه الساعة تستلزم جهدا فى سبيل أمر لن يدوم الا وقتا قصيرا ، فسوف تتغير الصورة عن قريب .

الجمهورية فى اسبانيا هى الأمن المستقر فى أوروبا ، هى السلام ، هى التوازن بين فرنسا وبروسيا ، ومعها تصبح الحرب بين الملكيات العسكرية مستحيلة بسبب الثورة الحاضرة ، وتوضع الكمامة على سادوفا (١) كما وضعت على أوسرلنز (٢) . ونسبدا صورة العمل والرخاء بصورة التقتيل ، ويحل النسيج الحريرى ( الجكار ) محل البنادق . وفى القارة الأوروبية يقوم التوازن فجأة بفضل ذلك النقل الذى سموصح فى كفة الميزان والذى يمل الحقيقة بدلا من الخيالات والأوهام - الجمهورية فى اسبانيا هى الدولة الاسبانية القديمة ، وقد تجددت بفعل تلك القوة الفتية ، قوة الشعب . انها من وجهة التجارة والاساطيل البحرية ، الحياة وقد عادت الى ساحلين ، كان أحدهما مسيطرا على البحر المتوسط قبل فينيسيا . والثانى على المحيط قبل انجلترا . انها الصناعة وقد ازدهرت وانتشرت حينما حلت التعاسة . انها قادس ندا لساوناميتون ، وبرشلونة ندا لليفريول ، ومدريد ندا لباريس . انها البرنغال عائدة فى لحظة من اللحظات الى اسبانيا ، يجذبها اليها النور والرخاء ، فالحرية هى المغناطيس الذى يضم الأقاليم . الجمهورية فى اسبانيا هى البرهان الخالص على سيطرة الانسان على نفسه ؛ وهى سيطره لا جدال فيها ، سيطرة لا تؤخذ الأصوات من أجلها . انها الانتاج من غه نسعير ، والاستهلاك من غير جمرك ، والتداول بلا عراقق ، والمشغل من غير طبقة العمال الكادحين ؛ والثورة دون تدخل الطفيليين ؛ والضمير بلا مزاعم باطلة ، والكلام بلا كمامة . والقانون بلا أكاذيب ، والقسوة من غير جيش ، والأخاء من غير قابيل . انها العمل للجميع ، التعليم للجميع ، والعدالة للجميع ، والغاء آلة الاعدام . انها المثل الأعلى وقد أصبح ملموسا . وكما أن هناك خطافا يقسود سرب الخطاطيف ( طير السنونو ) ، فسوف تكون هناك أمة مثالية . ولن يكون هناك خطر . اسبانيا ملك المواطنين ، هى اسبانيا القوية . واسبانيا الديمقراطية هى

(١) سادوفا ، فربة تشكيله هزم عندها التساويون مزينة فاصله فى حرب النمسا وروسيا ١٨٦٦ - المرجع .

(٢) أوسرلنز ، مدينة صغيرة بشيكوسلوفاكيا هزم نابليون عندها الروس والتساويين عام ١٨٠٥ - المرجع .

اسبانيا المنيعه • الجمهورية فى اسبانيا هى الادارة الامنية ، هى الحقيقة الصادقة الحاكمة ، هى الحرية السائدة ، هى الحقيقة السامية المنيعه • الحرية هادئة لانها منيعه ، وهى منيعه لا تقهر لانها معدية • من يهاجم الحرية يكتسب مبادئها : الجيش المبعوث ضدها يرتد على الطاغية • ولذا فالتناس يدعون الحرية وشأنها ، ويتركونها فى سلام • الجمهورية فى اسبانيا سوف تكون اشعاع الحق عند الأفق ، والوعد للجميع ؛ أما الوعيد فهو للشر وحده ؛ وسوف تكون ذلك المارد ، الحق ، واقفا فى أوروبا خلف ذلك السور ، جبال الپيرينية •

• اذا بعثت اسبانيا ملكية ، بعثت صغيرة •

• واذا بعثت جمهورية ، كانت كبيرة •

• فعليةا أن تختار •

فيكتور هوجو

أونفيل هاوس فى ٢٢ أكتوبر ١٨٦٨ :

## خطاب ثانٍ لاسبانيا

اتانى نداء ثانٍ من عدة مواضع فى اسبانيا ، من لاکورونا عن طريق  
عضو اللجنة الديمقراطية ، وأوبييدو ، واشبيلية ، وبرشلونة ،  
وساراجوسا ( سرقسطة ) ، المدينة الباسلة . وقادس المدينة النورية .  
ومدريد ، عن لسان السيد الفاضل اميليو كاستيلار وفى النداء تسأؤل .  
وهأنذا أجيب .

ما الموضوع ؟ انه الرق .

اسبانيا التى طرحتم عن كاهلها كل المخازى القديمة : التعصب ،  
السلطة المطلقة ، آلة الاعدام ، القانون لالهى ، أترها تحتفظ من كل هذا  
الماضى بأبشع ما فيه ، الرق ؟ أقول لا ! بل لابد من الغائه ، الغاء عاجلا .  
هذا هو الواجب .

أمنك مجال للتردد ؟ أهذا ممكن ؟ عجباً ، ان ما فعلته انجلترا فى  
عام ١٨٢٨ ، وما فعلته فرنسا فى عام ١٨٤٨ ، لا تفعله اسبانيا فى عام  
١٨٦٨ ؟ أتكون أمة متحررة ، وتحت أقدامها عنصر مستعبد ومكبل  
بالأغلال ! عجباً لهذه المتناقضات ! أن يكون النور فى داخل الدار والظلام  
فى خارجها ، العدالة فى داخل الدار ، والظلم فى خارجها . هنا مواطن .  
وهناك نخاس ! القياس بتورة لها جانب من المجد وجانب من الحزى !  
عجباً ! ابعده طرد الملكية ، تبقى العبودية ! ويكون هناك بالقرب منكم  
انسان مالك لكم ، بل شئ من أسئلتكم ! على رأسكم قلنسوة الحريرة  
وفى يديكم سلسلة تربطونه بها ! ما هو سوط المزارع ؟ انه صولجان  
الملك ، صولجان ساذج مجرد من التذهيب . فإذا تهشم الصولجان ،  
سقط السوط .

الملكية مع العبيد شيء معقول . أما الجمهورية ذات العبيد فهي شيء فاجر . وما يرفع من قدر الملكية يشين الجمهورية طهارة وصفاء .

ولكنكم جمهورية من اليوم ، ودون انتظار لأى تصويت . لماذا ؟ لأنكم اسبانيا العظيمة . انتم جمهورية ، وقد سجلت أوروبا الديمقراطية ذلك . ياأيها الاسبان ! لن تستطيعوا ان تظلوا فخورين الا بشرط ان تظلوا أحرارا . الندهور مستحيل عليكم ؛ فالنمو من طبيعة الأشياء ، والنصاغر ليس من طبيعتها . سوف تبقون أحرارا . بيد أن الحصريه متكاملة . انها شديدة الغيرة على عظمتها وصفائها . لا مهادنة ، ولا تنازل ، ولا تناقص . الحرية تستبعد الملكية من أعلى ، والعبودية من أسفل .

من يملك عبيدا يستحق أن يكون هو عبدا . العبد من تحتك يبرر قيام الطاغية من فوقك .

وتعتبر سنة ١٧٦٨ سنة فظيعة فى تاريخ تجارة الرقيق . ففي هذه السنة ارتكب أكبر قدر من جرائم الرق ؛ فقد سرقت أوروبا من أفريقيا مائة وأربعة آلاف من السود ، باعتهم لأمريكا . مائة وأربعة آلاف ! لم يشهد العالم أبدا مثل هذا الرقم المخيف من مبيعات اللحم البشرى . حسن ! احتفلوا اذن بهذه الذكرى المثوية بالغاء الرق ؛ ولترد سنة جلييلة على سنة مخزية ؛ وبرهنوا على أنه يوجد بين اسبانيا فى عام ١٧٦٨ واسبانيا فى عام ١٨٦٨ أكبر من قرن من الزمان ، توجد هوسة سحيقة لا يمكن عبورها ، تفصل بين الحق والباطل ، بين الخير والشر ، بين العدل والظلم ، بين المجد والدناءة ، بين الملكية والجمهورية ، بين الحرية والعبودية ، هاوية فائرة دواما خلف التقدم ، يقع فيها من يتراجع الى الوراء .

الشعب يزداد بكل الأفراد الذين يحررهم . فلتكونوا اسبانيا العظيمة المتكاملة . ان ما يلزمكم هو ضم جبل طارق وترك كوبا . كلمة أخيرة . فى أعماق الشر يتلاقى الاستبداد والعبودية فينتجان أثرا واحدا . أمران متماثلان كأوضح ما يكون التماثل . وقد تكون أغلال الرق أشد احكاما على السيد منها على العبد . ترى من من الاثنين يمتلك الآخر ؟ هذا سؤال . من الخطأ أن تظن أنك تملك انسانا تشتريه وتبيعه . انك أسير هذا الانسان . وهو يمسكك بقبضته ؛ ولايد أن تقاسمه خشونته ، وفظاظته . وجهالته ، ووحشيته ؛ والا فانك سوف تشمئز من نفسك . تعتقد أن هذا الأسود هو ملك يديك ، كلا بل أنت مملوكه . لقد أخذت منه الجسد ولكنه أخذ منك العقل والشرف . ويقرم بينك وبينه مستوى

غامض • العبد يعاقبك لكونك سيده • يالها من ثارات محزنة وعادلة .  
ثارات رهيبة لأن العبد الأسود الذى يسيطر عليك لا يدرك شيئا منها •  
وذاتله هى جرائمك ، وتعاساته تغدو مصائبك • العبد روح جفول فى  
دارك . ساكنة فى نفسك ، تنفذ فيك ، وتظلم جوانبك ، كالسم  
الزعاف • آه لا يرتكب المرء هذه الجريمة الكبيرة ، جريمة العبودية دون  
أن يلقى جزاءه • الأخاء الذى ينكره الناس يغدو شوْما وتعسا • اذا  
كنتم شعبا وضاء مجيدا ، فان قبول الرق كنظام له كيانه انما يحيلكم  
شعبا ممقوتا • التاج على جبين الطاغية ، والطوق حول عنق العبد ،  
دائرتان متماثلتان ، تحبسان روحكم ، روح الشعب • أمجادكم كلها  
تعيبها بقعة واحدة : الزنجى • فالعبد يفرض عليكم ظلماته • انكم  
لا تنقلون اليه الحضارة ، ولكنه ينقل اليكم الهمجية • وأوروبا ، عن طريق  
الرق تعلم نفسها بلقاح أفريقيا •

أيا شعب اسبانيا النبيل ! اليك التحرير الثانى • لقد تخلصت  
من الطاغية ، والآن تخلص من الرقيق •

أوتفيل هاوس فى ٢٢ نوفمبر ١٨٦٨ ••

فيكتور هوجو

## الأطفال الفقراء

عيد الميلاد في عام ١٨٦٨

لم تكن الأحزان التي نعانيها لتجيب عنا وجود الفقراء ، وإذا تأتي لنا أن ننسى ما يقاسيه الآخرون ، فإن ما تقاسيه نحن حقيق بأن يذكرنا بالأمم ، فالحزن نداء للواجب .

أثمرت المؤسسة الصغيرة التي أنشأتها منذ سبع سنوات بدارى فى جيرنسى لمساعدة الطفولة . وأنتم أيتها السيدات اللواتي تنصتن لخدشي بمزيد من اللطف والرقه سوف تتأثرون كثيرا لهذا الخبر الجديد .  
لا شأن للمسألة بما أفعله هنا ، وإنما هي تتعلق بما يحدث في الخارج . ما أفعله شيء ضئيل لا يستحق عناء الحديث عنه .

تتميز مبرة عشاء الأطفال الفقراء هذه بشيء واحد ، تتميز بأنها فكرة بسيطة . ولذلك سرعان ما فهمها الناس ، خاصة في بلاد الحرية ، في إنجلترا وسويسرا وأمريكا ، حيث تطبق على نطاق واسع . والى لأذكر الواقع دون الحاح . ولكني أعتقد أن هناك نوعا من الصلة بين الأفكار البسيطة وبين البلاد الحرة .

أذكر لكم رقمين أو ثلاثة أرقام فقط حتى تحكموا بمقدار التقدم الذي نالته فكرة عشاء الأطفال الفقراء . وقد استقبلت هذه الأرقام من إنجلترا ، من لندن ، بلدكم .

لعلكم قرأتم في الصحف الخطاب الذي وجهته الى السيدة المهجلة ليدى طومسون . لقد ارتفع عدد الأطفال الذين قدمت اليهم هذه المساعدة في أبرشية ماريلبون وحدها في عام ١٨٦٨ من ٥٠٠ الى ٧٨٥٠ . وتأسست جمعية للمعونة باسم « جمعية رعاية الطفل » منذ قليل ، في

سارعى مادوكس وريجننت برأس مال قدره عثمرون ألف جنيه استرليني .  
وهناك أخيرا واقعة نالمة : فأنتم تذكرون أننى هنأت نفسى فى مثل هذا  
اليوم من العام الماضى حين قرأت فى الصحف الانجليزية أن فكرة أوتفيل  
هاوس قد أنمرت فى لندن لدرجة أنهم قدموا هناك معونة ثلاثين ألف  
طفل . هذا بديع . اءرأوا اليوم عدد صحيفة « الاكسبريس » الغراء  
الصادر فى ١٧ ديسمبر ، وسوف تلحظون به تقدما رائعا فى هذا الشأن .  
كان فى لندن فى عام ١٨٦٦ ستة آلاف طفل تلقوا المعونة على الوجه  
الذى أنشرت اليه ؛ أصبحوا ثلاثين ألفا فى عام ١٨٦٧ ، ومائة وخمسة  
عشر ألفا فى عام ١٨٦٨ .

أضيفوا الى رقم ١١٥٠٠٠ هذا أطفال ماريلبون ، وعددهم ٧٨٥٠  
طفلا ، وتضمهم جمعية خاصة ، تحصلوا على مجموع قدره ١٢٢٨٥٠ طفلا  
تلقوا المعونة .

ما أعظم الحبة التى توضع فى الأخدود حين يشاء الله أن يخصبها !  
كم ترون عندى هنا من أطفال ؟ أربعين . هذا عدد قليل للغاية ؛ لا يساوى  
شيئا . بيد أن كل طفل من هؤلاء الأطفال ينتج فى الخارج ثلاثة آلاف  
طفل ، فيصبح الأربعون طفلا الموجودون فى أوتفيل هاوس مائة وعشرين  
ألفا فى لندن .

وبإمكانى أن أذكر حقائق أخرى ، ولكنى اكتفى بما ذكرت . اننى  
أتحدث عن نفسى ، ولكنى أفعل ذلك على الرغم منى . ليس لى أى فضل  
فى كل هذا ، ولا أية جدارة . ويجب أن توجه كل آيات الشكر الى  
معاونينى الذين يستحقون الاعجاب والتقدير فى انجلترا وأمريكا .  
كلمة ختامية :

اننى أجد المنفى شيئا طيبا . أولا لأنه عرفنى بهذه الجزيرة  
المضيافة ؛ ثم أتاح لى فراغا لتحقيق الفكرة التى كانت تراودنى منذ  
زمن بعيد ، فكرة القيام بمحاولة عملية لتحسين أحوال الأطفال الفقراء  
بصورة عاجلة مباشرة ، من الناحية الصحية المزدوجة . أى الصحة البدنية  
والصحة العقلية . ونجحت الفكرة . ومن أجل هذا أشكر المنفى .

آه ، لن أعل أبدا من أن أقول : فلنفكر فى الأطفال ! ان مجتمع  
الناس هو دائما ، وبدرجة ما ، مجتمع مذنب . ونحن فى هذا الخطأ  
الجماعى الذى نفتترقه جميعا ، والذى نسميه أحيانا القانون ، وأحيانا  
العادات والأخلاق ، لانتق الا فى نوع واحد من البراءة : براءة الأطفال .



حسن ، فلنحب الطفولة ، ولنعمل على أن نغذيها . ونكسوها ،  
ونعطيها خبزاً وأحذية ، ونشفيها من المرض ، وننير لها السبيل ،  
ونبجلها .

أما أنا ، فهل أنتم مشتاقون لمعرفة رأيي السياسي ؟ سأقوله لكم .  
انى من حزب البراءة ، وخاصة حزب البراءة التي تنال العقاب - لماذا  
يا الهى ؟ - لتعاستها .

ومهما كانت الآلام فى حيائى هذه . فلن أشكو منها ؛ اذا أتيج لى  
أن أحقق أسمى مضمحين يمكن أن يصبوا اليهما الانسان على وجه الأرض :  
أن يكون الانسان عبدا ، وأن يكون خادما : عبدا لضميره ، وخادما  
للفقراء .

١

كريت  
الى السيد فولوداكي  
رئيس حكومة كريت

سيلى :

أثر خطابك البليغ فى نفسى تأثيرا شديدا \* نعم ، انك على حق فى اعتمادك على \* واننى لأضع فى خدمة قضيتك النبيلة شخصى الضعيف وقدراتى القليلة \* قضية كريت هى قضية اليونان ؛ وقضية اليونان هى قضية أوروبا \* هذا التسلسل فى الأمور يغيب على خاطر الملوك ، وهو مع ذلك منطقى للغاية \* ليست الدبلوماسية سوى مكر الأمراء ضد منطق الاله \* ولكن الله على حق فى فترة معينة من الزمن \* الله والحق معنيان مترادفان \* ولست سوى صوت عنيد ولكنه تائه فى لخب المظالم السائدة المظفرة \* ما علينا ، اننى لئن أسأمت ، سواء سمعنى الناس أم لم يسمعونى \* نقول لى ان كريت تطلب منى ما طلبته اسبانيا \* ولكن وأسفاه ! ليس فى وسعى الا أن أصيخ \* لقد أطلقت صيحتى قبلا من أجل كريت ، وسوف أطلقها مرة أخرى \*

سوف اتجه ناحية أمريكا ، مادمت ترى فائدة فى ذلك ، وطالما كانت أوروبا صماء فلنضع آمالنا فى هذه الناحية \*  
وأصافحك  
فيكتور هوجو

## نداء الى أمريكا

استسلام شعب ما ، استسلاما مؤسفا ، للاغتصاب والتذبيح فى صميم المدنية ، خذى يدهش له التاريخ \* وأولئك الذين يلطخون هذا القرن التاسع عشر العظيم بمثل هذه الوصمات يتحملون مسئولية عملهم أمام الضمير العالمى \* وتكفل الحكومات الحالية جبين أوروبا بالخزى والعسار \*

هناك فى الساعة التى تمر بنا مذايح من جهة ، وحديث ببر  
الدبلوماسيين من جهة أخرى . من ناحية يقتتلون ويذبحون ويبترون  
الأعضاء ، ويبقرون بطون النساء والشيوخ والأطفال ، ويتركون جثث  
هؤلاء ننعفن فى السلج أو تحت الشمس ، ومن ناحية أخرى يحررون  
البروتوكولات ، وتنهال البرقيات الواردة من دور المبعثات الدبلوماسية  
من كل آفاق الأرض على مائدة المؤتمر الخضراء ، فى حين تنقض العقيبات  
على أركاديون . هذا هو المنظر . خيانة كريت وتسليمها للعدو عمل  
سى . وسياسة رديئة .

هناك أمران . اما أن تسنمر ثورة كانديا أو نقضى . اما أن  
تؤجج كريت لهيها السامى فيسمر مشتعلا ، واما تطفئه . فى الحالة  
الأولى يصير هذا البلد بطلا . ويصير فى الحالة الثانية شهيدا . وسوف  
نتعقد الأمور فى المستقبل بصورة رهيبة . ولابد . ان عاجلا أم آجلا ،  
ان نتعامل مع الأبطال . ونتعامل أكثر من ذلك مع الشهداء . الأبطال  
ينتصرون بالحياة . أما الشهداء فينتصرون بالموت . انظروا بودان (١) .  
خافوا من الأشباح . ان ماتت كريت فسوف تكون ثقيلة الظل كالثقب .  
عفن فوق ما فى سياستكم من عفن وسبكون لأوروبا منذ الآن بولنديان .  
واحدة فى الشمال والثانية فى الجنوب . ويسود النظام فى جبال سناكيا  
كما يسود فى وارسو . أما أنتم يا ملوك أوروبا فسوف تستمتعون بالرخاء  
بين جثثتين .

لا تنتمى القارة فى هذه اللحظة الى الأمم ، وانما الى الملوك .  
ولنقلها صريحة ، ان اليونان وكريت لم يعد لهما ما تنتظرانه من  
أوروبا . هل فقدنا كل أمل ؟ لا .

هنا يتغير وجه السؤال . هنا تتجلى مرحلة جديدة ، وهذا أمر  
مدهش .

أوروبا تتقهقر . وأمريكا تتقدم . أوروبا ترفض دورها ، وأمريكا  
تقبله .

ننازل يعوضه ارتقاء . سوف يحدث أمر جلل .

---

(١) شارل بودان : اميرال فرنى ، ولد فى سيدان ( ١٧٨٤ - ١٨٥٤ ) وبرز  
عام ١٨٢٨ ومعه أربع سفن جربية فقط بحصن سان جان ديلوا امام فيراكور ( ميناء  
بالكسيك ) - انترجم .

جمهورية الأمس ، اليونان ، سوف تسندها وتحميها جمهورية  
اليوم . الولايات المتحدة . نراسيبولومس (١) يستنجد بواشنطنون ،  
ليس هناك ما هو أعظم من ذلك .

وسوف تسمع واشنجتون النداء وتأتي . ولنسنا نشك في أن  
العلم الأمريكي سوف يرتفع بين جبل طارق والدردييل .  
انه الفجر . المستقبل ينير الأفق . وتنجلي معالم أخاء الشعوب .  
التضامن عظيم .

هذا وصول العالم الجديد الى العالم القديم ؛ ونحن نحى هذا  
القدم . ولن تأتي أمريكا لنجدة اليونان فحسب وانما أيضاً لنجدة  
أوروبا . سوف تنقذ أمريكا اليونان من الانقسام ، وتنقذ أوروبا من  
العار .

ان في ذلك حروجا لأمريكا من سياستها المحلية ، ودخولها في  
ساحة المجد .

في القرن الثامن عشر حررت فرنسا أمريكا ؛ وفي القرن التاسع  
عشر سوف تحرر أمريكا اليونان . فياله من سداد رائع للدين .

أيها الأمريكيون ، كنتم مدينين لنا بذلك الدين الكبير ، الحرية ؛  
خلصوا اليونان ، نعظكم مخالصة بالدين . فالسداد الى اليونان سداد  
الى فرنسا .

فيكتور هوجو

أوتفيل هاوس في ٦ فبراير ١٨٦٩ :

---

(١) رعيم وفاته أتيتم - اسماع بطيية فطرد الطغاة الثلاثين من اتيا ، ونكس بذلك  
من اعاده الحكم الديمقراطي في عام ٢٠٢ في ٠٠م - للمرجم .

الى رؤساء التحرير المؤسسين الخمسة  
لصحيفة « لورابيل » (١)

اصدقائي الأعزاء :

لما كنت قد تلقيت تفويضا معلقا ، ولكنه غير ناجز ، فليس في وسعي أن أظهر على منبر الخطابة أو في الصحافة السياسية الا لكي أوصل هذا التفويض من حيث انقطع . وأؤدى واجبا قاسيا ؛ وتلزمي الحرية لأفعل ذلك ، كما هي الحال في أمريكا . وتعلمون ما صرحت به في هذا الشأن ، وتعرفون أنني لا أستطيع أن أتعاون مع أية جزيرة ، حتى تحين الساعة ، كما لا أستطيع أن أقبل أى ترشيح . يجب إذن أن أبقى غريبا بالنسبة الى صحيفة لورابيل .

وفضلا عن ذلك ، فإني لم أكتب أبدا في صحيفة « ليفيمان » لأسباب أخرى تفصل بالتعقيدات المترتبة على الحياة السياسية والأدبية المفروضة على . وصدورت صحيفة « ليفيمان » في عام ١٨٥١ بأربعة وستين ألف نسخة . هذه الجريدة الحية ، سوف تعيدون إصدارها بعنوان « لورابيل » .

« لورابيل » ( أى التذكرة ) - اننى أحب كل معانى هذه الكلمة . التذكرة بالمبادئ عن طريق الضمير ؛ التذكرة بالمقاسق عن طريق الفلسفة ؛ التذكرة بالواجب عن طريق الحق ؛ التذكرة بالموتى عن طريق التبجيل ؛ التذكرة بالقصاص عن طريق العدالة ؛ التذكرة بالماضى عن طريق التاريخ ؛ التذكرة بالمستقبل عن طريق المنطق ؛ التذكرة بالتقدم . في العلم عن طريق التجربة والحساب ، التذكرة بالله فى الأديان عن

(١) بول موريس ، أوجست فاكيرى . همرى روشفور ، شارل هوجر .

طريق الغاء عبادة الأوتان . واعادة تنظيم القانون عن طريق الغاء عقوبه  
الاعدام ؛ تذكرة الشعب بالسيادة عن طريق الانتخابات العامة المستنيرة ؛  
التذكرة بالمساواة عن طريق التعليم المجانى الالزامى ؛ التذكرة بالحرية  
عن طريق نهضة فرنسا ؛ التذكرة بالنور عن طريق صيحة « لتحييا  
العدالة ! » .

تقولون : هذى هى مهمتنا ! وأقول لكم . عدا عمليكم هذا العمل  
أديتهوه من قبل . سواء بصفنكم صحفيين أو شعراء . فى الكتيب .  
فى النضال . فى الكتاب . فى المسرح ؛ فى كل مكان وكل وقت . واليوم  
تتناولون من جديد هذه الجريدة القوية : « لورابيل » . ستكون جريده  
مشرقة وقاطعة كالحديد . فهى أحيانا سيف . وأحيانا شعاع من نور .  
سوف نقاتلون وأنتم تضحكون . أما أنا ، الهرم الحزين ، فانى أصغى  
للكم .

تسجعوا اذن . والى الأمام ! ما أقوى سلطان الضحك ! سوف  
تتخذون مكانكم فى الجماعة الباريسية للامعة . جماعة الصحف الضاحكة .  
أنباعا لكل ذوى العزائم الصادقة .

اننى أعرف استعاصمكم كما أعرف استقامتى . وفى نفسى مرآتها .  
ولذلك أعرف مقدها منهاجكم . لا أرسم لكم هذا المنهاج وانما أتنبئ من  
وجوده . لست أصبر الى أن أكون مرشدا . وانما أقنع بأن أكون شاهدا .  
تم انى لا أعرف الشئ الكثير فى هذا الباب . وعندما أنطق بكلمة .  
الواجب . أكون قد قلت تقريبا ما يجب أن أقوله .

عليكم قبل كل شئ . أن تكونوا اخوانا ، ممل للتألف . ولا يترتب  
على خطتكم أى انقسام فى صفوفنا . وستنتظرون دواما الضربة الاولى .  
وإذا سألتى احدهم عما فى نفسى اجب بكلمتين : المسألة والمهادنة ، الأولى  
لالأفكار ، والثانية للناس .

ويطلب الكفاح فى سبيل التقدم تركيز القوى ، والتصويب بدقة .  
واجادة الضرب . فلا يجوز أن تشرذم قذيفة او تضع رصاصه فى معركة  
المبادئ . العدو يستحق كل ضربتنا ، فاذا اخطأناه فى ضربة كنا ظالمين  
فى حقه . انه يستحق أن نضربه دواما بالمدافع الرشاشة ، وألا نطلق  
هذه المدافع الا عليه . العدو بالنسبة لينا ، نحن المتعطشين للعدالة  
والنطق والحقيقة ، اسمه الظلمات .

للطوائف الديمقراطية مظهران : فهى سياسية ، وهى أدبية . فهى  
فى السياسة قد رفعت لواء عام ١٧٨٩ ، ١٧٩٢ ، وهى فى الأدب قد

رفعت لواء عام ١٨٢٠ . هذه الواربخ ذات الاسماع المزدوج ، التي تنبر  
الحق من ناحيه . وتندر الفكر من ناحية اخرى . تتاحص في كلمة واحدة :  
النورة .

ونحن ، سلاله البدع المورية ، ابناء هذه الكوارب التي هي في  
الوقت نفسه انصارات . نفضل هرح الدراما على رسميات التراجيدبا ،  
وصيحة الشعب العميقة على الحديث المسادل بين الملوك ، وبارسى على  
برسای . لقد وصل الفن مع المجمع الى الغاية وهي « الدنيا للجميع »  
Onmia et emmes أما المرون الأخرى فكانت حاملة للسجان .  
وتحسد لكل قرن منها ، في نظر الساربخ . في شخصيه بيلور فيها  
الاستنتناء القرن الخامس عشر هو البابا . والسادس عشر هو الأمبراطور .  
والسابع عشر هو الملك ، والتاسع عشر هو الانسان .

خرج الانسان ، واقفا وحرا ، من تلك الجوة الكبيرة ، القرن الثامن  
عشر .

ولنجل هذا القرن الثامن عشر ، القرن الحاسم الذي بدأ بوفاة  
لويس الرابع عشر ، وانتهى بموت الملكية .

سوف تقبلون هذا المرات . لقد كان قرنا بهيجا ورهبيا .

في عرفكم أن تكونوا باسمين وبغضين . وأنا أؤيدكم في ذلك .  
الابنسام نضال . البسمة التي ترمق السلطة المطلقة قوة عجيبة تسبب  
الشلل . لقد حر لوسبان جوبتير . ومع ذلك لم يلجأ جوبيتير ، اله  
الروح ، رغم غضبه ، الى السيد . ( وهنا افتح قوسا . لا تحرجوا في  
أن تستبدلوا خطوطا منقوطة بأى موضع في كتابتى هذه يحلو لكم أن  
تفعلوا به ذلك . وهنا أقفل القوس ) . لقد تغلبت سخرية الموسوعيين  
على مذهب مولينا (١) والبابوية . يا لها من أمثلة عظيمة رائعة . لقد  
كشفت هؤلاء الفلاسفة الشجعان عما في الضحك من قوة . السخرية  
من الأخطبوط أمر يبدو غريبا ، ومع ذلك فهو شيء بديع : أولا لأن  
الكثير من حيوان الأخطبوط له جلد رقيق يؤثر فيه وخز الابر أكثر  
مما يؤرء ضربات الهراوة . أما اشباه الأخطبوط من البشر ، ومنهم  
القياصرة ، فالتهمك يفزعهم ، وخاصة اذا كان في هذا التهمك دعوة الى

(١) لوى مولينا ، من الجزويت الاسبان ( ١٥٣٥ - ١٦٠٠ ) صاحب مذهب  
« المولنبية » الذي يهدف الى التوفيق بين الحرية وبين البصيرة والرحمة الربانية - الترجمة  
٣ ، ٤ ، ٥ - انظر هامش الصفحة التالية .

النور • اذكروا الديك الذى يغرد على ظهر نمر • الديك هو الهيكم ،  
وهو أيضا فينسا •

وفد أنبت القرن الثامن عشر سيادة الهيكم • قابلوا بين القوة  
المادية والغوة الروحية ، احصوا الكوارث التى تم التغلب عليها ،  
والوحوش التى تم القضاء عليها • والضحايا الذين نالوا الحماية •  
اجعلوا فى ناحية ليرن ، ونيميه ، دايريمانث ، ونوركرت ، وننن  
الهييسيريد • وأنتى المخنوق ، وسيرير المكبل بالأغلال ، و ( اسطبلات )  
أوجياس وقد نظفت ، وأطلس وقد تخفف من أقاله ، وهيزيونى وقد  
أنقذ ، والسبست وقد تحرر ، وبيروميثيوس وقد أنجد ، واجعلوا فى  
فى ناحية أخرى الخرافة وقد انكشف أمرها • والنفاق وقد نزع نقابه ،  
ومحاكم التفتيش وقد أمحت من الوجود ، والهيئة القضائية وقد كمت ،  
والتعذيب وقد وصم بالعار ، وكالاس (١) وقد رد اعتباره ، ولابار (٢)  
وقد أخذ بناره ، وسيرفين (٣) وقد دوفع عنه ، والأخلاق وقد تهذبت ،  
والقوانين وقد أصلحت ، والعقل وقد أطلقت حريته ، والضمير الانسانى  
وقد تخلص هو أيضا من الرخمة التى هى النعصب • اسنرجعوا تلك  
الذكرى المقدسة ، ذكرت الانتصارات لانسانية الكبيرة ، وقابلوا أعمال  
هرقل الاثنى عشر بأعمال فولتير الاثنى عشر • هنا عملاق القوة وهناك  
عملاق الروح • من الغالب ؟ أفاعى المهد هى الأوهام الباطلة • أروية  
( فولتير ) قتل هؤلاء ( أى الأوهام الباطلة ) مثلا قتل « السيد » (٤)  
أفاعى المهد •

سوف تجرون أقلامكم بمساجلات حية قوية • هناك حق مكقول  
محتنم تستمتعون به ، ذلك هو حق الرد • لقد استعملت أنا الذى أتكلم  
هنا الحق ، تحت مسئوليتى ، بل وأسأت استعماله • ولكم أن تحكموا •

---

(١) جان كالاس ، تاجر من تولوز ، ولد عام ١٦٩٨ ، اتهم ظلما بقتل ابنه لسعه من  
الارنداد عن المذهب البروتستانى ، واعدم على عجلة الاعدام فى عام ١٧٦٢ تنفيذاً لحكم  
المرنان ، ثم رد اليه اعتباره فى عام ١٧٦٥ بعد أن دافع عنه فولتير دفاعه المشهور - المترجم •  
(٢) لانار ، جان فرانسوا - نبيل فرنسى ، اتهم بكسر اطراف صلب عله صورة  
المسح ، فقطع رأسه ثم احرق ( ١٧٤٧ - ١٧٦٦ ) - المترجم •

(٣) سر بول سيرفان - بروتستانى ، ولد عام ١٧٠٩ وحكم عليه بالاعدام فى عام  
١٧٦٤ لاهامه بالاشتراك فى قتل ابنته لمنعها من اعتناق المذهب الكاثوليكى • استطاع مع  
ذلك الفرار ، وتنج فولتير فى رد اعتباره بعد خمس سنوات - المترجم •

(٤) السند - من سلالة هرقل ، البطل الأسطورى اليونانى المعروف - المترجم •



فى ذلك • فذات يوم - ولا بد أن نذكره - فى عام ١٨٥٦ . فى عيد الجمهورية . كنت أحدث على سبر الجمعية الوطنية . وقال : الرئيس لوى بونايرت ينامر • وعمدؤذ صاح فى وجبى رجل ومخور من أنصار الجمهورية القدامى ، اسمه السيد ميبار - وقد توفى وهو عضو بمجلس الشيوخ - صاح غاضبا : انك مفتر أنيم • فأجبت بكلام غير معقول : أنا أفصح مؤامرة لاعادة الامبراطورية • عد هذا هددنى السيد دوبان بأن يوجه الى نسيها بمراعاة النظام ، وهى عقوبه رهيبه اسمحقها • وارعدت • وكتب لحسن حظى معروفا بشئ من البلاهة ، وهذا ما أنقذنى . فقد صاح احد أعضاء الأغلبه فائلا بنوع من الشفقة : السيد فكتور هو جو لا يعرف ما يقول ! وكان لهذا الكلام السمع وقع السحر فهذا كل نىء ، وأخفى السيد دوبان حفيظته فى جسده ( وفى هذا الجيب كان يضع رايته عن طيب خاطر • جيب واسع • وود فى هذه المناسبة لو استطاع أن يخفى نفسه فى داخل جيبه هذا ) • وهكذا ترون معى أنى فد أسأت استعمال حق الرد • ومن ثم فلتخدم هذا الحق •

جرى هذا فى زمان غريب • كنا فى عهد الجمهورية ، ومع ذلك كانت صيحة « لتحبنا الجمهورية » تعتبر باعنا للفتنة والتمرد • أما أنتم فقد كنتم جمعا فى السجن ، باستثناء روشفور الذى كان وقتئذ فى الكلية ، وهو اليوم فى بلجيكا •

ولسوف نشجعون جماعة الشعراء الشبان اللامعين الذين ينهضون اليوم فى كبر من التألق والاشراق ، ويدعمون بأعمالهم ومآثرهم مبادئ هذا القرن العظيمة القوية • ولن يخلو عملكم من الشجامة والكرم • اكشفوا عن كلمة السر فى الأمل لهذا الشباب المدهش ، شباب اليوم الذى يحمل على جبينه سراجة المستقبل وطيبته وإخلاصه • سوف تجمعون فى ذلك الايمان المشترك الذى لا يهن ولا يقسد تلك المجموعة الكبيرة من العقول الأبية المواظبة على الدرس والتحصيل ، التى تنبض بفرحة الاشراق ، وتملأ المدارس فى الصباح والمسارح - التى هى نوع من المدارس - فى المساء ، تبحث فى الصباح عن الحقيقة فى العلم ، وفى المساء تشهد العظمة فى الشعر أو تصفق له ، وتنشد الجمال فى الفن أو تصفق له • أعرف هؤلاء الشبان النبلاء ، شباب اليوم ، وأحبهم • انى على علم بخليجاتهم ، وأشكرهم على هذه المهمة الرقيقة التى كدرا ما يرسلونها الى أذنى . كأنها مهمة سرب بعدد من النحل • ان لهم ارادة غامضة قوية ، وسوف يصنعون الخير ، وأنا كفيهم فى ذلك • ذلك الشباب ، هو زهرة فرنسا ، هو النورة وقد بزغ فجرها من جديد •

عليكم أن تتصنؤوا بهذا الشباب . ايقظوا بجميع الكلمات السحرية .  
من قبيل الواجب والشرف والعقل والفهم والوطن والانسانية والحريه  
نلك اللطابه من الأصداء الموجودة فى نفوسهم . انها انعكاسات عميقة قابلة  
لكل الردود العظيمة .

اصدقائى . وأنتم يا أبنائى ، هيا ، ناضلوا نضالكم الباسل ،  
ناضلوا من غبرى . ومعى . من غبرى لأن فلى المغائل القديم لن يكون  
مع أقلامكم . ومعى لأن روحى ستكون مع أرواحكم . ها ، أنشطوا .  
وكافحوا ! ابجروا بجراة صوب قطبكم الهادى، الذى لا يمكن ازعاجه ،  
صروب الحرية . ولكن نجبوا الصخر ، ففى البحر صخور . وسوف  
يكون معى من الآن ، وفى وحدتى ، ذلك الأمل المرتقب ، صحيفة  
« لورايل » المنتصرة ، لتغيرأحلامى القديمة . ونأمل أيضا أن نواصل  
« لورايل » صدورها .

لن أعاود الكتابة فى هذه الصحيفة التى احبها ، ولن أكون منذ  
الغد الا واحدا من قرائكم . قارى، حزين ورؤوف . سوف تواصلون  
جهدكم ، وأواصل جهادى . فضلا عن ذلك فانى لم أعد أصلح لشيء ،  
ألهم الا ان اعيش فى عزلة مع المحيط . أنا الشيخ المسن الهادى  
الفلق . هادى، لأنى فى اعماق أغوار الهاوية ، وقلق لأن بلدى قد يسقط  
فى هذه الهاوية . ويمثل المشهد الذى امامى هذه القصة المفجعة . مشهد  
الربد وهو يهين الصخر . وأنشاغل بعظمة الطبيعة عن أمجاد الامبراطورية  
والملكية . ما أعمسة أن يزيد على الناس أو ينقص مهم انسان وحيدا !  
الشعوب تمضى الى مصائرهما . لسر نمه نهاية لا يسبقها اعداد وتعبئة .  
الستين تزدى عملها البطى، فى الانضاج ، حتى تنجهز الأمور . وبينما  
نتوج الكنيسة البابا فى مناسبة عمده الخمسين . أفتت أنا خبزا على  
سطح منزلى ، المقه الى العصافر ، ولا انسل فكرى باى تنويج ، ولا حتى  
بما يتوج أى بنا .

أوتفصل هاوس فى ٢٥ أبريل ١٨٦٩ .

فيكتور هوغو

## مؤتمر السلام في لوزان

بروكسل في ٤ سبتمبر ١٨٧٩ :

مواطنو الولايات المتحدة الأوروبية .

اسمحوا لي أن أطلع عليكم هذا الاسم لأن الجمهورية الانحاديه  
الأوروبية قد تأسست فانونا في انتظار ناسسها بالفعل . انتم موجودون ،  
ههنا اذن موجودة . وسبب من وجودها بانحدكم الذي يرسم الوحدة .  
انتم بداية المستقبل العظيم .

قلدموني الرئاسة الفخرية لمؤتمركم ، فمسستم بذلك شغاف ولبى  
مسا عميقا .

مؤتمركم اكثر من مجرد مجلس يضم ذوى الالهاب ، انه بنوع ما  
لجنة لصياغة قوانين المستقبل . لا وجود للصفوة الا اذا كانتتمتل  
جمهور الناس ، وانتم تلك الصفوة . وعليكم من الآن أن تعلموا لأصحاب  
انسان أن الحرب وبال ، والقتل خرى وعار ، حتى ولو كان عملا مجيدا  
أو ملكيا طنانا نفاجا ، ودم الانسان تمين ، والحياة مقدسة . اعذار  
رسمي .

لا مناص من حرب أحيرة مع الأسف ! لست بالتأكد من أولئك  
الذين ينكرون ذلك ، نرى أى حرب ستكون ؟ حرب غزو وفتح . أى  
نحج تنتهى اليه ؟ الحرية .

الحرية هى اول حاجة للانسان ، أول حق له ، أول واجب عليه .

وتتميل الحصاره بصوره حتمية الى وحدة الاسلوب ، ووحدة القياس المتردى ، ووحده المد ، والى انصهار الهمم فى الانسانية التى هى الوحدة الكبرى . لوفانى مرادى . هو التبسيط ، لكن للروه والحياة مرادف ، هو التداول . وأول انواع العبوديه افامه الحدود .

الحدود يعنى القيود . اقطعوا العيود ، أدبلوا الحدود ، اطرذوا موظفى الجمارك والجنود ، وينعير آخر كونوا احرارا ، وبالتالى يأسى السلام . سلام عميق . سلام دائم لا رجوع فيه ، سلام متبع . وضع سوى للعمل ، وبيادل السلع . والعرض والطلب . والانتاج والاستهلاك ، والجهد المشترك المسيح ، وجاذبية الصناعات ، وحركة الافكار ، وحركة الانسانية مدا وجزرا .

من صاحب المصلحه فى افامه الحدود ؟ الملوك . يفرزون ليسودوا . يتطلب الحدود طارمة ( تخشيه ) والطارمة نستلزم حارسا . « مموع المرور » عبارة نخص بها كل الامتيازات ، والمحظورات ، والرقابات ، وضروب الطغيان . ونخرج مصائب الانسانية من هذه الحدود والطوارم ، زمن هؤلاء الجنود .

ولما كان الملك هو الاستثناء ، فانه يحتاج فى الدفاع عن نفسه الى الجندى ، ويحتاج الجندى بدوره الى العتل حتى يعيش . لابد للملوك من جيوش ، ولابد للجيوس من حروب ، والا تلاثب العلة فى وجود الملوك والجيوش . ومن العجيب أن يوافق الانسان على قتل الانسان دون أن يعرف سببا لذلك . فن الطغاة أن يجعلوا من الشعب جيشا ، فيعتسف نصف الشعب النصف الآخر .

للحروب كلها حجج سنتى ، ولكن ليس لها أبدا سوى سبب واحد ، هو الجيش . امحوا الجيش . صحى الحرب . ولكن كيف يمحق الجيش ؟ بمحو الاضطهاد .

كل سىء ينسب بكيانه ! عليكم اذن ان نمحوا الطفيليات فى جميع صورها ، من روانب ملكية ، وألوان التخازل والتواكل التى تدفع لها الاجور . وطوائف دينية تجرى على أفرادها المهايا . وهيئات قضائية صرف لها النفعا والمردبات . ووظائف ارستقراطية يتغنى أصحابها المهايا دون أن يعملوا شيئا ، وتنازل الدولة عن المباني العامة بلا مقابل ، وجيوش دائمة . أجروا هذا المحو ، وسوف تربح أوروبا عشرة مباريات فى العام . هاكم بجرة قلم مشكلة الفاقة مبسطة .

ولكن العروس نرفض هذا البسيط . ومن ثم كانت العابات من حراب البنادى .

وتنفى آراء الملوك فى نفضة واحدة : ان سديم الحرب ابد الأباد . ويعتقد الناس انهم يعاركون ، ايدا ، بل انهم ينعانون . أكرر القسول ان الجندى يجب أن يبرر وجوده . وتأيد الجيش تأيد للاستعداد . انه لمنطق رائع وقاس ولا ريب . والملوك ينهكون مريضهم ، وهو السئب ، بسعك دماثة . هناك اخاء وحشى بين الأسلحة الفتاكة يترتب عليه استعباد الناس .

لذلك عليكم بالمضى نحو الهدف الذى سمينه فى موضع آخر « اسعادة الجندى فى شخص المواطن » . وفى اليوم الذى تم فيه هذه الاسعادة ، والذى يختمى فيه رجل الحرب ، ذلك الاخ العدو . فلا يكون له وجود منفصل عن الشعب . يصبح الشعب وحدة واحدة متكاملة .حياة ، وتكون المدينة كلها موافقة متناسفه . وضم فى ذاتها قوة ، هى قوة العمل . وروحا . روح السلام ، حى بخلق النزوة من جانب ، والنور من جانب آخر .

فيكتور هوجو

واحتجزت مشاغل عائلية فيكتور هوجو فى بروكسل . ومع ذلك ، وبناء على الحاج شديد من المؤتمر ، صبح عزمه على الذهاب الى لوزان .

وفى يوم ١٥ سبتمبر افتتح المؤتمر . واليك ما قاله فيكتور هوجو :

نعوزنى الكلمات لكى اعبر عن مبلغ تائرى بالحفاوة التى استقبلتمونى بها . وانى لأبدى للمؤتمر ولجمهور المستمعين الكرام الطيبين آيات تائرى العميق . أياها المواطنين ، كنتم على حق حين اخترتم مكان اجتماعكم ومداولاتكم هذا البلد النبيل . بلد جبال الألب ، فهو قبل كل شئ بلد حر ! ثم هو بلد سام . نعم ، هذه الطبيعة الرائعة تتواءم مع اعلان النصر يحات الانسانية العظيمة ، ومنها : لا حرب بعد اليوم !

ونمة سؤال يسيطر على هذا المؤتمر .

واسمحوا لى ما دتم قد منحتهمونى هذا الشرف الرفيع باختيارى رئيسا ، اسمحوا لى أن أذكر لكم هذا السؤال . وسأوضحه فى كلمات

قلائل . ماذا نريده نحن الموجودين هنا جميعا ؟ السلام . نريده السلام ، ونريده بجرارة ، نريده بالتأكيد : بين انسان وانسان ، وبين شعب وشعب ، وسلالة وسلالة ، وأخ وأخ : بين هابيل وهابيل . نريده زوال الضغائن والأحقاد ووجودها .

ولكن هذا السلام ، كيف نريده أن يكون ؟ هل نريده بأى ثمن ؟ بلا شروط ؟ كلا نريده سلاما . وظهورنا مقوسة ، ورؤوسنا مطاطة . لا نريده سلاما فى ظل الاستبداد : لا نريده سلاما تحت ضربات العصا : لا نريده سلاما تحت صولجان الملك .

أول شروط السلام هو الخلاص . وهن أجل الخلاص لابد من نورة ، هى الدورة الكبرى : أو ربما حرب : تكون مع الاسف الحرب الأخيرة . عندئذ يتم كل شيء . وعندما يصير السلام متيعا ، لا ينتهك ، يصبح سلاما أبديا . عندئذ لن نكون مئة جيوش ولا ملك . ويتلاشى الماضى . هذا هو ما نريده .

نريد أن يعيش الشعب وينشط ، ويشترى ويبيع . ويستغل ، ويتكلم ، ويحب ويفكر بحرية : نريد أن تكون هناك مدارس تصنع المواطنين . وألا يكون هناك أمراء يصنعون المدافع الرشاشة . نريد جمهورية القارة الكبرى ، نريد الولايات المتحدة الأوروبية .

وأختم مقال بهذه الكلمة : الحرية هى الغاية ؛ السلام هو النتيجة .

واستمرت مداوات « أصدقاء السلام » أربعة أيام . وختتم فيكتور هوجو المؤتمر بهذه الكلمات : أيها المواطنون .

يفتضىنى الواجب أن أنهى هذا المؤتمر بكلمة ختامه . وسأجهد أن تكون هذه الكلمة ودية ، فساعدونى على ذلك .

أنتم مؤتمر السلام : أى مؤتمر الصلح . واسمحوا لى بهذه المناسبة أن استرجع احدى الذكريات .

فى عام ١٨٤٩ ، أن منذ عشرين سنة ، كان فى باريس ، كما يوجد اليوم فى لوزان ، مؤتمر للسلام . كان ذلك فى يوم ٢٤ أغسطس ، وهو يوم دهوى ، يوافق الذكرى السنوية لأحداث سانت بارتيليمى . وكان هناك قسيسان يمثلان الشكلين المختلفين للمسيحية ، الراعى كوكيريل ، والأب دوجيرى . وأثار رئيس المؤتمر ، وهو الذى يتشرف بالتهنئة اليكم فى هذه اللحظة ، أثار الذكرى المشنومة لعام ١٥٧٢ ، وجه الخطاب الى القسين قائلا : « فليقبل كل منكما الآخر » .

وفى ذكرى هذا التاريخ المشنوم ، وامام عنافات الجمعية . ببادلت  
البروسمسياسيه والكابوليكيية القبلات ( تصفيق ) .

واليوم ، بعصلنا بضعة أيام فلال من تاريخ آخر . تاريخ مجيد ،  
بعدر ما كان التاريخ الاول محزيا . فمحن على قاب قوسين من يوم ٢١  
سبتمبر . فى ذلك اليوم ناسب الجهورية الفرسية . وكما حدث  
فى يوم ٢٤ أغسطس ١٥٧٢ حين فال الاستبداد والتعصب كلمنهما  
الآخيرة . الاياة ، حدث فى يوم ٢١ سبتمبر ١٧٩٢ أن اطلقت  
الديموقراطية صبجها الاول : الحرية ، المساواة ، الأخاء !  
( برافو . برافو ! ) .

حسن ! فى حضرة هذا التاريخ الجليل . أتذكر هابن الديانتين  
كان يسلمها قسيسان نعانفا وقبل أحدهما الآخر : وأطاب تقبيلاً آخر ،  
تقبيلاً ميسورا ليس من سآه أن يسدل ستار النسيان على أى سىء ،  
أطلب أن تقبل الجهورية والاشتراكية كل منهما الأخرى ( تصفيق )  
ملسويل ) .

يقول أعداؤنا : سوف ترضى الاشتراكية بالامبراطورية عند  
الحاجة . ولكن هذا غير صحيح أعداؤنا يقولون : الجهورية بجهل  
الاشتراكية . وهذا غير صحيح .

فالصيغة النهائية العليا التى ذكرتها مند هنيهة نعبر عن الاشتراكية  
فى نفس الوقت الذى نعبر فيه عن الجهورية .

هناك الى جانب الحرية التى تتضمن الملكية ، المساواة التى تتضمن  
حق العمل ! وهذى هى الصيغة الرائعة لعام ١٨٤٨ ! ( تصفيق ) .

وهناك الأخاء الذى يشمل التضامن .

وعلى ذلك فالجهورية والاشتراكية سى واحد ( صيحات برافو  
منكرة ) .

لست أنا الذى أخاطبكم ، أيها المواطنون . من كانوا يسجون فيما  
مضى واحدا من جمهورى الأمس ، ولكنى واحد من اشتراكي أمس  
الاول . فاشتراكىتى ترجع الى عام ١٨٢٨ . من حقى اذن أن أتحدث  
عنها .

الاشتراكية فسيحة ، ليست ضيقة . انها نخاطب المشكلة الانسانية  
كلها ، ونحيط بالمفهوم الاجتماعى كله . وفى الوقت الذى نطرح فيه  
المسألة الهامة المتعلقة بالعمل والأجر ، تنادى بحصانة الحياة البشرية

والغاء القتل بجميع صوره . وامصاص العقوبة عن طريق التعليم .  
فيالها من مشكلة تحل بأعجوبة ( عظيم ! ) . والاشتراكية نطالب بالتعليم  
المجانى الازامى ، وتنادى بحق المرأة . تلك المخلوقة المساوية للرجل .  
( برافو ! ) وتنادى بحق الطفل ، الطفل الذى يتحمل الانسان مسؤوليته  
( عظيم ! - تصفيق ) ؛ وتنادى أخيرا بسيادة الفرد ، السيادة التى هى  
عين الحرية . ما كل هذا ؟ انها الاشتراكية . نعم . انها أيضا الجمهورية !  
( تصفيق طويل ) .

أيها المواطنون ، الاشتراكية تؤكد الحياة ، والجمهوريه تؤكد  
الحق . الأولى نرفع الفرد الى مرتبة الانسان ، والثانية ترفع الانسان الى  
مرتبة المواطن . فهل هناك توافق أعمق من هذا ؟

نعم ، نحن جميعا متفقون : ونحن لا نريد قياصرة . وانى لأدافع  
عن الاشتراكية المقترى عليها !

وفى اليوم الذى يطرح فيه السؤال مخيرا بين العبودية مع الرفاهيه  
من جهة ( خبز والعب ) . وبين الحرية مع الفقر من جهة أخرى ، لا يتردد  
انسان فى الاجابة ، لا فى صفوف الجمهوريين ، ولا فى صفوف  
الاشتراكيين . وانى أعلن وأؤكد أن الجميع سوف يفضلون خبز الحرية  
الأسود على خبز العبودية الأبيض ( صحبات استحسنان مستمرة  
« برافو » ) .

علينا اذن الا نترك للعداوة فرصه البزوع والانبات . ولنتكاتف  
اذن يا اخوانى الاشتراكيين ، ويا اخوانى الجمهوريين ؛ لتتكاتف بقوة  
حول العدالة والحقيقة ، وتواجه العدو ( نعم ، نعم ، برافو ! ) .

ما العدو ؟

العدو هو شئ، أكر من اسان وافل منه ( حركة ) . انه مجموعة  
من الأحداث البشعة التى تنقل على العالم وتبتلعه ؛ وحسن له ألف مخلب  
رغم أنه لا يملك سوى رأس واحد . العدو هو ذلك التجسيد المشثوم  
للجريمة العسكرية والملكية القديمة . هو الذى يكتم أفواهنا وينهتنا ؛  
يضع يده على أفواهنا ، وداخل جيوبنا ؛ يملك الملايين والميزانيات ،  
والقضاة ، والقساوسة ، والخادم والحشم والقصور ، والمخصصات  
الملكية ، والجيوش كلها ؛ ولكنه لا يملك شعا احدا . العدو هو ذلك  
الذى يسود ويحكم ويحتضر فى هذه اللحظة ( تأثر عميق ) .

أيها المواطنون ، لنكن أعداء للعدو ، ولنكن أصدقاء لأنفسنا .



لنكس روحا واحدة نقاتل العدو ، وقلبا واحدا لنتحاب . آه ! أيها  
المواطنون . الأخاء ( هتاف ) .

كلمة أخرى وأنتهى .

لنحول أنظارنا الى المستقبل . لنفكر فى اليوم الاكيد . اليسوم  
المحنوم . ولعله يوم غريب ، الذى سنسأل فيه أوروبا على غرار هذا  
الشعب السويسرى النبيل الذى يحفى بنا فى هذه الساعة . هذا  
الشعب الصغير له أمجاده ، وله وطنه المسمى « الجمهورية » . وله جبل  
اسمه « لافيرج » ( أى العذراء ) .

لسكن لسا منله الجمهورية حصا . ولكن حريننا النعيه عبر  
المدسية ، كقمة جبل « بونجفراو » ( ١ ) . ذروة عذراء نفيض بالانوار  
( هتاف متواصل ) .

وأحى ثورة المستقبل .

---

(١) ومعناها « العذراء » من قمم جبال الألب الألمانى - المترجم .

## الرد على رسالة فليكس بيات (١)

بروكسمل في ١٢ سبتمبر ١٨٦٩ :

عزيزي فليكس بيات :

قرأت خطابك الودي الرائع \*

وأنت تعرف أنه ليس من حفي أن أتكلم باسم زملائنا في المنفى \*  
لذلك اقتصر في اجابتي على ما يخصني \*

وأظن أنه لن يمضي وقت طويل حتى يسقط حاجز الشرف الذي  
مرضته على نفسي تصديقا لقول الشاعر : وإذا لم يبق غير واحد ، فسوف  
أكون هذا الواحد \*

وعلى ذلك سأعود \*

وبعد أن أدت واجب المنفى ، سوف أؤدي الواجب الآخر \*

وأنا ملك لضميري وللشعب \*

فيكتور هوجو

---

(١) انظر الملاحظات \*

## أزمة أكتوبر ١٨٦٩

الامبراطورية نميل الى الزوال . وصرنا نميز بوضوح في كل أعمالها تلك الدلالات التي تفصح عن الأشياء التي تسير بها الى نهايتها .  
 ففي أكتوبر ١٨٦٩ نقضى لدى بونابرت الدستور الذي صنعه بنفسه .  
 وكان عليه أن يدعو الى الانعقاد في يوم ٢٩ منه ما كان يسميه بمجلسيه ولكنه لم يفعل ذلك . وكان من سداجة الشعب أن تدمر لأمر بسيط كهذا . وبدت بوادر تهديد بثورة . وأبدى بعضهم أن ليفيكتور هوجر يدا في هذا السخط والغضب ؛ وطن الناس في لحظة ما أن الموقف في أيدي رجلين ، أحدهما الامبراطور الذي اعتدى على الدستور ، والآخر منفي يهيج الشعب .

ونشر السيد لويس جوردان في ١٢ أكتوبر في صحيفة «لوسيكيل» مقالا أحدث دويا كبيرا ، بدأ بهذه السطور :

هناك في هذه اللحظة رجلان يشغلان أكثر المراكز تباعدا في عالم السياسة ، ويحملان أضخم مسئولية يمكن أن يحملها ضمير انسان : أحدهما جالس على العرش ، وهو نابليون الثالث ، والآخر فيكتور هوجسو .

ولما كان في هذه العبارة دعوة صريحة ليفيكتور هوجو ، فقد كتب هذا الى السيد لويس جوردان ما يأتي :

بروكسل في ١٢ أكتوبر ١٩٨٦ .

عزيزى وصديقى القديم .

جاءنى بعضهم بجريدتك « لوسيكيل » وقرأت مقالك الذى اثر فى نفسى ، وشرفنى ، وأدهشنى .

وما دمت تدعونى الى الكلام ، فما أنذا أتكلم .

- وأشكرك اذ مهدت لى الطريق لى ازيل بعض اللبس والغموض .
  - نلست أول كل سىء سوى فارسى عادى من قراء صحيفة « لورابيل » .
  - وأعتقد أنه سبق لى أن قلت هذا بوضوح كاف يعينى من اعادة قوله .
  - ثم انى لم أنصح ولا أنصح بتنظيم أية مظاهرة شعبية يوم ٢٦ أكتوبر .
- وقد أبدت صحيفة « لورابيل » كل التأييد فى طلبها الى ممثلى اليسار أن يأبوا عملا تشترك معهم فيه باريس كلها . وما طلبته « لورابيل » هو تنظيم مظاهرة سلمية مجردة من أى سلاح ، على غرار مظاهرات شعب لندن فى مثل هذه الحالة . ومظاهرة المائة والعشرين ألف « فىنى » (١) فى مدينة دبلن منذ ثلاثة أيام .

ولكن اليسار رفض هذا العمل ، فكان لزاما على الشعب أن يمتنع عنه .  
 وافتقر الشعب الى ركيزته .  
 اذن فلا مظاهرات .

- الحق فى جانب الشعب ، والعنف فى جانب السلطة . فعلينا  
 الا نتيح للسلطة أية حجة لاستخدام العنف ضد الحق .  
 لا يحوز لانسان أن ينزل الى الشارع فى يوم ٢٦ أكتوبر .  
 والشئ الذى يصدر بالفعل عن هذا الموقف هو الغاء القسم (٢) .  
 والمخرج الحقيقى للازمة هو تصريح علنى يصدر من ممثلى اليسار يتحالمون  
 به من القسم الذى اودوه فى مواجهة الأمة . وهذا مخرج خلقى وثورى .  
 وانى لأجمع بين هاتين الكلمتين عن قصد .

فليمتنع الشعب ، فتشمل البنادق ؛ وليتكلم ممثلو الشعب ، فيلقى  
 القسم .

تانكم نصيحنائى . ومادمتم قد تفضلتم بطلب رأىى ، فهاكم رأىى  
 بأكمله .

- وكلمة أخيرة . فى اليوم الذى أنصح فيه بالنورة ، سبأكون فيها .
- ولكنى لا أنصح بها هذه المرة .

أشكرك على نداءك البليغ ، وهأنذا البيه على عجل ، وأصافحك ،  
 فيكتور هوجو

---

(١) الفينيون أعضاء جمعية ثورية ابرلايدية ، فانها تخلص ايرلندا من السيطرة  
 الانجليزىة - المترجم .  
 (٢) القسم بيمين الولا، للإمبراطور ودستور الإمبراطورية - المترجم .

جورج بيبودى (١)  
الى رئيس اللجنة الأمريكية بلندن

أوتفيل هاوس فى ٢ ديسمبر ١٨٦٩ :

سسيدي :

وصلنى خطابك اليوم ٢ ديسمبر ، وأشكرك . وقد انتزعنى خطابك من ذكرى الامبراطورية ، فهأنذا أنساها وأفكر فى أمريكا . كنت أواجه الليل ، والآن استدير نحو النهار .

تطلب منى حديثا عن جورج بيبودى : وتظنتى فى وهمك السمع الكريم شخصا غير شخصى . تظنتنى صوت فرنسسا . وخيل لى من قبل أننى صوت المنفى فحسب . مهما يكن الأمر يا سيدي فان نداء نبىلا مثل ندائك لابد أن يسمع . وعيما قل سأنى فمن واجبى أن ألبى النساء . وهأنذا البسه .

نعم ، أمريكا على حق حين تفخر بهذا المواطن العالمى العظيم ، بهذا الأخ الكبير للناس ، جورج بيبودى . كان بيبودى رجلا سعيدا ، يتألم لجميع الآلام ؛ غنيا يشعر بما يشعر به الفقراء من برد وجوع وعطش . كان مكانه بالقرب من روتشيلد (٢) ، فاستطاع أن يغير هذا المكان بحيث أصبح فرييا من فانسان دو بول ( القديس ) . كان له مثل يسوع المسيح جرح فى جانبه ، وكان هذا الجرح هو تعاسة الآخرين . ولم يكن ما يسيل من هذا الجرح دما ، وإنما كان ذهبا ، ذهب يتدفق من قلب انسان .

(١) جورج بيبودى - محسن أمريكى . ولد فى دنفرس ( ١٧٩٥ - ١٨٦٩ ) - المرحوم  
(٢) عند أسرة أعضاؤها من أقوى رجال المال فى أوروبا - أسرة روتشيلد - وهى أسرة يهودية ، تملك مصارف فى كل بلاد العالم - المرحوم .

على هذه الأرض رجال يخفدون ورجال يحبون . وكان يببوى  
من أهل الحب . وعلى محبا هؤلاء ابتسامه ربابية . ما هو الفسانون  
الذى يمارسونه ؟ قانون واحد ، قانون الأخذ . قانون الهى ، قانون  
انسانى ، ينوع النجذات تبعاً لتنوع الشهادت : يعطى المبادئ فى  
مكان ، والملايين فى مكان آخر : يرسم فى ظلماتنا عبر القرون خطاً من  
النور يمتد من اليسوع القبر الى بسبوى الغنى .

فايعد بببوى الى بلادكم يحدل شكرنا وبركتنا ! ان عالمنا ليحمسد  
عالمكم علته . سوف يحافظ الوطن على رماده ، ونحتفظ قلوبنا بتكرهه .  
ولنحمله البكم أهواج البحر الفسبحة المضطربه ! لن يبسط العلم  
الأمريكي أبدا ما يكفى من النجوم فوق هذا التعس .

وثمة مقابلة لابدى من اجرائها . ففى مثل هذا اليوم من عشر  
سنوات ، فى يوم ٢ ديسمبر ١٨٥٩ ، وجهت ، أنا الوحيد المعسك ،  
التماسا الى الأمة الأمريكية المجيدة من أجل المحكوم عليه بالاعدام فى  
هاربرزفرى . واليوم أوجه لها خطاب تمجيد . فمئذ عام ١٨٥٩ جرت  
أحداث عظيمة . اذ ألغى الرقى فى أمريكا . وفى مأمولنا أن يلقى فى  
يوم من الأيام ذلك اللون الآخر من الاستعباد ، وهو الفاقة . وعلينا الى  
أن يأتى العمل التقدمى الثانى ليكمل الأول ، أن نكرم رسولى العملين .  
فنجمع فى فكرة واحدة من التوفير والعرفان بالجميل كلا من جون براون ،  
صديق العبيد ، وجورج بببوى ، صديق الفقراء .

وانى لأشد على يدك يا سيدي مصافحا . .

فكتور هوجو

الى السيد الكولونيل بيرتون  
رئيس اللجنة الأمريكية بلندن

## الى شاول هوجو

أوتفيل هاوس في ١٨ ديسمبر ١٨٦٩ :

ها أنت ذا يا ولدى قد أصبت لثاني مرة • في المرة الأولى ، منذ  
تسع عشرة سنة ، كنت تكافح آلة الاعداء ، وأدانوك • واليوم للمرة  
الثانية ، عندما دعوت الجنود الى الأخاء ، كنت تناضل الحرب ، فادانوك  
أيضا • واني لأحسدك على هذين المجدين •

في عام ١٨٥١ ، تولى الدفاع عنك « كرميو » ، ذلك القلب الكبير ،  
واللسان الفصيح ، ودافعت أنا عنك معه • وفي عام ١٨٦٠ ، دافع عنك  
جامبيتا الذي يعيد بقوة ذكرى بودان ، ودافع عنك أيضا جول فافر ،  
سيد الكلمة الرائع الذي شهدته جراته في يوم ٢ ديسمبر •

كل شيء على ما يرام ، فاطمئن •

لقد اقترفت مثل جريمة تفضيل المجتمع الذي ينير ويعلم على المجتمع  
الذي يقتل ، والشعوب التي تعاون على الشعوب التي تتناصر • أنت  
تحارب تلك الضروب الكاملة من الطاعة السلبية التي يمارسها الجسلاذ  
والجندي • وأنت ترفض بالنسبة للنظام الاجتماعي هذين التمثالين  
الحائطين ، اللذين يمثل احدهما رجل الجيوتين في طرف ، وثانيهما الرجل  
حامل البندقية في الطرف الآخر انك تحب « جيروم ين » أكثر مما  
تحت « جوزيف دو ميستر » (١) ، وتحب اليسوع أكثر من قيصر ؛  
ولا تقبل الفأس الا في يدي الرائد الذي يشتغل في الغابة ، ولا السيف  
الا في يدي المواطن الذي يناضل الطفيان • انك تشير الى بيكاريا كمثل

(١) فيلسوف ويني فرنسي (١٧٥٣ - ١٨٢١) - له عدة مؤلفات اسهرها « اليايا »  
و « أمسيات سان بطرسبرج » ، يدافع فيها بشدة عن مادي، السلطة في السياسة  
والدين - المترجم •

أعلى للمشرع ، وجاريبالدى مثلا أعلى للجندى • فنالك من كل ذلك  
السجن أربعة أشهر ، وغرامة ألف فرنك •

نضيف الى ذلك اشتياهم فى أنك لا توافق على ، سبائك القوانين  
بالصلاح : وربما كان فى مقدورك أن تثير الضدائن فى النفوس بسبب  
التبش على الناس ليلا ، وأن تحض على احتفار حلف الزور •  
أقول ثانية ان كل شىء على ما يرام •

كنت ابنا للجيش • وعندما ولدت ، قيد أبى اسمى فى سجلان ،  
« رويال كورس » ( نام كورس (١) ، وليس هذا خطئى ) ، ولذلك –  
وما دامت قد سرعد ، فى الاعترافات – فلا بد أن أقر بأنى أشعر بميمل  
طبيعى قديم البنى • وقد كتبت فى موضع ما : أحب رجال السيف لأنى  
واحد منهم ، وذلك بشرط واحد : أن يكون السيف غير مدنس •

السيف الذى أحبه هو سيف وإشنجتون ، وسيف جون براون ،  
باربيس (٢) •

ويجب أن أدول كلمة لجيش اليوم : ذلك أنه يخطئ إذا ظن أنه  
شبيه بجيش الماضى فقد بهذا ذلك الجيش العظيم ، منذ مستين سنة  
منسب • ولدى كان يسمى فى البداية جيش الجمهورية ، ثم جيش  
الإمبراطورية ، وكان فى حقيقته الواقعة ، وفى أوروبا كلها ، يسمى  
جيش الثورة • وأنا أعرف كل ما يمكن أن يقال ضد ذلك الجيش ،  
ولكن كان له وجهه العظيم • لقد هدم فى كل مكان الأوامر والمسجون ،  
كسجن الباستيى • كان فى جعبته الانسيكلوبيديا ( دائرة المعارف ) •  
ونشر الفلاسفة بفضل جنود الحرس وطبيعتهم السهلة التى لاتصنع  
فيها • كان رجال الجيش ينادون البورجوازي بلغظة « بيكان » (٣)  
ويطلقون على القسم « كالوتان » (٤) • كان الجيش يأخذ المعتقدات

(١) جزيرة كورسيكا – المرحم •

(٢) باريس ، أرمان – فرنى من رجال السياسة ( ١٨٠٦ – ١٨٧٠ ) ممثل الشعب  
فى عام ١٩٤٨ • سجن فى مام ١٨٤٩ ، وأطلق سراحه فى عام ١٨٥٤ ، وغادر البلاد ،  
ثم مات فى لاهاي – المترجم •

(٣) لفظة فرنسية معناها الأصل « فاش من حرير ملون » كان يصنع فى البداية  
فى الصين ، ثم صنع فى أوروبا ، ودرجت اللفظة على السنة الجنود الفرنسيين يفتسون  
بها البورجوازي – المترجم •

(٤) لفظة فرنسية دارجة تطلق بنوع من التحمير على رجال الدين – المترجم •



الخرافية بشدة وعنف • وسخر سامبوينيه (١) من الفديس جانفبيه (٢) • كان الجيش هو الذى صوت ضد الامبراطورية حين أرادت أن تقسيم دعائهما • وكان فى صفوف هذا الجيش أوديه ، والفيلادلفيون • وكان يضم ماليه ، وجيدال ، واشبينى فيكتور دو لاهورى ، وقد قتل الثلاثة رميا بالرصاص فى سهل جرونيل • وكان بول لوى كوربيه فى ذلك الجيش • كان هؤلاء هم الزملاء القدامى لهوش ومارس ، وكليبر وديزيه •

قام ذلك الجيش ، فى طريقه عبر العواصم باخلاء كل السجنون التى كانت مكتظة بالضحايا ، فمنها غرف التعذيب فى لاندجراف بألمانيا ، وحجرات الحبس المظلمة فى حصن سانت أنج بروما ، وكبيرف محاكم التفتيش فى اسبانيا • ومن ١٧٩٢ الى ١٨٠٠ شق بسيفه بطن ٥٠٠٠ طفلان الأوروبى القديم •

غير أنه مع الأسف أقام فيما بعد ذلك بعض الملوك ، وترك أعزيرين منهم على العرش ، ولكنه عزل أيضا بعضهم • وقبض على البابا • كنا وقتئذ بعيدين عن متنا • من ذا الذى جارب الجيش فى اسبانيا وإيطاليا ؟ القساوسة : الراعى والراهب والأخوى ، انهم رؤساء ، لعصبة • بالعظمة هذا الجيش ، حتى ولو انتزع نابليون منه ! كان الجيش فى الواقع فيلسوفا ووطنيا ، يملك شعلة الجمهورية القديمة • كان روح فرنسا ، وروحا مسلحة •

لم أك وقتئذ الا طفلا ، ولكن عندى له ذكريات ، اليكم واحدة منها •

كنت فى مدريد فى عهد جوزيف ، عهد كان فيه القساوسة يظهرن للفلاحين الاسبان العذراء القديسة وهى ممسكة بيد فرديناند السابع فى مذنب ( نجم بذيلى ) عام ١٨١١ ، والفلاحون يرون هذا الشئ بوضوح • كنت مع أخوى فى مدرسة الاشراف الاكليريكية ، بكلية سان ايزيدرو ، وكان معلومنا اثنين من رجال الجيزويت ، أحدهما رفيق الشمائل والثانى فظ : « دون مانويل » و « دون بازيليو » • وذات يوم قادنا معلومنا الجيزويت ، بنساء على أمر صدر اليهم ولا ريب الى لشبونة لنشهد وصول أربع فرق عسكرية فرنسية قادمة الى مدريد

---

(١) أسقف بينيفان • ولد حوال ٢٥٠م واستشهد فى عام ٣٠٥م وظل راعى مدينة نابولى حيث احتفظوا بقفينة من دمه المتجمد ، تقول الأسطورة انه يتحول الى حالة السيولة فى يوم عيدده وكذا فى المناسبات التى يثبت أنها خطيرة بالنسبة الى المدينة - المترجم •  
(٢) قائد فرنسى ( جان انطوان ايتن ) ( ١٧٦٢ - ١٨٠٠ ) اشهر بالكرم والانسانية والتجرد من الأهواء الشخصية - المترجم •

لتدخلها . كانت هذه الفرق فد حاربت فى إيطاليا وألمانيا ، وكانت يومئذ عائدة من البرتغال . ووقف الجمهور على جانبى الطريق الذى يسر به الجنود ينظرون بلهفة الى هؤلاء الرجال الذى تقلوا الروح الفرنسية الى الظلمات الكاثوليكية ، وأذاقوا الكنيسة قوة الضربات النورية ، وفتحوا الأديرة ، وهدموا الأسوار ، ونزعوا الحجب ، وقاموا بتهوية مخازن المخلفات المقدسة ، وأزالوا قدس الأقداس . وبينما كان الجنود يمرّون تحت شرفتنا ، مال دون مانويل على أذن بازيليو قائلا :  
هاك فولتير يمر .

فليعلم الجيش الحالى وليتأمل فى أن هؤلاء الرجال كانوا على استعداد لعصيان أى أمر يصدر اليهم بإطلاق الرصاص على النساء أو الأطفال . لم يكن الجيش عائد من أركوك (١) ، ومن فريلانده (٢) لمبض الى ريكامارى (٣) .

أؤكد أنى لا أجهل كل ماعساه يقال ضد هذا الجيش العظيم الذى انقضى ، ولكن أحمد له تلك اللثة الثورية التى شقها فى أوروبا القديمة الخاضعة لسلطان الدين . وعندما انقشع الدخان ، ترك هذا الجيش يرفلا من النور .

وكانت مصيبتته التى اختلطت بمجده أنه كان مفصلا على مقياس الأمبراطورية الأولى . فليخدر جيش اليوم أن يكون مفصلا على مقياس الأمبراطورية الثانية .

والقرن التاسع عشر يحصل على ثروته أينما يجدها ، وثورته هى التقدم . وما يسجل مقدار ما تراجع جيش من الجيوش كما يسجل مقدار تقدمه . ولا يقبل الجندى الا اذا لمس فى شخصه المواطن . الجندى مقدر له أن يهلك ، أما المواطن فمقدر له أن يعيش .

لقد أدانك القضاء الفرنسى لأنك انتقدت أن هذا ( الذى ذكرته ) صحيح . ونذكر بهذه المناسبة أن القضاء الفرنسى سبىء الحظ أحيانا ، فيعجز عن العثور على المتهمين بالخيانة العظمى . ويبدو أن العرش يخفى جيدا من يجلس عليه .

---

(١) أركول ، قرية إيطالية ، مزم نابليون عندما التمسوا بين فى ١٧ نوفمبر

١٧٩٦ - المترجم .

(٢) فريلانده ، بلدة فى بروسيا الشرقية ، مزم عندما نابليون الروسى فى ١٤ يوليه

١٨٠٧ - المترجم .

(٣) ريكامارى ، قرية فرنسية صغيرة - المترجم .

لنتأير ولتردد اخلاصا لروح هذا القرن العظيم ، ولتبتعد عن المحاباة ، فنجر الأنوار كلها ، ولا نتجادل جدلا عقيما حول النقطة التي نسطع عندها الأنوار على خط الأفق . أما أنا الذى أتكلم ، أنا الوحيد المنعزل كما قلت قبلا ، الوحيد من حيث المكان الذى أقتن فيه ، والمنعزل من حيث المهاوى التي جعلت حول ضميرى . أنا غريب تماما عن المجادلات الكتابية التي لاتصلنى فى الكثير من الأحيان الا بعد مرور وقت طويل من تاريخها ، ولا أكتب ولا أستوحى شيئا من الأشياء التي تضطرب لها باريس ، ولكنى أحب هذا الاضطراب ، وأفرح به روحى من بعيد . أنا من أولئك الذين يحيون روح النورة اينما التقوا بها ، وأصفق لكل من يستبطن هذه الروح ، سواء كان اسمه جول فافر ، أو الوى بلان ، أو جامبيتا ، أو باربيس ، أو بانسيل ، أو فليكس بيات . وانى لأشعر بتلك الروح القوية فى لسان « بيلتان » الفصحى القوي ، وفى سخرية روشفور اللاذعة الطنانة .

هذا يا ولدى ما كنت أريد أن أقوله لك .

الآن يبدأ شتائى التاسع عشر فى المنفى . وأنا لا أشكو من هذا . والشتاء فى جيرنسى ليس الا عاصفة طويلة . هذا المحيط المتوازن كل التوازن رغم العواصف التي تكتنفه من كل جانب ، انما هو جرة طيبة لنفس ساخطة هادئة . وليس ثمة شىء ينعش النفس مثل هذا المنظر ، منظر الغضب المهيب .

فيكتور هوجو

## الأطفال الفقراء

ختم فيكتور هوجو هذا العام ، عام ١٨٦٩ حسب عادته بعيد  
الأطفال الفقراء . وكانت هذه هي السنة قبل الأخيرة في المنفى .  
ونشرت الصحف الانجليزية حديث فيكتور هوجو في هذه المناسبة ،  
مناسبة عيد الميلاد في أوتفيل هاوس . ونقل فيما يلي هذا الحديث .

## سيداتى

لا أريد أن أبعث السامة فى نفوس هؤلاء الأطفال الذين ينتظرون  
لعينهم ، وسأجتهد فى أن أوجز الحديث . لقد سبق لى أن قلت ، ويجب  
أن أعيد القول بأن هذا المشروع الأخرى العملى الصغير المحدود هاهنا  
بأربمين طفلا فقط ، هو عمل ضئيل فى ذاته ، لو لم يكن قد اتخذ فى  
الخارج أبعادا شاسعة حسبا قدرتها الصحف الانجليزية والأمريكية ،  
ولو لم يكن « عشاء » الأطفال الفقراء الذى أنشأته منذ ثماني سنوات  
فى دارى فى نطاق صغير للغاية ، قد أصبح بفضل القلوب الطيبة  
الكبيرة التى أخلصت له نظاما حقيقيا ضخما بالنسبة الى العدد الهائل  
من الأطفال الذين تم غوتهم . ويتزايد هذا العدد بإطراد فى إنجلترا  
وأريكا . ولا بد أن تقدر وجبات العشاء المكونة من اللحم والتميد التى  
قدمت للأطفال الفقراء بمئات الألوف . وتعرفن النتائج المدهشة التى  
تم الوصول إليها بفضل همة السيدة المجلة ليدى طومسون ، والقس  
« وود » . وقد نشرت صحيفة « ابلاستريتيد لندن نيوز » صورا تمثل  
الفاعات الفسيحة الجميلة التى تقدم فيها وجبات عشاء الأطفال الفقراء .  
ولا تعد أوتفيل هاوس شيئا يذكر الى جانب كل هذا ، اللهم الا أنها  
نقطة بداية . ولا تحظى الا بقدر متواضع من الشرف ، شرف كونها  
البادئة للمشروع .

وجرت العناية فى كل البلاد بفضل الصحافة . وفى كل مكان

تنضاعف جهود أفضل من جهودي هذه ، وفي كل مكان يحظى مشروع معونة الأطفال بالنجاح . ومن واجبي أن أشكر المحافل الماسونية على انضمامها الحماسي الى المشروع ، وأشكر كذلك ولنفس السبب تلك الجمعية النافعة ، جمعية المعلمين في سويسرا الفرنسية ، وشعارها : الله ، الانسانية ، الوطن . وتصلني من جميع الانحاء رسائل تخطرنى بالمحاولات التي جرت في هذا السبيل . وقد أثر في نفسي بصفة خاصة خطابان أحدهما من هايتي والآخر من كوبا .

واسمحن لي ، ما دامت الفرصة قد سنحت ، أن أبعث بكلمة ودية الى هذين البلدين النبيلين اللذين أطلقا صيحة الحرية . ولسوف تتخلص كوبا من اسبابها ، كما نتخلص هايتي من فرنسا . واذ حررت هايتي السود منذ عام ١٧٩٢ ، فانها نصرت ذلك المبدأ الذي يقرر أنه ليس للانسان حق في أن يملك انسانا آخر . وسوف تنصر كوبا ذلك المبدأ الآخر الذي لا يقل عظمة عن الأول ، مبدأ أنه ليس لشعب ما الحق في أن يملك شعبا آخر .

وأعود الى أطفالنا . مساعدة الأطفال هو أيضا عمل من أعمال التحرير . ففي العناية بالصحة والتربية شيء من التحرير . فلنعمل على تقوية هذا الجسد الصغير الضعيف المتألم ، ولننم هذا العقل الرقيق الناضج . ماذا نعمل إذن ؟ نخلص الجسم من المرض ، ونحرر الروح من الجهل . لقد استقبلت فكرة عشاء الأطفال الفقراء بالحفاوة في كل مكان . وتمت الموافقة فورا على هذا النظام الأخرى . لماذا ؟ لأنه يتوافق بالنسبة الى المسيحيين مع روح الانجيل ، وبالنسبة الى الديمقراطيين مع روح الثورة .

ونحن في انتظار ما هو أفضل من هذا . ذلك لأن اغائة الفقراء بتقديم يد المعونة اليهم ليس الا مسكنا وقتيا . أما الغوث الحقيقي للبوؤساء ، فانه يتم بالغناء البؤس وسوف نبلغ هذا الغرض .

لنعاون التقدم ، بمساعدة الطفولة . ولنساعد بجميع الوسائل ، بالغذاء الجيد ، والتعليم الجيد . ويجب أن تكون مساعدة الطفولة ، في هذا الزمن المضطرب ، شاغلا من مشاغلنا الرئيسية . يجب أن يكون الطفل موضع اهتمامنا . أتعرفن لماذا ؟ أتعرفن اسم الطفل الحقيقي ؟ الطفل اسمه المستقبل .

لنمارس الأبوة المقدسة ، أبوة الحاضر بالنسبة للمستقبل . وما نفعله من أجل الطفولة سوف يضاعفه المستقبل مائة مرة . الطفل ،

هذه النفس الصغيرة ، هو الحقل الذى سينتج محصول المستقبل • انه  
يشتمل على المجتمع الجديد • فلننثر البذور فى هذه النفس ، ولنضع  
فيها العدالة ولهجة •

ونحن اذ نربى الطفل ، ننشئ المستقبل • التنشئة ، كلمة عميقة !  
ونحن اذ نصلح هذه الروح الصغيرة انما نباشر تربية المجهول • واذا  
كان الطفل صحيح الجسم ، فان المستقبل سوف يكون سليما معانى ،  
واذا كان الطفل آمينا ، فان المستقبل سيكون طيبا • فلنعلم هذه الطفولة  
الموجودة تحت انظارنا ، ونضئ لها الطريق حتى يشرق القرن العشرون  
بأنواره • الشعلة فى الطفل هى الشمس فى المستقبل •

## ١

## كوبا

بدأت أوروبا التي كانت راقدة على أحداث رهيبية تفقد رؤيا الأسيباء البعيدة . كان الناس على هذا الجانب من المحيط الأطلسي يعرفون بالكاد أن الثورة في أوج اشتعالها في كوبا . وكان الحكام الاسبان يقيمون هذه الثورة بقسوة ووحشية . وأبيدت مناطق بأكملها في عمليات حربية . وهرب النساء ، ولجأ الكثير منهن الى نيويورك . وفي بداية عام ١٨٧٠ أرسل نساء كوبا من نيويورك الى فيكتور هوجو نداء يحمل أكثر من ثلاثمائة توقيع ، يلتمسن منه أن يندخل في هذا النضال ، فأجاب .

## الى نساء كوبا

أي نساء كوبا ، أسمع شكواكن ، أيتها القانطات ، تخاطبني أيتها اللاجئات ، الشهداءات ، الأراامل ، اليتيمات ، وتطلبين المعونة من انسان مغلوب على أمره . أيتها المنفيات ، انكن تقصدن رجلا منفيا . أولئك اللواتي لم يعدن لهن دار ، يطلبن العون من ذلك الذي لم يعد له وطن . حقا ، لقد ضعفتنا الرزايا ، ولم يبق لكن غير صوتكن ، ولم يبق لي الا صوتي . صوتكن يثن وصوتي يحذر . هاتان النسمتان النشيح عندكن ، والنصيحة عندي ، هي كل ما تبقى لنا . من نكون يا ترى ؟ الضعف . كلا ، اننا القوة ، فانتن الحق ، وأنا الضمير .

الضمير هو العمود الفقري للروح . وطالما كان الضمير مستقيما ظلت الروح قائمة . لست أملك سوى هذه القوة ، ولكنها تكفي . لقد أحسنتن صنعا بمخاطبتي .

سأتكلم من أجل كوبا ، كما تكلمت من أجل كريت .

ليس من حق أية أمة أن تنشب مخالبيها في جسد أمة أخرى . ليس من حق أسبانيا أن تفعل ذلك في كوبا ، ولا من حق انجلترا أن تفعل ذلك في جبل طارق . لا يملك شعب شعبا آخر ، كما لا يملك

انسان انسانا آخر . الجريمة ضد أمة أيشع من الجريمة ضد الفرد ، هذا كل ما هنالك . ان نوسيع نطاق العبودية انما يزيد من دناءتها . شعب يصطهد شعبا آخر ، جنس ينتزع الحياة من جنس آخر ، ذلك هو الأخطبوط يمتص دماء فريسته بوحشية . وهذا التراكب المرعب هو حدث من الأحداث الرهيبة فى القرن التاسع عشر . نشهد فى هذه اللحظة الروسية فوق بولنده ، وانجلترا فوق أيرلندا ، والنمسا فوق المجر ، وتركيا فوق الهرسك (١) وفوق كريت ، واسبانيا فوق كوبا . فى كل مكان ، سرايين مفتوحة ومصاصو دماء فوق الجثث .

جثث - كلاً . انى أمحو هذه الكلمة . قلت من قبل ان الأمم تنزف دماها ولكنها لا نموت . كوبا تملك حياتها كلها كما تملك بولندا روحها كلها .

اسبانيا أمة نبيلة تستحق الإعجاب ، وأنا أحبها . ولكنى لا استطيع أن أحبها أكثر مما أحب فرنسا . نعم ، لو كانت فرنسا تملك هايتى الى الآن ، لقلت لفرنسا ، تخلى عن كوبا مثلما أقول لاسبانيا ، تخلى عن كوبا .

ويمثل هذا القول ، أثبت لفرنسا تبجيلي لها . فالاحترام يتكون من نضائح صادقة . والحب هو قول الحقيقة .

ايا نساء كوبا اللواتى تفضين الى فى عبارات فصيحة بأشجانكن وغدايكن ، انى أركع على ركبتي أمامكن ، وأقبل أقدامكن المائتة . لا يساوركن الشك أبدا فى أن وطنكن المثابر سوف يتاب على ما يبذله من جهد والم ، فلن تضيع هدرا هذه الدماء التى سالت بغزارة . وسوف تنهض كوبا العظيمة ذات يوم حرة ذات سيادة بين أخواتها الجليلات . جمهوريات أمريكا اما من ناحيتى ، فانى أبعث اليكن بعقيديتى مادمتن تطلبن رأيت . اننى أرفع رأسى وأنظر ، فى هذه الساعة التى تغطى فيها الجرائم أوروبا ، فى هذه الظلمة التى يلعب الانسان خلالها فوق الذرى أشباحا هى آثام تلبس تيجانا ، وتحت الأكداس البشعة من الأحداث التى تقل العزائم . كانت عبادتى على الدوام أن أتأمل فى الأمل . ويكفى المهزوم أن يملك المستقبل بوجدانه وبصيرته . وانها لبهجة أن يبصر الانسان اليوم ما سوف يراه العالم فى الغد . وفى لحظة معينة ، سوف تنبثق العدالة والحقيقة والحرية ، وتنبجلى على الأفق فى بهائها وروعها . وأشكر الله أن منحنى الثقة فى ذلك منذ الآن . وما بقى للصفى من هناة فى نايها الظلمات هو أن يرى شروق الفجر فى أعماق روحه .

أوتفيل هاوس . .

فيكتور هوجو

(١) من جمهوريات اتحاد يوجوسلافيا - المترجم .



## من أجل كوبا

فى هذا الوقت ، طلب زعماء الجزيرة المناضلة الى فيكتور هوجو  
أن يعلن عن حقهم . ففعل .

طلب من أولئك الذين يقال عنهم « نوار كوبا » تصريحا . وها هو  
التصريح .

فى هذا النزاع القائم بين اسبانيا وكوبا ، اسبانيا هى النائرة ،  
كما كان التائر فى صراع ديسمبر ١٨٥١ هو يونابرت .

انى لا أهتم بموضع القوة ، وانما بموضع العدالة .

يقول بعضهم : ولكن الوطن الأم ! أليس للوطن الأم حقوق ؟  
لنتفاهم فى هذا .

ان له حقا ، هو حق الوطن الأم ، ولكن لا حق له فى أن  
يكون جلادا .

ولكن أليس فى المدنية شعوب كبرى وشعوب أصغر منها ؟ أليس  
للكبار وصاية على الصغار ؟ لنتفاهم فى هذا أيضا . فى المدنية ، الأخ  
الأكبر لا يملك حقا على أخيه الأصغر ، وانما عليه واجب ازاءه . وهذا  
الواجب فى الواقع يعطى حقوقا ، منها الحق فى الاستعمار . وللأمم  
الموحشة حق فى المدنية ، كحق الأطفال فى التعليم ، والأمم المتمدنة ملتزمة  
لها بهذا الحق . وادأؤها هذا الدين واجب ، وهو أيضا حق . من هذا ،  
فى الأزمنة الغابرة ، حق الهند على مصر ، وحق مصر على اليونان ، وحق  
اليونان على ايطاليا ، وحق ايطاليا على الغال . ومن ذلك أيضا ، فى  
الوقت الحاضر ، حق انجلترا على آسيا ، وحق فرنسا على أفريقيا ، هذا

بشرط ألا يتولى النمور تمدين الذئاب ، وبشرط ألا تملك إنجلترا  
كلايد (١) ، وألا يكون لفرنسا بيليسيه (٢) .

اكتشاف جزيرة لا يخول مكتشفها الحق في أن يضطهد أهلها .  
تلك هي قصة كوبا . لا يجوز البدء بكريستوف كولومبوس للوصول  
إلى شاكون .

لا اعتراض في أن تتطلب المدنية الاستعمار ، وأن يتطلب الاستعمار  
الوصاية ، ولكن الاستعمار ليس هو الاستغلال ، وليست الوصاية  
هي الاستعباد .

الوصاية تنتهي حتما ببلوغ القاصر سن الرشد ، سواء أكان القاصر  
هذا طفلا أم شعبا . وكل وصاية تمتد إلى ما بعد فترة القصور إنما هي  
اغتصاب ، والاغتصاب الذي يرتضيه الناس بحكم العادة أو التسامح هو  
عسف . والاغتصاب الذي يباشر بالقوة جريمة . واني لأفضح الجريمة  
أيما أراها .

لقد بلغت كوبا سن الرشد ، فأصبحت بذلك ملكا لنفسها .  
كوبا في هذه اللحظة تعاني عذابا رهيبا لا يمكن التعبير عنه . إنها  
تطارد وتضرب في غاياتها ووديانها وجبالها ، وتقاس كل الأهوال التي  
يقاسيها العبد الهارب .

كوبا تناضل مذعورة ، مروعة ، ومسفوكة الدماء ضد ضراوة الظلم  
بكل أشكاله . ترى هل تنتصر ؟ نعم . وحتى تنتصر ، فإنها تقاسي وتنزف  
الدماء . وكأنه من المحتم أن تمتزج السخرية بالوان التعذيب ، إذ يبدو  
أننا لملح لونا من السخرية في هذا القدر الوحشي الذي يعطى كوبا دائما  
في مجموعة حكامها المختلفين نفس الجلال ، دون اهتمام بتغيير اسمه ،  
فيرسل لها جونشا بعد شاكون ، كالمهرج الذي يقلب ثوبه .

الدم يسيل من بورتو برانتشيبى إلى سنتياجو ، الدماء تجري في  
جبال « النحاس » وجبال كاراكائوناس ، وجبال جوبافوس ، وتحيل لون  
الأنهار أحمر ، نهر كانتو ، ونهر آي لاشيكا .

كوبا تطلب النجدة .

---

(١) كلايد ، أحد حكام الهند الانجليز ، وكان قاسيا . حقق لإنجلترا استعمار  
الهند - المترجم .

(٢) جان جاك بيليسيه ، دوق دومالاكوف ، مارشال فرنسا ( ١٧٩٤ - ١٨٦٤ ) ،  
استولى على سيبياسيتول ، وعين حاكما عاما على الجزائر - المترجم .

انى أشكو الى اسبانيا نفسها هذا العذاب الذى تقاسيه كوبا ، لان  
اسبانيا كريمة ذات مروءة • ليس الشعب الاسبانى هو المذنب ، إنما  
حكومته هى المذنبه – شعب اسبانيا كريم الشماثل انزعوا من تاريخه  
القسيس والملك ، تجدوا أنه لم يفعل الاكل خير • استعمر ، ولكنه كنه  
النيل أخصب وأثمر •

وفى اليوم الذى يصير فيه سييدا ، يسترد جبل طارق ويتخلى  
عن كوبا •

السيد يزيد بقدر ما يفقد من عبيد • فتحرير كوبا ينمى اسبانيا ،  
لأن الارتفاع فى المجد ، زيادة فى القدر • وسوف يكون للشعب الاسبانى  
ذلك الطموح ، الطموح فى أن يكون حسرا فى وطنه ، وعظيماً فى  
خارج وطنه •

أوتفيل هاوس

فيكتور هوجو

## لوكريس بورجيا (١) من جورج صانده الى فيكتور هوجو

صديقي الكبير ، خرجت بعد مشاهدة مسرحية « لوكريس بورجيا »  
وقلبي ينبض بهجة وتأثرا • ولم يزل في خاطري الى الآن كل تلك المشاهد  
المؤثرة ، والكلمات اللطيفة أو المنيفة ، وابتسامة الفونس ديست المريرة ،  
وحكم جينارو المرعب وصيحة الأدممة التي أطلقتها لوكريس ، ولم يزل  
يرن في أذني تلك الهتافات التي أطلقها جههوز المشاهدين وهو يصيح  
« بحيا فيكتور هوجو ! » ويناديك ، وأسفاه ! كأنك ستأتي اليهم ،  
وكانك تستطيع أن تسمعهم •

عندما يتحدث الانسان عن عمل خالد مثل لوكريس بورجيا ،  
لا يجوز له أن يقول : حذيت المسرحية بنجاح هائل • ولكن أقول :  
لقد نلت نصرا مبينا • ويسألني أصدقاؤك أصحاب جريدة « لورابيل » ،  
وهم أيضا أصدقاؤي عما اذا كنت راغبة في أن أكون أول من يرف اليك  
بشرى هذا النصر • سأفعل ذلك بالتأكيد ! فليحمل هذا الخطاب ،  
أيها العزيز الغائب ، صدى هذه السهرة البديعة •

ذكرتني هذه السهرة بسهرة أخرى لا تقل عنها جمالا • أنت لا تعرف  
أنتى حضرت أول عرض لمسرحية لوكريس بورجيا ، وكان ذلك على  
ما يقوله لي البعض ، من سبع وثلاثين سنة كاملة بالضبط ، يوما  
بيوم •

وأذكر أنتى كنت في الشرفة ، وشامت الصدفة أن يكون مكاني الى  
جانب « بوكاج » الذي رأيته يومئذ لأول مرة • كنا أنا وهو غريبين ،

---

(١) فتاة ايطالية ، تنتمي الى أسرة ايطالية مشهورة من أصل أسباني ( ١٤٨٠ - ١٥١٩ )  
اشتهرت بجمالها ، وشجعت الآداب والعلوم والفنون ، اهتمت باقتراح جرائم عديدة - أطلق  
اسمها على مسرحية تاريخية لفكتور هوجو - المترجم •

بجهل أحدنا الآخر . ولكن الحماسة جمعتنا صديقي ، فكنا نهتف معا ونعول : ما أجمل هذا ! ولم يسعنا في فرات الاستراحة الا أن نتبادل الحديث ، ونبدى افتتاننا ، وننذكر معا بعض الفقرات والمشاهد .

كان في النفوس وقتئذ إيمان وحماسة للأدب ، اختلجا للفور في نفسك ، وخلعا حزبا من الألفة والاخاء في الفن . وفي نهايه المسرحية ، حين نزل السنار عن الصيحة المفجعة : « أنا أمك ! » تصافحت أيدينا ، وبنيبت - ساسكة حتى وفاة ذلك الفنان العظيم والصديق العزيز .

وشهدت اليوم لثاني مرة « لوكريس بوجيا » كما شهدتها من قبل ، ولم تهرم المسرحية يوما واحدا ، ولم يصيبها غضن أو طى ، وبقي هذا الشكل الصافي المتين كرخام باروس(١) نقياً سليماً كاملاً .

تم انك لست في هذه المسرحية ، وعبرت بسحرك الذي لا يقارن به سحر شن أنوى المتساعر التي تزلزل كيانتنا . لقد جسدت « الأم » ريشتها ، وانه لشيء خالد سلود القلب .

ولعل لوكريس بوجيا هي اقوى مسرحياتك وأرفعها . واذا كانت « روى بلاس » هي أكثر المسرحيات بهجة ولحبه ، فان فكرة « لوكريس بوجيا » هي أكثر الافكار اثاره للعواطف ، وتأثيرا في النفس ، وتنفلا في أغوار المتساعر الانسانية .

والشيء الذي نال اعجابي بنوع خاص ، هو البساطة الجريئة التي اقامت هذه المسرحية على الدعائم القوية لثلاثة مواقف رئيسية . وكان المسرح القديم يقوم على مثل هذه الرحابة القوية الهادئة .

وكان في الفصول الثلاثة المناظر الثلاثة ما يكفي لبسط هذا الفعل المدهش وربطه ثم حل عقده :  
الأم وقد أهينت أمام ابنها ،  
والابن وقد سمته أمه ،  
والأم وقد عاقبها ابنها وقتلها .

وكان لا بد ان تسيل هذه الثلاثية الرائعة من ينبوع واحد ، وكانها مجموعة برونزية واحدة . ألم تكن كذلك ؟ بل أعتقد أنها كانت كذلك .

---

(١) من جزر اليونان ، اشتهرت في الزمان لماضي برخاها الأبيض الجميل - المترجم .

وأذكر الظروف والأحوال التي آلفت فيها مسرحية « لوكريس بورجيا » بصورة ارتجالية بنوع ما ، في مستهل عام ١٨٢٣ .

فقد قدم « لوتيانر فرانسيه » ( مسرح الكوميدي فرانسيز ) في نهاية عام ١٨٢٢ العرض الأول والوحيد لمسرحية « الملك يلهو » ، وكان هذا العرض معركة ضارية ، واستمر وانتهى بين عاصفة من صلف الاستنكار وأخرى من هتافات الاستحسان . فلمن نكون الغلبة في العروض التالية ، للصفافير أم للهتافات ؟ انه لسؤال كبير ، وتجربة هامة بالنسبة الى المؤلف . . . .

ولكن لم تكن ثمة عروض تالية .

ففي غداة العرض الأول ، منع عرض « الملك يلهو » بالأمر ، ولم يزل ينتظر على ما اعتقد عرضه الثاني . ومع ذلك فأوبرا « ريجوليتو » (١) تمثل على خشبة المسرح كل يوم .

وسببت هذه المصادر العنيفة ألماً شديداً للشاعر . ولا بد يا صديقي أنك عانيت من جرائها لحظة قاسية من الألم والغضب .

ولكن جاء في اللحظة نفسها هاريل ، مدير مسرح « بورت سان مارتان » ، يطلب منك مسرحية مسرحه وللآنسة جورج . وكان في حاجه عاجلة الى هذه المسرحية . ولم يكن لمسرحية « لوكريس بورجيا » وجود الا في قريحتك ، بل ان بناءها لم يكن قد بدأ بعد . ولكن لم يكن لذلك أهمية ، اذ كنت تريد أن تنال ثأرك في الحال ، فقلت لنفسك ما قلته للجمهور من قبل في مقدمة « لوكريس بورجيا » نفسها : « ان اخراج مسرحية جديدة بعد المسرحية الملقاة بستة أسابيع لهو أسلوب لمصارحة الحكومة برأيك فيما فعلته هي ، ويثبت لها أن جهودها يذهب أدراج الرياح ، وأن الفن والحرية قديران على الظهور ثانية في ليلة واحدة من تحت القدم الحزقاء التي داست عليهما » .

وشرعت في العمل للتو . وفي غضون أسابيع سنة كانت مسرحيتك قد كتبت ، وحفظت ، وجرت عليها التدريبات ، ومثلت . وفي يوم ٢ فبراير ١٨٢٣ ، بعد انقضاء شهرين على معركة « الملك يلهو » كان أول عرض لمسرحية « لوكريس بورجيا » أعظم نصر في حياتك المسرحية .

(١) ريجوليتو - أوبرا من أربعة فصول - من نص ايطالس لبيانيه ( ترجمة فرنسية لادوار دوبويه ) - موسيقى فيردى - وهي اخراج موسيقى اوبرال لمسرحية « الملك يلهو » ليكتور هوجو - المترجم .

ومن الطبيعي أن يكون هذا العمل الذي تم في كرة واحدة متينا ،  
خالدا ، وأن يصفق له الجمهور بالأمس ، كما صفق له منذ أربعين سنة  
وكما سيصفق له بعد أربعين سنة ، وكما سيصفق له على الدوام .

كان تأثيره في النفوس قويا جدا منذ الفصل الاول ، وازداد قوة  
فصلا بعد فصل ، حتى كان الانفجار الكبير في الفصل الأخير .

والأمر العجيب ، أننا نعرف هذا الفصل الأخير ، معرفة بوجودنا ،  
ونترقب دخول الرهبان ، وظهور لوكريس شورجيا ، وطنعة سكين ابنها  
جيناو .

ومع ذلك فقد انفعلنا ، وارتعبنا ، وتلاحقت أنفاسنا ، كما لو كنا  
نجهل كل ما سوف يحدث . وأرسلت أول نغمة في صلاة الموتى قطعة من  
أغنية الخمر ، أرسلت رعدة في الأوصال . وكنا نأمل أن يتعرف  
ابن لوكريس بورجيا على أمه ويصفح عنها ، ولا يقتلها . ولكن لا ، انك  
لم ترد ذلك أيها الاستاذ العنيد ، فلا بد عندك من التكفير عن الجريمة ،  
ولابد من ارتكاب جريمة القتل العمياء ، قتل الابن أمه للاقتصاص من كل  
هذه الآثام التي قد تكون هي أيضا عمياء .

وأخرجت المسرحية وقبلت بصورة مدهشة على هذا المسرح ووجدت  
ليه مكانها المناسب .

وكانت مدام لوران زائعة حقا في دور لوكريس . ولا أنكر الصفات  
العظيمة التي تتحلى بها الأنسة جورج ، من جمال وقوة وأصالة ، ولكني  
أقر بأن موهبتها لم تؤثر في نفسى الا عندما تأثرت من الموقف نفسه .  
ويبدو لي أن ماري لوران قد دفعتني هي بنفسها الى البكاء ! وكان لها في  
الدور الأول مثلما كان للأنسة جورج ، صيحتها الرهيبة ، صيحة اللبوة  
المجروحة : « كفى ! كفى ! » ، ولكنها كانت في الفصل الأخير ، عندما  
زحفت عند أقدام جيناو ، ذليلة رقيقة مبتهلة خائفة خوفا شديدا ، لا لأنها  
سوف تقتل ، وإنما لأنها ستقتل بيد ابنها ، لدرجة أن القلوب كلها  
كانت تذبذب كقلبيها ومع قلبها . ولم يجرؤ أحد على التصفيق ولا التحرك  
وكم الناس أنفاسهم . ثم نهض جمهور النظارة كلهم يستعدون ويهتفون  
لها ولك في وقت واحد .

ولم تبرز شخصية « ألونفس دينست » بمثل الصندق والروعة

الذين تجليا في سنيل ميلانج (١) ، مما اشبهه ببوننجتون (٢)  
أديتسيان (٣) . وليس نمة انسان اشبه بأمر ، بل بأمر ايطالى من  
امراء القرن السادس عشر من ميلانج ، فهو شرس ، وهو رقيق الحاشية .  
وهو كمنان ، يعد انتقامه ، ويشكله ، ويتذوقه ، بفدر واحد من القسوة  
والرشاقة . وانا لنعجب به فى هلع وهو يستخدم مخالفه القطبية كأنه  
نمر ملكى جميل .

أما تاياذ فان له وجه جينارو المفجع القاتل ، واستخدم عبارات  
رائعة تحمل طابع الشراسة المتعالية النافرة فى المشهد الذى يكون فيه  
جينارو قاضيا وجلاذا .

وأما « بريزيل » فكان رائعا فى ثياب نبيل اسباني مزيف «هيدالجو»  
وهو يمثل شخصية « جويتا » الشيطانية ، بمشيتها وحركتها  
العريضة .

وأما الشبان الخمسة الأشراف ، الذين أدوا أدوارهم أداء مشرفا  
فنانون ذوو كفاءة حقة ، على رأسهم « شارل لوميتير » ، فيبدو عليهم  
كانهم قد خرجوا من إحدى لوحات جيوجيوني أو بونيفاسيو .

وأما الأخراج فهو على قدر كبير من الدقة والاحكام ، والثراء الذى  
يعيد احياء ايطاليا العظيمة الرائعة كلها فى عهد النهضة ، فى صورة  
تخلب الأنظار . لقد عاملك السيد رافائيل فبلكس معاملة جديرة بالملوك  
ولكنه عاملك أكثر من ذلك بأسلوب فنى .

ولكن - أرجو ألا يغضب منى المخرج لقولى هذا - هناك من احتفى  
بك أكثر من حفارته بك ، ذلك هو الجمهور ، أو بالأحرى الشعب .  
فكم من هتافات لاسمك ولعملك !

كنت سعيدة للغاية وفخورة من أجلك لهذه الهتافات الصادقة  
المشروعة التى تستحقها مائة مرة أيها الصديق الكبير . وليس فى عزمى  
أن أمدح هاهنا قدرتك وعبقريتك ، ولكن بوسعى أن أزجى لك الشكر  
لما أعهدته فيك من صفات العامل القدير الذى لا يعرف كلالا فى عمله .

وحيث يفكر الانسان فيما صنعتته من قبل فى عام ١٨٣٣ ! لقد

---

(١) اليبين ماران ميلانج ، ممثل وحفار فرنسى ( ١٨٠٨ - ١٨٧٥ ) - المترجم .  
(٢) ريتشارد باركس بوننجتون ، مصور انجليزى ، اشتهر بنشارة ألوانه ، وبضرب  
من الجمال الصائى الاسترقاطى ( ١٨٠١ - ١٨٢٨ ) - المترجم .  
(٣) تيسيان - مصور ايطالى ذائع الصيت ( ١٤٧٧ - ١٥٧٦ ) - زعيم المدرسة  
الفيينيسية فى التصوير - المترجم .



جددت الشعر الغنائي ، وأعطيت في مقدمة « كرومويل » كلمة السر  
للثورة المسرحية ، وكنت أول من كشف الحساب عن الشرق في  
« الشرقيات » ، وعن العصر الوسيط في « نوردام دوبارى » .

وكم من أعمال وروائع ظهرت منذ ذلك الحين ، كم من أفكار تحركت  
وأشكال اخترعت ! ومحاولات ومغامرات جريئة واكتشافات !

وأنت مع ذلك لا تستريح ! كنت تعلم بالأمس في جيرنسي أنهم يعيدون  
عرض لوكريس يوجيا في باريس ، وتحدثت في هدوء وسكينة عن  
الفرص المتاحة لهذا العرض . ثم كنت نائما في الساعة العاشرة ، في  
اللحظة التي كانت فيها قاعة المسرح تدعو ميلانج ومدام لوران للظهور  
بعد الفصل الثالث ، حتى تستطيع أن تصحو حسب عادتك في الصباح  
المبكر . وقيل لى أنه في اللحظة التي أختتم فيها خطابى هذا ، تشعل أنت  
مصباحك ، وتشرع في هدوء في عملك الذى بدأته من قبل ؟

فيكتور هوجو

### من فيكتور هوجو الى جورج صانده

أوتفيل هاوس فى ٨ فبراير ١٨٧٠

كنت بفضلك حاضرا فى هذا العرض ، ورأيت كل شىء خلال  
أسلوبك الرائع : المسرح ، والمسرحية ، وبريق المشاهد ، والصالة المشرفة  
والممثلين الأقوياء المؤثرين الذين يستثيرون انفعالات الجماهير ، وتلك  
الرؤوس المنتبهة ، والشعب المتأثر ، وأنت ، المجد ، تصفتين .

منذ عشرين سنة ، وأنا محجور على . لقد صادر أملاكى حفظة  
الإملاك ، وصادرت حكومة الانقلاب مجموعة أعمال ، وعزلت مسرحياتى  
المربوعة فى الحجر الصحى ، وارتفع العلم الأسود يرفرف فوقى . ومنذ  
ثلاث سنوات ، صرحوا بخروج « هيرنانى » من « النيمان » ، ولكنهم  
سرعان ما أرجعوا اليه فى أقرب وقت مستطاع ، لأن الجمهور لم يبد  
قدرا كافيا من الكراهية لذلك اللص قاطع الطريق . واليوم يوم  
« لوكريس يوجيا » ، فيها هى ذى قد تحررت ، ولكن انكشف سترها  
واشتبه الناس فى عدواها ، ترى هل يتركونها خارج سجنها مدة  
طويلة ؟

لقد منحتها « تصريحا حريزا بالمرور » ، أنت سيده هذا القرن  
العظيمة النفس النبيلة ، الخلف الحى ، صاحبة الحق فى الكلام الصريح  
القوى .

وجاءني خطابك على الرحب والسعة . ان وحدتي عرضة للكثير من الاهانة والسب ، ويقول الناس عنى كل ما يريدون قوله . ولكنى رجل سموت هادى ، ان فى التفاوض عن القدرح والشابة قوة . وأنا أملك هذه القوة . ثم انه من الطبيعى ان تدافع الامبراطورية عن نفسها بكل الوسائل . الامبراطورية هدفى وأنا هدفها . ومن ثم تنطلق ضدى الكثير من القذائف التى تسقط ، لحظها ، فى الماء ، لأن عليها أن تجناز بحرا . ومهما كان أمر هذه القذائف ، فإنها انما تثبت جمودى وانعدام حساسيتى فالاهانة تزيدنى صلابة فى إيمانى وارادتى . وتجعلنى أبتسم للثلب . ولكن أمام العطف والرضا والصدافة والمودة القوية الرقيقة التى يديها الشعب ، أشعر ، انا الشيخ البسيط المفكر ، اشعر بقلبى يذوب . أحقا اذن أنى محبوب بعض الحب !

وفى الوقت الذى تخرج فيه « لوكريس بورجيا » من السجن ، يدخله أبنى شارل . وهكذا هى الحياة . فلنتقبلها .

أما أنت ، فانك خليقة بأن تجعلى من حياتك التى عانت هى أيضا الكثير من الآلام ، نورا ساطعا . وسوف يتوج رأسك فى المستقبل بالأكليل المهيب اللائق بالمرأة التى دافعت عن المرأة . ان عملك فى مجموعه معركة وماهو معركة فى الحاضر ، سيندو نصرا فى المستقبل . وما يكون مع التقدم يكون مع اليقين . وما يرقق المشاعر عند قراءة ما تكتبين ، انما هو سمو قلبك . انك تبدلين هذا القلب كله فى الفكر والفلسفة والحكمة والتعقل والحماسة فيالك من كاتبة قديرة ! وسوف أفرح عما قريب لأنك ستفوزين بالنجاح ، فانا أعلم أنهم يجرون التدريبات على مسرحية لك .

وانى لأشعر بالسعادة فى كل مرة أتبادل فيها معك بعض الحديث . ان أحلامى فى حاجة الى تلك الومضات من النور الذى ترسلينه الى واشكرك لأنك تتجهين ناحيتى من وقت لآخر ، من أعلى القمة التى تقفين فوقها ، أيتها النفس العظيمة .

يا صديقتى المجيدة ، اننى اركع عند قدميك .

فيكتور هوجو

## واشنطن

طالعتنا صحيفة « رسالة أوروبا » عدد ١٢ مارس ١٨٧٠ بما يأتي :

« اجتمع بعض مواطنى الولايات المتحدة فى فندق لانجهام هوتيل للاحتفال بعيد ميلاد واشنطنجتون . وكان من بين الانتخاب التى قدمت النخب الآتى : الى فيكتور هوجو صديق أمريكا ، وحامل لواء التجديد فى العالم القديم ! » .

« وكلف المواطنون الكولونيل بيرتون الذى ترأس الولاية أن يبعث الى المنفى فى جيرنسى بنخب المواطنين الأمريكين . ومن ثم بادر فيكتور هوجو بالاجابة :

أوتفيل هاوس فى ٢٧ فبراير ١٨٧٠

سيمى

تأثرت تأثرا عميقا من النخب النبيل الذى بعثت به الى . أشكرك وأشكر اصداقك المبجلين . نعم ! يجب أن يكون لنا « ولايات متحدة أوروبية » الى جانب الولايات المتحدة الأمريكية ، وجدير العالمين أن يشكلا جمهورية واحدة . وسوف يأتى هذا اليوم ، وعندئذ يقوم سلام الشعوب على هذا الأساس المتين الأوحد ، وهو حرية الرجال .

اننى رجل لا أنشد الا الحق ، ولا شئ أكثر من الحق . وثقتك تشرفنى وتؤثر فى نفسى . وانى لأشد على يدك الصديقة .

فيكتور هوجو

## هينيت دو كيسلر

استهل عام ١٨٧٠ بالنسبة الى فيكتور هوجو وفاة صديق له . وكان فيكتور هوجو قد استضاف في داره منذ عدة سنوات رجلا مقاداما من المغلوبين على أمرهم في أحداث ديسمبر ، هينيت دو كيسلر . وكان الاثنان قد تصافحا بالأيدى لأول مرة في صباح يوم ٣ ديسمبر بشارع سانت مرجريت على بعد خطوات قلائل من متراس بودان الذي رفع في نفس اللحظة التي وصل فيها فيكتور هوجو . بدأت هذه الأخوة عند المترايس واستمرت في المنفى » .

وفي يوم ٦ أبريل ١٨٧٠ توفي كيسلر الذي أضناه الحنين الى الوطن ولكن بقي مع ذلك قوى الروح . وكان قبره في جبانة « فولون » بالقرب من بلدة « سان بيير » ، وعليه حجر نقشت عليه هذه الكتابة :

الى كيسلر

وفي اسفل الحجر ، هذه العبارة : زميله في المنفى

فيكتور هوجو

وفي يوم ٧ أبريل ، أدلى فيكتور هوجو على قبر كيسلر بالحديث الآتي :

في غداة كمين عام ١٨٥١ ، مع بزوخ فجر ٣ ديسمبر ، أقيم متراس في ضاحية سانت انطوان ، متراس خالد الذكر ، سقط عنده أحد نواب الشعب . واعتقد الجنود أنهم كانوا مخطئين . فالمتراس الذي هدم في باريس ، أقيم من جديد في المنفى .

وظهر متراس بودان ثانية وللغور ، لا في فرنسا ، وإنما في خارج

فرنسا . ظهر مشيدا لا بالبلاطات والحجارة وإنما بالمبادئ ، وبحول من ساء مادي الى شيء متالي ، أى شيء رهيب . لقد شيّد المنفيون هذا المتراس الشامخ بأقتاض العدالة والحرية ، واستخدموا فيه كل حطام الحى ، مما جعل منه شيئا فخما ومهيبا . ويقى المتراس من ذلك الحين قائما هناك فى وجه الأمبراطورية ، يقطع عليها سبيل المستقبل ، ويمحو من أمامها الأفق . انه شاهر كالحقيقة ، متين كالشرف ، مضروب بالمدافع كالمغل . رلا يزال الناس يموتون عنده . فيبعد بودان - نعم ، فالمتراس هو نفسه - ماتت عنده بولين رولان ، ومات ريبيرول ، وشارا وجزايفيه دورير ، ومات منذ هنية كيسلر .

وإدا شئنا أن نميز بين المتراسين ، متراس ضاحية سانت انطوان ومتراس المنفى ، وجدنا كيسلر همزة الوصل بينهما ، إذ كان ينتمى الى الاثنين ، مثل الكثير من المنفيين .

اسمحوا لى أن أ مجد هذا الكاتب الموهوب ، والرجل الباسل الذى كان يتمتع بكل ضروب الشجاعة ، من شجاعة القتال الحية الى شجاعة المحنة البطيئة ، من البسالة التى تنصدى لطلقات البنادق الى البطولة التى ترضى الحنين الى الأوطان . كان مناضلا وكان صبورا .

كان كاثوليكيًا من أنصار الملكية مثل الكثير من رجال هذا القرن ، وبمثل انا الذى اتحدث فى هذه اللحظة . وليس الانسان مستولا عس بدايته . وخطا البداية يزيد من جدارة النهاية لصادقة .

كان كيسلر أيضا ضحية لذلك التعليم المقوت الذى هو ضرب من الكمائن المنصوبة للطفولة . يخفى التاريخ عن المدارك الصغيرة ، ويزيف الوقائع ، ويشوه النفوس . ونتيجة ذلك : الأجيال التى عميت قلوبها . فإذا جاء الطاغية استطاع أن يموه كل شيء فى نظر الامم الجاهلة ، كل شيء حتى ارادتهم ، بل يستطيع أن يزيف الانتخابات العامة . عندئذ تشهد هذه الظاهرة ، تشهد شعبا محكوما بموجب توقيع مقتصب ، وهذا ما يسمى الاستفتاء العام . وكيسلر ، مثل الكثير منا ، أصلح تعلمه وقومه ، وطرح عنه الأوهام التى وضعها مع اللبن ، وسلخ الطفل القديم ، لا الرجل القديم من اهابه ، وتخلص خطوة خطوة من آثار الأفكار الخاطئة ، ودخل فى ساحة الافكار الحقيقية ، ونضج ، وكبر ، وتبصر بالحقيقة الواقعة ، واستقام بفضل المنطق ، فتحول من ملكى الى جمهورى وما أن ابصر الحقيقة حتى أصبح وفنا لها . ولم يكن ثمة وفاء أعمق وأصلب من وفائه . ورغم أنه عانى من الحنين الى الوطن ، الا أنه رفض المغر العام عنه . وقد أكد عقيدته بالموت .

كانت ارادته ان يحتج حتى النهاية • وبقي منغيا لشدة حبه لوطن •  
وكان تدهور فرنسا يعترض قلبه • وظل يرمق بعينه تلك الاكذوبة التي  
هي الامبراطورية ، فكان ساخطا ، يرتد خجلا من العار ، ويقاسى • ودام  
فيه وغضبه تسعة عشر عاما • وما هو أخيرا قد نام •

نام • لا • انى أسحب هذه الكلمة • الموت لا ينام • الموت يعيش •  
الموت تحقيق عظيم • الموت يمس الانسان بكيفيتين : يجمده ، ثم يعثه  
حيا • أنفاسه تطفى ، نعم ، ولكنه يشعل من جديد • نحن نرى العينين  
اللتين يلقهما الموت ، ولكننا لا نرى العيون التي يفتحها •

وداعا يا زميلي القديم - سوف تحيا اذن الحياة الحقبة ا سوف تمضى  
حتى تجد العدالة والحقيقة والاخاء والوفاق والحب فى الصفاء الفسيح •  
ما أنت ذا تطير فى الضياء • وسوف تعرف السر العميق لهذه الأزهار ،  
وعده الاعشاب التي يميلها الريح ، وهذه الأمواج التي نسبح هديرها  
هناك ، وهذه الطبيعة العظيمة التي تتقبل القبر فى ليها ، والروح فى  
نورها • سوف تحيا حياة النجوم • تلك الحياة المقدسة التي لا نطفى •  
سوف تذهب الى حيث الارواح المنيرة التي اضرارت وعاشت ، والمفكرين  
والشهداء والرسل والانبياء والرواد الأوائل ومحزرى الشعوب • سوف  
تشهد كل تلك القلوب الواجحة فى صورتها المشعة التي اضعافها الموت  
عليها • اسمع ، سوف نقول لجان جاك أن منطق الانسان قد ضرب بالعصى  
وتقول لبيكاريا ان القانون قد أصبح فى حالة من الخزي والعار ، يستخفى  
بسببها لكى يقتل ، وتقول ليرابو أن عام ١٧٨٩ قد أزرى به علنا ، وتقول  
لدانتون أن الاقليم قد غزته عصابة أسوأ من الاجنبى ، وتقول لسان جوسنت  
أن الشعب لا يتمتع بحق الكلام ، وتقول لمارسو ان الجيش ليس له حق  
التفكير ، وتقول لرويسبير ان الجمهورية قد طعنت بالخنجر ، وتقول  
لكامبى ديمولان ان العدالة قد ماتت • وتقول للجميع ان كل شىء على  
ما يران ، وان هناك فرقة باسلة تقاثل فى داخل فرنسا قتالا اشد من ذى  
قبل ، واننا نحن الضحايا المتطوعين فى خارج فرنسا • نفر من المنفيين  
الباقيين على قيد الحياة ، مازلنا صامدين ، مصممين على الا نستسلم ،  
واقفين على تلك النغرة الفسيحة التي يسمونها المنفى ، ومعنا معتقداتنا  
ومعنا أسباحهم !

## الى بحارة المانش

تسلمت من يدى الكابتن هارفى المحترم ، الرسالة الجماعية التى وجهتموها الى ، ونشكرونى فيها لآنى أهبت لبحر المانش هذا كتاباً (١) .  
 ايه لكم أيها الرجال البواسل ، انكم تفعلون أكثر من مجرد اهداء كتاب لبحر المانش ، انكم تهبون له حياتكم ، وأيامكم ، ولياليكم ، وكلدكم وسهادكم ، وشجاعتم ، مقطونة سواعدكم ، وقلوبكم ، ودموع نساتكم اللواتى يرتعدن فرقا بينما انتم تكافحون ، ووداع الأطفال والخطيبات والآباء المسنين ، والدخان المتصاعد من آكواخكم والنى تزجيه الرياح .  
 البحر هو الخطر الكبير ، والكبد الكبير ، والضرورة الملحة العاجلة . انكم نعطونه كل شيء . وتقبلون منه ذلك الكرب الشديد الذى يحل بكم حين تختفى الشواطىء عن الانظار . ويثور سؤال منجع فى كل مرة نرحلون فيها : هل سترون ثانية أولئك الذين تحبونهم ؟ ويختفى الشاطىء ، مثلما يختفى الديكور الذى تحمله يد وتخرج به من فوق خشبة المسرح .  
 « اختفاء الأرض عن الأنظار » ، يالها من عبارة مؤثرة ، يشعر الانسان دعيا أنه قد ابتعد عن الأحياء . وأنتم أيها الرجال البواسل ، تكرسون أنفسكم للبحر . اننى الملح بين توقعاتكم أسماء أولئك الذين كانوا أخيراً فى دنجينييس من المتقدمين الأبطال (٢) . لا شىء يعيبكم . تعودون الى الميناء ثم تبحرون ثانية .

حياتكم تحد مستمر لصخور البحر ، وللصدفة ، وفصول السنة ، وجروف الماء ، ومكامن الريح . تمضون هادئين على مرأى البحر الجبار ، وتدعون العواصف تعبت بشعور رؤوسكم ، أنتم الصامدين المشايرين أبد الآباد ، أنتم البحارة الأشداء ، تشقون عباب الماء ، حث لا حدود

(١) كتاب : « المناضلون فى البحر » .

(٢) الدريدج وويندهام .

على الاطلاق ، وحبب المغامرة ممكنة فى كل مكان . تمضون فى ذلك الفضاء اللانهائى ، تتحدون المجهول . تلك الصحراء ، صحراء الجب والوضاء ، لا ترهبكم . انكم تميزون بعضيلة رائعة ، اذ تعيشون وحيدين مع المحيط فى داخل دائرة الافق المشؤومة . المحيط لا يفرغ ولا ينضب له معين . وانتم يشر فانون ، ولكنكم لا تخشونه . لن تكون لدم زوبعته الاخيرة ، ولكنه سيأخذ منكم انفاسكم الاخيرة . ومن ثم كان فخاركم الذى أقدره . وبدات معكم عاداتكم الجسورة منذ الطفولة عندما كنتم . ركضون عارى الاقدام على رمال الساحل ، مختلطين بدم البحر ، واتسعه الشمس تلمح بشرىكم ، والرياح العاصفة تنمى اجسامكم . ويتقدم بكم العمر وسط الزوايح . انكم لا ترهبون المحيط ، وتستمتعون بالفتنة الوحشية . فطالما لعبتم وانتم صغار مع لجنه الهائلة . انتم لا تعرفونى الا قليلا . اننى فى نظركم سبيح من الأغوار على صخرة بعيدة . ومن لحظة الى اخرى تلمحون فى القمامة ذلك الشبح وتمرون . ومع ذلك فمن خلال مدير اللجج ودوى الزوايح ، جاء الى دياركم ذلك النوع من اللفظ الغامض الذى يصنع كتابا . فاذا بكم تستديرون ناحتى بين ريحين وتشكرونى . واحبيكم .

سأقول لكم من اكون . انا واحد منكم . انا بحار ، مقاتل من مقاتلى الدوامة . فوق رأس ريج عاصفة هاددة . ارتعد والماء يقطر على جسدى ولكنى انبسم ، وأحيانا أغنى مثلكم ، غناء ميرا . انا مرشد . فشل لم يخطيء . ولكنه غرق . تقول البوصلة « انه على صواب ، ولكن الزوبعة تثبت انه مخطيء . فى نفسه ذلك القدر من اليقين الذى تخلقه الكارثة بعد مرورها : له الحق فى أن يخاطب الربانية بما فى خطاب الفريق من قوة ويفين . انا فى ظلام الليل ، انتظر فى هدوء ما سوف يكون عليه النهار القادم ، دون أن توقع منه الشئ الكثير ، فاذا كان بعد الغد يوما مكفولا ، فان الغد لبس كذلك ، والانجازات الحالة نادرة الحدوث ، لقد شهدت مثلكم . أكثر من مرة ، وأنا غير مطمئن ، بزوغ فجر منحوس . وحتى يأتى الأوان ، فانا مثلكم فى العاصفة ، وفى القمامة وفى الصاعقة . وحوالى أفق يتزلزل أبدا . أشهد حركة تلك الموجة المسماة بالواقعة . ولما كنت تحت رحمة الاحداث ، مثلكم وانتم تحت رحمة الرياح ، فانى أدركت جنوبها الظاهرى ومنطقها العميق . أشعر أن العاصفة ارادة وأن ضميرى عاصفة أخرى ، وانهما فى الواقع متفقان . وأنابر وآقام ، وأناضل الطغاة كما تناضلون الاعاصير ، وأودى واجبى ، لا يؤثر فى الاسنة وكلاب الظلمات تعوى كلها حولى ، وأودى واجبى ، لا يؤثر فى الحقد والضغينة باكثر مما يؤثر فيكم الزبد .



اننى لا ارى النجم ، ولكنى أعلم انه ينظر الى ، وهذا يكفينى .  
هذا أنا ، فأحبونى .

لنستمر ، ولنؤد مهسنا ، أنتم من جانبكم وأنا من جانبي ، أنتم بين  
اللعج ، وأنا بين الناس . ولنمضى فى عمليات الانقـاذ . نعم ، لننجز  
وظيفتنا وهى وصاية ، ولنسهر ونراقب ولا نهمل اية استغاثة حتى  
لا تضيع ادراج الرياح ، ولنمد أيدينا الى كل من يفوس فى الهاوية ،  
ولنكن رقباء القضاء المظلم ، ولا نتبع الظهور لما يجب أن يختفى ، ولترمق  
تلك الاشياء التى تفر فى الظلمات ، فأرمق أنا الماضى ، وترمقون أنتم  
شبح السفينة . ولنتبث أن العناصر المضطربة يمكن الملاحة فيها . فقد  
تتنوع السطوح ولكن القرار واحد ، هو الله . أما أنا المتحدث اليكم ،  
فانى المس هذا القراز الذى نسميه الحقيقة والعدالة . ومن يسقط من  
أجل الحق يسقط فى الحقيقة الحقة . ولنمط بهذا الامن أنتم تتبعون  
البوصلة وأنا أتبع الضمير . اخوانى ، المناضلون البواسل ، ضعوا ثقتمكم  
فى موج البحر ، ولأضح ثقتم فى القدر . أين اليقين ان لم يكن فى تلك  
الحركة الخاضعة لحكم المستوى الثابت ؟ واجبكم مماثل لواجبى .  
ولنكافح ، ونبدأ من جديد ، وتناجر مع تلك الفكرة ، فكرة ان البحر  
العالى يمتد الى ما وراء البصر ، وأن الملاحة الكبرى تستمر حتى اخارج  
الحياة ، وأنا سنلحظ ذات يوم الشبه بين المحيط اللجى وبين القبر الذى  
يضم الارواح . اللجة التى تفكر هى الروح البشرية .

فيكتوب هوجو

## ٧

### المتقلون

أوفيل هاوس في ١٤ إبريل ١٨٧٠

سادتي ضباط ميناء « سانت بيير »

في هذه اللحظة ، لحظة الكوارث وحوادث الفرق ، يجب ان نشجع رجال الانقاذ . وعلى كل انسان أن يشكرهم ويجلهم في حدود قدرته . والانقاذ في الموانئ هو دائما من المواضيع التي تشغل الأذهان .

ان أملك عاتمة لارشاد السفن ، وحزام انقاذ نموذجين صنعتهما خصيصا أحلى الصانع البارح « ديكسون » من ساند رلاتد . وقد انتظر طويلا الى أن يتاح لي استخدامها ، ولكن يبدو لي أنه من الأفضل استخدامها منذ اليوم ، وذلك بأن أمنح هذين الجهازين الكفيلين بانقاذ الحياة البشرية لمن أنجز في هذه الجزيرة أكبر عدد من عمليات الانقاذ ، تقديرا عاما لفضله .

ولا بد انكم أدري منى بهذا الموضوع ، فارجو ان تتفضلوا باخطاري عنه ، ولي الشرف بأن أسلمكم الحزام والعاتمة في الحال لتتقديمها اليه . وتقبلوا صادق الرد .

فيكتور هوجو

بعنه

وعلى اثر وصول هذا الخطاب ، اختير الكابتن ابراهام مارتن « ناظر الميناء » باعتبار أنه قد أجرى في حياته حوالي خمس وأربعين عملية انقاذ ومن ثم سلم اليه جهازا لانقاذ اللذان كتب عليهما السيد فيكتور هوجو بخط يده :

ومهدى الى الكابتن ابراهام مارتن تقديرا عاما لفضله .

## ٨

### العمل فى أمريكا

أوتفيل هاوس فى ٢٢ أبريل ١٨٧٠ .

أبلغتنى أيها الجنرال نبا طيبا ، ذلك هو اتحاد العمال فى أمريكا  
الذى سوف يكون شبيها باتحاد الملوك فى فرنسا .

العمال جيش ، والجيش يلزمه رؤساء ، وأنت من الرجال المشاور اليهم  
كقادة ، بفضل فطرتك الثورية والحضرية . أنت من أولئك الذين يعرفون  
اسماء النصح المستطاع الى الشعب دون الخروج من نطاق العدالة  
والحقيقة .

أنت تعرف أن الحرية وسيلة وهدف فى وقت واحد . ومن ثم  
انتخبك العمال لتكون ممثلهم فى أمريكا . فاهنئك وأهنئهم .  
العمل اليوم هو الحق الأكبر ، كما هو الواجب الأكبر .  
وينتمى المستقبل من الآن الى رجلين : الرجل الذى ينكر ، والرجل  
الذى يعمل .

والحقيقة ان هذين الرجلين رجل واحد ، لأن التفكير هو العمل .

انى من أولئك الذين جعلوا من الطبقات الكادحة شغلهم الشاغل  
فى الحياة . ومصير العامل فى كل مكان ، فى أمريكا وفى أوربا ، يجذب  
أشد اهتمامى ويؤثر فى نفسى ويحرك عطفى وحنانى . يجب أن تصبح  
الطبقات الكادحة طبقات سعيدة ، والرجل الذى كان يشتغل حتى اليوم  
فى الظلمات ، يجب أن يعمل من الآن فصاعدا فى النور .

انى أحب أمريكا كوطن . والجمهورية العظمى ، جمهورية  
واشنطن وجون براون ، هى فخر من مفاخر المدنية . عليها الا تتردد  
فى الاضطلاع بنصيبها فى حكم العالم بقوة واقتدار . ونسليها من الوجهة  
الاجتماعية ، أن تحرر العمال ، ومن الوجهة السياسية أن تنقل كوبا .

عيون أوروبا ترمق أمريكا • وما ستعمله أمريكا سوف تجيد عمله • ومن  
حسن طالع أمريكا أنها حرة مثل إنجلترا ، ومنطقة مثل فرنسا •  
وسوف نصفق لها بحماسة وطنية من أجل ضروب التقدم التي تفوز  
بها • ونحن مواطنون لكل أمة عظيمة •  
أيها الجنرال ، قدم يد المعونة الى العمال فى اتحادهم القوى  
المقدس •

وأصافحك ٤

فيكتور هوجو

### الاستفتاء الشعبي

فى ربيع عام ١٨٧٠ ، أحس لوى بونابرت على ما يبدو بزعة غامضة ، وبالحاجة الى مساندة الشعب له . ومن ثم طلب الى الأمة أن تؤيد الامبراطورية بالتصويت لها . واستشار بعض الناس فى فرنسا ميكتور هوجو فى هذا الأمر ، وطلبوا اليه أن يبدى ما يجب أن يكون عليه هذا التصويت ، فأجاب :

• لا

نعبر هذه الكلمة فى حرفين عن كل شيء . وما تتضمنه خليق بأن يملأ مجلدا .

هذا الرد قائم فى وجه الامبراطورية منذ تسع عشر سنة . ويشعر أبو الهول الغامض هذا بأن هذه الكلمة هى مفتاح سره ولغزه .

تكفى كلمة « لا » ردا على كيان الامبراطورية كلها ، وعلى كل ما تريده ، وتحلم به ، وتعتقد فيه ، وتستطيع عمله بالفعل .

لا ، هى حكم القضاء .

كتب أحد منقبي شهر ديسمبر فى كتاب نشر فى عام ١٨٥٣ فى خارج فرنسا يصف نفسه قائلا : « الفم الذى يقول لا » . كانت كلمة « لا » هى الرد على ما يسمونه « العفو الشامل » . وسوف تكون « لا » الرد على ما يسمونه « الاستفتاء الشعبى » .

ويحاول الاستفتاء الشعبى أن يصنع معجزة ، يحاول أن يحيل الضمير الانسانى على قبول الامبراطورية .

المسألة أشبه بمحاولة جعل الزرنيخ صالحا للأكل .

استهلت الامبراطورية يهده الكلمة : النفي ، وتريد أن تنتهى بهذه الكلمة : التقادم . لكن ما أصعب تحويل الكلمة الأولى الى الثانية (١) .  
 ما أسهل أن ينصب الانسان نفسه قيصرا ، وينقض القسم . ويعبر نهر الروبيكون (٢) ، ويرمى التقدم الانساني كله فى ليلة واحدة فى كمين ، ويقبض فجأة على الشعب فى تشكيله الجمهورى العظيم فضعه فى سجن ماراس (٣) ، ويمسك الأسد فى مصيدة ، ويدبر المكائد ليفسخ وكالة النواب ، ويحطم سيوف الجنرالات . ويرسل الحقيقة الى المنفى ، ويقضى الشرف ، ويسجن القانون ، ويصدر أمره بالقضاء على النورة ، ويمحو أعوام ١٧٨٩ ، ١٧٩٢ ، ويطرد فرنسا من فرنسا ، ويضحى بسبعمائة رجل ليهدم بلده سباستيول الصغيرة ، ويشترك مع انجلترا ليعرض صورة أوربا المخربة للدمار والآثار على الصين ، ويدهش الهمج بهمجيتنا ، ويهدم قصر الصيف (فى الصين) ليقتسم نزواته مع ابن لورد ايلجن الذى نهب البارتيون ، ويزيد ألمانيا وينقص فرنسا بمعركة سادوفا ، ويأخذ لوكسبورج ثم يتخلى عنها ، ويعد أحد الارشيدوقات (٤) بمنحه مدينة مكسيكو ثم يعطيها بدلا منها مدينة كويريتارو (٥) ويمنح ايطاليا خلاصا يؤول الى مجمع الأساقفة ، ويرمى جاريبالدى برصاص البنادق الايطالية فى اسبرومونتي ، ورصاص البنادق الفرنسية فى منتانا ، ويثقل الميزانية بدين يبلخ ثمانية مليارات ، ويتخلى عن نصرة اسبانيا الجمهورية ، ويشكل محكمة عليا تصم آذانها عن طلقات المسدسات ، ويهدم كرامة القضاة بتججيل الأمراء ، ويحرك الجيوش ، فيرسلها ثم يستدعيها ،

(١) « النفي » بالفرنسية Prescripian ، و « التقادم » Prescription ( أى اكتساب الحقوق أو فقدانها بضى المدة ) . وتختلف الكلمتان ، الواحدة عن الأخرى فى حرف واحد . ومن ثم يقول المؤلف : « ليس هنا إلا حرف صغير متغير ، ولكن ليس ثمة شيء أصعب من اجراء هذا التغيير - المترجم .  
 (٢) الروبيكون ، نهر صغير كان يمتد الحد الفاصل بين ايطاليا وبلاد الغال فى داخل الألب فى العصور القديمة . أصدر السيناتو ( فى روما ) قرارا مشهورا يدين بالحياة كل من يجرد على اجتياز هذا النهر بجيش أو عصابة من الأفراد ، وذلك حماية لمدينة روما من غارات قوادها الذين يعودون من بلاد الغال منتصرين . ولكن ازدي هذا القرار وعسر النهر وذهب على روما متحديا السيناتو واستعوى على زمام الحكم . ومن ثم أصبحت عبارة « اجتياز الروبيكون » كناية للاستيلاء على الحكم بالقوة - المترجم .  
 (٣) مازاس - سجن مشهور ( بجزرات للجنس الانفرادى ) ، شيد فى باريس من ١٨٤٥ الى ١٨٥٠ فى شارع مازاس ( اليوم شارع ديديرو ) - هدم فى عام ١٨٩٨ - المترجم .  
 (٤) الأرشيدوق ، لقب كان يطلق على أمراء النمسا - والمقصود هنا الامبراطور ماكسيميليان ( ١٨٣٢ - ١٨٦٧ ) الذى نصبه الفرنسيون امراطورا على المكسيك فى عام ١٨٦٤ ، ثم تخلى عنه نابليون الثالث ، فقبض عليه فى كويريتارو حيث أعدم رميا بالرصاص - المترجم .

ويسحق الديمقراطيات ، ويحفر المهاوى ، ويزحزح الجبال ، كل هذا  
ميسور . ولكن ابدال كلمة « التقدم » بكلمة « النفي » أمر مستحيل .

أيمكن اقصاء الحق ؟ نعم يمكن ذلك . أيمكن أن يسعط الحق  
بالتقدم ؟ لا

ان نجاحا مثل نجاح يوم ٢ ديسمبر ليشبه الميث من حيث أنه  
يعفن فورا ، ويختلف عنه من حيث أنه لا يفوس فى أغوار النسيان .  
المطالبة بالاسترداد ضد مثل هذه الأعمال حق دائم أبدي . لبس هناك  
حدود شرعية أو أخلاقية فى هذا الموضوع . ولا يمكن الدفع بسقوط الحق  
ضد الشرف والعدالة والحقيقة ، فلا يستطيع الزمن أن يفعل شيئا بهذه  
الأشياء . الشرير الذى يستمر فى غيه انما يضيف الى جريمته الاصلية  
جريمة الاستمرار ولم تعتبر أعمال تيبيريوس(١) أبدا ، فى نظر التاريخ  
ولا فى نظر الضمير الانسانى أمرا واقعيا .

قدر نيوتن أن المذنب ( النجم ذا الذنب ) يستغرق مائة ألف عام  
حتى يبرد . هناك جرائم فظيعة لابد أن يمر عليها أكثر من هذا الزمن  
حتى تخمد .

ان أسلوب العنف السائد فى هذا الزمن لا جدوى منه ،  
والاستفتاءات الشعبية لا حول لها ولا قوة فى هذا السبيل . ويعتقد  
أسلوب العنف أن له الحق فى الحكم ، ولكن ليس له هذا الحق .

الاستفتاء الشعبى أمر غريب . والانقلاب السياسى يجعل من نفسه  
قطعة ورق . فيعد طلقات المدافع ، يأتى الاقتراع . المدفع المشروخ ،  
يتبعه صندوق الانتخابات المشقوق . أيها الشعب ، اعط صوتك بأنه  
لا وجود لك . وبصوت الشعب . ويصيح السيد الأصوات ، ويحصل  
منها على العدد الذى أراد الحصول عليه ، ويضع الشعب فى جيبه .  
ولكنه لا يلاحظ أن ما يظن أنه قد استولى عليه انما هو شيء لا يمكن  
امساكه . لا تستطيع الأمة أن تتنازل عن سلطانها . لماذا ؟ لأنها شيء  
يتجدد . والتصويت أمر يمكن تكراره مرة بعد أخرى . ان حمل الأمة  
على التنازل بصورة ما عن سيادتها ، واستخلاص الأبدية من لحظة وقتية ،  
واعطاء عملية التصويت العام الذى يقتصر على التعبير عن الحاضر أمرا

---

(١) امبراطور روماني ( ١٤ - ٣٧ م ) - كان مكروها جدا فى روما لتسوته الشديدة ،  
وكان شديد الخوف على حياته . يشك فى كل الناس ، والغالب أنه كان مختل التوى العقلية  
فى أواخر أيامه - المترجم .

بالتعبير عن المستقبل ، عمل باطل من نفسه ، فما أشبه ذلك بمن يامر  
« الغد » بأن يسمى نفسه « اليوم » !

ما علينا . لقد تم التصويت . واعتبر السيد نتبجته موافقه . ولم  
يعد هناك شعب . وهذه الأعمال نضحك الانجلبز . كيف يأتى لأمه أن  
تتحمل الانقلاب السياسى ، والاستفتاء للشعبى ، وتقبل هذا الهوان ؟  
ان انجلترا لتنهأ فى هذه اللحظة باحقنار فرنسا قليلا احنقروا اذن  
المحيط . لقد ضرب اجرير كيس (١) المحط بالسوط .

يدعوننا الى التصويت على اكمال جريمة . وتعتقد الامبراطورية بعد  
ممارسة الحكم تسع عشرة سنة أنها مارالب فائمة متماسكه ، وتعرض  
علينا منجزاتها التقدمية ، وتقدم لنا الانقلاب السياسى متمشيا مع وجهة  
النظر الديموقراطية ، وليلة ديسمبر متسقة مع الحصانة البرلمانية ،  
والمنبر الحر مقيدا فى جزيرة كاين ، وسجن مازاس فى صورة التحرير ،  
وانتهاك القوانين كلها فى شكل حكومة حرة . كلا ، اننا لا نعترف بكل  
هذه الأفضال .

نحن ، مواطنى الجمهورية القتيلة ، نحن المفكرين المجسدين لسيدة  
العدالة ، ننظر الى الوهن الحتمى الذى يلازم تقادم العهد بالخيانة ، ونريد  
استغلال هذا الوهن ، وننتظر .

والى أن يأتى هذا الأوان ، نهز أكتافنا سخرية أمام هذا الاجراء  
الذى يسمى استفتاء شعبيا .

الى أوروبا التى لم تنزع سلاحها ، وفرنسا التى لا نفوذ لها ،  
وبروسيا الى ليس لها قوة توازن قوتها ، وروسيا التى ليس ثمة رادع  
يردعها ، واسبانيا التى لا ركيزة لها ، واليونان من غير كربت ، وإيطاليا  
من غير روما ، وروما من غير الرومان ، والديموقراطية بلا شعب ، الى  
كل هؤلاء نقول لا . الى الحرية المدموغة بالظلم ، الى الرخاء المترتب  
على الكارثة ، الى العدالة التى تجرى باسم متهم ، الى هيئة القضاء التى  
تحمل حروف ل.ن.ب. ( لوى نابليون بوناپرت ) ، الى عام ١٧٨٩ وهو  
يحمل طابع الامبراطورية ، الى يوم ١٤ يولية مضافا اليه يوم ٢ ديسمبر  
لكملمه ، الى الاخلاص وقد صدرت به يمين كاذبة ، الى التقدم الذى يفضى  
الى التفهقر ، الى الصلابة الموعد بها طريق الخراب ، الى النور الذى

---

(١) ملك العرس (٤٨٥ - ٤٦٥ م) - سى جيرا من الفن عبر الندرديل ، وعزا  
بلاد الاغريق ، ولكن اسطوله تحطم فى موقعة سلاميس ٥٠٠٠ المترجم .



أنعمت به الظلمات ، الى البندقية خلف الصعلوك . الى الوجه خلف القناع ،  
الى الشيخ خلف الابتسامة ، الى كل هؤلاء نقول لا .

وفضلا عن ذلك فانه اذا كان مدير الانقلاب السياسي مصمما أن  
يوجه اليهنا نحن الشعب سؤالا ، فانا لا نقر له الا بحق توجيه هذا  
السؤال :

« هل من واجبى أن أغادر قصر التويليرى الى سجن  
الكونسيرجيرى(١) ، وأضع نفسى تحت تصرف العدالة ؟ » نابليون .

نعم ؟

أوتفيل هارس فى ٢٧ أبريل ١٨٧٠ .

فيكتور هوجو

---

(١) سجن مشهور يداخل قصر العدالة بباريس ، وكان يسجن به للحكوم عليهم بالاعدام  
فى عهد الارهاب ، قبل أخذهم الى القفصلة - الترجيم .

## الحرب فى أوروبا

اندلعت نيران الحرب فى يولية ١٨٧٠ ، ونصب آل هوهنزولرن ، حكام بروسيا الفخاخ لفرنسا فوقتت فيها . واعنقد فيكتور هوجو أن فرنسا مسلحة ، ومن ثم اطمأن مقدها الى أنها سوف تنتصر . ومع ذلك فانه كان متكدرا من أجل هذه الحرب ، يفكر فى الدماء التى سوف تسفكها .

وكتب الى نساء جيرنسى الخطاب الذى نقرأه فيما يلى والذى نشرته الصحف الانجليزية باعتبار أنه موجه الى نساء انجلترا كلها .

وفى غضون حصار مدينة باريس ، كانت بالات صغيرة من الخرق المعدة كضمدات للجرحى ترسل من انجلترا الى فيكتور هوجو الذى كان يجعلها نصفين متساويين ، كما تعهد بذلك فى خطابه ، فيخصص نصفها للجرحى الفرنسيين ، والنصف الثانى للجرحى الألمان . وتكفل السيد « دو فلايني » رئيس اللجنة الدولية ( الصليب الأحمر ) بأن يحمل الى القيادة العليا بفرساي بالات الخرق التى أعدها فيكتور هوجو لترسل الى المستشفيات الألمانية المتنقلة .

## الى نساء جيرنسى

أوتفيل هاوس فى ٢٢ يولية ١٨٧٠

سيديتى

طلب لبعض الرجال أن يحكموا بالموت على قسم من البشر ، ومن ثم يجرى الاعداد لحرب طاحنة . ليست هذه حرباً فى سبيل الحرية ، ولا فى سبيل الواجب ، ولكنها حرب نزوة وهوى . سوف يقتل شعبان ارضاء

لمزاج أميرين ، وفي حين يسعى المفكرون الى التقدم بالحضارة ، يسعى الملوك الى اتقان الحرب التي سوف تكون رهيبية .

ويعلن بعضهم عن أعمال رائعة . فهناك بندقية تردى اثني عشر رجلا ، وموقع يقتل ألف رجل . ولن يسيل الماء الحر الصافي بغزارة في نهر الرين النابح من جبال الالب ، ولكن دماء الرجال هي التي سوف تسيل . وسوف تبكي أمهات وأخوات وبنات وزوجات . وسوف تلبسن جميعا ثوب الحداد ، بعضكن بسبب مصابهن ، والبعض الآخر بسبب مصاب الآخرين .

سيداتي ، كم من مذابح ! وما أشد الصدمة التي سوف تصيب كل هؤلاء المقاتلين المناكيد ! اسمحن لي أن أتوجه اليكن برجاء . فما دام هؤلاء العميان ينسون انهم اخوة ، فجدير بكن أن تكن لهم أخوات . قدمن لهم يد المساعدة ، وأعددن لهن الضمادات . فكل الأقمشة القديمة في بيوتنا ، والتي لم تعد صالحة لشيء يمكن أن تنقذ هناك حياة الجرحى . وانه لشيء بديع أن ينقطع كل نساء هذا البلد لهذا العمل الأخوى ، وسوف يكون ذلك مثلا عظيما وخيرا كبيرا . اذا كان الرجال يرتكبون الشرور ، فعليكن أيتها النسوة أن تتكفلن بالعلاج . وطالما كان هناك ملائكة شر على وجه الأرض ، فكن أنتن ملائكة الخير .

فاذا صدقت عزيزمكن ، فسوف يكون من المستطاع الحصول على كمية كبيرة من قماش الضمادات في مدة قصيرة . وسوف نجعل منها حصتين متساويتين ، نرسل واحدة منها الى فرنسا والثانية الى بروسيا .

واني لأضح آيات احترامي تحت أقدامكن ؟

فيكتور هوغو



ملاحظات

---

## افتراءات الامبراطورية خطاب شارل هوجو

يعرض الخطاب التالي الموجه الى الصحف الامينة فى خارج فرنسا  
فكرة عن افتراءات الصحافة اليونا برتية ضد المنفيين .  
جيرسى فى ٢ يونية ١٨٥٣ .

سيدى المحرر .

« نشرت جريدة لا باترى المقال التالى الذى اعادت نشره الجرائد  
الرسمية فى الاقاليم ، والذى طالعه فى جريدة « اتحاد السارت » (١)  
عد ١١ مايو .

« وقع فى جيرسى حادث يسحق التنويه لما به من عظمة وفائدة .  
فقد توفى فى الجزيرة فرنسى معتقل فيها ، فالتقى السيد فيكتور هوجو  
على قبره خطابا طبع فى صحيفة ذاك البلد ، صور فيه فرنسا كما لو كانت  
مغلقة فى هذه اللحظة بالمشاتق السياسة . وكتب الينا بعضهم ان هذه  
الاكذوبة التى يستحق قائلها ان يطالب من اجلها بوضعه فى مصحة  
للأمراض العقلية ، فد أحدثت سخطا شديدا بين سكان جيرسى الهادئين  
دواما ، لدرجة أنهم حرروا التماسا ملأوه بالتوقعات ، يطلبون فيه منع  
المظاهرات التى من هذا النوع والتى دأب المنفيون الفرنسيون على القيام  
بها ، فتستثير فى نفوس السكان كلهم اشمنازا شديدا .»

### شن شيلاز

هذا الخطاب يشتمل على ادعاءين ، يتعلق أحدهما بخطبة السيد  
السند فيكتور هوجو ، أما الثانى فانه يتعلق بالآثر الذى أحدثه الخطاب  
فى جيرسى .

(١) السارت ، مقاطعة فى شمال غربى فرنسا ، يجرى فيها نهر سارت - المرحم .

أما فيما يختص بالخطبة ، فالرد بسيط . فما دامت هذه الخطبة التي نقض فيها فيكتور هوجو نقضا نهائيا ، مهما كان المستقبل ، كل فكرة من المشانق السياسية والعقوبات التارية الدموية ، وذلك باسم منفي جبرسي الذين فرضوه في هذا الشأن ، وبتأييد كل المنفيين الجمهوريين الأوفياء لسابقة فبراير الكبرى - مادامت هذه الخطبة قد سببت مثل هذا السخط الشديد في جبرسي ، على حد قول صحيفه « لا باترى » فانها سوف تستنير في فرنسا بالتأكيد سخط لا يقل في شرته عن هذا السخط ، ولن يكون في وسع « لا باترى » أن تفعل شيئا أحسن من أن تنشر هذه الخطبة . ونحن نتحداها أن تفعل كذلك . وقد أودعت البريد اليوم نسخة من الخطبة بعنوان محرر صحيفة لا باترى .

وأما فيما يتعلق بالتأثير الذي أحدثه الخطاب في جبرسي ، فاني أقصر في ردي على الوقائع .

ففي جبرسي أربع صحف تصدر بالفرنسية وهي « لاکرونك » و « لامبارسيال » و « لوكونستسيوديل » ، و « لا باترى » . ونشرت الصحف الأربع كلها خطاب والدي بنصه ، وسجلت في اليوم نفسه الأثر الذي أحدثه هذا الخطاب . وأذكر فيما يلي ما كتبت في هذا العدد :

قالت الكرونك : « كان الاهتمام شديد بالحفل . وكان معروفا أن السيد فيكتور هوجو سوف يحدثها في هذه المناسبة ، فرغب كل انسان في أن يسمع هذا الصوت القوي العظيم . ولذلك ، فقبل وصول الموكب الجنائزي بوقت طويل ، تقاطر حول القبر جمع كبير من الأشخاص جاءوا من المدينة على الأقدام أو في العربات . وعندما دخل الموكب الجبانة . دار حول الحفرة التي أعدت لاستقبال جثمان المتوفى . ولما استقرت الجثة في منواها الأخير ، كشف الجميع عن رؤوسهم . وفي وسط السكون التام التي السيد فيكتور هوجو بصسوت قوى التبرات خطابه الرائع الذي نشره في هذا المكان . ( يلي ذلك الخطاب ) .

« وردد المنفيون كلهم هذه الصيحة ، ثم أقبل كل واحد منهم في حشوع ومدو . ووضع حفنة من تراب الأرض على نعش أخيهم المتوفى . أما الخطاب الذي ألقى في هذه المناسبة فانه سوف يترك ذكرى خالدة في سجل هذه الجبانة الصغيرة بأحرار قرية سانت جان . وسوف ياني اليوم الذي يعرض فيه على الأجانب الموضع الذي وجه فيه فيكتور هوجو ، الخطيب المنوه والساعد العظيم الى اخوانه المنفيين كلماته النبيلة المؤثرة التي سوف يكون لها صدى عالمي شامل ، ويسجلها التاريخ بعناية » .

وقالت صحيفة لوكو نستتسيونيل ( في جيسى ) بعد أن نشرت  
الخطاب :

« أسعد العظ عددا كبيرا من سكان جيسى الذين جاؤوا الى جبانة  
سانت جان بسماع مثل هذه العبارات على لسان ضيفنا العظم » .

أما صحيفة « لاباترى » ( في جيسى ) فقد نشرت السطور التالية  
قبل الخطاب :

« ابج الموكب صوب سانت جان ، فى أم نظام وهدوء وورع .  
وهناك القى فيكتور هوجو فى حضور حشد كبير من الناس الذين جاؤوا  
لسماعه ، الخطاب البديع الذى نشره فيما يلى » .

وأخيرا كتبت صحيفة « لامبارسيال » ( فى جيسى ) .

« أخرجت الجبة من عربة الموى . وحملت على الأذرع حتى حافة  
الحفرة ، وعندما أنزلت فيها ، وقبل أن تغطى بالتراب ، نهض فيكتور  
هوجو الذى كان الجميع ينتظرون سماعه بفروغ صبر ، فألقى فى سكون  
تام وخشوع ، ووسط أكثر من أربعمئة مسنم ، وبذلك الصوت القوى  
الملىء الذى طالما دافع به عن الجمهورية ، وبتلك النبرة التى لا تقاوم  
والتي هى ولادة العقيدة والايان وأفكاره ، نقول انه القى الخطاب السالى  
الذى زادت خطورته بتأثير المكان والظروف . ولذلك فانه لقى أذانا مصغبة  
فى نهم لا يتسنى لنا وصفه ولا يمكن مقارنته الا بالتأثير القوى الذى  
أحدثه » .

وكان لهذه الصحيفة « لامبارسيال دوجيسى » فكرة صحيفة بنوع  
ما عن حسن نية بعض الصحف الفرنسية ، ولكنها ، فى هذا الموضوع ،  
نسبت خطأ الى صحيفة لوكونستتسيونيل فكرة لابد أنها قد طرأت على  
صحيفة لاباترى . واليك ما قالته صحيفة لامبارسيال ( الباويسية )  
عندها نشرت خطاب أبى وتقريرها للأثر الذى تركه الخطاب :

« سوف نحكى لنا بلا شك صحيفة لوكونستتسيونيل الصداقة  
بعد بضعة أيام كم من رجال الشرطة لزم استخدامهم لفظ النظام خلال  
حنازة جان بوسكيه ، ثانى المنفيين فى يوم ٢ ديسمبر الذى توفى منذ  
عشرة أيام ، وتقص علينا بالتأكيد بصراحتها وإخلاصها المتادين كم كانت  
السلطات مضطرة لاستدعاء كتائب الجيش لقمع الشغب الذى استشارته  
الكلمات اللطيفة التى ألقاها الخطيب العظيم بذلك الصوت القوى الشديد  
التأثير على المشاعر » .



وفى استطاعتى يا سيدى المحرر أن أكتفى بهذا الرد ، ومع ذلك أرجو أن تسمح لى بأن أضيف إليه حدثا ، لا فكرة . فقد نشرت صحيفة « لاياترى » ( الباريسية ) التى فهين اليوم والدى المنفى ، نشرت منذ عامين ، فى شهر يوليو ١٨٥١ مقالا تسب فيه صحيفة « اينينمان » . عطينا الى صحيفة « لاياترى » اما انكار المقال أو رد الشرف بالسلاح . وفضلت « لاياترى » سحب المقال ، فعلت ذلك بالعبارات الآتية : « أمام التفسيرات التى تبودلت بين شهود السيد شارل هوجو وبين شهود السيد ماير ، صرح السيد ماير بأنه يسحب مقاله دون شرط أو تحفظ » .

ويلاحظ أن محرر الباترى ، مقترف الاهانة ، وساحب المقال ، يدعى السيد ماير ، وانه أقدم فيما بعد على عمل يتسم بالشجاعة ، اذ نشر فى باريس فى ديسمبر ١٨٥١ كتابا بعنوان « قصة ٢ ديسمبر » : فى عام ١٨٥١ ، أهانت الباترى ثم سحبت الاهانة ، وكنا وقتئذ حاضرين . واليوم تعاود الباترى اهانتها ، ولكننا غائبون » .

وليس من شك يا سيدى المحرر فى انك تريد أن تساعد المنفيين على دفع الافتراء ، والتفضل بنشر هذه الرسالة .

وأرجو يا سيدى أن تتفضل بقبول خالص شكرى وعظيم مودتى الأخوية .

شارل هوجو

### قضية تابنر

استخرجنا من صحيفة « لانسبون » عدد ٨ فبراير ما يلي :

« نعود لآخر مرة الى موضوع اعدام تايز من أجل الحركة الجديرة بالذكر التي سبقته »

« ففي يوم ١٠ يناير ، وجه فيكتور هوجو الى سكان جيرنسي نداء الديموقراطية ولقى حديثه المنفى الجمهورى الورع آذانا مصغية ، وتردد صدهاء فى كل النفوس ، فقدم سبعمائة مواطن انجليزى الى الملكة التماسا بالعفو عن المحكوم عليه »

« وفى يوم ٢١ ، أعلنت صحيفة لاکرونك دو جيرسى أن البلاط قد اهتم بالتماس ، فحوله فى يوم الخميس ١٩ الى الوزير . ووافق لورد المستون على التأجيل ثمانية أيام . وكان هذا بداية نصر للديمقراطية ، وأملا فى النصر التام على الجلاء فى هذه المناسبة المشهودة »

« وكان السبعمائة مواطن انجليزى قد اعلنوا فى التماس العفو الذى قدموه استجابة لنداء فيكتور هوجو عن مبدأ حصانة الحياة البشرية ، وقالوا ان عقوبة الاعدام يجب أن تلغى »

« وفى يوم ٢٨ طلعت علينا صحيفة « لوستار » فى جيرنسي بالحكم الصادر على تابنر ، وقالت ان التنفيذ سوف يتم فى يوم ٣ فبراير . وفى يوم ٣ فبراير شفق تابنر ( شفق يوم ١٠ فبراير بعد أن تأجل التنفيذ مرة ثانية ) »

« لم تكن الديموقراطية تعمل حسابا لسفير السيد بونايرت فى لندن »

« ولا يمكن أن ينسى هذا النضال حول المشنقة فى سجلات الزمان »

« يبدو لنا في جيرنسي أن العالم الوثني قد صعد الى المشنقة مع تاينر . لقد أبلغت الثورة المقبلة صوت المستقبل الى المجتمع الجديد ، على لسان فيكتور هوجو ، وأصدرت حكم الانسانية ضد قوانين المجتمع الملكي الدهوية .

« وظفر الجلاد الانجليزي برأس انسان جديد ، ولكن الديمقراطية فضحت الجلاد من فوق صخور المنفى ، وفازت عليه بنصر من تلك الانتصارات الأدبية التي لا يعوض عنها رأس قاتل .

« وكسب سفير الامبراطورية قضية المشنقة امام لورد بالمستون ، ولكن ممثل الجمهورية كسب قضية المستقبل امام اوربا .  
« فمن ذا الذي نال شرف هذا اليوم ؟

« من ذا الذي يتحمل مسئولية شنق رجل آخر ؟ من من الاثنيين يحق له أن ينظر في وجه الآخر ، أمام جثة تاينر ، فيكتور هوجو أم السيد فاليتسكي ؟ (١) الديمقراطية المنفية أم الامبراطورية القائمة والقوية بدرجة تتيح لها أن تعلق مشنقة جيرنسي جثة مبرية تذكارا للنصر ؟ »  
الديمقراطية المنفية أم الامبراطورية القائمة والقوية بدرجة تتيح لها أن تعلق مشنقة جيروسي جثة بشرية تذكارا للنصر ؟ » .

### ونطالع في صحيفة « لوم » في ١٥ فبراير :

« لدول العالم وحكوماتها عادة قبيحة ، وذلك أنها ترفض شفاعة الافكار ، الافكار المبتهلة القوية . فكل ضروب السلطة والقوة وكذا الدولة شحيحة بوجه عام من ناحية منح الحريات والعفو عن الجرائم : فالقوة غيورة ، وهي اذا لم تقطع الرقاب كما يحدث في باريس سواء بالقتال المسلح ، أو ينصب الكماثن ، فان لها كما في لندن دفوعا صغيرة وبعدم قبول النظر في الدعوى ، أو مقتضياتها السياسية ، أو قضاءها الشرعى .

« ومع ذلك فقد يحدث أحيانا أن هذه العادة تكلف أصحابها ثمنا غاليا ، وأن السلطة التي لا تعرف العفو تلقي عقابا قاسيا ، يحدث ذلك حين تسهر نفس عظيمة ذات طبيعة انسانية عميقة الجذور خلف أدوات الاعداء ، خلف الحكومات . من ذلك أن الرجل الذي شنق في جيرنسي منذ قليل قد دافع عنه وهو حى فيكتور هوجو ، فلما سرت في أوصاله برودة الموت جعله في حماه . والتى على هذا التعمس الملتطخ بالجريمة

(١) ابن نابليون الاول من عشيقته ماريا فاليفسكا البولندية التي بقيت مخلصه له حتى النهاية - المترجم .

كسء الأمل الثمين ، وميثاق الحصانة الكبير الذى ينبع النوبة والغفران غير أن السلطة فى لندن قد صمت أذنيها عن هذا الصوت ، كما صمتها عن السبعائة صدى التى استنارها هذا الصوت فى الجزيرة الصغيرة المتأثرة ، فمستق تابنر بعد تأجيلات ثلاثة كانت بالنسبة الى هذا الرجل المقضى عليه بالموت فرصا ثلاث للحياة ، ثلاثة أسحار ! ولكن ها هي روح الفلسفة المنتقمة تعود صلبة صلابة القانون ، فتميل فوق الجنة التى لم تزل دافئة ، وتجس الجروح ، وتحكى الصراعات الرهيبه السى عاناها ذلك الجسد المحتضر البائس وطفراته وإيماءاته ورعشاه الأخيرة ، ونظراته التى تكاد تنطفئ، خلال الدماء ، واشفاق الجمهور المحنشد اسفاقا ممزوجا بالسخط واللعنات .

« قولوا لنا ماذا يا نرى جناه القانون والحكومة والمنل الأعلى من هذا الاعدام الذى لم يجرؤ على مواجهة المبدان العام الحر ، والذى يذكر الجميع بتفاصيله البشعة بمآسى المجزرة ، والذى فضحته للعالمين مرافعة عظيمة .

« ونحن نعلم ان هذه الصفحات البليغات لن نمحو عقوبة الاعدام ، ولن تמיד الحياة الى المحكوم عليه الذى صرعه العدالة . ولكن مشنقة جيرنسى سوف يراها الناس من جميع بقاع العالم ، ولكن الضمير الانسانى الذى ربما قد افامه نجاح الجريمة سوف يتحرك فى كل اعماقه. وسوف ينقطع جبل تايز ان عاجلا أم آجلا ، كما انكسرت عجلة التعذيب فى القرن الماضى « تحت كالاس » .

« أما نحن ، رجال المذهب الجديد . فمهما كان المستقبل ، ومهما كانت مصائر الناس ، فانا سعداء وفخورون لان مثل هذه الاعمال والاقوال العظيمة نخرج من صفوفنا . وانه الأمل وفرحة ، وانه لعزاء فائق لنفوسنا طالما أن الوطن قد أغلقت ابوابه دوننا ، ان نرى الفكرة الفرنسية تسطع فى المنفى فوق خيامنا . أليست فكرة فرنسا هي أيضا شمس فرنسا ؟

« انظروا كم تتجلى الأدوار واضحة للعيان ، حتى تتم المعرفة بصورة قاطعة ولا ريب ! العدالة تحكم وتدين لأنها ، والحق يقال ، مرتبطة بالنصوص ، والسياسة الحرة السائدة تؤيد العدالة وتضمن سريان قانون الدم . أما قساوسة الأديان كلها ، وهم رسل الرحمة والاحسان ، فانهم ينوارون ، فلا يظهرون الا من أجل النزاع الاخير - ومن ذا الذى يلبى نداء العفو ؟ الرأى العام - ومن الذى يطلبه ؟ منفى . المجد له !

وهكذا نجد الأديان والحكومات فى جانب ، والشعوب والافكار فى جانب آخر . الحياة معنا والموت معهم . . . وسوف تنقذ الأقدار !

شن ريبيرول

ونظال في صحيفة « لاناسيون » عدد ١٢ ابريل ١٨٥٤ :

« كان لقضية ناپر صدى قوى ، وترب عليها احيرا في أمريكا حادث مدعش للغاية وغير متوقع بالمره . ونحن نعرض الحادث على اصحاب العقول النيرة لننامله وتندبره .

« ففى اوائل شهر فرائير الماضى حكم بالاعدام فى كويبيك ( كندا ) على شخص يدعى جوليان بتهمة اغتيال رجل يدعى بيير ديون ، وهو حموه . وفى اللحظة ذاتها انت الصحف الأوروبية الى كندا بالرسالة التى وجيها فيكتور هوجو الى اهالى جيرنسى طالبا العفو عن نايز .

« ونشرت صحيفة المونيتور الكندية فى عدد ١٦ فبراير الموجود تحت أنظارنا نده فيكتور هوجو الى اهالى جيرنسى ، واتبعته بالملاحظة التى نطالعهها فيما يلى :

« ألم بات هذا التنفيذ القوى لعقوبة الاعدام فى الوقت المناسب لرسم السلوك الواجب اتباعه ازاء القاتل التعس ديوت ؟ » .

« والسك الآن ما نطالبه بعد أيام قلائل فى صحيفة « لويبيى » التى تصدر فى موزيال : « خفف حكم الاعدام الصادر ضد جوليان لقتله حماه فى كويبيك ، واسنبدلت به عقوبة السجن المؤبد فى اصلاحية المجرمن الاقليمية » .

#### وتضيف الصحيفة الكندية :

« لقد رفع فيكتور هوجو صوته الفصيح فى نفس اللحظة التى كانت فيها حياة جوليان وموته يتأرجحان على كفتى الميزان . وعلم كل الذين يحبون الانسانية ويحترمونها ، ويرون التفكير عن الجريمة لا فى القتل الذى يتم فى هدوء ( الاعدام ) ، وانما فى ساعات طويلة من الندم تمنح للمذنب ، علموا بسرور نبا هذا الحدث الذى يحل مسألة من أهم مسائل الفلسفة الاجتماعية حلا ضمنيا .

« ويمكن القول بان عقوبة الاعدام أصبحت فى كندا ملغاة بحكم الواقع .

« يا لقوة الفكر المقدسة ! انها تتسع كالانهار ، فى خيط رفيع من الماء فى منبعها ، ومحيط عند مصبها ، وهى تفتت على بعد خطوتين ، تغدو اعصارا على بعد الفى فرسخ . والحديث الذى يرح جيرسبى ، ويبدو انه لم يستطع أن يعوض مشنقة جيرنسى ، يعبر هو نفسه المحيط الاطلسى ويفتلح عقوبة الاعدام فى كندا . ولم يستطع فيكتور هوجو أن يفعل فى

أوروبا شيئا من أجل تابنر الذى كان يحتضر أمام عينيه . ولكنه أنقذ فى أمريكا جوليان الذى لا يعرفه . فالخطاب المكتوب من أجل جيرنسى يصل الى عنوانه فى كويبيك .

« ولنقل ، مجددا لرجال القضاء فى كندا ، أن النائب العام الذى كان قد حكم بالاعدام على جوليان . ندخل بحماسة حتى لا ينفذ الحكم فى المتهم . ولنمجد حاكم كندا الجنويية ، الجنرال روان الذى استوعب النقم وأيده . لامراء فى أنه سوف يخالجه الشعور بأداء الواجب والخاص من المسئولية حين يطالع فى هذه اللحظة الخطاب الذى بعنه فيكتور هوجو الى لورد بالمستون ، وختم به كفاحه عند فاعدة المشنقة فى جيرنسى . »

« وثمة شئ أعظم من الواقع نفسه ، يخلص لنا من القصة التى حكيناها آنفا . ذلك أن ما تختنه السلطة والاضطهاد حاليا فى قارة ، يبعث حبا وللغور فى قارة أخرى . ولهذه الخفقة التى ينبض بها قلب الانسانية الكبير الذى يختنق فى جيرنسى رجعة فى كندا . وتقترب اللحظة التى لن يكون للنوع الانسانى فيها غير روح واحدة ، بفضل الديموقراطية ، والفكر ، والصحافة . »

### ضروب الوحشية فى حرب القرم

خلاصة رسالة بتاريخ ١٦ سبتمبر ١٨٥٤

« وقع أمس الجمعة حادث شديد الغرابة يستحق نقدا مريرا . فقد صدرت اشارة من البارجة « لامبيرير » ( الامبراطور ) الى كل السفن تطلب اليها أن ترسل مرضاها الى ظهر السفينة « كانجارو » . وأثناء النهار ، أحيطت السفينة الأخيرة بمئات المراكب المحملة برجال مرضى ، وسرعان ما امتلأت بهؤلاء المرضى حتى غصت بهم . وقبل أن يجن الليل كانت السفينة تحتوى على حوالى ألف وخمسمائة من العجزة من كل الفئات ، يتناسون على ظهرها الآلام . وكان المنظر الذى يتبدى للمبين رهيبا ، والتفاصيل مخيفة لدرجة لا أستطيع معها الخوض فى وصفها . وعندما حانت لحظة الايجار ، أجابت لكانجارو على أمر الرحيل باشارة تقول فيها « المحاولة خطيرة » فاجابت لامبيرير باشارة تقول « ماذا تعنى ؟ » فردت لكانجارو « لا تستطيع السفينة أن تترك كما تريد » . وبقيت لكانجارو طول اليوم ملقبة مراسيها ، ورافعة اشارة تقول « أرسلوا سفنا للنجدة » . وأخيرا صدرت أوامر لنقل جزء من هذه الحمولة المحزنة الى سفن أخرى قاصدة هي الأخرى الى القسطنطينية . »

« ومات الكيرون على ظهر السفينة . وجرت مشاهد تتقطع لها الأفتدة ولكن لا فائدة مع الأسف من وصفها . ومع ذلك فقد كان واضحا أن الخدمة الطبية لم تكن كافية لا على ظهر السفينة ولا على البر . لقد رأيت بعيني رأسى رجلا يموتون على الشاطئ ، وعلى خط السبر ، وعند استراحات الجنود في العراء دون أى اسعاف طبي ، وحدث ذلك على كتب من أسطول يضم خمسمائة مركب شراعى ، وعلى مرأى من مقر قيادة الجيش . اننا فى حاجة الى عدد أكبر من الجراحين ، فى الأسطول وفى الجيش . ولا أئر للمعونة الطبية على الاطلاق فى الكثير من الأحيان . وكبرما تصل متأخرة بعد فوات الاوان » .

( جريدة الناير فى ٣٠ سبتمبر ١٨٥٥ )

خلاصة رسالة من القسطنطينية فى ٢٨ سبتمبر ١٨٥٤ :

« من المستحيل على أى انسان أن يشهد المناظر المحزنة فى هذه الايام الأخيرة ، دون ان يدهش ويفضب من عدم كفاية خدماتنا الطبية . أما الطريفه التى يعامل بها جرحانا ومرضانا فانها لا تليق الا بالمئوحشين فى دايموى . كانت الآلام على ظهر السفينة « فولكان » قاسية . كان بهذه السفينة ثلاثمائة جريح ، ومائة وسبعون مصابا بالكوليرا ، وكل هؤلاء تحت رعاية أربعة من الجراحين ! كان منظرا مخيفا ، والجرحى يسكنون بتلابب الجراحين عندما كان هؤلاء يشقون طريقهم خلال أكاداس الموتى والمحتضرين ، ولكن الجراحين ينزعون أنفسهم من قبضتهم ! ولا بد أن نتوقع ، ولعلنا فى ذلك على صواب أن يتلقى الضباط الاسعافات الأولية قبل غيرهم ، ويحتكروا وحدهم دون شك معونة الاطباء الاربعة . لذلك كان من الخطأ بالتأكد أن تشحن السفن بحشود من الجرحى دون أن يكون هناك من يقدم اليهم المعونات الطبية والجراحية ، ويوفر لهم المطالب الضرورية العاجلة . ووصل عدد كبير منهم الى سكوتارى دون أن يمسهم الجراح ، منذ أن سقطوا مصابين برصاص الروس على مرتفعات آلا . وكانت جروحهم متيبسة وقواهم منحطة عندما حملوا من السفن لنقلهم الى المستشفى حيث تأتى لهم لحسن الحظ أن يحصلوا على المعونات الطبية .

« ببد أن كل هذه الفظائع تتلاشى اذا قورنت بحالة ركاب السفينة كولومبو التعساء . فقد أبحرت هذه السفينة من القرم فى يوم ٢٤ سبتمبر ونقل الجرحون الى ظهرها قبل أن تنشر قلوبها بيومين . وعندما رفعت المراسى ، كان بالسفينة سبعة وعشرون ضابطا جريحا ، وأربعمائة واثان وعشرون جنديا جريحا ، ومائة وأربعة من الاسرى الروس ، ومجموع

هؤلاء خمسمائة وثلاثة وخمسون شخصا . وكان حوالي نصف الجرحى قد  
ذهبت جروحهم قبل أن يوضعوا على ظهر السفينة . وكان هناك ، لتلبية  
مطالب هذا الحشد من الآلام ، أربعة أطباء ، منهم جراح السفينة الذي  
كان مستغرقا في العناية بطاقم السفينة الذي كان أفراده يمرضون دائما  
في هذا الفصل من السنة وفي هذه البقاع وكادت السبعين مغطاه تماما  
بأنسكال آدميه ملقاة على أرضيها . فان من المسحيل مصادها . ولم يكن  
الضباط يستطيعون الانحاء لرؤية أجهزة السكسنانت ( السداسيه ) .  
ومن ثم سارت السفينة على غير هدى . وبفت في البحر اننى عقتره ساعه  
أكثر من اللازم بسبب هذا التعويى . ووضع المرضى الذين كانت حالتهم  
أسوأ من غيرهم على الجزر الخلفى من السفينة . وبعد يوم أو يومين  
اصبحوا مجرد كومة من الاجسام المتعفنه ! وكادت الاصابات المهمله . من  
الطلقات النارية يخرج منها ديدان نجري في كل الانجاعات . وتسم غذا ،  
الركاب التعساء . وكانت المواد الحيوانية المتعفنة تفوح منها رائحة  
نتقزز منها النفس لدرجة أن الضباط وأفراد الطاقم عانوا من الغثيان .  
وأن ربان السفينة لم يترك الى اليوم مريضا بسبب هذه الايام الخمسة  
التي انقضت في تعس وسقا . والقبت في البحر كل ملاقات السرائر التي  
بلغ الالف وخمسمائة ملاء . ومات ثلاثون رجلا خلال الرحلة . واشتغل  
الجرارون باقصى جهد ممكن ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا الا سبئا  
وليلجا جدا وسط هذا العدد الكبير من المرضى . ولذلك مر الكثير من هؤلاء  
التعساء لأول مرة بين يدي الطبيب في سكوتاري ، أى بعد انقضاء ستة  
ايام على المعركة !

« ان الاشارة الى الأخطا، والحديد عن عدم كفاية الرجال الذين  
يبدلون غاة جهدهم ، مهمة عميرة مؤلمة . ولكن حدث إهمال يؤسف له  
منذ وصول الباخرة . فقد ترك ستة وأربعون رجلا على ظهر السفينة  
يومين آخرين ، في حين أنه كان بالإمكان ، بشيء من الجهد الاضسافي  
وضعهم في المستشفى في مكان أمين . والسفينة موبوءة تماما ، وسرف  
يستخدم للحال عدد كبير من الرجال لتنظيفها لتوقى خطر التيفوس الذي  
يظهر عادة في مثل هذه الظروف . ونمة تقالتان للجنود قطرتهما السفينة  
كولومبو ، وكانت حالتها ستة للغاية مثل حالة كولومبو تقريبا » .

( جريدة التايمز في يوم الجمعة ١٣ أكتوبر ١٨٥٤ )

« . . أدى الأتراك خدمات طبية في التحصينات . ويقاس هؤلاء ،  
المساكين من الدوسيتناريا والحمامات والتيفوس . وليس عندهم أية خدمات  
طبية ، ولا وقت عند جراحيها لرعايتهم » .

( التايمز ، رسالة بناريخ ٢٩ أكتوبر ١٨٥٤ )



والمقالة التالية مأخوذة من رسالة موجهة الى صحيفة « المورنيخ بوست » ومؤرخة ٨ نوفمبر ١٨٥٤ من بالاكلافا :

« ولكن لا فائدة من التأكيد على هذه التفاصيل المؤلمة : وانما يكفى القول بأنه كان يرقد بين هياكل حوالى مائتى حصان مقتول او مجروح جنت جنود مدعيتنا الانجليز والفرنسيين ، وكلهم قد برت أعضاؤهم وشوهوا بدرجة ما . فبعضهم فصل رأسه من رقبتة ، وكان بلطة قطعتة ، وآخرون فصلت سيقانهم من أردافهم ، وآخرون قطع أذرعهم ، وآخرون ضربوا فى صدورهم أو بطونهم أو سحقوا كما لو كانت آلة قد هرستهم . ولم يكن الحلفاء وحدهم هم الممددين هناك ، بل كان هناك على العكس من ذلك عشرة من الروس فى مقابل واحد منا . والفاى بينهم أن الروس قتلوا كلهم برصاص البنادق قبل أن تطلق المدفعية قذائفها . وفى هذا المكان أرسل الروس سيلا متواترا من القنابل طول الليل ، ولكن القنابل كانت تنفجر على جثث الموتى .

« وبعد أن يجاز الانسان الطريق المؤدى الى سياستبول ، بين أكداس من جنت الموتى الروس ، يصل الى المكان الذى اضطر عنده رجال الحرس الى الكف عن الدفاع عن الاستحكامات التى تشرف على وادى اينكرمان . وهناك نجد موناكا كثيرين كموتى العدو . وعلى عرض الطريق تمدد خمسة من رجال الحرس جنباً الى جنب وقد قتلوا بقذيفة واحدة بينما كانوا يطلقون الرصاص على العدو ، وهم راقدون فى نفس الوضع ، ضاغطين على بنادقهم المتقلصة ، وعلى وجوههم نفس التقطيب الرهيب المؤلم . ووراء هذه الجماعة ، يرقد الجنود المشاة من المقاتلين والحرس الروس ، غليظين كالأوراق بين حثث القنبل .

« وعلى يمين الاستحكامات ، الطريق الذى يؤدى الى بطارية « المدفعين » ، ويمر الطريق عبر دحل كيف ، ولكنه طريق زلق بسبب الدماء التى تغطيه ، ومد النوت الأيكات رافدة على الأرض واكتظت بالموتى . ويبدو المنظر رهيباً اذا شوهد من ناحية البطارية ، رهيباً بدرجة تفوق كل وصف . ووقفت على الحاجز فى حوالى الساعة التاسعة مساءً ، وشعرت بقلبي يفوس بين ضلوعى كما لو كنت أشهد المذبحة نفسها . وكان القمر بدرأ يضى الأشياء كلها ، كما لو كانت الدنيا نهارة . وأمسمى وادى اينكرمان ونهر تشيرنايا يتلوى بصورة رائعة بين المرتفعات كما لو كان شريطاً من الفضة . منظر رائع خليق بأن يبارى أبداع مناظر العالم من حيث الاصاله والطرافة . ومع ذلك فاني لم اتذكر أبداً وادى اينكرمان الا وانتابنى شعور بالتعزز والفرح ، ذلك لأن أكثر من خمسة آلاف جثة

كانت راقدة حول المكان الذى انظر اليه . وكان هناك الكثير من الجرحى - ومررت اذنى ، قرعا جلبا مشؤوما ، التاوهمات البطيئة المؤلمة التى كانت تصدر منهم وهم يحتضرون . وأكثر من هذا ايلاما للنفس ما كنت اسمعه من الصرخات المبحوحة ، والحشجة القانطة الصادرة من الذين كانوا ينازعون سكرات الموت .

« وكانت عربات الاسعاف التى تبذل أقصى الجهد لكى تصل بأسرع ما يمكن تلقى حملتها من المصابين المتالمين ، وتستخدم فى نقلهم كل شئ، حتى الاغذية .

« وفى خارج المدفعية ، كان الروس راغدين مننى وثلاث ، بعضهم قو بعض . أما فى الداخل ، فكان المكان مكتظا برجال الحرس الروس من الكتيبة الخامسة والخمسين ، والكتيبة العشرين . وكان فى المستطاع بنظرة واحدة سبيير مواظنيا 'لساكين بقوامهم الفارع الجميل رغم أن السياب الرمادية الواسعة المخرجة بالدماء قد أصبحت متشابهة فى منظرها الخارجى . وكان الرجال راغدين فى الوضع الذى سقطوا عليه ، مكسبين فى أكوام . فهنا واحد من جنودنا فوق ثلاثة أو أربعة من الروس وهناك روسى فوق ثلاثة أو أربعة من جنودنا . وثمة بعض الجنود فاطت زوحيم والابتساماة على شفاههم ، ويبدون كأنهم نائمون . وآخرون نقلصت ملامحهم بصورة بشعة ، وتدل عيونهم الجاحظة وتقاطيع وجوههم المنتفخة على أنهم قضاوا وهم ينازعون من الموت السكرات ، ولكن فى ملامحهم سيما التهديد حنى النهاية . والبعض راقدون كما لو كانوا قد استعملوا للدفن وكان يد أحد الأتارب قد جمعت ورتبت أطرافهم المبتورة ، فى حين كان آخرون ولم يزاولوا فى أوضاع القتال ، واقفين نصف وقفة أو راكعين نصف ركعة ، ضاغطين على سلاحهم ، أو يمزقون خرطوشا ، والكثير منهم ممددون وأيديهم مرفوعة الى السماء، وكأنهم يتفادون ضربة أو يتلون دعا . وكان آخرون عابسين عيوسا عداييا يعبر عن عن الخوف أو الحقد وكأنهم قد ماتوا بالفعل يائسين . ونشر ضوء القمر على هذه الأشكال شحوبا خارقا للعادة ، وجعلت الريح الرطبة الباردة التى كانت تكتسح الللال ، تهز غصون الاشجار فوق هذه الوجوه المقلوبة ، فكان الظل يضىف عليها مظهرا حيويا بشعا . وبدا الموتى وكأنهم يضحكون ويوشكون أن يتكلموا . ولم يكن هذا المكان وحده هو الذى يبسده وكأنه ينبض بالحياة ، وإنما كان ميدان القتال كله على هذه الصورة .

« وعلى طول التل ، كانت جماعات صغيرة ومعها محفات تبحث عن اولئك الذين لم يزاولو أحياء ، وجماعات أخرى تحمل المصابيح وتقلب

أجساد الموتى بحنا عن الضباط الذين علم أنهم قتلوا ولكن لم يعر عليهم احد . وكان هناك أيضا نسوة انجليزيات لم يرجع أزواجهن أو أبائهن يجرين هنا وهناك ويطلقن صيحات مؤلمة ، يقلبن في لهفة وجوه مونا نا ناحية ضوء القمر ، يائسات ، وهن أحسق بالرتاء من الراقدين على الأرض » .

( المورنج هيرالد ، فى يوم الجمعة ٢٤ نوفمبر ١٨٥٤ )

« ٠٠ كنا نسمع ارتطام الأكواب ، وصوت الزجاجات وهى نتكسر . وهنا وهناك فى الظلام شمعة صفراء أو قنديل تحمله يد ، ونسوة جاثلات بين الجثث ، يتفرسن فى الوجوه الشاحبة ، وجها بعد وجه ، هذه نحب عن ابنها ، وتلك عن أبيها ، وأخرى عن زوجها » .

( من كتاب « نابليون الصغير » صفحة ١٢٣ ) .

## نداء موجه من جزيرة جيرسي الى فيكتور هوجو

سيدي

فرت لجنه اصدقاء جزيرة صقلية ان ندعو لعقد اجتماع عام يحضره سكان جيرسي في يوم ١٣ يولية ١٨٦٠ . بغرض التعبير عن تعاطفهم مع شعب صقلية الذي يناضل بقوة السلاح في سبيل الحرية ضد اضطهاد كرية وممقوت ، ومن تم يلتمس الموقعسون أدناه بكل احترام التشرف بحضورك واشترائك القيم في هذا الحفل .

ان فضية صقلية لتستحق اهتمام كل من هم جديرون بقلب انسان ، وكل انسان يقدر الانظمة الحرة . وكل صديق للحرية وللجنس البشرى . ونحن مقنعون بان فضية مقدسة مثل هذه لايد أن نحظى بعطفك الشديد . لقد كرسست عبقريتك للحرية والعدالة والانسانية، وسوف يشرف جزيرتنا الصغيرة صونك البليغ الذي يرتفع في جيرسي لصالح اهل صقلية ، ويسهم هذا الصوت في استندار عطف انجلترا وفرنسا وأوروبا كلها على هذا الشعب الباسل الذي يكافح ضد قوى نفوق كثيرا فونه ، من أجل أمن شيء في هذه الحياة . ولسنا بمبالغين اذا أكدنا أن بلاغتك سوف تنقذ قوة جديدة في قلوب المقاتلين من أجل الحرية ، الذين هم منتصرون ولكنهم مجهدون ، وسوف تبعث الرعب في نفوس أعدائهم .

نعم يا سيدي ، ان مرافعاتك المضطربة في صالح الحرية والانسانية واحتجاجاتك ضد الاستبداد والقسوة ، سوف يتردد صداها في معسكر حاربيالدى وتدف أحراس اليأس في أذني ملك نابولي المجمل بالعار .

نعود فنكرر التماسنا لمعونتك ، ومع تعبيرنا بالاحترام لك والاعجاب بشخصك نشترف بأن تكون ٠٠ الخ

( يلي ذلك التوقعات )

### مأدبة بروكسل

نشر السيد جوستاف فريد بركس ، وهو من أبرع الكتاب الصحفيين الفرنسيين والبلجيك في عام ١٨٦٢ عن مأدبة بروكسل صفحات لامعة كان لها وقتئذ دوى كبير ، وسوف نكون مرجعا في يوم من الأيام لأنها بعض من تاريخ عصرنا السياسي والأدبي (١) . كانت مأدبة بروكسل لقاء مشهورا جمع أصحاب الفكر والشهرة الذين قهروا من جميع أنحاء العالم المتحضر للاحتجاج مع رجل منفي ضد الامبراطورية . وتجد في المقال البليغ الذي كتبه السيد جوستاف فريد بركس كل تفاصيل هذه المظاهرة اللامعة . ونرأس المأدبة السيد فيكتور هوجو ، والى يمينه عمدة مدينه بروكسل ، والى يساره رئيس مجلس النواب . وتكلم خطبا، عظام . منهم لوى بلان ، وأوجين بيللبنان . ثم تحدث باسم الصحافة من مختلف البلاد صحافيون مشهورون ، منهم السادة يراردى عن بلجيكا . ونيفتزر عن فرنسا ، وكويسنا عن اسبانيا ، وفيرارى عن ايطاليا ، ولو عن انجلترا . وشكر السيدان الميجلان لاكروا ، وفيرويكهوفن ناشرا كتاب « البؤساء » مؤلف الكتاب باسم المكتبة الدولية . وحيثما شاتفلورى فيكتور هوجو باسم الكتاب النائرين . وحياه تبودور دوبانفيل باسم الشعراء . ولم يسمع أحد قط أنبل من الأحاديث التي أقيمت . وكان الحفل هاما ومهيبا .

وفي ذلك الوقت كان عمدة بروكسل رجلا شريفا يدعى فونتينا : وهو الذي حصل النخب الى فيكتور هوجو قائلا له :

« يسرنى أن أرحب بكم أيها السادة الذين نزورون بلجيكا . والمخلصين اخلاصا شديدا لقوميتنا ، السعدها سعادة عميقة بالانظسه الحرة التي تحكمها : انتم أيها السادة الذين تغلب مواهبكم البائنا ، وتواسى نفوسنا ، وتسمو بها . ولكن هناك ، بين هذا الجمع الكبير من

(١) « ذكرى المأدبة القائمة لفكتور هوجو في بروكسل »

الأسماء اللامعة ، اسما المبح منها ، ذكرته منذ هنيهة ، وهو فيكتور هوجو ، صاحب المجد الذى يستغنى بمجده عن كل ما أستطيعه من ثناء .

« اننى أقدم نخبا للكاتب العظيم ، للشاعر الكبير ، لفيكتور هوجو ! » .

فنهض فيكتور هوجو وأجاب قائلا :

سعادتى :

« أشرب فى صحة عمدة بروكسل .

« لم يسبق لى أبدا أن قابلت السيد فونتينا . اننى أعرفه منذ أربع وعشرين ساعة ، وأحبه . لماذا ؟ انظروا اليه وسوف تفهمون . ليس هناك طبيعة أكثر صدقا وصراحة من هذه الطبيعة ، مرسومة على وجه أطيّب من هذا الوجه . يده التى تصافح الأيدى تعبر عن كل ما فى روحه ، وحديثه حديث ود وتصافى . اننى أكرم وأحبه فى شخص هذا الرجل اللطيف الممتاز المدينة النبيلة التى يمثلها .

« والواقع اننى سعيد الحظ مع عمدة مدينة بروكسل ، ويبدو انه قد قدر لى أن أحبهم دائما . فمذأ أحد عشر عاما ، حينما وصلت الى بروكسل فى يوم ١٢ ديسمبر عام ١٨٥١ ، كانت أول زيارة تلقيتها ، زيارة عمدةها السيد شارل دو بروكوير ، وهو أيضا رجل ذو فكر ثاقب رفيع ، وروح قوية طيبة وقلب كريم . وأقمت فى « الميدان الكبير » ببروكسل ؛ وأقول بهذه المناسبة ، انه أثر عظيم كامل ، يضم دار البلدية الفخمة التى تحف بها منازل بدوية . وكان السيد شارل دو بروكوير يمر بدارى كل يوم تقريبا ، وهو فى طريقه الى دار البلدية ؛ فيدفع بابى ويدخل . وكان يلبى للفقور كل ما أطلبه من أجل زملائى البراسل فى المنفى ، وهو نفسه رجل باسل ، قاتل وراء متاريس بروكسل . وكان يزودنى بالمودة والأخاء والبهجة . وواسانى فى مصاب الوطن وآلامه . كان من أمر الأشياء على دانتى أن يرقى سلم الأجننى ؛ أما شارل « بروكوير » فانه كان يشعر بالفرحة عندما يرقى سلم المنفى . انه رجل شجاع ونبيلى وطيب . حسن ؛ هذه الحفاوة الحارة الكبيرة التى استقبلنى بها السيد دو بروكوير فيما مضى ، حظيت بمنلها ثانية لدى السيد فونتينا . رجدت عنده نفس الظرف ، والخلق الطيب ، والحفاوة الجميلة ، والروح السمحة ، والوجه الطلق . الرجلان مختلفان ، ولكن القلبين متماثلان . اسمعوا . قمت بجولة فى بلجيكا ، وذهبت الى كل مكان فيها تقريبا .

من الروابي الى غابات « أردنين » : وكنت في كل مكان التقى باسمه  
واسمع ثناء عليه . انه محبوب في أصغر قرية كما هو محبوب في  
العاصمة . هذه الشعبية لا تنبع من رنين الأجراس ، وانما من الأمة .  
ويبدو عمدة بروكسل هذا كما لو كان عمدة بلجيكا كماها . العزة لمثل  
هؤلاء العمد . انهم أعزاء لنا عن غيرهم .

« أشرب نخب السيد فونتينا المنجل ، عمدة بروكسل ، وأهتي »  
هذه المدينة الشهيرة اذ جعلت على رأسها واحدا من هؤلاء الرجال الذين  
يتمثل في أشخاصهم كرم الضيافة والحرية : كرم الضيافة الذي كان  
فضيلة الشعوب القديمة ، والحرية التي هي قره الشعوب الجديدة .

### الى اعضاء اجتماع جيرسيى من اجل بولندا

اوتفيل هاوس فى ١٧ مارس ١٨٦٣ :

سادنى :

اعانى فى هذه اللحظة من التهاب مزمن فى الحلق يمنعنى من نلبيه  
دعوتكم التى سرفتمونى بها ، فارجو قبول أسفى الشديد .  
التعاطف وجود ، ولذلك فانى ساكون بينكم بروحى . وأشارك من  
اعماهى أفكاركم الكريمة .

مثل أمة امر مستحيل . الحق هو النجم . يأفل ولكنسه يظهر من  
جديد . والمجر سميت ذلك . وتنبته كذلك فينيسيا وبولندا . وبولندا  
تتألق فى اللحظة الحاليه . انها لا نحيا كل حياتها ولكنها فى أوج  
مجدها . وإذ عاد الى بولندا المجاهدة الدامية المناهضة كل ضيائها ، فانها  
سبهر العالم .

الشعوب نجيا ، والطفة يموتون : هذا هو القانون الأعلى . وعلينا  
أن نذكر دواما بهذا القانون ذلك الأماطور الأئيم الذى يعسف فى هذه  
اللحظة أمتين ، فتشقى احدهما ، وتنسر بل الثانية بالعار . وليست  
بولندا التى يخنقها ذلك الأماطور هى أحق الأمتين بالرثاء ؛ وانما  
الأحق بالرثاء هى الروسا التى يجلب لها الخزى . ومما يحط بقدر شعب  
من الشعوب أن يقدم على هلاك شعب آخر . أتمنى لبولندا أن تسترد  
حرينها . وأتمنى للروسيا أن تسترد شرفها . وأنا لا أتمنى هذين البعثين  
فحسب ، وانما انتظرهما .

نعم . ان الشك فى هذا الأمر كفر ، ومشاركه بنوع ما فى الاثم .  
نعم . لأن بولندا سوف تنتصر . ذلك لأن موتها النهائى هو بالتقريب  
موت لنا كلنا : فرلندا جزء من قلب أوروبا . وفى اليوم الذى تخمد فيه  
آخر خلجة فى حياة بولندا ، تحس فيه المدنية كلها ببرودة القبرة .



اسمحوا لي أن أطلق من بعيد هذه الصيحة التي سوف يتردد  
صداها في أرواحكم : -

لتحيا بولندا ! ليحيا الحق ! لتحيا حرية الناس واستقلال  
الشعوب !

واسمحوا لي في هذه المناسبة أن أبعث بتمنياتي بالسعادة الى جزيرة  
جيرسي العزيزة على نفسي ، والى سكانها الممتازين . و تقبلوا يا أصدقائي  
بحيثى القلبية ؟

فكتور هوجو

### العيد المئوي لشكسبير

أحاط لوى بلان فيكتور هوجو علما برغبة لجنة العيد المئوي لشكسبير في ضمه لعضويتها وضم ابنه فرانسوا فيكتور هوجو ، مترجم أعمال شكسبير ، فكتب فيكتور هوجو الى السيد ن . هيبويرت ديكسون سكرتير لجنة شكسبير في لندن :

أوتفيل هاوس في ٢٠ يناير ١٨٦٤ :  
سيدي :

الرسالة التي أبلغها اياكم صديقي العزيز التيبيل السيد لوى بلان ، هي في رأيي الرد على خطاب وصلني منه ، واليكم هذا الرد :

أوتفيل هاوس في ١١ أكتوبر ١٨٦٣ :  
عزيزي لوى بلان :

نشرت الجرائد خلال اشهر يونية ويولية وأغسطس عددا من اخطارات القبول الصادرة من أشخاص مبرزين دعوا الى عضوية لجنة شكسبير . ولم يكن نجلي . مترجم أعمال شكسبير قد دعى الى هذه اللجنة . ولكنه دعى اليها اليوم . وأرى أن دعوته قد تأخرت كثيرا .

ولم أكن أنا أيضا قد دعيت في غضون هذه الشهور الثلاثة ، ولكن لا أهمية لذلك . انما المسألة تتعلق بابني ، وأنا أشعر بالاهانة في شخص ابني . أما من ناحيتي ، فكرامتي لم تمس ، ولست عرضة لاية اهانة . ولن أكون أبدا عضوا في لجنة شكسبير ؛ ولكن طالما أن السيد لوى بلان سيكون عضوا بها ، فإن فرنسا سوف تجد فيه خير من يمثلها .

فيكتور هوجو

وجاء الخطاب الردي الذي حررته لي يا سيدي بتاريخ ١٩ يناير ١٨٦٤ باسم لجنة شكسبير ، فبدل موقفى تجاه اللجنة ، ولكنه ترك في نفسى مع ذلك أسفا - أسف لا يشعر به فى الحقيقة سوى .

واسمح لى أن أوضح لك ماهية هذا الأسف .

لو كانت الدعوة الودية التى شرفتنى بتوجيهها الى اليوم قد وجهت الى منذ ستة اشهر ، كما وجهت الى العديد من الأشخاص الميجلين الذين تذكر أسمائهم ، لكان فى مقدورى فى تلك اللحظة ، وقد اخبرت بالأمر مقدما ، أن أدبر أمورى بحيث أتمكن الاشتراك فى جلسات اللجنة ، ولكان هذا بالنسبة الى واجبا وسعادة . واذ لم أكن قد دعيت الى الاشتراك فى اللجنة فانى لم أجد أية صعوبة منذ ذلك الحين فى قبول عروض وارتباطات تستغرق اليوم كل وقتى ، وتخلق لى التزامات عمل ملحة . هذه الارتباطات التى التزمت بها على أثر سوء التفاهم الذى تفضلت بتفسيره لى ، لم تترك لى الحرية فى أن أجنب معكم ، وسوف تحرمنى حسب الظواهر كلها ، بسبب الأعمال العاجله الملحة التى تفرضها على من شرف حضور اجتماعكم العظيم . فى لندن يوم ٢٣ أبريل . وانها لخسارة بالنسبة الى ، ولكنى أكرر القول بانها خسارة بالنسبة الى فقط . بل انها خسارة طفيفة من وجهات النظر الأخرى . فحضورى كغياى أمر لا أهمية له .

وسوء التفاهم الذى فسره فى خطابك تفسيراً رقيقاً ، الى جانب هذه الخسارة الطفيفة أمر يمكن اصلاحه والتعويض عنه . فلجنة شكسبير التى تتكلم بلسانها ، تبدى رغبتها الكريمة بأن يدون اسمى فى قائمتها المحترمة . وانى لأبادر بالموافقة على هذه الرغبة ، وآسف لعدم استطاعتى اكمال هذا التعاون الاسمى بتعاون فعال . أما بخصوص الحفل الميجد الذى تعدونه من أجل رجلكم العظيم ، فلن استطع حضوره الا بقلبى فقط ، ولكنى سوف أكون حاضرا فيه بشخص ابنى فرانسوا فيكتور الذى سوف يكون سعيدا بأن يتخذ بينكم المحل الميجد الذى تقدمونه له ، بعد أن أبديتم تفسيركم الممتاز

وسوف يكون يوبيل يوم ٢٣ أبريل عيد انجلترا الحقيقى ، انجلترا النبيلة التى يمثلها منبرها البليغ الفخور ، وصحافتها الحرة المدهشة صاحبة السيادة ، والتى لها كل ألوان المجد التى تحظى بها الشعوب الجديرة بالشعراء العظام . وانجلترا جديرة بشكسبير .

وأرجو يا سيدى أن تفضل بتبليغ اللجنة هذه الرسالة ، وتقبل منى أصدق مشاعر المودة .

فيكتور هوجر

### عقوبة الاعدام

الفترة التالية مأخوذة عن صحيفة « أوروبا » :

زداد الدلائل التي يبشر بالغاء عقوبه الاعدام طهورا وجملا يوما بعد يوم ، في جميع الأنحاء . واذ يزداد عدد الأحكام التي تفقد ، فانها تعجل بذلك الغاء آلة الاعدام . عن طريق استتارة الضمير العام . وقد نسلم السيد فيكتور هوجو منذ قليل . وفي غضون أسبوع واحد رسالتين في شأن عقوبة الاعدام ، بين الواحدة والاخرى بضعة أيام ، احدهما من ايطاليا والثانية من انجلترا . كتب الرسالة الأولى الى فيكتور هوجو اللجنة الإيطالية المركزية بتوقيع « كونت فرديناند تريفولزيو . ودكتور جورج دي جيولينى ، والمحامي جان كابريني ، ودكتور البرت سسارولا . ودكتور جوزيف موسى المستشار الاقليمي ، ودكتور فريدريك بونولا » . ويعلن هذا الخطاب المؤرخ من ميلانو في أول فبراير فيكتور هوجو بتنظيم اجتماع شعبي كبير في ميلانو من أجل الغاء عقوبة الاعدام ، ويرجو المنفي في جيرنسي أن يبعث من فوره برقية الى شعب ميلانو المجتمع في هذا اللقاء ببعض الحديث الذي من شأنه « توليد صدمة كهربائية في ايطاليا كلها » كما جاء في الخطاب . وكانت اللجنة تجهل أنه لا توجد لسوء الحظ اسلاك تليفرافية في جيرنسي . أما الرسالة الثانية المرسله من لندن ، والصادرة من المحسن الانجليزي المعروف السيد « ليلى » فانها تشتمل على تفاصيل قضية رجل ايطالي يدعى « يولبوني » حكم عليه بالشنق من أجل طعنة بالسكين طعنها خلال معركة في حانة لليلية ، وترجو فيكتور هوجو أن يتدخل لمنع اعدام هذا الرجل .

الى السادة أعضاء اللجنة الإيطالية المركزية لالغاء عقوبة الاعدام .

أوتفيل هاوس ، السبت ٤ فبراير ١٨٦٥ :

سعادتي :

لا يوجد في جيرنسي نلغراف كهربى . وقد وصلنى خطابكم اليوم  
٤ منه ، ولن يرسل البريد القادم الا يوم الاثنين ٦ منه . وانى لشديد  
الأسف لعدم استطاعتي الاجابة على نداءكم النبيل المؤثر فى الوقت  
المناسب . وكم كان يسعدنى أن يصل هتافى الى شعب ميلانو وهو ينجز  
عملا عظيما .

حسانة الحياة البشرية هى أم الحقوق ، هى الحق الذى ينبع منه كل  
المبادئ . هذا الحق هو جذر الشجرة ، وباقى المبادئ هى العنصون .  
أما آلة الاعدام فانها جريمة مستمرة . انها أوقح اهانة يمكن أن نصيب  
كرامة الانسان والمدنية والتقدم . وفى كل مرة تقام فيها آلة الاعدام ،  
تصيبنا صفة . هذه الجريمة ترتكب باسمنا .

كانت إيطاليا أم الرجال العظام ، وهى أم المثل الكبرى . ولست  
أشك فى أنها سوف تلغى عقوبة الاعدام . وسوف تنجح لجنتم المشكلة  
من هذا العدد الكبير من الرجال العظام الكرام . وسوف تشهد عملا  
قرب هذا المنظر الجدير بالاعجاب : إيطاليا وقد حذف منها آلة الاعدام ،  
وأضيف إليها روما وفينيسيا .

أصافحكم بيدى ، وأنا صديقكم . .

فيكتور هوغو

ورد فيكتور هوغو على الخطاب الوارد من إنجلترا فقال :

الى السيد ليللى ، ٩ سانت بيتر يتراس ، نوتنج هيل ، لندن .

أوتفيل هاوس فى ١٢ فبراير ١٨٦٥ .

سيدي

بشرفنى أن توجه خطابك الى ، واشكر على ذلك .

ستقام مشنقة ، وأنت تنهينى الى ذلك ، وتعتقد أننى قاصر على  
هدمها . ولكنى لا أملك مع الأسف هذه القدرة . لم استطع انقاذ تابنر ،  
ولن أستطيع انقاذ بوليونى . فالى من أوجه الخطاب ؟ الى الحكومة ؟ الى  
الشعب ؟ اننى أجنبنى فى نظر الشعب الانجليزى . ومنفى فى نظر الحكومة  
الانجليزية . فأنت ترى أننى أقل من لاشى . ولكنى بالنسبة الى إنجلترا  
صوت من الأصوات ، قد يكون لجوجا ، ولكنه صوت عاجز بالتأكيد .  
لا أستطيع يا سيدي أن أعمل شيئا : فارث لبوليونى وارث لى .

لو كان بولبوني في فرنسا لحكم عليه يعقوبة مؤقتة في جريمة القتل دون سبق اصرار . أما العقوبات الانجليزية فانه يعوزها هذا المخفف العظيم ، وهو : الظروف المخففة .

فلتفكر انجلترا الفحورة في هذا الامر . ففي اللحظة الحاضرة لا يرقى شريعها الى مستوى التشريع الجنائي الفرنسي الذي هو مع ذلك كثير العيوب . وانجلترا من هذه الناحية متأخرة عن فرنسا . فهل تريد ابصارا ان تستعيد في لحظة واحدة كل المجال الذي فقدته ، وتسبق فرنسا ؟ في استطاعتها ذلك ، وما عليها الا أن نخطو خطوة واحدة ، فتلغى عقوبة الاعدام .

هذا التي العظيم حذر بهذا الشعب العظيم . واني أدعوها الى ذلك .

لعد العيب عقوبة الاعدام في الكبر من جمهوريات أمريكا الجنوبية ؛ وسوف تلغى . ان لم تكن قد الغيت من قبل في إيطاليا والبرتغال وسويسرا ورومانيا واليونان . ولن تتأخر بلجيكا في الاقتداء بهذه المثل الرائعة . وما يدعو الى الاعجاب أن تقدم انجلترا على هذه المبادرة وتبرهن . بالغائها المشنقة ، على أن أمة الحرية هي أيضا أمة الانسانية . ولا حاجة بي الى القول يا سيدي بأنى أترك لك حرية الانتفاع بخطابى على الوجه الذى تستصوبه .

وأرجو قبول اسمى مشاعر الود . .

فيكتور هوجو

ونضيف جريدة « رسالة أوروبا » بعد أن ذكرت هاتين الرسالتين :

« انه لما يؤثر في النفس أن ترى خصوم الجلاد . يتوجهون صوب سخرة جيرنسى ليطلبوا العون والمساعدة من ذلك الذى هزت يده القوية المشنقة من قبل . وسوف ينجح في هدمها . ان منظر « الجمال خادم الحقيقة » هو أعظم المناظر . ومن الطبيعي أن يقيم فيكتور هوجو من نفسه محامى الرب ليطالب بحقوقه الثابتة على حياة الانسان ، تلك الحقوق التى اغتصبها عدالة الانسان . من الجدير بأن يتكلم باسم الاله ، ان لم يكن هذا العبقري ! » .

### الثورات التي أخدمت

أوتفيل هاوس في ١٨ نوفمبر ١٨٦٦ :

أثر في نفسى كثيرا ذلك النداء الكريم الذى وجهه الصحافى البليخ الموقر رئيس تحرير جريدة « الشرق » . ولكن فات الأوان لسوء الحظ .  
 فمن جميع الأنحاء يعلنون أن الثورة قد خيمت . وها هو مع الأسف نعش جديد يفتح للشعب ، ثم يفلق .  
 أما أنا ، فهذى منذ سنتين هى المرة الرابعة التى يصلنى فيها نداء من هذا النوع متأخرا كثيرا . فنوار هايبتي ورومانيا وصقلية قد وجهوا الى نداءهم . ولكنهم فعلوا ذلك متأخرين . ويعلم الله أننى كنت حلقا بأن أقدمهم بغيرة وحماسة ! ولكن لا يجسر بنا أن نتفاهم فيما سننا بصورة أفضل ؟ لم لا يخطر رجال الحركة بهذه الأمور رجال التقدم ؟ لم لا يتفق المحاربون بالسيف مع المحاربين بالفكر ؟ يجب المطالبة ببعاونتنا مقدما لا مؤخرا . فلو أخطرت بالأمر فى الوقت المناسب لكتب حريا أن أكتب ما يناسب الحال ، ولاستطاع الجميع أن يتعاونوا فى سبيل نجاح الثورة عامة ، وخلص الكافة . بلغوا صديقى المبجل هذا الكلام .

وتقبلوا تحيتى القلبية العاحلة .

### عشاء الأطفال الفقراء

لعله المفيد ، لكى نوضح للأذهان ما قد يكون القارىء قد طالعه فى هذا الكتاب فى موضوع المشروع الصغير الخاص بعشاء الأطفال الفقراء ، أن ننشر تقريرا من تقارير الصحافة الانجليزية .

البيكم خطاب اللبدي طومسون ، ومقال جريدة « اكسبريس » الذى تحدث عنه فيكتور هوجو فى خطابه .

## الى فيكتور هوجو

٣٥ ، شارع ويمبول ، لندن ، ٣٠ نوفمبر ١٨٦٦ .

سيدي العزيز - بعد الاهتمام الذي أوليته بنجاح مشروعنا الخاص بعشاء الأطفال الفقراء ، يسرنى كثيرا أن أرسل اليك تقرير العام الماضي .  
وتسير خطتنا سيرا حسنا . وقد بدأت منذ قليل العمل للسنة القادمة .  
أعلم أنك تتمتع بصحة جيدة ، وأنتك تشهد فكرتك الجليلة تزداد انتشارا .

وتفضل بقبول الاحترام ،

## كيت طومسون

« من المزايا النادرة التي تتمتع بها هذه المنشأة الخاصة بعشاء الأطفال الفقراء بين غيرها من المؤسسات الخيرية ، أنها بسيطة ومباشرة وعملية وسهلة المحاكاة ، لا تتطلب مذهبا معينا أو نظاما خاصا . ولا يجوز نسيان الرجل الذي كان أول من أبدى فكرة عشاء الأطفال المعوزين .  
وندين انجلترا في الزمان الماضي بالفضل الكبير للمتقين السباسبين الفرنسيين . وندين « جمعية عشاء الأطفال الفقراء » هذه نشأتها لذلك القلب الكريم ، قلب شاعر عصرنا الكبير . فيكتور هوجو الذي يقدم كل أسبوع منذ عدة سنوات ، في داره بجيرنسي وبماله الخاص وجبات عشاء لأربعين طفلا فقرا ، لا يلتفت بشأنهم الى الجنس او الدين وانما الى الفاقة وحسب . وفي عيد الميلاد ، يزيد فيكتور هوجو عدد هؤلاء المدعوين الصغار ، ويزودهم لا بالغذاء والشراب فحسب ، وانما بتشكيلة منتقاة من هدايا لبنت البهجة والسلوى في قلوبهم الفتية وأخيلتهم الصببانية ، دون أن ينسى تغذية أخواهم الجائعة وكسوة أعضائهم المرتجفة . وفي لندن جمعية تشكلت على غرار مشروع فيكتور هوجو ، توجه النداء الى كل « أولئك الذين يشفقون على الأطفال التعساء الذين يرتدون أسمالا بالية ، ويكادون يموتون من الجوع في هذه العاصمة الشاسعة » .

« وقد بلغ عدد وجبات العشاء التي قدمت في عام ١٨٦٧ في سبع وثلاثين قاعة طعام خاصة حوالي ٨٥٠٠٠ وجبة . ومن ذلك الحين قدمت هبات جديدة تمثل ٣٠٠٠٠ وجبة . وبلغ اجمالي النفقات وقتئذ ٦١٤ جنيهها ، والمجموع الكلي لوجبات العشاء ١١٥٠٠٠ » .

( جريدة اكبريس في ١٧ ديسمبر ١٨٦٦ )



## عيد الميلاد فى أوتفيل هاوس

الصفحة التالية منقولة من جريدة « لاجازيت دوجيرنسى » بتاريخ

٢٩ ديسمبر ١٨٦٦ :

« فى يوم الخميس الماضى ، تدفق جمهور أئيق على منزل السيد فيكتور هوجو ليشهد التوزيع السنوى للملابس واللعب الذى يجريه السيد فيكتور هوجو للأطفال الفقراء الذين يتعهدهم برعايته . وكان الحفل يشمل كالعادة :

١ - وجبة خفيفة من الشطائر والحلوى من عجين ( جاتوه ) ،  
والفاكهة ، والنبيذ .

٢ - توزيع الملابس .

٣ - شجرة عيد الميلاد نثرت عليها مجموعات من اللعب . وقبل توزيع الملابس ، وجه السيد فيكتور هوجو خطابا الى الحاضرين .  
واليكمل ملخصا لما أمكننا جمعه من هذا الخطاب .

» سسيدياتى :

« تعلمن للغاية من هذا الاجتماع الصغير . هذا هو ما أسميه عيد الأطفال الفقراء ، اذ لا أجد له اسما أبسط من هذا الاسم . وأود أن أتحدث عن هذا العيد بأشد العبارات تواضعا وبساطة ، وأن أستعيد لهذا الغرض بساطة أى واحد من الأطفال الذين يستمعون الى -

» هدفى أن أحسن الى الأطفال الفقراء فى حدود قدرتى . وليس لى فى هذا العمل أى فضل صدقونى ، وما أقوله هذا أشعر به شعورا عميقا ، فما يستطيع الانسان ان يفعله هو ما يجب عليه أن يفعله . هل تعرفن شيئا أشد اثاره للحزن من عذاب الأطفال ؟ اذا قاسينا نحن الرجال ، فاننا ننال فى الحقيقة ما نستحقه ، أما الأطفال فانهم أبرياء ، والبراءة هى التى تقاسى ، وهذا أقسى ما فى الدنيا من ألوان الحزن . وهنا تعهد الينا العناية الالهية بجزء من وظيفتها الخاصة . فانه يقول للانسان : انى أعهد اليك بالطفل . والله لا يعهد الينا بأطفالنا وحدهم لأن العناية بهم أمر طبيعى للغاية ، والحيوانات تؤدى هذا الواجب الطبيعى بصورة أفضل أحيانا من أداء الانسان له ، ولكنه يعهد الينا بكل الأطفال الذين يقاسون . رسالتنا الكبرى هى أن نكون آباء وأمهات للأطفال الفقراء . وشعور الأمومة نحو الأطفال هو شعور الأخوة نحو الانسانية .

« ويدكر السيد فيكتور هوجو بعد ذلك نتائج عمل أدبه الاكاديمية الطبية فى باريس منذ ثمانية عشر عاما فى صحة الأطفال . وقد أظهر التحفيق الذى أجرى فى هذا الشأن أن معظم الأمراض التى سببها حياة الكثير من الأطفال الفقراء تنسب من سوء تغذيتهم وحدها ، وأنهم اذا استنطاعوا أن ياكلوا لحما ويشربوا نبيذاً مرة واحدة فقط كل شهر ، فإن هذا يكفى لوقايتهم من جميع العلل التى تنتج من فقر الدم ، لا أمراض الدرن وحدها ، ولكن أيضاً على العلب والرتين والملح . ومن سبب انيميا ، او فقر الدم ، فضلاً عن ذلك ، ان يجعل الأطفال عرضة لمجموعة من الأمراض المعدية كالخناق والدفتريا التى يكفى لوقايتهم منها أن يسألوا غذاء جيداً مرة واحدة كل شهر .

« وقد دهش السيد فيكتور هوجو دهشاً عميقاً من نتائج هذا العمل الذى أنجزته الاكاديمية . ولما كان منهكاً فى باريس بمشاغل الحياة العامة ، لم يكن لديه وقت لتنظيم فى وطنه وجبات المشاء للأطفال الفقراء . ولكنه يقول انه استفاد من الفراغ الذى وفره له امبراطور الفرنسيين فى جيرنسى ليعمل على تنفيذ فكرته .

« وخطر له أنه اذا كان عشاء طيب يتناوله الطفل مرة واحدة كل شهر يفيد فائدة كبيرة ، فإن عشاء طيب يتناوله كل خمسة عشر يوماً لابد ان يأنيه بفائدة اكبر ، ومن ثم فانه يقدم الغذاء لاربعين وأربعين فقيراً ، يأتى نصفهم - أى واحد وعشرون طفلاً - الى داره كل أسبوع . ويريد فى نهاية السنة أن يهبهم لهم البهجة الصغيرة التى يتمتع بها كل الأطفال الأغنياء ، بين أسرهم ، يريد أن يتمتعوا بعيد « الكريسماس » . ويتضمن هذا العيد السنوى الصغير ثلاثة أقسام :

وجبة غذاء خفيف ، توزيع الملابس ، توزيع اللعب . ذلك لأن الفرح ، كما يقول السيد فيكتور هوجو ، جزء من الصحة بالنسبة الى الطفولة . ولذلك فانى أهدى لهم كل سنة سجرة عيد ميلاد صغيرة . واليوم هو خامس حفل نظمه لهذا العيد .

ويستمر السيد فيكتور هوجو قائلاً : والآن ، لماذا أقول كل هذا ؟ الفضل الوحيد فى أداء العمل الطيب ( اذا كان ثمة عمل طيب ) هو فى السكوت عنه . وجدير بى أن أضمت حقاً اذا كنت لا أفكر الا فى نفسى . ولكن غايتى ليست أن اعمل خيراً لاربعين طفلاً فقيراً فحسب ، وانما غايتى بنوع خاص أن أعطى للناس مثلاً نافعا . ذلك هو عذرى » .

« وقد اقتدى الناس بالمثل الذى قدمه السيد فيكتور هوجو اقتداءً

حسنا لدرجة أن النتائج التي حصلوا عليها تدعو الى الاعجاب حقا . وله أن يذكر في هذا الصدد أمريكا والسويد وسويسرا حيث يعتنى بانتظام عدد جسيم من الأطفال الفقراء ، وإيطاليا بل وحتى إسبانيا التي بدأ فيها هذا العمل الطيب ، ولكنه لن يتكلم إلا عن إنجلترا وعن لندن ، ومعه الأدلة .

« وهنا يقرأ السيد فيكتور هوجو فقرات مقتبسة من رساله كتبها لجريدة « لوبوتى جورنال » أحد السادة الانجليز الافاضل .

« واذا صدم بعض السادة الأبرار ، وعلى رأسهم الكونت دونافنسبيرى بالمشهد المفجع الذى نتجلى به مدارس الأحياء الفقيرة فى لندن ، وتأثروا تأثرا عميقا برأى الأطفال الشاحبي الوجوه الهزيلي الأجسام الذين يرددون على هذه المدارس ، وفزعوا من نقشى الهزال ، تفشيا سريعا بين سكان المدن ، هزال من شأنه أن يستبدل بجنسنا الانجلو ساكسونى القوي جسما ضعيف الأعصاب واهن القوى ، فقد أسس هؤلاء السادة جمعية عشاء الأطفال الفقراء .

« الاحسان شئ لطيف للغاية . وتبرع الانسان بشئ قليل من فائض ماله عمل يجلب سعادة جميلة ، لا شك أنها ناعمة ، ومن ثم فاننا لا نستطيع أن نفاوم الرغبة فى تعريف فرنسا بهذا الابتكار فى مضمار الخير والاحسان ، وهذه التجربة الجديدة التى شرعت فى اجرائها إنجلترا ، بلدنا القديم .

« واذن السيد فيكتور هوجو قائلا : فى هذه المدرسة وحدها ثلاثمائة وعشرون طفلا . تصوروا اذن هذا العدد وقد زاد أضعافا . ما أعظم الخسر الذى سوف تحظى به الطفولة !

« ثم قرأ السيد فيكتور هوجو رسالة كتبها الى جريدة التايمز السيد فولار سكرنر المؤسسة التى أنشأها فى لندن الأب وود على نسق منشأة أونفيل هاوس :

« الى محرر جريدة التايمز » .

« سيدي » .

« نفذت فى العام الماضى بنشر رسالة فى التايمز أوضحت فيها الحسنى الكبير الذى طرأ على صحة الأطفال الفقراء بمدرسة « أصحاب الشياى الرثة بوستمنستر » ، وهو تحسن نتج من الطريقة المنتظمة التى يقدم بها لكل طفل وجبة عشاء كل خمسة عشر يوما ، والتى شجعت سائر الأشخاص لهم هذه الفرصة أن يفعلوا الشئ نفسه ان أمكن بمدارسهم .

« ومرت سنة أخرى بمزيد من التجربة ، أكدت بصورة أقوى كل ما قلته آنفا بشأن الأثر الطيب الناتج من هذه الوجبات ، وعلى نسجه تعادل في قوتها نتائج السنين الماضية ، فكانت صحة الأطفال بالمدرسة طيبة بصفة عامة ، ولم تصب الكوليرا أى طفل . ويؤسفنى مع ذلك أن أقول ان الأموال المكتتبه لهذا العشاء ، والتي لم نقتدها ابدا منذ ثلاث سنوات سوف تنفذ عما قريب ، وأمل أن نعضواوا بشىء...» فى صحيفتكم لتتقديم المعونة حتى أستطيع الاستمرار فى تقديم نفس الهدى من وجبات العشاء هذا الشناء .

### وليم مولار

( يتبع هذا حساب التكلفة لكل وجبة عشاء ، ولوجه عبد الميلاد ) -  
التايمز فى ٢٧ ديسمبر ١٨٦٦ .

« وعبر السيد فيكتور هوجو عن أمله فى أن نختفى كلنا » اصحاب النياب الرثة « قريبا من اللغة الانجليزية الجميلة البليبة ، وأن نبقى أيضا هذه الطبعة نفسها .

« وأبرز السيد فيكتور هوجو هذه الظاهرة بغوة ، ظاهرة أن الكوليرا لم تصب واحدا من الأطفال الذين اغتدوا على هذا النحو ، وسط الرزايا العظيمة التى انزلها هذا الوباء فى لندن فى الصيف الماضى . ويعتقد أنه ليس فى مقدور الانسان أن يقول شيئا أقوى من هذا فى صالح المشروع ، ويعرض هذه النتيجة على الحاضرين ليتأملوها .

« ويقول السيد فيكتور هوجو فى ختام حديثه : هذا يا سيدانى ما يبرر لى أن أحكى ما يجرى ها هنا ، ويبرر الدعاية المعمولة لهذا العشاء ، الذى يقدم لأربعين طفلا . ذلك لأنه يترتب على هذا الأحصل المتواضع نحسن كبير فى أحوال الطفولة البريئة المذبذبة . واجبنا هو تخفيف متاع الأطفال ، وصنع الرجال . ولن أضيف الى هذا كلمة واحدة . هناك وسيلتان لبناء الكنائس : أن تبنى بالحجارة ، وأن تبنى باللحم والعظم .

الفقير الذى أحسننت اليه وآسيته هو كنيسة شيدىها ، يرتفع منها الدعاء والعرقان بالجميل والحمد لله سبحانه » .

( تصفيق مستمر )

## عشاء الأطفال الفقراء

الفقرة التالية منقولة من الصحف الإنجليزية :

« طبقت فكرة السيد فيكتور هوجو - فكرة العشاء الأسبوعي للأطفال - في لندن على نطاق واسع للغاية ، وأعطت نتائج مدهشه .  
 فقد قدمت المعونة لسنة آلاف طفل في لندن وحدها . وننشر فيما يلي الرسالة التي كتبتها الليدي طومسون ، أمينة صندوق « مائدة عشاء الأطفال » للسيد فيكتور هوجو :

« لندن في ٢٢ أكتوبر ١٨٦٧ ، ٣٥ سارع ديمبول .

« سيدي العزيز - أستطيع لنفسى أن أرسل لكم النشرة التي تعلن عن الموسم الثاني لمشروع « مائدة عشاء الأطفال » في حي ميريلبون بلندن .

« لقد حظى الموسم الماضي بأكبر نجاح ، واذ تفضلت بقراءة التقرير المرفق طيه ، فإني سوف ترى أن قرابة ستة آلاف طفل قد تناولوا العشاء في غضون الشهر القلائل التي أعقبت تنظيم هذا المشروع .

« ولما كان انشاء مشروع العشاء في الحي يرجع الفضل فيه الى فكرتك ومبادئك ، والكلمات التي ألقيتها في هذا الشأن ، ولكي أستشهد بقيمة هذه الوجبات وشبوعها لدى كل الأشخاص الذين عرفوها ، فإني أحدهك في شأن هذه المعلومات التفصيلية .

« واسمح لي أن أعبر عن عميق احترامي وشكري اللذين يثرهما في نفسى عطفك الكريم على الفقراء .

وتفضل . . . الخ .

كيت طومسون

« ويعقب هذا الخطاب التعرير الذى يتضح منه أنه قد قدمت سبع وسبعون وجبة عشاء خلال تسعة أشهر ، وفى كثير من الأحيان وجبتان ، وأحيانا ثلاث وجبات يومية للعديد الكبير من الطلبات .

« وبلغ مجموع الوجبات التى قدمت ٥٥٤٢ ، منها ٨٢٠ قدمت فى الفاعة ، ٧٢٢ أرسلت الى منازل أطفال مرضى . وظهرت فائدة الغذاء الجيد بوضوح فى كلتا الحالتين . ولو حظ أن عادة الجلوس الى مائدة معدة اعدادا جيدا كان لها اثر طيب على الاطفال ، لأن وجبات العشاء هذه هى أيضا مصدر لسعادة الاطفال وسرورهم . بالإضافة الى الطعام الجيد اللذيذ الذى يقدم لهم ، الأمر الذى قلما يصادفونه . وان الفرحة التى تبعثها الوجبات مى نفوسهم لتعادل وحدها الجهد والمال اللذين تكلفهما هذا العمل » .

« برید أوروبا فى ٢٢ نوفمبر ١٨٦٧ »

نظالم فى ؤرودة « برود اورودآ » آآ لى :

وقعت تحت أنظارنا رسآلة ؤقوقة (١) من فىكتور هوؤو ، دعنونة باسم هوؤف كؤآب « آارى دورفال » الذى أرسسل نسؤة من كؤآبه إلى فىكتور هوؤو :

ببن رسآلك آآ سىدى وبن ردى علفها فترة ؤداد . وآلوم أؤرؤ من هؤآ الدللل الدآؤى ، لىل الآلام الأولى ، وآبدآ فى نئسم الآىة . قرآت كؤآبك المآآر . كآنت مدام دورفال أعظم ممآلات هؤآ العصر . ولم يكن نمة نظفر لها سوى الآنسة راشبل التى ربمآ كآنت تفوقها لو آنها آضطلعت آداء الفن الآى ، الدرمآ التى نمئل الرؤل . وآدرمآ التى بمئل المرآة ، الدرمآ التى هى قلب الآنسان . بدلا من أن تمئل النراجىدىآ المآة . لؤقد آحدثت عن مدام دورفال كمآ ىنبؤى أن يكون الآدآى . وآنى لآشكرك وآنا مآآثر من ذك . مدام دورفال هى بعض من فؤر عنصرنا . لؤقد سطعت فىه كمآ ىسطع النؤم العظىم .

كنت أنت طفلا عندما كنت أنا شآبآ . وآنت الوم رؤل ، وآنا شىؤ . ولكن لنا ذكرىآ ممشركة . سبآبك المشرق ىآآم شبآبى الآفل . ومن ثم كآن آفتتآنى بؤكؤآبك الآىد النبىل . فى هؤآ الكؤآب روع وقلب وآسلوب ، فىه تلك الآمآسة المقدسة التى هى فضبلة العقل . الرومآنسىة ( وهى كلمة مؤرودة من المعنى ، فرضها أعددؤنا ، بآذرء ) هى الثورة الفرنسىة فى الآدب ، وآنت تفهم ذك ، وآهئك من آؤل ذك .

وتقبل آآلص آؤآىة .

فىكتور هوؤرؤ

أؤففىل آاوس فى ١٥ ىنآىر ١٨٦٩ .

(١) وضع آؤط تحت هؤة الكلمة فى البرىة بسبب كؤرة الرسآئل التى آحل كدبآ اسم فىكتور هوؤو وآللى نشرتها بعض الصحف القؤرىة .

## الى السيد جامتون تيساندييه

«اننى يا سيدى اومن بكل ضروب التقدم . فالملاحة الجوية تاتى فى أعقاب الملاحة البحرية ، وعلى الانسان أن ينتقل من الماء الى الهواء . وفى كل مكان يتنفس فيه الانسان نسيم الحياة ، سستطيع أن ينفذ فى الخليفة . حدودنا الوحيدة هى الحياة نفسها ، ويجب أن يتوقف الانسان عند نهاية عمود الهواء الذى يمنع ضغطه انفجار أجهزتنا . ولكن الانسان يريد أن يبلغ هذا الحد ، بل أنه سستطيع أن يبلغه ، ومن واجبه أن يبلغه ، وسوف يبلغه . وأنت تبرهن على ذلك . وانى لشديد الاهتمام برحلاتك الجريئة النافعة . ويتمتع زميلك البارع الجسور مسسيو در فونفيل بملكة العلم الحقيقى الجليل . ولعلى أتمتع أنا ايضا بذلك التذوق البديع للمغامرة العلمية . المغامرة فى دنيا الواقع ، والافتراض فى دنيا الفكر ، هما الأسلوبان الكبيران فى أساليب الاكتشاف . ولا مرء فى أن المستقبل للملاحة الجوية . وواجب الحاضر هو العمل للمستقبل . وأنت تؤدى هذا الواجب . أما أنا ، الوحيد ، المتمتظ رغم وحدته ، فانى أتابعك بعينى ، وأهيب بك أن تتشجع » .

ابريل ١٨٦٩ .

ونظالم فى جريدة « كرونيك دوجيرسى » .

## فيكتور هوجو ضد عقوبة الجلد

« نلفينا من أحد مراسلينا الخطاب التالى ، وهو رد الشاعر الكبير على الرجاء الذى قدمه اليه المراسل بأن يستخدم نفوذه واعتباره من أجل منع الحكم بعقوبة الجلد فى جميع المحاكم بالملكات الانجليزية . وانا نشكر فيكتور هوجو على عبرته » .

أوتفيل هاوس فى ١٩ ابريل ١٨٦٩ .

استلمت يا سيدى خطابك الممتاز . وسبق لى أن طالبت علنا وبشدة ( فى رسالتى الى جريدة بوست ) بإلغاء هذه العقوبة المخزية ، عقوبة الجلد التى تشين القاضى أكثر مما تشين المحكوم عليه . وسوف أعيد المطالبة بالتأكيد ، اذ يجب أن يختفى العصر الوسيط . لقد أطلق عام ١٧٨٩ صيحة الانذار .



ولك اذا شئت أن تنشر خطابى هذا .  
وارجو أن تقبل خالص مشاعر المودة .

فيكتور هوجو

اونفيل هاوس فى ٣٠ مايو ١٨٦٩ .

عزيزى الفونس كار .

لك أن تنشر هذا الخطاب اذا شئت . أما أنا ، فانى لا اطلب نشره ،  
ولا أبدى سببا لذلك . انما هى دلالة من صداقتى الى صداقتك  
فحسب .

عرض عليهم بعضهم صفحة من انشائك ، وهى صفحة خلافة ،  
تشير فيها الى قائلا اننى «كنت فيما مضى كثير التردد على قصر الاليزيه» .  
واسمح لى أن اقول لك بكل صراحة أنك مخطئ فى هذا . لم اذهب الى  
قصر الاليزيه الا اربع مرات فى المجموع . وفى استطاعتى أن احدد تواريخ  
هذه الزيارات . ومنذ استنكار « الرسالة لى ادجارينى » لم أضع  
نهدى فيها .

فى عام ١٨٤٨ ، كنت من الأحرار فحسب . ولم أصبح جمهورية  
الا فى عام ١٨٤٩ . وظهرت لى الحقيقة مغلوبا على أمرها . وبعد  
١٣ يونية ، حين رأيت الجمهورية صرعى ، صدمنى حقها ومس مشاعرى ،  
خاصة وانها كانت تحضر . عندئذ ذهبت اليها - الى الجمهورية -  
وانضمت الى الجانب الأضعف .

ولعل أقصى هذا الأمر فى يوم من الأيام . وأولئك الذين يعتبرون على  
لأنى لم أكن جمهورية من قبل محقون فى عتبههم . لقد وصلت الى الحزب  
الجمهورى متأخرا ، وصلت فى الموعد المناسب لأنال نصيبى من النفى .  
ونلت نصيبى . وهذا حسن .

صديقك القديم

فيكتور هوجو

« لم يساور هوجو أى شك فى أنى سوف أنشر رده .

« هناك جمال ، بل وشى من الدلال فى أن يعترف رجل على مثل هذا  
القدر من الذكاء بأنه أخطأ ، شأنه فى ذلك شأن المرأة التى تتمتع بحسن  
لا نزاع فيه ، ونقول مع ذلك : أنا اليوم قبيحة المنظر » .

الفونس كار

واليك ممصطفات من الرسالة البديعه الى حررها فليكس بات •  
رون المعلوم أن مكنور هو جو حد نمسك بقراره رغم العبارات البلبغة المبيرة  
الى حررها فليكس بات •

## فى الخارج أم فى الداخلى

عزىزى فىكتور هو جو :

« يفعل الطفاة البارعون فى مهنتهم برعاياهم ما يفعله الطفل بتمار  
الكرز . اذ يبدأ بأسدها احمرارا • وهم يبعون الدرسل البافع القديم الذى  
أعطاه اياهم استاذهم ناركو بنىوس(١) فىقطنون اعلا السناىل فى الحقل ،  
وهم يستقرون وىوطنون مراكزهم على هذا النحو ، وىبدلون غابة وسعهم  
لاستبعاد الصفاة الممازة من اعدائهم . فىقتلون البعض منهم ، وىطردون  
البعض الآخر ، وىحتفظون بالباى • يطرحون الروح ، ثم يقبضون على  
الجسد • وما هم اولا ، مطمئنون لعشرين سنة • والتارىح يؤكد أن كل  
شخص وصىلى ىرتفع بافصا ، الأحرار ، ولا ىسقط الا عندما  
ىسترجعهم •

« فاذا صح هذا ، فانى أتساءل اذن عما ىكون واجب المنفىين •  
الواجب ؟ لا ، هذه الكلمة غير صحىحة هنا ، لان الموضوع ، والحمد لله ،  
حاص بالوسىلة اكثر منه بالمبدأ • والسلوك ؟ ولا حتى هذا ، فى السلوك  
لون اخلاقى زائد عن الحد • اقول هذا لان المسألة تتعاق بتكنىك ( حيله ،  
او تصرف ) المنفىين • ىبدو لى أن تكتنىكهم هذا ىتشكل على حسب تكتنىك  
الحاكم الذى يقضى بالمنفى • فما علبهم الا أن ىتخذوا الموقف المضاد  
انصرفاته • فاذا طردتهم الدكتاتورىة لظنها أنهم اقوى ، فعلبهم أن ىعودوا  
عندما تمتقد أنهم ضعفاء • والاستبداد فى الحقىقة لا ىخشى سوى  
الاشباح •• وىخشى الحاضرین اكثر من الغائبین • ىأتى المحررون دائما  
من الخارج ، ولكنهم لا ىتجحون الا فى الداخلى • ذلك هو على الأقل ما  
حدث فى الماضى ، والماضى ىدل على المستقبل •

« •• ولا رىب فى أن الرجل المنفى قد أصبح فى الخارج جديرا  
بالوطن . فله خدماته . وله مخاطره • وقد كشف لهم ابنك شارل عن هذه  
الخدمات والمخاطر بشاعرىة طبعىة موروثة ، تجعلنى اومن بحق النبالة -  
لو لم أكن على هذه الدرجة من القبح •

(١) اسم امرة تربعت قديما على عرش روما فى القرن السادس قبل الميلاد - المرجم •

« ولكن ، لنكن عادلين مع الفضائل فى الداخل • وليست الفضائل فى الخارج فى حاجة الى المزيد من الاطراء لكى تستطيع التعرف عليها • ان من ينكر جدارتك فانما هو ينكر السماء • أما أنا ، تلك الحصاة المتنفلة التى تتقاذفها الأقدار من سجن الى سجن ، وفى سويسرا وسافوا وفرنسا وهولندا وبلجيكا • فقد عرفت الشرطة الاوروبية كلها ، ولست أفخر بذلك ولا أشكو منه ، فليس فى الأمر ما يستحق الفخر أو الشكوى • وأما أنا وأصدقائي الذين وسى بعضهم بنا كما وسى بعض أعضاء مجلس الشيوخ بمارا • ووسى أحد السفراء بيلتيليه • وتنكرنا فى صورة جى فوكس ، وعلقت صورنا من أجل « رسائل الى الملكة » ، وسببنا لك شيئا من المتاعب فى جيرسيى ، وقبض علينا ، وحوكنا ، وهددونا بقانون الأجانب فى قضية « أورسينى » ، وبسليمنا لدولتنا من أجل « الكومون التورى » ، فانا قد نلنا نصيبنا من المحن واستمتعنا بأمان المنفى فى لندن ، كما استمتعت أنت به فى جيرسيى •

« •• قلت ان الواجب ، كالخطر ، لا شأن له بموضوع الدعوى ، فهو يؤدى بشجاعة فى إنجلترا ، كما يؤدى بشجاعة فى فرنسا ، فى الخارج كما فى الداخل ، ولكن بقدر من الجدوى والفائدة على أقل ما اعتد يـؤدى بمزيد من التآلق والضيء • وانما بمفعول أضعف ، بمزيد من الحرية والفخار الشخصى وانما بقدر من فظائع محاكم الأمن العام • واذا كانت قضية بودان ، وهى قضية شبح رجل مات ، قد أيقظت باريس ، فما بالنا بقضية « الشبح الأكبر » كما تسميك صحيفة « لوكنسنستيونيل » ، قضية شبح رجل حى ، قضية فيكتور هوجو ! لقد أثار تيرتية اسبارطة • تم تم قضية ليدرو ، ولوى بلان ، وكينيه ، وباربيس •• سوف يهدم قصر العدالة (وزارة العدل) • كان لسوفوكل(١) قضية التى ربحها ، وكان له شعرك الأبيض ، ولك أنت أمجاده •

« وأدرك ابنك فرانسوا ، أخو شارل ونديده فى الموهبة ، أدرك بنفسه ، وبظفرة أبوية ، الضرر الذى سببه لنا العفو الشامل • قال بحق ان لجيش المنفى مرشديه وأعلامه • وجاء العفو الشامل فسرح هذا الجيش وشسته وفرفه فى الداخل • وانهزم الجيش • عودة أخيل ، سقوط هكتور (٢) • ويموت أخيل ، حقيقة ، ولكن طروادة تسقط • اذا كان

(١) شاعر يونانى فى القرن السابع قبل الميلاد ، حفز باغانيه شجاعة أهل اسارطة

• فى حرب ميسينا الثانية - المترجم •

(٢) أخيل وهكتور من الأبطال الصادق فى حرب طروادة « الالياة » - المترجم •

الاقوى ينتظر الانتصار الاضعف ، فقد انقلبت أحوال العالم • وداعا إذن .  
بتروكولوس وجنده الميرميديون (٢) •

« ولم يرد أبدا فى خاطرى فكرة أنك مستريح فى ضحيتك ! اسدحك نبرو فى الفضاء الشاسع كما نبرن الصاعقة • ولكنها تضيع فيها أيضا • وهى خليفة بأن تفوز اذا تركزت فى الخارج وفى الداخل • عذرا فالصراحة من شيم الجمهورية ، وهى ليست عندى كما هى عنك . فى م من ذهب ، ولكنها من حديد • ما أشد الصدمة التى نصاب بها باريس اذا رجعت اليها كلكم فى يوم ٢٢ سبتمبر !

« لقد جعلت من قصة « الرجل الضحوك » حدثا هاما • وسوف نجعل من « الرجل الباكي » زلزالا !

« ومع ذلك فهذى مجرد فكرة • والتاريخ نفسه لا يأمر بشئ • وإنما يسدى النصح فحسب • والنصيحة لا نكتسب اية قوة اذا صدرت منى • أننى أعرض عليك أو بالأحرى أرفع اليك رأى فى جراه ونواضع ، فخذ النصيحة بما هى أهل له • تم انى أضيف الى ذلك أنه ليس فى الشئون الإنسانية شئ مطلق ، وأن أمور الماضى قد تخطىء بالنسبة الى المستقبل •

« وعلى هذا فإن على كل انسان فى النهاية أن يقدر مصلحته الشخصية الاحترام والحرية لكل عقيدة ! ولعقيدتك أنت بصفة خاصة • ان لك ما للنجوم من المزايا ، مع كونك أشد روعة فى غروبك منك فى شروقك ! ولعله من الأوفق لك أن تبقى فى سمائك النارية ، مثل اله هوميروس ، لمغير المعركة • لكل شئ مهته ، النار يحمل الشعلة ، والموجة تحمل السفينة • فليكن الأمر كذلك ! ولكن مهما كان القرار المتخذ ، سواء نصرف الانسان بالجملة أو بالتفصيل ، فى موضع واحد أو فى مواضع مختلفة ، متجمعة أو مبعثرة ، عن بعد أو عن قرب ، بالداخل أو بالخارج فى فرنسا أو فى الصين ، فالأمر سيان ، والواجب سوف يؤدي ، والشرف سليم فى كل مكان ، ان لم يكن النصر فى كل مكان !

« والشئ المهم بنوع خاص ، وقبل كل شئ » ، أن نكون متحدين ،  
والا فنحن هالكون •

« لكنن متحدين ، فى الخارج أو فى الداخل ، حبا فى الحق ! لقد أعجبت بتوصيتك العظيمة فى بداية صدور جريدة « لورابيل » هذا هو الخلاص •

(١) بتروكولوس بطل اغريسي ، صديق أخيل ، اشترك معه فى حرب طروادة • صله  
مكتور ، والميرميديون جنوده ويتميزون بقصر القامة - « الاياداة » - المترجم •

« الى الامام اذن جميعا ! غائبين كنا أم حاضرين ، كل ما يهتز ، كل من يعيش ، ومن يكره ، كل من عاس باسم الحق والنظام والسلام وحياة فرنسا ، كل من يفضل الحق على الناس ، والمبدأ على كل شيء . كل من هو مستعد لأن يضحي في سبيل هذه الاشياء بالجسم والمال والروح والفن والمجد والاسم والأهل والذاكرة وكل شيء فيما عدا الضمير ، كل من هو على استعداد لان يهب نفسه حليفا للشيطان لو استطاع أن يهاجم في أسوأ أشكال الشيطان ، كل من ليس له غير حفيظة واحدة ، يدخرها ! ويجمعها ، ويكدها ، ويختزنها ، منلما يفعل البخل ، فلا يصرف شئنا من حفيظته حتى لدى اشنع الاهانات ، كل من لا يبالي في التعاطم والتعالى أمام العدو المشترك . الى الامام جميعا ضد العدو وحده ، بقلب واحد ، وساعد واحد ، وصيحة واحدة ، وهدف واحد . الآباء والأبناء . هدف اليوم والامس ، الهدف المثالي الأبدى لفرنسا وللعالم ، الهدف المجيد أبدا ، المقدس أبدا ، ليوم ٢٢ من هذا الشهر العظيم . شهر سبتمبر : الحرية والأخاء والمساواة .

فليكس ببات

لندن في ٩ سبتمبر ١٨٦٩

## لوكريس بورجيا

الى السيد رافائيل فليكس

سيدي

أنى سعيد بعودتى الى مسرحى الكبير الجميل ، وبعودنى اليه معك  
آب العضو المبجل فى هذه الاسرة البديعة ، أسرة الفنانين التى ينيرها  
وجد راسيتيل .

أرجوك أن تشكر باسمى وتهنئء مدام لوران التى كانت فى هذا  
المعرض الأول ندا لذكرى الأنسة جورج العظيمة ، أو ربما فاتتها . لقد  
بلغ اسماعى صدى انتصارها .

وقل للسيد ميلينج الذى أعرف موهبته القوية اننى اشكره لانه  
كان فاتنا ، وفاخرا ، ومرعبا .

وقل للسيد تايباد انى أصفق له لنجاحه الذى هو جدير به .

وقل للجميع انى أبعث اليهم بهتاف الجمهور .

انك تتمتع يا سيدي بذكاء رائع ونادر . الشعب العظيم فى حاجة  
الى فن عظيم ، وفى مقدورك أن تحقق لمسرحك هذا المثل الأعلى .

فيكتور هوجر

## عرق الباخرة نورماندى

استخلصنا هذه القصة المؤلمة لعرق الباخرة نورماندى من رسالة  
لفيكتور هوجر .

( للورابيل فى ٢٦ مارس ١٨٧٠ )

اوتفيل هاوس فى ٢٢ مارس ١٨٧٠

•• كتب الى بعضهم يسألني عن التأثير الذي أحدثته في نفسى وفاة  
مونتالامبير •• وأجيب : لا شيء ، لا اليكم • ولكن اليكم ما أضغاني •

كان في الباخرة نورماندى التي غرقت في عرض البحر منذ اربعة  
أيام بحار فقير ومعه امرأته ، وهما من أهالى هذه الناحية ، من قرية  
سان سوفير • كانا عائلتين من لندن التي ذهب اليها الزوج بسبب  
« خراج » في ذراعه • وفجأة ، في دجى الليل • انشقت الباخرة نصفين •  
وعاصت في اليم • ولم يبق سوى زورق واحد ممتلئ بالناس الذين كانوا  
على وشك قطع الحبل الذى يربطهم بالباخرة • وصاح الزوج « انتظرونا  
سننزل » وأجابة بعضهم من الزورق : « لم يعد هنا مكان الا لامرأة واحدة •  
فلننزل زوجتك » •

فقال الزوج : « اذهبي يا زوجتى » •

وأجابت الزوجة : « لا ، لن أذهب • لا مكان لك • سنموت معا » •

وكانت « لا » هذه رائعة • هذه البطولة التي يعبر عنها بالمهجة  
العامية تعصر الفؤاد • « لا » رقيقة مع بسمة رقيقة أمام القبر •

والفت المرأة المسكينة بذراعيها حول رقبة زوجها ، ومات الاثنان •

وأبكى وأنا اكتب هذا الكلام • وأفكر فى زوج ابنتى العظيم • شارل  
فاكبرى (١) •

فيكتور هوجر

ونشرت الصحف الانجليزية الخطاب التالى الذى حرر فى موضوع  
كارثة السفينة نورماندى •

( بريد أوروبا )

الى محرر جريدة ستار

أوتفيل هاوس فى ٥ أبريل ١٨٧٠

سبدي

أرجو التفضل بادراج اسمى فى قائمة التبرعات لأسر البحارة الذين

---

(١) أمو الكاسم الفرنسى اوجسب فاكبرى الذى كان من المحبين فيكتور هوجر •  
تزوج لبيولدين هوجر ، ابنة الشاعر الكبر ، ومات معها شرقا فى زهرة بالسفينة فى  
فيلبيك عام ١٨٤٣ - المترجم •

هانوا في حادث غرق السفينة نورماندى . ذلك الحادث الذى سوف نخلد ذكره بالمسلك البطولى الذى أبداه الكابتن هارفى .

ويهمنى . بهذه المناسبة . وأمام هذه الكوارث الأليمة أن أذكر الشركات الفنية كشركة « ساوث ويسترن » بأن الحياة الانسانية نعمة وإن رجال البحر يسنحون رعاية خاصة ، وأنه لو كانت النورماندى قد زودت أول كل شئ بحواجز صماء من شأنها حصر الماء ومنع تدفقه . وزودت ثانيا بأحزمة انقاذ فى متناول الفرعى ، وثالثا بأجهزة «سبلاس» التى نضى البحر ، مهما كانت شدة ظلام الليل والعاصفة ، والتى تسر الرؤية الواضحة خلال الكارثة . لو كانت هذه الشروط الثلاثة التى تمنح مثانة السفينة ، وأمن الناس ، وإضاءة المحر متوفرة فربما لم يكن أحد قد هلك فى حادث غرق النورماندى .

وتقبل يا سيدى خالص آيات المودة .

فيكتور هوجر

١٨٨٣

فى رأس الطبعة الأولى من كتاب « من المنفى » ( ١٨٧٥ ) الملحوظة الآتية :

فى هذا الكتاب ، كما فى كتاب « السنة الرهيبة » يلحظ القارى . ( فى ثلاثة مواضع ) سطورا منقوطة . وتكشف هذه السطور عن نوع الحرية الذى كنا نتمتع به . فتمة أسماء نشرت فى عهد الامبراطورية . لا يمكن أن تطبع بعد هذا العهد . هذه السطور المنقوطة هى إشارة الأحكام العرفية ، وسوف تمحى هذه الإشارة من الكتب ، لا من التاريخ . ولتحفظ بها من يريد ذلك .

أما فما يختص بهذا الكتاب . فإن إيضاح هذا الشئ أمر لا أهمية له . ولكن دناءات الوقت الحاضر لابد أن يشار إليها ، احتراما للحرية التى لا يجوز أن يسقط الحق فيها بمضى المدة .

ف.هـ

باريس ، نوفمبر ١٨٧٥

ولا حاجة بنا الى القول بأن هذه السطور التى حذفتم فى عام ١٨٧٥ قد أعيد طبعها فى الطبعة النهائية .



## فهرس

٥	• • • • •	ماعية المنفى
٣٣	• • • • •	أنفرس فى أول أغسطس سنة ١٨٥٢
٣٩	• • • • •	الوصول الى جيرسى
٥٢	• • • • •	نصريح فى موضوع الأميراطورية
٤٥	• • • • •	وليمة بولندية
٥٠	• • • • •	على قبر جان بوسكيه
٥٦	• • • • •	على قبر لويز جوليان
٦١	• • • • •	الذكرى السنوية الثالثة والعشرون للتورة البولنديه
٦٦	• • • • •	الى سكان جبرنسى
٧٦	• • • • •	الى لورد بالمرسون وزير داخلية انجلترا
٨٦	• • • • •	الذكرى السنوية السادسة لوم ٢٤ فبراير ١٨٤٨
٩١	• • • • •	هدا الى المواطنين العالميين
٩٢	• • • • •	على قبر فيلكس بوئى
١٠٠	• • • • •	حرب الشرق
١١٠	• • • • •	الذكرى السنوية السابعة ليوم ٢٤ فبراير ١٨٤٨
١٢٣	• • • • •	خطاب الى لوى بونايرت
١٣١	• • • • •	الطرد من جيرسى
١٤٥	• • • • •	العفو الشامل



۴۱۵	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	کویا
۳۲۰	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	لوکریس بوجیا
۳۲۷	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	واشنیچون
۳۴۵	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	ملاحظیات



مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٦/٥٠٣٨

٨ - ١١١٦ - ٠١ - ٩٧٧ - ISBN



